مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

تصنيف

شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله
المعروف بسبط ابن الجوزي
٥٨١ - ٦٥٤ هـ

الجزء الثاني والعشرون
٥٨٨ - ٦٥٤ هـ

حققه هذا الجزء وعلق عليه

إبراهيم الزيبق

الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

مرآة الزمان
في تواريخ الأعيان

(٢٢)



بسم الله الرحمن الرحيم



دار الرسالة العالمية

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah m.
Publishers

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

الإدارة العامة

Head Office

دمشق - الحجاز

شارع مسلم البارودي

بناء خولي و صلاحي

2625

(963)11-2212773

(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية

Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com

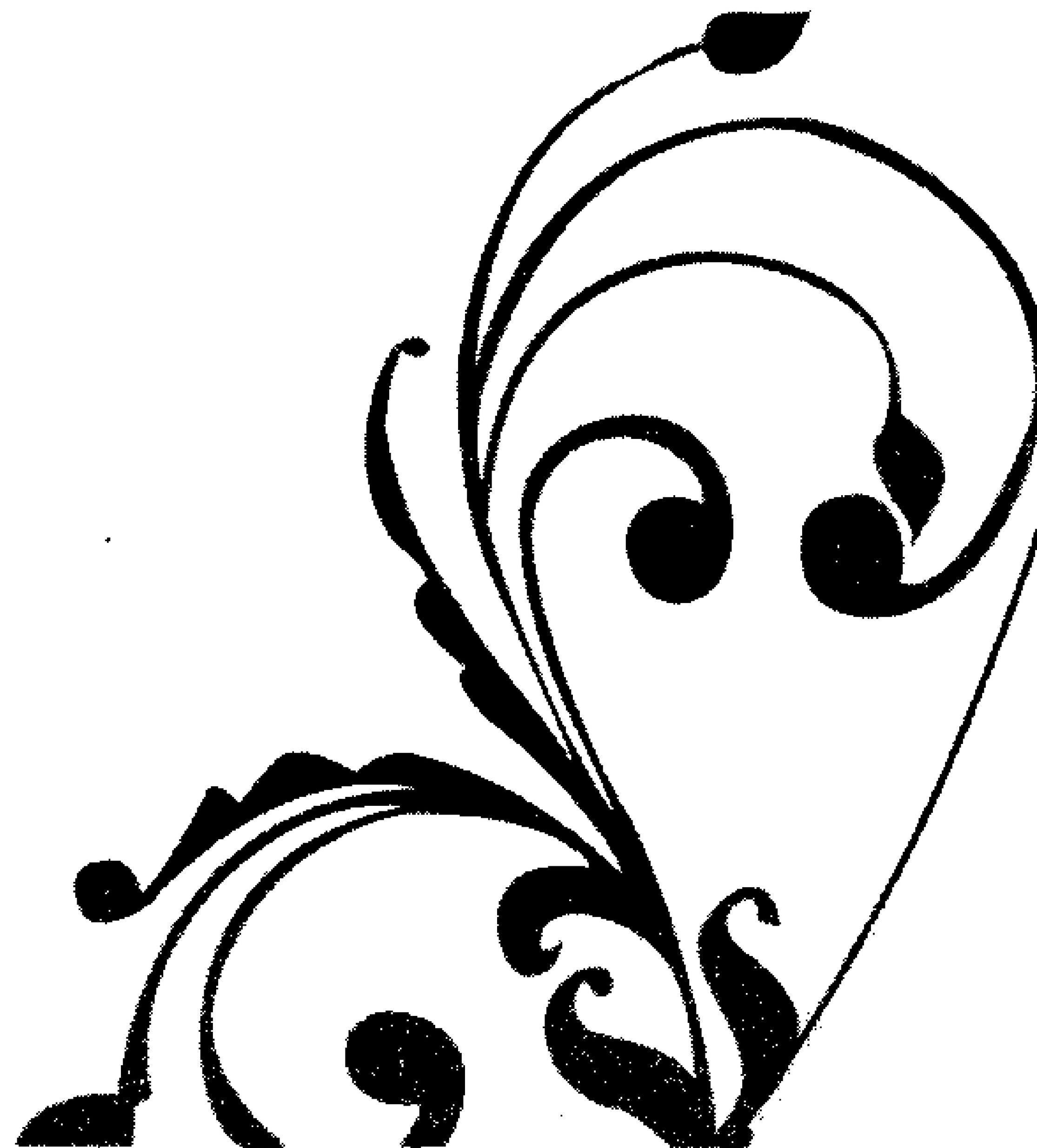
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت

BEIRUT/LEBANON

TELEFAX: 815112- 319039- 818615

P.O. BOX:117460



السنة الثامنة والثَّمانون وخمس مئة

فيها أُحرقت كُتُب عبد السَّلام بن عبد الوهَّاب بن الشيخ عبد القادر[1]، وسببه عداوةٌ قديمة كانت بين أولاد الشيخ عبد القادر وبين ابن يونس، لأنه كان جارهم بباب الأَزَج في حالِ خموله وفقره، وكانوا يؤذونه، ورَبَّوا كلباً، ولقبوه جُلَيِّل، يعنون جلال الدين، وهو لقبُ ابنِ يونس، وكان لابنِ يونس أخٌ صالح يقال له: العماد، فسموا بغلاً للطحن: العماد، وكان من ولد الشيخ عبد القادر لصُلْبه طحَّانٌ اسمه سليمان، أشرّ خَلْقِ الله، وهو الذي فعل هذه الأفاعيل. فلما ولي ابنُ يونس الوِزَارة، ثم أُستاذية الدَّار أظهر ما كان في قلبه منهم، فبدَّد شَمْلَهم، وبَعَثَ ببعضهم إلى المطامير بواسط، فماتوا بها، وكان عبد السَّلام مداخلاً للدولة وعنده كُتُبٌ كثيرة، فكَبَسَ ابنُ يونس داره، وأخرج منها كتباً في فُنون، منها «الشِّفاء»، و«النجاة»، و«إخوان الصفا»، وكُتُب الفلاسفة والمنطق، وتبخير الكواكب والنارنجيات والسِّحْر، فاستدعى ابنُ يونس وهو يومئذٍ أُستاذ دار الخليفة العلماءَ والفقهاءَ والقضاة والأعيان.

قال المصنِّف رحمه الله: وكان جَدِّي فيهم، وقُرِىء في بعضها مخاطبة زُحَل يقول: أيها الكوكبُ المضيء النَّيِّر الفَرْد، أنتَ تدبِّر الأفلاك. وفي حق المريخ من هذا الجِنْس، فقال ابنُ يونس لعبد السَّلام: هذا خَطُّك؟ قال: نَعَمْ. قال: لِمَ كتبته؟ قال: لأَرُدَّه على قائله ومَنْ يعتقده. فسألوه فيه، فقال: لابُدَّ من حريق الكتب. فلما كان يوم الجمعة ثاني عشر صفر جَلَسَ قاضي القضاة والنَّوْقاني[2] والعلماء.

قال المصنف رحمه الله: وجَدِّي معهم على سَطْح المسجد المجاور لجامع الخليفة، وأضرموا تحت المسجد ناراً عظيمة، وخَرَجَ النَّاس من الجامع، فوقفوا على طبقاتهم، فقام رجلٌ يقال له: ابن المارَسْتانية، فجعل يقرأ كتاباً كتاباً ويقول: العنوا مَنْ كتبه ومَنْ يعتقده. فيضجُّ العوام باللَّعْن، وتعدَّوا إلى الشيخ عبد القادر وإلى الإمام أحمد

---

(١) توفي سنة (٦١١هـ)، له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ١٨/ ٤٢٩ ، و«الكامل» لابن الأثير: ١٢/ ٣٠٥ ، «التكملة لوفيات النقلة»: ٢/٣٠٣ ، «المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٥٣ ، «فوات الوفيات»: ٢/ ٣٢٤ـ٣٢٥ ، «ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٧١ـ٧٣ ، «النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٩٢ .

(٢) توفي سنة (٥٩٢هـ)، انظر ترجمته في «السير»: ٢١/ ٢٤٨ .

رحمة الله عليهما، وظهرت الأحقاد البدرية، وقال الخصوم أشعاراً، منها قول المهذَّب الرُّومي ساكن النِّظامية: [من الخفيف]

لـيَ شـعـرٌ أرقُّ مِـنْ دِيْـن ركـنِ الـدِّ يـن عـبـد الـسَّـلام لَـفْـظـاً ومَـعْـنـى
زُحَـلِـيًّـا يَـشْـنـا عَـلِـيـاً ويـهـوى آلَ حَـرْبٍ حِـقْـداً عـلـيـه وضِـغْـنـا
مَـنَـحَـتْـه الـنُّـجـومُ إذ رام سَـعْـداً وسـروراً نَـحْـسـاً وهَـمًّـا وحُـزْنـا
سـارَ إحـراقُ كُـتْـبـه سَـيْـرَ شِـعْـري فـي جـمـيـعِ الأقـطـار سَـهْـلاً وحَـزْنـا
أيـهـا الـجـاهِـلُ الـذي جَـهِـلَ الـحـقَّ ضـلالاً وضـيَّـعَ الـعُـمْـرَ غُـبْـنـا
رُمْـتَ جَـهْـلاً مـن الـكـواكـب بـالـتـبـ ـخـيـر عِـزًّا فَـنِـلْـتَ ذُلاً وسِـجْـنـا
مـا زُحَـيْـلٌ ومـا عُـطـارِدُ والـمـرِّ يـخ والـمُـشْـتـري تـرى يـا مُـعَـنَّـى
كـلُّ شـيءٍ يُـوْدي ويـفـنـى سـوى الـلـ ـه إلــهــي فــإنَّــه لـيـس يَـفْـنـى

ثم حكم القاضي بتفسيق عبد السَّلام، ورمي طَيْلَسانه، وولي جَدِّي مدرسة الشيخ عبد القادر رحمه الله، فذكر الدَّرْسَ بها في ربيع الأول.

وقال ابن القادسي: وفي جمادى الأُولى جلس الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي عند تربة أُمِّ الخليفة المجاورة لمعروف الكرخيِّ، فتاب مئةٌ وثلاثون شخصاً، ومات في المجلس ثلاثة بوَجْدهم.

وفيها حَبَسَ الخليفةُ طاشْتِكِين أميرَ الحاج، وكان في قلبه منه من نوبة ابنِ يونس وتقصيره في القتال، ونُقِلَ إلى الخليفة أَنَّه يكاتبُ صلاح الدين، وكثَّر عليه ابنُ يونس، فاعتقله تحت التَّاج، وأخفى خبره بحيث أقام سنين لم يطلع له خبر.

وفيها كانت نوبة الخويلفة؛ كان السُّلْطان قد كَتَبَ إلى مِصْر يستدعي العساكر، فاجتمع على بِلْبِيس خَلْقٌ عظيم وقافلة [عظيمة][1] فيها أموالُ الدُّنيا، وكان الإنكتار يترقَّب مجيئهم، فبعث السُّلْطان نجاباً يحذِّرهم، وقال: أَبْعِدُوا في البرية. وبلغ الإنكتارَ قُرْبُهم، فركب من تلِّ الصَّافية في ألف فارس مردفين بألفِ راجل، وساروا حتى نزلوا ماءً يقال له: الحسا، وجاء الإنكتار، فكبسهم بغتةً قبيل الصُّبْح وهم غارُّون، فالسَّعيد مَنْ نجا بنفسه.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وكانت نوبة الإنكتار لم يجرِ مِثْلُها في الإسلام، ساقوا من الجمال ثلاثة آلاف جمل، ومن الخيل ألفاً وخمس مئة فرس، ومن البغال مثلها، ومن المسلمين خمس مئة أسير، ومن العين ألف ألف دينار، ومن الثِّياب مثلها، وكان في القافلة فلك الدين أخو العادل لأُمه، فنجا على فرس، وعاد الفرنج إلى تل الصَّافية في سادس عشر جُمادى الآخرة، وبلغ السُّلْطان، فأُسْقِطَ في يده، وقال: الأمر لله.

ولما حصل ذلك بيد الفرنج عزموا على قَصْدِ مِصْر، ثم عدلوا إلى القُدْس، وبعث الإنكتار إلى البلاد السَّاحلية، فاستدعى الفارس والرَّاجل، فجاءه خَلْقٌ عظيم، فسار من الرَّمْلة إلى بيت نوبة، ووصل الإنكتار إلى القبيبة في نفرٍ يسير، وشاهَدَ القدس، وعاد إلى بيت النوبة، وكان السُّلْطان في القدس، فشاور الأمراء والأعيان، وقال لهم: أنتم جند الإسلام ومَنَعَتُه، ودماء الإسلام وأموالهم وأهاليهم متعلِّقة بكم، فإن جبنتم طووا البلاد طيًّا، وكنتم المطالبين بذلك، فقالوا: نحن مماليكك، وما تطير رؤوسنا إلا بين يديك. وافترقوا على هذا، فلما كان في الليل اختلفوا، فقال بعضُهم: ما نقيم حتى يكون السُّلْطان معنا، نخاف أن يجري علينا ما جرى على أهل عكا، وبلغ السُّلْطان، فبعث إليهم يقول: هذا مجدُ الدِّين ابنُ فَرُّخْشاه ابن أخي يكون عندكم، وأكون أنا من بَرًّا أَذُبُّ عنكم. فقالوا: ما هذا برأي، وإنما نخرج ونصدقهم الحَمْلة، فإن قهرناهم وإلا سَلِمَ العسكر ونمضي إلى دمشق. فعزَّ عليه ذلك خوفاً على القُدْس ومَنْ فيه من المُسْلمين، وباتَ ليلة الجمعة ساجداً باكياً متضرِّعاً، وبَعَثَ بالصَّدقات إلى الفقراء، وطَلَعَ الصبح، فجلس يدعو إلى وقت الضُّحى، ومضى إلى المسجد الأقصى، فدخل المقصورة، وسجد وبكى وتضرَّع [إلى الله تعالى](١)، وكان جُرْديك في اليَزَك، فجاءت منه رقعة يقول: قد ركبوا بأَسْرهم. وباتَ السُّلْطان ليلة السبت قَلِقاً ما عَرَفَ النَّوم، فلما طلع الصَّباح جاء جُرْديك مُسْرعاً، فقال للسُّلْطان: يهنيك، رحلوا نحو الرَّمْلة. فسجد السُّلْطان، وانكشفت أخبارهم، وسببُ رحيلهم؛ ذلك لأن السُّلْطان كان أمر بطَمِّ الصَّهاريج والآبار التي كانت حول القُدْس، فقال لهم الإنكتار: مِنْ أين نشرب؟ قالوا: من العيون التي حول القدس. قال: يتخطَّفونا! فحكَّموا منهم ثلاث مئة

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

من علمائهم، وحكَّم الثلاث مئة اثني عشر، وحكَّم الاثني عشر ثلاثة، على عادتهم في النَّوازل، فباتوا يتشاورون، فترجَّح عندهم الرَّحيل، وقالوا: السُّلْطان حاضر ومعه العساكر [فارحلوا][١]، فرحلوا طالبين عكا، وكانوا قد أخذوا يافا وحصَّنوها، فأقام السُّلْطان بالقُدْس حتى تيقَّنَ وصولهم إلى عكا، وخَرَجَ، فنزل على يافا وحَصَرَها، وتعلَّق النقابون في الأسوار، وملك المدينة، وأشرفوا على أَخْذ القلعة، فصاح أهلُها: الأمان. ونَهَبَ المسلمون البلد، فوقف مماليك السُّلْطان على الأبواب، كلُّ مَنْ خرج ومعه شيء أخذوه، وعَزَّ ذلك على الأمراء والأكراد، وسَلَّموا القلعة، وبَعَثَ السُّلْطان إليها جماعةً من أصحابه، وبقي فيها [من][١] الفرنج أربعون رجلاً، فبينا هم على ذلك [إذ][١] لاحت مراكبُ يسيرة، فرأوا عَلَمَ السُّلْطان عليها، [فظنوا أنه قد أخذها،][١] فتوقفوا، وقويت نفوس الفرنج الذين بقوا في القلعة، وعلموا أَنَّها مراكب الإنكتار، فرمى واحدٌ نفسه في الماء، وسَبَحَ إليهم، وقال: تقدَّموا، فارسوا إلى الميناء، وكانت خمسة وثلاثين مركباً، ووصل الإنكتار، فهرب المسلمون من البلد، وتأخَّر السُّلْطان إلى يازور، وجاء الإنكتار، فنزل في منزلة السُّلْطان، ولم يكن معه سوى عشرين فارساً وثلاث مئة راجل وعشرين خيمة، والسُّلْطان في ألوف، فبعث إلى السُّلْطان يقول: أنت سُلْطان عظيم، ومعك هذا الجيش الكبير ومُعْظم عساكر المسلمين، فكيف رَحَلْتَ عن منزلتك عند وصولي وليس معي أحد، ولا طلعتُ من البحر إلا بزربولي؟! فغَضِبَ السُّلْطان، وبات على غضب، فلما أصبح ركب وركبتِ العساكر، والإنكتار نازلٌ على حاله لم يصل إليه من الفرنج أحد، فحمل عليه المسلمون وهو في عشرين فارساً وثلاث مئة راجل، فلم يتحرَّك، فَعَظُمَ على السُّلْطان، وصاح بالأطلاب: ويحكم! وكم معه وأنتم عشرة آلاف وزيادة؟! فلم يجبه أحد، وقال له الجناح أخو المشطوب: قل لعلوقك الذين ضربوا النَّاس بالأمسِ وأخذوا كسبهم يحملوا. وكان معظم العساكر على مثل رأي الجناح.

ويقال: إن الإنكتار أخذ رمحه، وحمل من طرف الميمنة إلى طرف المَيْسرة، فلم يَعْرِضْ له أحد، وساق السُّلْطان من غضبه إلى الأطرون، فنزل في خيمةٍ صغيرة وحده، وانفرد، ولم يتجاسر أحدٌ أن يكلِّمه.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وجاءت رسل الإنكتار إلى السُّلْطان تقول: قد هلكنا نحن وأنتم، وما طلبتُ الصُّلْح لتقصير وضَعْفٍ مني، بل للمصلحة العائدة علينا وعليكم.

ثم وقع الاتفاق على أَنَّ البلاد السَّاحلية التي بأيدي الفرنج هي لهم، [والبلاد الجبلية التي بها القلاع تبقى بأيدي المسلمين](١)، وما بين العملين يكون مناصفة، واختلفوا في عَسْقلان، ثم اتَّفقوا على أنها تكون للفرنج خراباً لا تعمر، وأعطاهم السُّلْطان القيامة، وكتبوا كتاب الصُّلْح، واتفقوا. [قال]: ولم يؤاخذ السُّلْطان الجناح، بل عفا عنه، وكان عَفْوه من كمال عَقْله، لأَنَّ الناس كَلُّوا ومَلُّوا، وعَلَتْهم الدُّيون وذَلُّوا، وخاف السُّلْطان أيضاً على القدس، فداوى الأخطر، وانعقد الصُّلْح، فارتفعت أصواتُ الفريقين، وضجُّوا فرحاً وسروراً، وكان يوماً عظيماً، واختلط الفريقان، [وزال بينهم الشنآن](١)، وسار الإنكتار في البحر طالباً بلاده، فمات في البحر قبل أن يصل إليها(٢).

وعاد السُّلْطان إلى دمشق، وعَزَمَ على الحج، فقيل له: البلاد خراب، وما نأمن غدر الفرنج، فتوقَّف.

ووصل إلى السُّلْطان كتابٌ من اليمن فيه أن ثلاثة أنهار بالحبشة تغيرت، كانت عذبة، فصار الواحد أجاجاً، والآخر لبناً، والثالث دماً!

وحج بالنَّاس من بغداد فلك الدين إيليا، ومن الشَّام دِرْباس الكردي.

وفيها توفي

سنان بن سَلْمان(٣)

صاحب الدَّعوة بقلاع الشَّام، وأصله من البَصْرة، وكان في حِصْن ألموت، فرأى منه صاحبُ الأمر في تلك البلاد نجابةً وشهامة ويقظة، فسيَّره إلى حصون الشَّام،

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) الصحيح أن ملك الإنكتار ريتشارد قلب الأسد قد أسر في فيينا، وهو في طريقه إلى بلده، ثم أطلق وعاد إلى وطنه. انظر «الحرب الصليبية الثالثة» (صلاح الدين وريتشارد): ٢/ ٢٨٠ وما بعدها، ترجمة: د. حسن حبشي.

(٣) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ١٨٢-١٩٠ .

وكانت له معرفة وسياسة وحذق في إقامة الدَّعوة واستجلاب القلوب، وكان مجيئه إلى الشَّام في أيام نور الدين محمود، فأقام والياً ثلاثين سنة، وجرت له مع السُّلْطان قصص، وبعث إليه جماعة فوثبوا عليه، [وقد ذكرناه](١)، وكان في عَزْمِ السُّلْطان قصدَه، ولم يُعْطه طاعةً قطُّ، ولما صالح السُّلْطانُ الفرنج، وعَزَمَ على قَصْده توفي، وتحكى عنه الغرائبُ والعجائب، وفي الجملة [كان كما وصفنا](١) لم يقم أحدٌ بعده مقامه.

عليُّ بنُ أحمد سيف الدين المشطوب(٢)

ملك الهكارية، كان شجاعاً، صابراً في الحرب، مُطاعاً في قبيلته، دخل مع أسد الدين شيركوه إلى مِصْر في المرَّات الثلاث، وشَهِدَ فتحها، ولزم خدمة السُّلْطان، كان ممن أُسر بعكا، ففدى نفسه بخمسين ألف دينار، عجَّل منها عشرين ألفاً، وأعطاهم رهائن بالباقي، وأُطلق، فأَحْسَنَ السُّلْطان إليه، وأقطعه نابُلُس وأعمالها، فجار نوابه على أهلها [(٣) فاتفق أن السلطان اجتاز بنابلس من القدس في عوده إلى دمشق، فاجتمع أهلها، وشكوا إلى السلطان]، واستغاثوا، فقال: ما لهؤلاء؟ قالوا: يتظلَّمون من المشطوب، وهو راكبٌ بين يديه، فقال له السُّلْطان: يا علي، لو كان هؤلاء يدعون لك هات حتى يسمع الله، فكيف وهم يدعون عليك؟ [(٤) واختلفوا في وفاته، فقال العماد الكاتب: مات المشطوب في نابلس] في آخر شوال. وقال ابنُ شدَّاد: مات بالقُدْس، وصُلِّي عليه بالمسجد الأقصى، ودُفِنَ في داره.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) سلفت أخباره في هذا الكتاب، وله ترجمة في «وفيات الأعيان»: ١/ ١٨٠ـ١٨٤، و«كتاب الروضتين»: ٤/ ٣٤٨ـ٣٤٩.

(٣) في (ح): فجار نوابه على أهلها، فشكوا إلى السلطان عند اجتيازه بهم واستغاثوا... والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ح): ومات في نابلس، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

قليج رسلان بن مسعود[١]

ابن قليج رسلان بن سليمان بن قُتُلْمِش بن إسرائيل بن سَلْجوق، عز الدين، صاحب بلاد الرُّوم، طالت أيامه، واتَّسعت مملكته، ولما أسنَّ أصابه الفالج، فَبَطَلَتْ حركته، وتنافس أولادُه في المُلْك، وحكم عليه ولده قُطْب الدِّين بن ملك شاه، وقتل كثيراً من خواصِّه، وكان مقيماً بسِيْواس، وأبوه بقُونية، فجاء إلى أبيه يقاتله، فأخرج إليه العساكر مع حاجبه حسن بن غفراس، فقتله، وبدَّد شَمْلَ أصحابِ أبيه، وأخذ أباه مكرهاً، فحمله إلى قيسارية، ونزل بظاهرها، فلم يمكِّنه أهلُها من الدخول إليها، فقال أبوه لبعض غِلْمانه في الليل: احملني وأدخلني البلد. فحمله، وأدخله البلد. واجتمع إليه أهلها، فقال لهم: أنا مقهورٌ مع هذا الولد. فقاموا معه، وخرجوا إلى ملك شاه، فقاتلوه وطردوه، فعاد إلى سيواس، وعهد قليج رسلان بالأمر بعده إلى ولده غياث الدِّين كَيْخُسْرو، فسار إلى قُونية ومعه أبوه، فملكها، وجَلَسَ على سرير المُلْك، ومضى إلى أقصرا، فأخذها، وزاد المرض بأبيه، فمات، فكَتَمَ موته حتى تَمَّ له أمره، واستقامت له الممالك، وتفرَّق أولاده في البلاد، فجاء صاحبُ مَلَطْية إلى الرَّقَّة، فزوَّجه العادلُ ابنته، والتجأ بعضُهم إلى التُّرْكمان، وبعضهم إلى لاون.

وقال العماد الكاتب: توفي عز الدين بقُونية في نصف شعبان، ولم يزل ينتقل من بلد إلى بلد في ضيافةِ أولاده، يُتبرم ويُضَّجر منه حتى مات عند ابنه كَيْخُسْرو، وقوي على إخوته، واستقام أمره[٢].

المركيس صاحب صور[٣]

قدم عليه راهبان، فلزما الكنيسة، وتعبَّدا عبادةً زائدة، وبلغه خبرهما فقرَّبهما، ولم يكن يصبر عنهما، فأغفلاه ليلة [حتى نام][٤] وذبحاه، فأُخذا وقُرِّرا، فقالا: نحن من

---

(١) له ترجمة في الكامل»: ١٢/ ٨٧ـ٩١ ، و«كتاب الروضتين»: ٤/ ٣٤٩ـ٣٥٠ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٢١١ـ٢١٢ .

(٢) انظر «الفتح القسي»: ٦٢٣ـ٦٢٥ .

(٣) هو كنراد بن مونتفيرات Conrad of Montferrat، وقد سلفت أخباره في هذا الكتاب.

(٤) ما بين حاصرتين من (م).

الإسماعيلية، فَقُتِلا، وسُرَّ الإنكتار[١] بقَتْله، لأنه كان يضاهيه ويضاده ويراسل [السلطان][٢] في الإعانة عليه، فلما قُتِلَ استقلَّ الإنكتار بالأمر، وزوَّج الإنكتار زوجةَ المركيس بكندهري[٣]، وهو ابن أُخت ملك الإنكتار من أُمه، وابن أخت ملك الإفرنسيس من أبيه، وأقام الإنكتار كندهري موضعَ المركيس، وكانت امرأةُ المركيس حاملاً منه، فدخل بها كندهري، وما ذاك عَيْبٌ عندهم في دين النَّصْرانية، ويكون الولد منسوباً إلى أُمه، وكان الملك في المملكة، فأقام كندهري ملك الفرنج سبع سنين، ومات.

نَصْر بن منصور[٤]

أبو المُرْهَف، النُّمَيْري الشَّاعر، منسوب إلى نُمير بن عامر بن صَعْصَعَة من هوازن، ولد بِرَقَّة الشَّام، وأُمه بنت سالم بن مالك صاحب الرَّحْبة، رُبِّيَ بالشَّام، وعاشَرَ الأدباء، وقال الشِّعْر وهو ابنُ ثلاث عشرة سنة، وقَلَّ بصره بالجُدَري وله أربع عشرة سنة، ولا يحتاج إلى قائد، ثم قدم بغداد ليداوي عينيه، فآيسه الأطباء منها، فحفظ القرآن، وتفقَّه على مذهب الإمام أحمد رحمة الله عليه، وسَمِعَ الحديث وقرأ اللغة [على ابن الجواليقي][٢]، وكان طاهر اللِّسان [نزهاً][٢] عفيفاً دَيِّناً، [[٥]وكان من أعيان شعراء الوزير يحيى بن هُبيرة، وله فيه المدائح الكثيرة، وفي المقتفي وصلاح الدين وغيرهما، وذهب بصره بمرة، وتوفي ببغداد في ربيع الآخر، ودفن بمقابر الشهداء، سمع قاضي المارَسْتان، وابن الحُصَيْن وغيرهما، وكان ثقة]، ومن شعره: [من المتقارب]

---

(١) هو ريتشارد قلب الأسد Richard I, Lion Heart .

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) هو هنري كونت شامبانيا Henry of Champagne، وقد مات سنة ٥٩٣هـ.

(٤) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ١٧٠، و«معجم الأدباء»: ١٩/ ٢٢٢-٢٢٣، «وفيات الأعيان»: ٥/ ٣٨٣-٣٨٤، و«الروضتين»: ٤/ ٣٥٥-٣٥٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٢١٣-٢١٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٥) في (ح): ديناً، وله مدائح في صلاح الدين وغيره، وتوفي ببغداد، ودفن في ربيع الآخر بمقابر الشونيزية، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وزهَّدني في جميع الأنا م قِلَّةُ إنصافِ من تَصْحَبُ
هُمُ النَّاسُ ما لم تُجَرِّبْهُمُ وطُلْسُ الذِّئاب إذا جُرِّبوا
وليتك تَسْلَم عند البعا دِ منهم فكيف إذا تَقْرُبُ

وقال: [من الطويل]

تراءتْ لنا يوم الرَّحيل فحنَّتِ ولم تَدْرِ ما شوقي بها حين ولَّتِ
وكانت جفوني بالدُّموعِ ضنينةً فلما استقلَّ الظَّاعنونَ استقلَّتِ

وقال: [من مجزوء الكامل]

ما في قبائلِ عامرٍ من مُعْلَمِ الطَّرَفَيْنِ غيري
خالي زعيمُ عبادة وأبي زعيمُ بني نُمَيْرِ

وقال: [من الطويل]

أُحِبُّ علياً والبَتُول وَوُلْدَها ولا أَجْحَدُ الشَّيخين فَضْلَ التَّقدُّمِ
وأبرأ مِمَّن نال عُثمانَ بالأذى كما أتبرَّا من ولاءِ ابن مُلْجَمِ
ويُعْجِبُني أهلُ الحديث لِصِدْقهم فلستُ إلى قومٍ سواهم بمنتمي

وقال وقد أبلَّ الوزير عون الدين من مرضٍ: [من البسيط]

أُعِلَّ لما اعتللتَ المجدُ والكَرَمُ وكادتِ الشمسُ يُخفي نورَها الظُّلَمُ
وأنكرت مُقْرباتُ الخيل راحتَها من بعد ما أقرحت أفواهَها اللُّجُمُ
وأرعدتْ قُضُبُ الهِنْديِّ من حَذَرٍ أن لا يَبُلَّ صَدَاها في الحروبِ دَمُ
حتى إذا زال ما تشكوه من ألمٍ عمَّ السُّرور كما عَمَّتْ بك النِّعَمُ
راحت لصحتك الأعداءُ في سَقَمٍ لم تلتبسْ بحشاها مثله سَقَمُ
يا قائدَ الجحفلِ الجَرَّارِ يَصْحَبُهُ محلّقاتُ نسورِ الجوِّ والرَّخَمُ
كأنَّ كلَّ جناحٍ في قساطِلِهِ يلوحُ للعين من أعلامه عَلَمُ
فليس غيرك للعافين منتجعٌ ولا بغيركَ للجانين مُعْتَصَمُ

السنة التَّاسعة والثمانون وخمس مئة

ويقال لها: سنة الملوك. ماتَ صلاحُ الدين، وبَكْتَمُر شاه أرمن، وعز الدين صاحبُ المَوْصل.

وفيها بنى الخليفة داراً للكتب بالمدرسة النِّظامية، ونقل إليها عشرة آلاف مجلَّدة، فيها الخطوط المنسوبة.

وفيها تمَّ بناء دار الحريم الطَّاهري والرِّباط، ونقل إليها الخطوط المنسوبة، ورتَّب في الرِّباط عشرة من الصُّوفية [الأخيار أرباب المجاهدات، ورتَّب فيه طعاماً كل يوم خارجاً عن راتب الصوفية][1]، وكان الخليفةُ كلَّ يوم يتردَّد إلى الرِّباط المذكور، فيوم لا يحضر يحمل راتبه إلى الصُّوفية، وولى الرِّباط بهاء الدين أحمد المِيْهَني؛ شيخ رباط الإخلاطية.

ويقال: إنَّ سببَ عمارة دار الحريم والرِّباط أَنَّه قَدِمَ إلى بغداد رجل بَلْخي اسمه محمد، وكان من الأبدال، يأوي إلى مقابر الإمام أحمد - رحمة الله عليه - ويصوم ويتقوت بالخبازى، ولا يكلِّم أحداً [من خلق الله تعالى][1].

قال المصنف رحمه الله: وكنتُ وأنا صبي أتردَّدُ إلى مقابر الإمام أحمد - رحمة الله عليه - في شِدَّة الحرِّ على وَجْه السِّياحة، وكنتُ أراه يكنُّ من الحر في القباب، فأحببتُه، وأنس بي، وكان الخليفةُ النَّاصر يتردَّد إلى زيارته، فبلغني أَنَّه ما بنى الرِّباط إلا له، وسأله أن يدخله، فأبى، وأقام في المقابر إلى سنة ست وتسعين وخمس مئة، ولم أره بعد ذلك.

وفيها فتحت المدرسة إلى جانب تربة والدة الخليفة عند معروف الكرخي، وحَضَرَ أرباب الدولة، وعُمل سماط عظيم، وسُلِّمت إلى النَّوْقاني، فدرَّس بها.

وفي ليلة عيد النحر ظهر ببغداد نار عظيمة من جانبها الشَّرقي، فأضاء منها الأفق وبهر ضوءها، وأقامت طول الليل، وظهر عمود من السماء إلى الأرض عرضه مقدار ثلاثة رماح.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وولدت امرأة بحلب أربعة أولاد في بطن [واحد](١).

وحَجَّ بالنَّاس من العراق [قطب الدين](١) سنجر مملوك الخليفة، ووقف دهمش للحاج ومكسهم، [وسنذكر القصة في ترجمة سنجر في سنة عشر وست مئة](١)، ومن الشام حصن الدولة إبراهيم بن السَّلَّار.

وفيها توفي

الأسعد بن نَصْر بن الأسعد النَّحْوي(٢)

ومن شِعْره: [من الخفيف]

يَجْمَعُ المَرْءُ ثُمَّ يتركُ ما جَمَّـ ... ـعَ مِنْ كَسْبه لغيرِ شكورِ
ليس يحظى إلا بذكرٍ جميلٍ ... أو بعِلْمٍ من بعده مأثورِ

وقال: [من مجزوء الرمل]

قُلْ لمن يَشكو زماناً ... حادَ عما يرتَجيهِ
لا تضيقنَّ إذا جا ... ءَ بما لا تَشْتَهِيْهِ
ومتى نابكَ دَهْرٌ ... حالتِ الأحوالُ فيه
فوِّضِ الأمرَ إلى اللـ ... ـه تجدْ ما تَبْتَغِيْهِ

بَكْتَمُر بنُ عبد الله(٣)

مملوك شاه أرمن ابن سُكْمان، صاحب خِلاط.

مات شاه أرمن ولم يخلِّف ولداً، فاتَّفق خواصّه على بَكْتَمُر، فضبط الأمور، وأحسن إلى الرَّعية، وعَدَلَ فيهم، وصاحَبَ العلماء [والصوفية](١)، وكان حَسَنَ السِّيرة، متصدِّقاً، دَيِّناً، صالحاً، جاءه أربعة من الصُّوفية، وكان لا يمتنع من صوفي، فتقدَّم إليه واحدٌ منهم، فمنعه الجاندارية، فقال: دعوه. فتقدَّم وبيده قِصَّة، فأخذها منه، فضربه بسكِّين شَقَّ جوفه،

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر ص١٩٩ من هذا الجزء.

(٢) له ترجمة في «معجم البلدان»: ٤/ ٧٨ (وفيه توفي في حدود سنة ٥٧٠هـ)، و«التكملة» للمنذري: ١/ ١٩١-١٩٢، و«إنباه الرواة»: ١/ ٢٣٥، و«الوافي بالوفيات»: ٩/ ١٦-١٧، و«بغية الوعاة»: ١/ ٤٤١-٤٤٢.

(٣) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ١٠٢، و«الوافي بالوفيات»: ١٠/ ١٨٩-١٩٠.

فمات من ساعته، فأُخِذوا وقُرِّروا، فقالوا: نحن إسماعيلية، فأُحرقوا، وذلك في جُمادى الأُولى، وكانوا قد شفعوا إليه في أمرٍ لا يليق، فلم يقبل شفاعتهم.

وقيل: إنه كان نفى شخصاً لشرِّه وفساده، فالتجأ إلى الإسماعيلية، فسألوه فيه، فلم يشفِّعهم، وقام بعده الهزار ديناري مملوك شاه أرمن، وخَلَّف بَكْتَمُر ولداً صغيراً.

جعفر بن محمد بن فطير(١)

أبو الحسن، من أهل المذار(٢)، ولاه المستضيء ديوان واسط والبَصْرة، وكان جَوَاداً سَمْحاً مثل البرامكة، ما قصده قاصد فخيَّبه، وأقام على ولايته حتى عزله الإمام الناصر، وطلب منه المال، فاحتاج إلى أن طلب من النَّاس، ومات فقيراً، ودفن بمشهد باب التِّبْن في المحرَّم.

ومن شعره: [من الطويل]

وفكرت في يَوْمَيْ سُروري وشِقْوتي ... ونـاديتُ في الأحياءِ هل مِنْ مساعدِ
فلم أرَ فيما ساءني غيرَ شانىء ... ولم أرَ فيما سَرَّني غيرَ حاسِدِ

قيطرمش بن عبد الله(٣)

ابن المُسْتنجدي، شِحْنة بغداد [من أيام المستضيء وإلى هذه السنة](٤).

كان شجاعاً [مهيباً](٤)، له هيبة عظيمة على المفسدين، [وله معهم حكايات](٤)، كان يسلقهم في القدور، ويمثِّلُ بهم، فكانت بغداد في أيامه مثل المهد في الجانبين.

مسعود بن مودود(٥)

ابن زَنْكي بن آق سُنْقُر، عزّ الدِّين، صاحب المَوْصِل.

---

(١) له ذكر في «معجم الأدباء»: ٧/ ٤٦ (ترجمة إسماعيل بن موهوب الجواليقي، وترجمة أبيه في «المحمدون من الشعراء»: للقفطي: ص ٢٤٨-٢٤٩ .

(٢) المذار: في ميسان، بين واسط والبصرة، «معجم البلدان»: ٥/ ٨٨ .

(٣) لم أهتد إلى مظان ترجمته.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) سلفت أخباره في هذا الكتاب، وانظر «كتاب الروضتين»: ٤/ ٤١٤ وما بعدها.

كان خفيفَ العارضين، أسمر، مليحَ اللَّوْن، عادلاً، عاقلاً، مُنْصفاً، مُحْسناً، جَوَاداً، صَبَرَ على حصار صلاح الدين للموصل ثلاث مرات، وحفظ البلد، وفرَّق الأموال العظيمة، وداری حتى يَسْلَمَ له المُلْك، وكان قد بنى في داره مسجداً يخرج إليه في الليل، ويصلي فيه أوراداً كانت له، ويلبس فَرَجية [كانت عنده][(١)] أهداها له الشيخ عمر النَّسائي الصُّوفي، فيصلِّي فيها، وكان قد خرج من المَوْصل لقتال الملك العادل، وكان على حَرَّان بعد موت صلاحِ الدين، ثم عاد في سابع وعشرين شعبان مريضاً واحْتُضر، فجعل يتشاهد، ويذكر الله تعالى، ويقر بالشَّهادتين، وعذاب القبر، ومنكر ونكير، والصِّراط والحساب والميزان، وتوفي ودفن بمدرسته التي أنشأها بالمَوْصل مقابل دار السَّلْطنة، وكانت أيامه ثلاث عشرة سنة وستة أشهر، وأوصى بالملك لولده الأكبر نور الدين رسلان شاه، وكان أخوه شرف الدين مودود يرومُ السَّلْطنة، فصُرفت عنه إلى نور الدين، وقام بالأمور مجاهد الدين قَيْماز الخادم أحسن قيام.

منصور بن المبارك بن الفضل[(٢)]

أبو المُظَفَّر الواسطي الواعظ، الملقب جرادة.

قدم بغداد، واستوطنها، [وكان يعظ في المساجد وعظاً مطبوعاً، وكان][(١)] ظريفاً كيساً [وله واقعات عجيبة][(١)]؛ جلس يوماً بمسجد باب أبرز، وذكر حديث النبي ﷺ: «من قتل حية كان له قيراطان من الأجر، ومن قتل عقرباً كان له قيراط»[(٣)]. فقام واحد فقال: يا سيدنا، ومَنْ يقتل جرادة؟ قال: يصلب على باب المسجد.

[وسأله رجل يوماً في المجلس، فقال: أين يقف جبريل من العرش، أو أين يقف ميكائيل وعزرائيل؟ فكاشر ساعة، ووقع في المحلة خباط، فقال لبعض الناس: قم واخرج واكشف لنا ما هذا؟ فخرج الرجل وعاد، فقال: إنسان قد ضرب زوجته، فقوي الصراخ، فقال لآخر: قم أنت واكشف الخبر. فقام وخرج وعاد، فقال: رجل قد

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ١٩٧، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٣٠٠.

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ في دواوين السنة.

مات، والورثة يتضاربون على التركة، فقال: يا فعلة يا صنعة، بينكم وبين باب المسجد خطوات، وما فيكم من يخبر بما فيه على الحقيقة، من أين أعلم أنا أين يقف جبريل، وأين يقف ميكائيل والملائكة؟ فضحك الناس.

وله فصول ومواعظ،][١] وكان يزعم أنَّه قرأ المقامات على الحريري، [وقد سمع أبا الوقت وطبقته][١]، وكان صدوقاً.

السُّلْطان الملك النَّاصر صلاح الدين[٢]

يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان، ويقال: إنَّ مروان من أولاد خُلفاء بني أمية.

وقال ابنُ القادسي: كان شاذي مملوك بِهْرُوز الخادم.

وهذه من هَنَات ابنِ القادسي، ما كان شاذي مملوكاً قط، ولا جرى على أحدٍ من بني أيوب رِقٌّ، وإنما شاذي خَدَمَ بِهْرُوز، فاستنابه في قلعة تكريت[٣].

ولد صلاح الدين بتكريت سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة، ونشأ في حجر أبيه أيوب، ورُبِّي في الدَّولة النُّورية، وولاه نور الدين دمشق، وخرج مع عمه أسد الدين إلى مِصْر، فملكها، [وقد ذكرنا ذلك][١]، وكان شجاعاً سَمْحاً، مجاهداً في سبيل الله، يجودُ بالمال قبل الوصول إليه ويحيل به، ومتى عَرَفَ وصول حِمْل وقَّع عليه بأضعافه، وما خيَّب أحداً بالرد، وإن لم يكن عنده شيء لطف به كأنَّه غريم يستمهله[٤]، وكان مغرماً بالإنفاق في سبيل الله، وحُسِبَ ما أطلقه ووهبه مدَّة مُقامِه على عكا مرابطاً للفرنج من رجب سنة خمس وثمانين إلى يوم انفصاله عنها في شعبان سنة ثمان وثمانين، فكان اثني عشر ألف رأس من الخيل العِراب والأكاديش الجياد، للحاضرين معه في الجهاد، والقادمين عليه من البلاد، غير ما أطلقه من الأموال في أثمان الخيل المصابة في القتال.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) سلفت أخباره في هذا الكتاب، وشهرته تحول دون ذكر مصادر ترجمته.

(٣) كذا قال، والصحيح أن نجم الدين أيوب بن شاذي؛ والد صلاح الدين هو الذي تولى قلعة تكريت لبهروز، انظر «كتاب الروضتين»: ١/ ٤٠٣-٤٠٤.

(٤) «الفتح القسي»: ٦٢٩.

قال العماد: ولم يكن له فرسٌ يركبه إلا وهو موهوب، ولا جاءه قود إلا وهو مطلوب، وما كان يَلْبَس إلا ما يَحِلُّ لُبْسُه وتطيب به نَفْسُه، كالكَتَّان والقُطْن والصُّوف، ويخرج أثمان غالي كسوته في أثمان المعروف. ومجالسه مُنَزَّهة عن الهُزْء والهَزْل، ومحافِلُهُ [حافلة][(١)] بأهل العِلْم والفَضْل، وما سُمِعَتْ منه قطُّ كلمةٌ تسقط، ولا لفظة تُسْخط، ويؤثر سماعَ الأحاديث بالأسانيد، ويتكلم عنده في العِلْم الشرعي المفيد، ويلين للمؤمنين، ويغلظ على الكافرين، ومَنْ جالسه لا يعلم أنه جليس السُّلْطان، بل يعتقد أنه أخٌ من الأخوان. وكان حليماً مُقيلاً للعثرات، متجاوزاً عن الهَفَوات، تقياً نقياً، صفياً ولياً، ما رَدَّ سائلاً، لا ولا صَدَّ نائلاً، ولا أخجل قائلاً، ولا خيَّبَ آملاً[(٢)].

[قال][(١)]: وشكا إليه أيوب بن كنان دَيناً، مبلغه اثنا عشر ألف دينار، فقضاه عنه.

[قال][(١)]: وكَتَبَ إليه سيفُ الدولة ابنُ منقذ نائبه بمِصْر أَنَّ بعض الضُّمَّان انكسر عليه مالٌ كثير، وربما وَصَلَ إلى الباب وتمحَّلَ. فلما كان بعد أيام وَصَلَ ذلك الرجل إلى الباب، وبلغ السُّلْطان، فأرسل إليه يقول: احذرْ أن تقعَ في عينِ ابن منقذ[(٢)].

قال العماد: ورأى معي يوماً دواةً محلاة بفِضَّة، فأنكر عليّ وقال: ما هذا؟ فلم أكتب بها عنده بعدها[(٢)].

[قال][(١)]: وكان محافظاً على الصَّلوات في أوقاتها، مواظباً على مفروضاتها ومسنوناتها، لا يصلِّي إلا في جماعة، ولا يؤخر صلاة من ساعة إلى ساعة، ولا يلتفت على قول منجِّم، وإذا عَزَم على أمرٍ توكَّل على الله الذي يؤخر ويقدِّم[(٢)].

وذكره القاضي ابنُ شدَّاد في «السيرة» وأثنى عليه، وحكى عنه العجائب، ولو سكت أثنت عليه الحقائب، فمن ذلك أنَّه قال: كان حَسَنَ العقيدة، كثير الذكر لله تعالى، وإذا جاء وقتُ الصَّلاة وهو راكبٌ نزل فصلَّى، وما قطعها إلا في مرضه الذي توفي فيه ثلاثة أيام، اختلط ذهنه فيها، وكان قد قرأ عقيدة القُطْب النَّيسابوري، وعلَّمها أولاده الصِّغار لترسخ في أذهانهم من الصِّغَر، وكان يأخذها عليهم.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) «الفتح القسي»: ٦٥٦ـ٦٦٠.

وأما الزَّكاة، فإنَّه مات ولم تجب عليه قَطُّ، وأما صدقة النَّوافل فاستنفدت أمواله كلَّها، وكان يحبُّ سماعَ القرآن، ويتخيَّر إمامه، واجتاز يوماً على صبيٍّ صغير بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن، فاستحسن قراءته، فَوَقَفَ عليه وعلى أبيه مزرعة.

[قال:][(١)] وكان شديدَ الحياء، خاشعَ الطَّرْف، رقيقَ القلب، سريعَ الدَّمعة، شديدَ الرَّغبة في سماع الحديث، وإذا بلغه عن شيخٍ رواية عالية، وكان ممن يحضر عنده استحضره، وسمع عليه، وأسمع أولاده ومماليكه، ويأمرهم بالقعود عند سماع الحديث إجلالاً له، وإن لم يكن ممن يحضر عنده، ولا يَطْرُقُ أبواب الملوك سعى إليه، [وسمع منه، وروى عنه، وتودد إليه، ومضى إلى الإسكندرية، وسمع الحديث الكثير من الحافظ السِّلَفي، ومن ابن عوف «الموطأ»،][(١)] وكان مُبْغضاً لكُتُبِ الفلاسفة وأرباب المنطق، ومن يعاند الشريعة، ولما بلغه عن السُّهْرَوَرْدي [ما بلغه أمر ولده الملك الظاهر بقتله[(٢)].

وكان محباً للعدل، يجلس له][(١)] كلَّ يوم اثنين وخميس في مجلسٍ عام، يحضُره القُضَاة والفقهاء، ويصل إليه الكبير والصَّغير، والشيخ والعجوز، وما استغاثَ إليه أحد إلا وأجابه، وكَشَفَ ظُلامته.

واستغاثَ إليه ابنُ زهير الدِّمَشْقي على تقي الدين عمر، وقال: ما يحضر معي مجلس الحكم، فأمر تقي الدين بالحضور معه، [وكان أعز الناس عليه تقي الدين. قال:][(١)] ولقد ادَّعى رجلٌ على السُّلْطان أَنَّ سُنْقُر الخِلاطي مملوكه ماتَ على ملكه. قال ابنُ شداد: فأخبرته، فأحضر الرجل، وتزحزح عن طرَّاحته، وساواه في الجلوس، فادَّعى الرجل، فرفع السُّلْطان رأسه إلى جماعةِ الأُمراء الشيوخ الأخيار، وهم وقوفٌ على رأسه، فقال: لمن تعرفون سُنْقُر الخِلاطي؟ قالوا: نشهد أَنَّه مملوكك، وأنه ماتَ على ملكك. ولم يكن للرجل بينة، فأُسْقِط في يده، فقلتُ: يا مولانا، رجلٌ غريب، وقد جاء من خِلاط في طَمَع، ونَفِدَت نفقته، وما يحسن أن يرجع عن المولى خائباً. فقال: يا قاضي، هذا إنما يكون على غير هذا الوجه. ووهب له خِلْعة، ونفقةً وبغلة، وأحسن إليه.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) سلفت ترجمة السهروردي في ج٢١/ ٣٩٦ من هذا الكتاب.

قال: وفتح آمد، ووَهَبها لابنِ قرا رسلان، واجتمع عنده وفود بالقُدْس، ولم يكن عنده مال، فباع ضيعة من بيت المال، وفرَّق ثمنها فيهم.

قال: وسألتُ ابن بيرزان يوم انعقاد الصُّلْح عن عِدَّة الفرنج الذين كانوا على عكا، وهو جالسٌ بين يدي السُّلْطان، فقال للترجمان: قل له: كانوا من خمس مئة ألف إلى ست مئة ألف، قتل منهم أكثر من مئة ألف، وغَرِقَ معظمهم.

وكان يوم المصافّ يدور على الأطلاب، ويقول: هل أنا إلا واحدٌ منكم. وكان في الشتاء يُعطي العساكر دستوراً، وهو نازلٌ على مرج عكا، ويقيم طول الشتاء في حَلْقته في نفرٍ يسير. [قال:][1] وكان على الرَّمْلة، فجاءه كتابٌ بوفاةِ تقيِّ الدين، فقال [وقد][1] خنقته العَبْرة: مات تقيُّ الدين، اكتموا خبره مخافة العدو. ولقد واجهه الجَنَاح على يافا بذلك الكلامِ القبيح، فما قال له كلمة، واستدعاه، فأيقن بالهلاك، وارْتَقَبَ النَّاس أن يضرب رقبته، فأطعمه فاكهةً جاءته من دمشق، وسقاه ماءً وثَلْجاً.

[قال][1]: وكان للمسلمين لصوص يدخلون خيام الفرنج في اللَّيل ويسرقونهم، فسرقوا ليلةً صبياً رضيعاً، فباتت أُمه تبكي طول الليل، فقال لها الفرنج: إنَّ سُلْطانهم رحيمُ القلب، فاذهبي إليه. فجاءته وهو على تل الخَرُّوبة راكب، فعَفَّرت وَجْهها [في التراب][1] وبكت، فسأل عنها، فأُخبر بقصتها، فَرَقَّ لها، ودَمِعَتْ عيناه، وتقدَّم إلى مقدَّم اللصوص بإحضارِ الطِّفْل، ولم يزل واقفاً حتى أحضروه، فلما رأته بكَتْ وشَهَقَتْ، وأخذته، فأرضعته ساعة، وضمَّته إليها، وأشارت إلى ناحية الفرنج، فأمر أن تحمل على فرسٍ، وتلحق بالفرنج، ففعلوا.

قال: وكان حَسَنَ العِشْرة، طيِّبَ الخُلُق، حافظاً لأنساب العرب، عارفاً بخيولهم، طاهر اللِّسان والقلم، فما شَتَمَ أحداً قَطُّ، ولا كَتَبَ بيده ما فيه أذى مسلم، وما حَضَرَ بين يديه [يتيم][1] إلا وترحَّم على مخلِّفه، وجَبَرَ قلبه، وأعطاه ما يكفيه، فإن كان له كافلٌ وإلا كَفَلَه، وسُرِقَ يوماً من خزانته ألفا دينار، وجعل في الكيسين [مكانهما][1] فلوساً، فما قال شيئاً[2].

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) انظر «النوادر السلطانية»: ٦-٣٣.

قال المصنِّف رحمه الله: وحكى لي المبارز سُنْقُر الحلبي رحمه الله، قال: كان الحُجَّاب يزدحمون على طَرَّاحته، فجاء سُنْقُر الخِلاطي ومعه قصص، فقدَّم إليه قصة، وكان السُّلْطان قد مدَّ يده اليمنى على الأرض ليستريح، فداسها سُنْقُر الخِلاطي ولم يعلم، وقال له: عَلِّمْ عليها. فلم يجبه، فكرَّر عليه القول، فقال: يا طواشي أُعلِّم بيدي أو بِرِجْلي. فنظر سُنْقُر، فرأى يد السُّلْطان تحت رِجْله، فخجل، وتعجَّب الحاضرون من هذا الحِلْم. ثم قال السلطان: هاتِ القِصَّة، فعلم عليها. ومازال السُّلْطان على هذه الأخلاق طول زمانه، حتى توفاه الله إلى مقرِّ رحمته ورِضْوانه.

ذِكْرُ وفاته: لما كان سادس عشر صَفَر وَجَدَ كسلاً، وحُمَّ حُمَّى صفراوية، وكان قد ركب، فالتقى الحاج، وبكى وتأسَّف حيث لم يكن معهم، وأصبح يوم السبت والحُمَّى بحالها، وتزايد به المرض حتى ضَعُفَ، وأجمع الأطباء على أنه لا يفصد، فخالفهم الرَّحْبي الطبيب، وفصده، فكان سببَ وفاته، وحُجِبَ عن الرِّجال وتولَّاه النساء، وأحضر الأفضل الأمراء: سَعْد الدِّين مسعود أخو بدر الدين مودود شِحْنة دمشق، وناصر الدين صاحب صهيون، وسابق الدين عثمان صاحب شَيْزَر ابن الدَّاية، وميمون القَصْري، واليكي الفارس، وأيبك فطيس، وحسام الدين بشارة، وسامة الجيلي وغيرهم، فاستحلفهم لنفسه، وكان عند السُّلْطان أبو جعفر إمام الكلاسة يقرأ القرآن، فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الحشر: ٢٢] وكان قد غاب ذِهْنه، ففتح عينيه، وقال: صحيح.

وكانت وفاته يوم الأربعاء بعد صلاة الفجر، في السَّابع والعشرين من صفر، وغسله الخطيب الدَّوْلعي، وصلَّى عليه القاضي محيي الدين بن الزكي، وبعث له القاضي الفاضل الأكفان والحَنُوط من أَحلِّ الجهات، ودفن بدار البُسْتان موضع جلوسه.

قال ابن القادسي: ودُفِنَ معه سيفه. وقال الفاضل: هذا يتوكأ عليه في الجَنَّة. وهو وهم من ابنِ القادسي، [لأنَّ سيفه بعث به ولده الأفضل إلى بغداد، وسنذكره][(1)] وعمل الأفضل له العزاء ثلاثة أيام، وحَزِنَ النَّاس عليه حُزْناً لم يحزن على قبله مثله.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقال العماد: دخلنا عليه ليلة الأحد للعيادة، ومرضه في زيادة، وفي كلِّ يوم تضعف القلوب، وتتضاعف الكروب، ثم انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء سُحْرة يوم الأربعاء، ومات بموته رجاءُ الرِّجال، وأغرب بغروب شَمْسه فضاءُ الإفضال، ودُفِنَ بقلعة دمشق في مسكنه، ودفن جِماعُ الكرم والفَضْل في مدفنه، ورثاه الشعراء، [(1)وبكاه الفصحاء، فمن ذلك قصيدة ذكرها العماد في «البرق الشامي»، عددها مئتان وعشرون بيتاً، ذكرت هاهنا غُررها، وسطرت دررها، وذكرت منها ما حَسُنَ ذكره، وأهملت ما سمج هذره، وأولها:] [من الكامل]

شَمْلُ الهدى والمُلْكِ عَمَّ شتاتُهُ ... والدَّهْرُ ساءَ وأَقْلَعَتْ حسناتُهُ

[ومنها](2):

باللهِ أين النَّاصِرُ الملكُ الذي ... للهِ خالصةً صَفَتْ نِيَّاتُهُ
أين الذي مُذْ لم تَزَلْ مَخْشِيَّةً ... مَرْجُوَّةً هَبَّاتُهُ وَهِبَاتُهُ
أين الذي كانت له طاعاتنا ... مبذولةً ولربِّهِ طاعاتُهُ
أين الذي مازال سُلْطاناً لنا ... يُرجى نَدَاه وتُتَّقى سَطَواتُهُ
أين الذي شَرُفَ الزَّمان بفَضْله ... وسَمَتْ على الفُضَلاءِ تَشْريفاتُهُ
لا تَحْسَبُوه ماتَ شَخْصٌ واحدٌ ... قد عَمَّ كلَّ العالمين مماتُهُ
مَلِكٌ عن الإسلام كان محامياً ... أبداً لماذا أَسْلَمَتْهُ حُماتُهُ
قد أظلمت مُذْ غاب عنَّا دُورُه ... لما خَلَتْ من بَدْره داراتُهُ
دُفِنَ السَّماحُ فليس تُنْشَرُ بعدما ... أَوْدَى إلى يوم النُّشور رُفاتُهُ
الدِّينُ بعد أبي المُظَفَّر يوسُفٍ ... أَقْوَتْ قُواه وأَقْفَرَتْ ساحاتُهُ
بحرٌ خلا من وارديه ولم تَزَلْ ... محفوفةً بوروده حافَاتُهُ
مَنْ لليتامى والأرامل راحِمٌ ... متعطِّفٌ مفضوضةٌ صدقاتُهُ
لو كان في عَصْرِ النَّبيِّ لأُنْزِلَتْ ... من ذِكْرِهِ في ذِكْرِهِ آياتُهُ
بَكَتِ الصَّوارِمُ والصَّواهِلُ إذ خَلَتْ ... من سَلِّها وركوبها عَزَماتُهُ

(1) في (ح): ورثاه الشعراء، فمن قصيدة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(2) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[(1)يا وحشة الإسلام يوم تمكَّنت في كلِّ قلبٍ مؤمنٍ روعاتُهُ
ما كان أسرعَ عَصْرَه لما انقضى فكأنما سنواتُهُ ساعاتُهُ
يا راعياً للدين حين تمكَّنَتْ منه الذئاب وأسلمتْهُ رُعاتُهُ
ما كان ضرك لو أقمت مراعياً ديناً تولى مذ رحلت وُلاتُهُ
فارقتَ مُلْكاً غير باقٍ مُتْعباً ووصَلْتَ مُلْكاً باقياً راحاتُهُ
فعلى صلاح الدين يوسفَ دائماً رضوانُ رَبِّ العرش بل صلواتُهُ

وكتب الفاضل إلى الظاهر ـ وهو بحلب ـ كتاب التعزية، يقول فيه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] الآية، كتبت إلى الملك الظاهر، أحسن الله عزاءه في مصابه، وجعل الخلف فيه لمماليك المرحوم وأصحابه، والدموع قد حفرت النواظر، والقلوب قد بلغت الحناجر، وإني ودَّعت أباك مخدومي وداعاً لا نلتقي بعده، وأسلمته إلى الله طالباً فضله ورِفْده، ولم تدفع عنه جنوده المجندة القضاء، ولا ردَّت عنه أسلحته والخزائن البلاء، فالعين تدمع، والقلب يخشع، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا عليك يا يوسف لمحزونون.

وفي آخر الكتاب: فإن اتفقتم ما عدمتم إلا شخصه، وإن اختلفتم، فإن المصائب المستقبلة هولها عظيم.

قلت: وقد فات الفاضل شيئان، أحدهما عند قوله: ودعته وداعاً لا نلتقي بعده، وكان الأَوْلى أن يقول: إلا في جنات النعيم. والثاني عند قوله: هولها عظيم، كان ينبغي أن يقول: ذلك تقدير العزيز العليم.

ذكر ما خلف من المال، واختلفوا فيه:

ذكر القاضي ابن شداد في سيرة السلطان، وقال: توفي ولم يخلف سوى سبعة وأربعين درهماً ناصرية، وجرماً واحداً صورياً ذهباً، ولم يخلف داراً ولا عقاراً، ولا ضيعة ولا بستاناً ولا مسقفاً ولا غيره(2).

(١) في (ح) سقط، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) «النوادر السلطانية»: ٨.

وقال العماد الكاتب: لم يخلف في خزانته سوى ستة وثلاثين درهماً، وديناراً واحداً ذهباً ـ ذكر بمعنى ما ذكر ابن شداد.

ذِكْرُ فتوحاته:

أول ما فتح الدِّيار المِصْرية، والحجاز، ومكة والمدينة، واليمن من زبيد إلى حضرموت متصلاً إلى الهند، وفي الشام: دمشق وبعلبك وحمص وبانياس وحماة وحلب وأعمالها، ومن حصون الساحل وبلاد القدس وغزة والداروم وتل الصافية وعسقلان ويافا وقيسارية وحيفا وعكا وطبرية والشقيف وصفد، وكوكب والكرك والشوبك، ونابلس وصيدا وبيروت وجُبيل، وجبلة واللاذقية وبكاس وصهيون، وبلاطنس وحصن بُرْزَيه، وقد ذكرنا تلك الحصون، ومن الشرق: حران والرها والرقة ورأس عين وسنجار ونصيبين وحملين والموزَّر وسروج ودياربكر وميافارقين، وآمد وحصونها، وشهرزور والبوازيج.

وخطب له على المنابر من باب همذان إلى الفرات، ومن الفرات إلى حضرموت، ومن الغرب إفريقية، ويقال: إنه فتح ستين حصناً، وزاد على نور الدين بمصر والحجاز والمغرب واليمن والقدس والساحل وبلاد الفرنج ودياربكر، ولو عاش لفتح الدنيا شرقاً وغرباً، وبُعْداً وقرباً.

وكان مبدأ فتوحه مصر بهمة نور الدين وأمواله وعساكره ورجاله، وبينهما مقاربة في السيرة والعدل والأيام، واجتناب الآثام، وكلاهما لم يبلغ ستين سنة، وكم حصَّلا من فضيلة ومثوبة وحسنة، وقد ذكرنا أن نور الدين ولد في سنة إحدى عشرة وخمس مئة، وتوفي سنة تسع وستين وخمس مئة، وصلاح الدين ولد سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة، وتوفي سنة تسع وثمانين وخمس مئة، وقد ذكرنا ذلك.

ذِكْرُ أولاده:

وكانوا ستة عشر ذكراً وابنة واحدة، كان أكبر أولاده الأفضل علي، ولد بمصر سنة خمس وستين وخمس مئة يوم عيد الفطر، وأخوه لأبيه وأمه خضر الملقب بالظافر، ولد بمصر في سنة ثمان وستين وخمس مئة، وأخوهما لأبيهما وأمهما موسى، ويلقب قطب الدين، ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة. وعثمان الملك العزيز، ولد بمصر سنة سبع وستين وخمس مئة، وأخوه لأبيه وأمه يعقوب الأعز، ولد بمصر سنة اثنتين وسبعين وخمس مئة. وغازي الملك الظاهر، ولد بمصر سنة ثمان وستين وخمس مئة، وأخوه لأبيه

وأمه الزاهر داود، ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة، والمعز إسحاق، ولد سنة سبعين وخمس مئة، والمؤيد واسمه مسعود، ولد بدمشق سنة إحدى وسبعين وخمس مئة. والأشرف محمد، ولد بالشام سنة خمس وسبعين وخمس مئة، وأخوه لأبيه وأمه المحسن ولقبه الجواد[(١)]، ولد سنة ثمان وسبعين وخمس مئة. وتورانشاه ولقبه المُعَظَّم، ولد بمصر سنة سبع وسبعين وخمس مئة، وأخوه لأبيه وأمه ملك شاه ويلقب بالغالب، ولد بالشام سنة ثمان وسبعين وخمس مئة، وأخوهما لأبيهما وأمهما أبو بكر ويلقب بالنصرة، ولد بحران بعد وفاة أبيه في سنة تسع وثمانين وخمس مئة.

أما البنت فاسمها مؤنسة خاتون، تزوجها الكامل محمد بن العادل، وماتت عنده، وكان لصلاح الدين ولد اسمه إسماعيل، مات في حياة أبيه.

ذِكْرُ قضاته ووزرائه وكُتَّابه:

القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري، وشرف الدين ابن أبي عصرون][(٢)]، وولده أبو حامد، ومحيي الدين بن زكي الدين، ووزيره صفي الدين ابن القابض، وكاتبه الفاضل، والعماد، وكان الفاضل حاكماً على الجميع، وهو المشار إليه بالسيف والقلم، لا يصدر السلطان إلا عن رأيه، [ولا يمضي في الأمور إلا بمضائه][(٣)].

ذِكْرُ ما تجدَّد بعد وفاته:

كان [أخوه][(٣)] العادل [سيف الدين][(٣)] لما توفي بالكَرَك، فقدم دمشق معزِّياً للأفضل، فأقام أياماً، ثم رحل إلى الجزيرة، وحَرَّان والرُّها وسُمَيْساط والرَّقَّة، وقلعة جَعْبر، وميَّافارِقِين ودياربكر، وهي البلاد التي أعطاه إياها السُّلْطان، وكان له بالشَّام الكرك والشَّوْبك، وبعث الأفضل القاضي ضياء الدين ابن الشَّهْرُزُوري رسولاً إلى الخليفة [ومعه][(٣)] زرَدية السُّلْطان وسيفه وحصانه وكَزَاغَنْده، ودبُّوسه، وتُحَفاً كثيرة، [وعابَ النَّاس عليه حيث بعث بعُدَّة السلطان إلى بغداد،][(٣)] وكَتَبَ كتاباً [على يد ابن الشَّهْرُزوري،][(٣)] منه: أصدر

(١) الجواد هو لقب أيوب ركن الدين، ولد سنة (٥٧٨هـ)، وقد فاته ذكره، وهو يتمم عدة أولاده ستة عشر ذكراً، أما المحسن، فلقبه ظهير الدين، وانظر تتمة أولاد صلاح الدين في «كتاب الروضتين»: ٢/ ٤٧٦-٤٧٨ .

(٢) انظر حاشيتنا رقم ١ ص ٢٤.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

العبد خدمته [هذه][1]، وصَدْرُه معمورٌ بالولاء، وقلبه مغمور بالصَّفاء، ويده مرفوعة إلى السَّماء، للابتهال إلى الله بالدُّعاء، ولسانه ناطِقٌ بشكر النَّعْماء، وحياته بين الخوف والرَّجاء، وطرفه مغضٍ من الحياء، وقد أحاطت العلوم الشَّريفة أَنَّ الخادم والده أيام حياته كان باذلاً نفسه لله تعالى، والبيت المقدس من فتوحاته، وأنه مَلَكَ ملوك الشِّرْك، وغلَّ أعناقها، وأَسَرَ طواغيت الكُفْر وشدَّ خِناقها، وجَمَعَ كلمةَ الإيمان وعَصَمَ جَنَابها، وقمع عبدةَ الصُّلْبان وقَصَمَ أصلابها، وسدَّ الثغور، وسدَّد الأمور، وما فارق الدُّنيا إلا وهو ملازمٌ الخِدْمة الإمامية، والتَّبْعة النَّبوية، وتحت أحكامها داخل، وبمتجرها الرَّابح إلى دار الإقامة راحل، وإنْ كان قد مضى الوالد على طاعة إمامه، فأولاده وإخوته قائمون في مقامه. وذكر فصولاً في طلب التَّقليد.

وبعث الظَّاهر القاضي ابنَ شَدَّاد بكتابٍ يسأل تقريره على حلب وأعمالها، فقيل لابن الشَّهْرُزُوري وابنِ شَدَّاد: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ﴾ [الروم: ٤] فرجعا بالوَعْد لا بالنقد.

وأما العادل، فإنَّ المشارقة ثاروا عليه، واستشار عِزُّ الدين صاحبُ الموصل أصحابَه، فأشار عليه المجد ابن الأثير بالخروج، وأشار عليه مجاهد الدين قيماز بالقيام لتظهر حقائق الأمور، ويراسل جيرانه ابن زين الدين صاحب إرْبل، وسنجرشاه صاحب الجزيرة، وعماد الدين صاحب سِنْجار، فراسلهم، فلم يجبه منهم أحدٌ إلا أخوه عماد الدين صاحب سِنْجار، وخَرَجَ عِزُّ الدين من المَوْصل، واجتمعا على نَصِيبين [ليأخذا بلاد الجزيرة][1]، وكان العادل على حَرَّان، فاستنجد بأولاد أخيه، فجاءته عساكرُ الشَّام ومِصْر، ومَرِضَ عِزُّ الدين على نَصِيبين بالإسهال، وتقدَّم [إلى][2] دُنَيْسر، وبَعَثَ إلى العادل يسأله الصُّلْح على أن يكون العادل نائبه في البلاد، فأبى العادل، وقوي الإسهال بعزِّ الدين، فرجع إلى المَوْصل، فتوفِّي في شعبان، وقد ذكرناه.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

وكان بَكْتَمُر صاحب خِلاط قد شَمِتَ بموتِ السُّلْطان، وتسمَّى بالملك النَّاصر، وعَزَمَ على أَخْذِ الجزيرة والشَّام، فَقُتِلَ في جُمادى [الأولى][(١)] لما ذكرناه.

وجاء العادل إلى مارِدِين، وعَزَمَ على حِصارها، فصالحه صاحِبُها، فعاد إلى حَرَّان، وجاءته الرُّسُل من خِلاط يطلبونه، فنزل الثَّلْج، فمنعه من ذلك، وعادتِ العساكر إلى مراكزها.

وقدم شمسُ الملوك ابنُ سيف الإسلام من اليمن إلى دمشق، فأقام عند الأفضل.

وكان الأفضل قد استوزر ضياءَ الدين الجَزَري، فأساء السِّيرة، وشغب قلوب الجند والأعيان على الأفضل، فسار سامة الجِيلي والفاضل وابن أبي عَصْرون والأعيان إلى مِصْر، فالتقاهم العزيز وأكرمهم، وكان معهم مُعْظم الصَّلاحية، فغار منهم الأكراد، فخرج منهم جماعةٌ إلى الأفضل، فالتقاهم وأكرمهم، واشتغل الأفضل بلهوه، وكان القُدْس في يده، فَعَجَزَ عنه، فسلَّمه إلى نواب العزيز، فبان للنَّاس عَجْزُ الأفضل، ومضى الظَّافر إلى العادل، فأعطاه الرَّقَّة، فأقام بها، وشرعت الوَحْشة فيما بين العزيز والأَفْضل، وبلغ الفرنج، فطمعوا، وحاصروا جُبيل، وكان بها جماعةٌ من الأكراد، فباعوها للفرنج، وبَرَزَ العزيز من مِصْر إلى البركة يريد قتال الفرنج ظاهراً، وأَخْذَ دمشق باطناً، وعَلِمَ الأفضل، فكَتَبَ إلى عمه العادل والمشارقة، فأجابوه إلى ما يريد، وجاء العزيزُ، فنزل بظاهر دمشق، وسار العادل بعساكر الشَّرْق، فلما قَرُبَ من دمشق، وكان العزيز قد نزل بعقبة شحورا، وجاء العادل فنزل بمرج عَذْراء، فأرسل إليه العزيز يقول: أريد أن نجتمع، فاجتمعا على ظهر خيولهما وتفاوضا، فقال له العادل: لا تخرب البيت، وتدخل عليه الآفة، والعدو وراءنا من كلِّ جانب، وقد أخذوا جُبَيْل، وسيأخذوا الباقي إنِ اختلفتم، فارجعْ إلى مِصْر، واحْفظ عَهْدَ أبيك، وأيضاً فلا تكسر حرمة دمشق، ويطمع فيها كلُّ أحد. وعاد العادل عنه إلى دمشق، وأقام العزيز في منزلته، وقدمتِ العساكرُ على الأفضل، وبَعَثَ إليه العادل: ارحل إلى مرج الصُّفَّر، فرحل وهو مريض، وكان قَصْدُ العادل أَنْ يُبْعِدَه عن البلد لتصلَ العساكر، فوصل الظَّاهر من حلب، والمنصور من حماة، وشيركوه من حمص، والأمجد من بَعْلَبَكَّ في

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

نجدة الأفضل، فقال لهم العادل: قد تقرَّر أنه يرحل إلى مِصْر، ويقع الاتفاق، وتعود الأمور إلى ما كانت عليه. واشتدَّ مرض العزيز، ولولا مرضُه لما صالح، فأرسل العزيز كبراءَ دولته فخر الدين شركس وغيره، فحلَّف الملوكَ، وطلب مصاهرة العادل، فزوَّجه ابنته خاتون، ورَجَعَ كلُّ واحدٍ إلى بلده، وذلك في شعبان.

وقال العماد: خَرَجَ الملوك لتوديع الملك العزيز إلى مرج الصُّفَّر واحداً بعد واحد، خرج الظَّاهر أولاً، فبات عند العزيز ليلةً وعاد، وخرج الأفضل إليه، فقام له، واعتنقا وبكيا، وأقام عنده يوماً، وكان قد فارقه منذ تسع سنين، فلما عاد كتب إلى العزيز من إنشائه: [من الوافر]

نَظَرْتُك نَظْرةً من بعد تِسْعٍ ... تقضَّتْ بالتَّفَرُّقِ مِنْ سنينِ
وغَضَّ الدَّهْرِ عنها طَرْفَ غَدْرٍ ... مسافةَ قُرْبِ طَرْفٍ من جبينِ
فَوَيْحَ الدَّهْرِ لم يَسْمَحْ بوَصْلٍ ... يعودُ به الهجوعُ إلى الجفونِ
فلا تُبْدي جيوشَ القُرْبِ حتى ... يُرَتِّبَ جيشَ بُعْدٍ في الكَمِيْنِ
ولا يُدْني محلِّي منك إلا ... إذا دارَتْ رحى الحَرْبِ الزَّبُونِ
فليتَ الدَّهرَ يَسْمَحُ لي بأُخرى ... ولو أمضى بها حُكْمَ المَنُونِ

ولما انفصلتِ العساكر عن دمشق شرع الأفضل في اللَّهْو واللَّعب، واحتجبَ عن الرَّعية، فسمِّي الملك النَّوَّام، وفوَّضَ الأُمور إلى وزيره الجَزَري، وحاجبه الجمال محاسن ابن العجمي، فأفسدا عليه الأحوال، وكانا سبباً لزوال دولته، واستبدلا بكبراء الأُمراء والأجناد أراذل الناس، [ففسدت أمور العباد][1].

وكان الظَّاهر لما وَصَلَ العزيز إل دمشق قَبَضَ على دُلْدُرم بن ياروق وأهله، وحبسهم في القلعة، وأراد كحلهم، فاشتغل، فلما عاد [العادل إلى][2] حلب بعد يومين، وطَلَعَ القلعة، وبات بها، وسأل في دُلْدُرم، فما أمكنه مخالفته، فأطلقه، ولما نَزَلَ العادل من القلعة ندم الظَّاهر حيث لم يمسك عمه، وأفضى بسِرِّه إلى القاضي ابنِ شدَّاد، فقال له:

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

اشكرِ الله تعالى حيث لم تؤهَّل لهذا، فإنَّ الرجل أولاده ملوك، وما كان يحصل لك إلا اللعان والسُّبَّة والغَدْر بمن وثق إليك.

السنة التسعون وخمس مئة

فيها زادت دِجْلة، ووصل الماءُ إلى سور بغداد العتيق الغربي الذي بناه المنصور، فأبان الماءُ عن تلٍّ قريب السُّور، وفي التَّلِّ مَيْتٌ وقد بلي، وعظامه مسداة[1]، وهو مسمَّر بمسامير الحديد، وعليه ضبات من الحديد، وفي وجهه ضبة فيها مِسْمارٌ كبير، وآخر في سُرَّته، وكان هائل العِظام.

قال ابنُ القادسي: وفيها أهدر الخليفةُ الطيور العتق، وأمر بذبحها ومحو أثرها، وعَمَدَ إلى فراخٍ ذبح آباءها وأمهاتها، واستفرخ الأولاد، وأرسلها إلى المشاهد لتطير إلى بغداد، وفوَّض أمرها إلى قاضي القُضاة ابن البخاري ويوسف العقاب مقدَّم الفِتْيان، وجعلها اثني عشر صنفاً باسم الأئمة الاثني عشر، ثم سمَّاها فقال: العلويات والحسنيات والحسينيات والمحمديات [والكاظميات والهاشميات والباقريات والعبدويات والزيديات][2] والمهديات والصَّادقيات والعابديات، وأرسلها إلى المشاهد، فطارت منها إلى بغداد.

[قال القادسي][2]: وحكى [لي][2] عمر بن كُلَيْب التَّاجر قال: نزلنا في بلاد الرُّوم تحت شجرة عليها ورق أخضر وزهر أصفر، فأخذ بعضُنا يصفق وينشد: [من السريع]

يا نازلاً بالبَلَدِ البَلْقعِ ويا ديارَ الظَّاعنين اسمعي
ما هي بأطلالٍ ولكنَّها رسومُ أحبابي فنوحي معي

[قال][2]: فلم يزل يردِّدُها حتى ألقت الشجرة ورقها بأسره.

وفيها قَدِمَ ابنُ القَصَّاب الوزير من العجم، وخَلَعَ عليه الخليفةُ، وأمر أربابَ الدَّوْلة أن يمشوا بين يديه، منهم ابنُ يونس أستاذ الدَّار، وكان وزيراً قبل هذا، فامتنع [ابن يونس من المشي بين يديه][2]، فقال ابنُ القَصَّاب: هذا ظاهَرَ الخوارجَ على الخليفة،

---

(١) كذا في (ح)، ولم أتبين معناها.
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وكَسَرَ عسكره بحماقته، وشنَّع على الخليفة بأنَّه مات، وكَتَبَ محضراً بذلك، وأثبته على القضاة، وعَرَضَه على الخليفة، فأمر بالقَبْض على ابن يونس، وأُهين، وأُخذ أخذة شنيعة، وقيد ورُمي تحت التَّاج، فكان آخرَ العهد به.

[ذكر محنة جدِّي رحمه الله:

لما قُبِض ابن يونس تتبع ابن القصَّاب][(١)] أصحابَه، فقال له الركن عبد السَّلام: أين أنتَ من ابن الجوزي؟ هو كان من أكابر أصحاب ابنِ يونس، وأعطاه مدرسةَ جدِّي، وأحرق كتبي بمشورته، وهو ناصبي من أولاد أبي بكر. وكان ابن القصاب متشيِّعاً، فكتب إلى الخليفة، وساعده جماعةٌ من أهل مذهبه، ولبَّسوا على الخليفة، فأمر بتسليمه إلى عبد السَّلام.

قال المصنف رحمه الله: وكان جدِّي يسكن بباب الأَزَج في دار بنفشا، وكان الزَّمان صيفاً، وهو جالس في السِّرْداب يكتب، وأنا صبيٌّ صغير، [وجرى عليهم ما لم يجر على أقل الناس][(٢)]، وإذا بعبد السَّلام قد هَجَمَ عليه السرداب، وأسمعه غليظ الكلام، وخَتَمَ على كتبه وداره وشتَّت عياله، فلما كان [في][(٢)] أول الليل حملوا جدِّي إلى سفينة، فأنزلوه فيها، ونَزَلَ معه عبد السَّلام لا غير، وعلى جدِّي غِلالة بغير سراويل، وعلى رأسه تخفيفة، وحدروه إلى واسط، واستوفى منه الكلام، وجدِّي لا يجيبه، وبلغني أنَّ جدي أقام خمسة أيام ما أكل طعاماً إلى واسط، وسيق عبد السَّلام إلى واسط، وكان ناظرها العماد ابن مينا، وكان متشيعاً، فقال له الركن: حَرَسَ الله أيامك، مكِّنِّي من عدوي لأرميه في المطمورة، فَعَزَّ عليه وَزَبَره، وقال: يا زنديق، أرمي ابن الجوزي في المطمورة بقولك، هاتِ خط الخليفة! والله لو كان من أهل مذهبي لبذلت روحي ومالي في خِدْمته. فعاد عبد السَّلام إلى بغداد، وأقام جدِّي في دار بدرب الدِّيوان، وعلى بابه بوابٌ لا غير، وكان قد قارَبَ ثمانين سنة، فكان يخدم نفسه؛ يغسل ثوبه، ويطبخ، ويستقي الماء من البئر، ولم يدخلِ الحمَّام مدَّة خمس سنين مقامه بواسط، ولما عاد إلى بغداد سمعته

(١) في (ح): وتتبع ابن القصّاب أصحابه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

يقول: قرأتُ بواسط مدَّة مقامي كل يوم ختمة، ما قرأتُ فيها سورة يوسف من حُزْني على ولدي يوسف، وكتب إلى بغداد أشعاراً كثيرة.

[منها هذه الأبيات: [من الطويل]

أحبَّة قلبي لو يُباع رجوعُكُمْ علينا لكُنَّا بالنفوس فديناكُمْ
فلا تحسبوا أني نسيتُ ودادكم وإني وإن طال المدى لستُ أنساكُمْ
وأسأل أنفاسَ الرِّياح لأنها تمرُّ على أطلالكُمْ وتلقاكمْ
قضى الله بالتفريق بيني وبينكم فياليتنا من أجله ما عرفناكمْ

ومن كان وكان:

لما تزايد وجدي فيكم وقل تصبري وعَزَّ فيكم عزائي وقلت الحركات
يا حاضرين بقلبي يا غائبين عن النظر يا ساكنين فؤادي أطلتم الحسرات
متى يجيء مبشر من عندكم بقدومكم ويفرحون أصدقائي وأكمد الشمات
متى تدق طبول الهنا على أبواب الرجا وقول للعين قري قد رد ما قد مات
متى يقولوا قد جو وأخرج بسرعة للقا وأقول يا أحبائي أطلتم الغيبات
وإن قضى لي ربي أموت ولا أنظر شخصكم وجاء نذيري إليكم يقل لكم قد مات
فحدثوا بحفظ الوفا على رأس الملا إني على العهد باق حتى يجي الميقات

ومن المواليا:

مالي ومالي ومالي تغيرت أحوالي
لقيت ما لا يكيف ولا يدور ببالي
يا بيت عبد القادر كنتم ببختي في القضا
ما مثلهم يحسدني ولاهم أمثالي
هم هم في نفسي وضيقوا في حبسي
ومزقوا كتب درسي عمداً وهم رأس مالي
مئة ألف عندي يبكون مما قد جرى
ثلاث مئة مصنف ما لاكها الغزالي
لو أن مسلم يرفع إلى الإمام لوقع

مـن حـيـن مـا كـان يـسـمـع بـقـصـتـي قـد رثـى لـي

من أبيات][1].

واختلف النّاس في [كيفية محنة جدي، والظاهر أنها بسبب][2] ابن يونس [وما فعل ببيت عبد القادر][1]، وأهل بغداد يقولون شيئاً آخر، والله أعلم.

وفيها عاد الاختلاف بين العزيز والأفضل، وسببه إغراء الجُنْد والوسائط، وكان أكثر المحرِّضين للعزيز على الأفضل سامة، قال له: إنَّ الله يسألك عن الرعية، هذا الرجل قد غرق في لهوه وشُرْبه، واستولى عليه الجَزَري وابن العجمي. وقال له ابن أبي عَصْرون: لا نسلم يوم القيامة ـ وكان العزيز قد ولاه القضاء على مصر سنة تسعين، فأقام قاضياً عليها حتى عزله العادل ـ وبلغ الأفضل قول سامة وابن أبي عصرون، فأقلع عما كان عليه وتاب، وندم على تفريطه، وعاشَرَ العلماء والصُّلحاء، وشَرَعَ يكتب مُصْحفاً بخطِّه، وكان خطُّه مليحاً. ونزل العزيز لقصده، فسار الأفضل إلى عمه العادل يستنجد به، فالتقاه على صِفِّين، فسار معه بعساكر الشَّرْق إلى دمشق، وجاء الأفضل إلى حلب، واتَّفق مع أخيه الظَّاهر وتحالفا، وجاء إلى حماة وحمص، ففعل كذلك، وجاء إلى دمشق، وكان العادل يشير عليه بعَزْل الجَزَري عن الوِزَارة ويقول: هذا يخرِّب بيتك. ولا يلتفت إليه، فحَنِقَ عليه، وكان الظَّاهر يشاقق ابنَ تقي الدين صاحب حماة، وعز الدين ابن المقدَّم صاحب بارين، ودُلْدُرم صاحب تل باشر، فكَتَبَ الظَّاهر إلى العادل في تسليم تل باشر إليه، وأن يكون صاحب حماة وابن المقدَّم مضافين إليه، فلم يجبه، فغضب الظَّاهر، وانفرد عنهم، وكتب إلى العزيز يخبره أَنَّه معه، ويستحثُّه على القدوم إلى دمشق، فجاء العزيز مسرعاً، فنزل الفَوَّار آخر شهر رمضان، وعَلِمَ العادل أَنَّه لا طاقة له بالظَّاهر والعزيز، فراسل الأَسدية، وأوعدهم بالأموال والإقطاعات، وكان العزيز قد قدَّم الصَّلاحية، ورفعهم فوقهم، فحنقوا عليهم، وتمكَّنتِ العداوة بينهم، فدسَّ إليهم العادل الأموال والهدايا والتُّحف السنية، وكان مقدَّم الأكراد أبو الهيجاء السَّمين، وكان العزيز قد عَزَله عن ولاية القُدْس، ومقدَّم الأسدية سيف الدين أزكش، وقد كان العزيز قَصَّر في حقِّه، فركب أبو

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): واختلف الناس في سبب محنته، والظاهر ابن يونس وأهل بغداد، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الهيجاء وأزكش في الليل، وقصدا دمشق، فأصبح العزيز، فلم يَرَ في الخيام من الأسدية أحداً، فرجع إلى مِصْر، وشرع أزكش وأبو الهيجاء والأسدية يحرِّضون العادل على مِصْر، وكانت الأسدية والأكراد يكرهون العادل، وإنما دَعَتْهم الضَّرورة إليه، وهي مباينتهم للعزيز، واتَّفق العادل والأفضل، وتحالفا، وساروا خلف العزيز إلى مِصْر، فلما وصلوا القُدْس، ولّوا أبا الهيجاء كما كان، وعزلوا جُرْديك عنها، وساروا فنزلوا بِلْبيس، وبها جماعةٌ من الصَّلاحية، فتوقَّف العادل عن القتال، ولِمَ انتزاعُ مِصْر من يد العزيز! فظهرت منه قرائن أحوال تدلُّ على أنَّه لا يُؤْثر السَّلْطنة للأفضل، ولا يرى تقدمته عليه، فأرسل إلى العزيز يطلب القاضي الفاضل، وكان قد اعتزلهم، وانقطع إلى داره، فأرسل إليه العزيز يسأله، فامتنع، فتضرَّع إليه، وأقسم عليه، فخرج إلى العادل، فاحترمه وأكرمه، وتحدَّث معه بما قرَّره، وعاد الفاضل إلى العزيز، وتحدَّث معه، فأرسل العزيز ولديه الصّغيرين مع خادمٍ له برسالةٍ ظاهرة، مضمونها: لا تقاتلوا المُسْلمين، ولا تسفكوا دماءهم، قد نفَّذتُ ولديَّ هذين يكونان تحت كفالة عمي العادل، وأنا أترك لكم البلاد، وأمضي إلى الغرب. وكان ذلك بمشهدٍ من الأمراء، فَرَقَّ العادل وبكى، وبكى مَنْ حضر، وقال العادل: معاذ الله، ما وَصَلَ الأمر إلى هذا الحد. وقال للخادم: تقول للسُّلْطان عني[1]: البلاد بلادُك، وأنتَ السُّلْطان، ونحن رعيتك.

وكان قد قرَّر مع الفاضل رَدَّ خبز الأسدية وإقطاعهم وأملاكهم، وأن يبقى أبا الهيجاء على ولاية القُدْس، وقال للأفضل: المصلحة أن تمضي إلى أخيك وتصالحه، وما عُذْرنا عند الله وعند النَّاس إن فعلنا بابنِ أخينا ما لا يليق. ففهم الأفضل أَنَّ العادل رجع عن يمينه، وما اتَّفقا عليه، وأَنَّه قد اتَّفق مع العزيز على أَخْذِ البلاد منه، لكنه لم يمكنه الكلام، فمضى إلى العزيز.

فلما بلغه وصوله إلى دمشق في ذي الحِجَّة، ودخل العزيز والعادل والأسدية إلى القاهرة يوم الخميس رابع ذي الحجة، وسَلْطَن العادلُ العزيزَ، ومشى بين يديه بالغاشية، ولو أراد العادل مِصْر لأخذها، وإنما قَصَدَ الإصلاح بين الأخوة، فلما بدا من الأفضل في حَقِّه ما بدا، وأراد قتله ألجأه إلى ما ألجأه إليه.

---

(١) في (ح): وقال الخادم للسلطان عني تقول، وهي عبارة مضطربة، أعدتها إلى حاق تركيبها.

وقال العماد: لما كان العزيز نازلاً على الفَوَّار رحل أبو الهيجاء والأسدية عشية الاثنين رابع شوَّال، وكانوا أكثر العسكر، وأُخبر العزيز بهم، فما بالى بانصرافهم، وقال: صفونا من أكدارهم. ولم يأمر أصحابه باتِّباعهم، وبقي في خواصِّه تلك الليلة، ورحل. واتَّفق العادلُ والأَفْضل على أن تكون ثلث البلاد للعادل، والثلثان للأفضل، وهو السُّلْطان، واستناب الأفضل بدمشق أخاه قُطْب الدِّين موسى، وخاف العزيز من الأسدية الذين في القاهرة أن يفعلوا كما فعل إخوانهم، ويمنعوه من دخولها، وكان قد استناب بها بهاء الدِّين قراقوش ثِقَةً بمودَّته، فلما وصل إلى القاهرة خَرَجَ قراقوش والأسدية إلى لقائه، فأكرمهم وأحسن إليهم، ولما وصل العسكر إلى بِلْبيس غلا السِّعْر، وظهرت ندامة الأسدية، فخاف العادل من ميلهم إلى العزيز وغَدْرهم، وأخبر الأفضل، وقال: المصلحة الصُّلْح. فاستزار الفاضل، ولقيه على فرسخ، وقرَّر الصُّلْح، واستبشر النَّاس بذلك، وعفا العزيز عن الأسدية وأحسن إليهم، واجتمع العزيز بالأفضل، وعاد الأفضل إلى دمشق، وأقام العادل عند العزيز.

وأما الأفضل فإنَّه لما عاد إلى دمشق ازداد وزيره الجَزَري من الأفعال القبيحة، وآذى الأكابر من الدَّولة، والأفضل يسمع منه ولا يخالفه، فكتب قيماز النجمي وأعيان الدولة إلى العادل يشكونه، فأرسل العادل إلى الأفضل يقول: ارفع يد هذا الأحمق السيىء التَّدْبير، القليل التوفيق. فلم يلتفت، فاتَّفق مع العزيز على النزول إلى الشَّام، فسار، فاستشار الأفضل أصحابه، فكلٌّ أشار عليه بأن يلتقي عمه وأخاه، ولا يخالفهما إلا الجزري، فإنَّه أشار عليه بالعصيان، فاستعدَّ للقتال والحصار، وحلَّف الأُمراء والمقدَّمين، وفرَّقهم في الأبراج وعلى الأسوار، فراسلوا العزيز والعادل، وأصلحوا أمرهم في الباطن، واتَّفق العادل مع عز الدين ابن الحِمْصي على فَتْح الباب الشَّرقي، فكان مسلَّماً إليه، فلما كان يوم الأربعاء سادس عشرين رجب ركب العادل والعزيز، وجاء إلى باب شرقي، ففتحه ابنُ الحمصي، فدخلا البلد من غير قتال، فنزل العزيز في دار عمَّته ستّ الشَّام، ونزل العادل دار العقيقي، ونَزَلَ الأفضل إليهما وهما بدار

العقيقي، فدخل عليهما، وبكى بكاء شديداً، فأمره العزيز بالانتقال إلى صرخد، فأخرج وزيره الجزري في الليل في جُمْلة الصَّناديق خوفاً عليه من القَتْل، فأخذ أموالاً عظيمة، وهَرَبَ إلى بلاده، وكان العزيز قد قرَّر مع العادل أن يكون نائبه بمِصْر، ويقيم العزيز بدمشق، ثم ندم، فأرسل إلى الأفضل رسالةً فيها صلاح حاله، [فأذاعها و][١] وصلت إلى العادل، فغضب العزيز، ورَسَمَ عليه بالخروج، فخرج إلى مسجد خاتون بأهله وعياله، وسلَّم العزيز بُصْرى إلى العادل، وكان بها الظَّافر، وأقام العزيز بدمشق أربعة أيام، وصلَّى الجمعة عند مكان قبر والده بالكلاسة، وأمر ببناء القُبَّة والمدرسة إلى جانبها، وأمر محيي الدِّين بن زكي الدين بعمارة المدرسة العزيزية، ونُقِلَ السُّلْطان إلى الكلاسة في سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة، وكان الأفضل قد شَرَعَ في بناء تُرْبة عند مشهد القدم بوصيةٍ من السُّلْطان، فإنه قال: تكون تربتي على الجادَّة ليمر بها الصَّادر والوارد، فيترحم عليّ. فارتفع منها قامة، وجاء العزيز، فحصر دمشق وأخربها، وكان العزيز إذا جلس في مجالس لهوه يجلس العادل على بابه كأنه بردار[٢]، فلما كان آخر ليلة من مقامه بدمشق، وكانت ليلة الاثنين تاسع شعبان قال العادل لولده المعظم: ادخل فقبِّلْ يده، واطلب منه دمشق. وكان المُعَظَّم قد راهق الحُلُم، فقبَّل يده، وطلب منه دمشق، فدفعها إليه، وأعطاه سنجقه، وقيل: بل استنابه العادل فيها، وأعطاها للمعظم على ما نبين في سنة أربعٍ وتسعين، ورحل تاسع شعبان إلى مِصْر، ومضى الأفضل إلى صَرْخَد، ونفى العادلُ ابنَ الحمصي الذي فتح له باب شرقي، وكان قد أعطاه عشرة آلاف دينار، فاستردَّها منه، واجتاز العزيز في طريقه إلى مصر بالقُدْس، فَعَزَلَ أبا الهيجاء السَّمين عنه، وولاه سُنْقُر الكبير، ومضى أبو الهيجاء إلى بغداد، [وسنذكره][١].

وحج بالنَّاس سُنْقُر الكبير النَّاصري من بغداد.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) البردار: يكون في خدمة مباشري الديوان، وأصله فرادار بمعنى: ممسك الستارة، وكأنه في أول الوضع كان يقف بباب الستارة، ثم نقل إلى الديوان. انظر «التعريف بمصطلحات صبح الأعشى»: ص ٦٢ .

وفيها توفي

أحمد بن إسماعيل بن يوسف(١)

أبو الخير القزويني، الواعظ الشَّافعي، [تفقه بنيسابور على محمد بن يحيى صاحب الغَزَّالي، وسمع بها الحديث وبغيرها](٢)، كان عالماً بالتَّفاسير والفِقْه، متعبِّداً يختم القرآن في كلِّ يومٍ وليلة، ومولده بقزوين سنة اثنتي عشرة وخمس مئة، وقدم بغداد حاجًّا سنة خمسٍ وخمسين [وخمس مئة](٢)، فجلس بالنِّظامية ووعظ، ومال إلى الأَشْعري، فوقعتِ الفتن، وجلس يوم عاشوراء بالنِّظامية، فقيل له: العن يزيد بن معاوية. فقال: ذاك إمامٌ مجتهد. فجاءه الآجُرُّ، وكاد يقتل، وكان ابنه جالساً بين يديه على المِنْبر، فقال له: العنه وإلا قُتِلْنا. فلطمه على رأسه، وألقى عمامته بين يديه، وكَثُرَ الرَّجم، فسقط من المنبر، فأُدخل إلى بيتٍ في النِّظامية، وأغلق عليه الباب، وأُخذت فتاوى الفقهاء بتعزيره، فقال بعضهم: يُضْرب عشرون سوطاً، قيل له: من أين لك هذا؟ فقال: من عمر بن عبد العزيز، سمع قائلاً يقول: قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فضربه عشرين سوطاً. ثم تعصَّب للقزويني جماعةٌ، وقالوا: شيخ غريب، وأخرجوه، فمضى إلى قزوين، فتوفي بها في المحرم، [سمع بنيسابور أبا عبد الله الفُراوي، وأبا القاسم الشَّحَّامي، وأبا محمد البيهقي، وغيرهم](٢).

السُّلْطان طُغْريل شاه بن رسلان شاه(٣)

ابن طغريل شاه بن محمد بن مَلِكْشاه بن ألب رسلان [بن جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق](٢)، وهو آخر الملوك السَّلْجوقية سوى صاحب الرُّوم، وكان مبدأ أمره عند وفاة أبيه سنة إحدى وسبعين وخمس مئة، وكان صغير السِّنِّ، فكفله البهلوان إلى أن مات سنة اثنتين وثمانين وخمس مئة، وعادتِ الأتابكية إلى قزل بن رسلان إلدكز، وهو

---

(١) له ترجمة في «الأنساب» للسمعاني: ٨/ ١٧٨-١٧٩ ، «اللباب» لابن الأثير: ٢/ ٢٦٩ ، «التكملة لوفيات النقلة»: ١/ ٢٠٠-٢٠٢، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٥٨ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ١٩٠-١٩٣ ، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ١٠٦-١٠٨ ، و«المذيل على الروضتين» : ١/ ٥٨-٥٩ ، «سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٢٦٧-٢٦٨ ، و«العبر»: ٤/ ٢٧٢ ، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٣٠١ .

أخو البهلوان لأُمِّه، فلم يزل طغريل تحت يده حتى أنف من الحجر، فخرج عن يده، وانضاف إليه جماعة من الأمراء، وكسر عسكر الخليفة، وأسر ابن يونس ـ كما ذكرنا ـ وهابته الملوك، وخاف منه القزل، وانضاف إلى طغريل عِدَّةٌ من مماليك البهلوان، فقيل له: لا تأمن أن يغتالوك فيقتلوك! فقتل جماعةً منهم، وفارقه الباقون، وضعف، فقصده قزل، فهرب منه، فولى قزل سنجر بن سليمان شاه، وخاطبه بمعين الدِّين.

وكان طغريل سفَّاكاً للدِّماء، قتل وزيره رضي الدين الغَزْنوي، وفخر الدين العلوي رئيس هَمَذَان، وزوجه حسن بن قفجاق أُخته، وجمع القزل عليه التُّرْكمان، فكسر طغريل، وحَبَسَه في بعض القلاع، فلما قُتِلَ قزل تعصَّب لطغريل امرأةٌ في القلعة التي كان بها، وشَرَطَتْ عليه أن يتزوَّجها إذا خلَّصَتْه، فأخرجته، فجاء إلى هَمَذَان، فالتقاه قتلغ ايناخ، وكان نائباً عن قزل في الأتابكية، فاقتتلوا، فانهزم قتلغ، واستولى طغريل على المماليك، وزوَّج أم قتلغ إلى خوارزم شاه. وقيل: إنه قتل أم قتلغ أيضاً، وعرَّف قتلغ خوارزم شاه ما فعل طغريل، فخرج الخوارَزْمي في عساكره إلى العراق، وسار إليه طغريل، فالتقيا على الرّيّ، فجاءت طغريل نُشَّابة في عينه، فضربه مملوكٌ له بالسَّيف من ورائه، فقتله، وقَطَعَ رأسه، وحمله إلى الخوارزمي، فبعث به إلى بغداد، فدخلوا به في جُمادى الأُولى على خشبةٍ، وكوساتُه مشقَّقة، وسنجقه وراءه مكسورٌ منكس.

قال المصنّف رحمه الله: وقد رأيتُه، وكان من أحسنِ النَّاس صورة، ووجهه كأنَّه القمر، وأثر النُّشَّابة في عينه، وعلى خدِّه ضربة. قالوا: كان دور سيفيه عشرة أشبار، وعُلِّق رأسه بباب النوبي، ثم رُدَّ إلى خزانة الرؤوس، فجاءت فأرةٌ، فأكلت أنفه وأُذنيه، وبقي الرأس إلى سنة إحدى وست مئة، فوقع حريقٌ في خزانة الرؤوس، فاحترق الجميع. وكتب خوارزم شاه إلى الخليفة كتاباً يضمن الطاعة، واستولى على خُراسان والجبال والرّي وأصبهان وغيرها مضافاً إلى ما بيده مما وراء النَّهر.

وهذا طغريل آخر السَّلْجوقية، وعِدَّتهم نيف وعشرون ملكاً، ومُدَّة ملكهم مئة وستون سنة، أولهم طُغْرُلْبَك، وأول ما ظهرت راياتُه من خراسان سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة، ودخل بغداد سنة سبعٍ وأربعين، وأعاد القائم إلى بغداد سنة إحدى وخمسين، وتوفي سنة خمس وخمسين وأربع مئة، ولم يكن له ولد، فولَّى ألب رسلان بن داود بن

ميكائيل بن سَلْجوق، هو ابن أخي طغرلبك، وكَسَرَ ملك الرُّوم، وقُتل بما وراء النهر، وملك ثماني عشر سنة، وقيل: عشرين.

وأخوه قاروت بك لم يستقم له أمر، وخُنِق.

وولي بعد ألب رسلان، ولده ملك شاه، وملك الدنيا، وأقام تسع عشرة سنة، ومات سنة خمس وثمانين وأربع مئة، وكان نظام الملك وزيره ووزير أبيه.

وقام بعده ولده محمود بن خاتون، ومات في هذه السَّنة، وقام بركياروق بن ملك شاه، ونازعه عمه تاج الدولة تُتُش صاحب الشَّام، فقتله بركياروق، وأقام سُلْطاناً اثنتي عشرة سنة، وخُطِبَ له ببغداد ستّ دفعات، وجرى بينه وبين إخوته محمد وسنجر حروب.

وملك بعد بركياروق أخوه محمد، فأقام اثنتي عشرة سنة، ومات سنة إحدى عشرة وخمس مئة.

وقام بالأمر بعده ولده محمود بن محمد، فأقام والياً أربع عشرة سنة، وعهد إلى ابنه داود، ففوَّض سنجر الملك إلى طغريل، وجعل لداود ما يكفيه، ثم طمع مسعود أخو محمود في الملك، ودخل بغداد سنة ست وعشرين وخمس مئة، [وخطب له بالسلطنة، ولابن أخيه، وتوفي طغريل في سنة تسع وعشرين وخمس مئة][1]، واستقلَّ مسعود بالمُلْك، وطالت أيامه، فأقام نيفاً وثلاثين سنة، وقتل المسترشد [والرَّاشد][1].

وقام بعده ملك شاه بن محمود بن أخي مسعود، فأقام ثلاثة أشهر، وكتب خاصْبَك إلى محمد بن محمود أخي ملك شاه، وخدعه، وقبض على ملك شاه، فملك محمد بن محمود وقتل خاصبك، ونفر منه إلدكز وآق سُنْقُر، وقصداه، فهرب منهما، وملَّكا أخاه سليمان شاه، وجاء ملك شاه يقصد بغداد، فخرج إليه الخليفة، فدفعه، وفي سنة ثمانٍ وأربعين وخمس مئة انحلَّت دولة بني سَلْجوق، واستولى الغُزّ على سنجر، وكانت دولتهم مستقيمة من سنة ثلاثين أو اثنتين وثلاثين وأربع مئة إلى سنة ثمان وأربعين

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وخمس مئة، ثم بدأت في النقص، ومات فيها سنجرشاه، وحاصر محمد شاه بغداد، وهو آخر مَنْ حاصرها، ومات محمد سنة أربع وخمسين وخمس مئة.

وقام بعده أخوه سليمان شاه، وخالفه أخوه ملك شاه، وتوفي أرسلان شاه بن طغريل بن ملك شاه سنة سبعين وخمس مئة.

وقام بعده ولده طغريل شاه وأتابكه محمد البهلوان، وقتل في هذه السنة، وهي سنة تسعين وخمس مئة، [فكان آخر ملوكهم](١).

السَّنة الحادية والتسعون وخمس مئة

فيها ملك ابنُ القَصَّاب وزير الخليفة بلاد خوزستان: ششتر وأعمالها، ويقال: إنها تشتمل على أربعين قلعة، وقيل: بل ملكها في السنة الماضية، ودخل الأمير علي بن شملة وسوسان بغداد في صفر، وأخليت لهم الدور، وباتوا وأولادهم ببغداد.

وفيها أقطع العزيز فارس الدين ميمون القصري نابُلُس، فأقام في سبع مئة فارس في مقابلة الفرنج.

وفيها كانت وقعة الزلاقة(٢) بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين الفنش ملك طُلَيْطُلة، وكان [الفنش](١) قد استولى على جزيرة الأندلس وقهر ولاتها، [وكان](١) يعقوب مشغولاً عن نُصْرتهم بالخارجين عليه، وبينه وبين الأندلس زقاق سبتة، وعرضه ثلاثة فراسخ، ويحتاج في عبوره إلى مشقَّة عظيمة، وطمع الفنش في المسلمين بهذا السبب، فكتب [الفنش](١) إلى يعقوب كتاباً ينخيه: باسمك اللهم الكريم، فاطر السموات والأرض، وصلى الله على سيدنا المسيح عيسى ابن مريم الفصيح.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) كذا قال، وهو وهم أو سبق قلم، والصحيح أنها وقعة الأرك، أما الزلاقة فهي وقعة أخرى كانت سنة (٤٧٩هـ)، وبطلها يوسف بن تاشفين. انظر عن معركة الأرك: المعجب ٤٠٤-٤٠٦، وعن معركة الزلاقة: المعجب ١٩٥-١٩٩.

أما بعد، أيها الملك، فإنَّه لا يخفى على ذي عَقْل لازب، وذكاء ثاقبٍ أَنَّك أمير المِلَّة الحنيفية، كما [أنا](١) أمير المِلَّة النَّصْرانية، وغيرُ خافٍ عنك ما عليه نوَّابك بالأندلس من التخاذل والتقاعد والتكاسل، وإهمال أمور الرَّعية، والاشتمال على اللَّذَّات الدَّنية، ولما أظهروا العِصْيان، وادَّرعوا الخِذْلان سَلَّطني الله عليهم، فأذقتُهم الخَسْف، وسُمْتُهم العُنْف، أُخلي منهم الدِّيار، وأمحو الآثار، وأسبي الذَّراري والولدان، وأمثِّل بالكهول والشُّبَّان، وقد جعلتُ ألوفاً من العذارى المُسْلمات مملوكاتٍ لبنات الإفرنجيات، ولا عُذْرَ لك في التخلف عن نُصْرتهم وقد مكَّنتك بهم القُدْرة، وأنت قادرٌ على النُّصْرة، مع أنكم تعتقدون أنَّ الله فَرَضَ عليكم في كتابكم قتال [عشرة](١) منا بواحدٍ منكم، وقد زاغ عنكم الصَّواب، وكذبتم بالكتاب، و﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦] ونحن الآن يقتل واحدٌ منا عدداً منكم، فقد أظفرنا الله بكم، وأعاننا عليكم، ولا تقدرون دفاعاً، ولا تستطيعون امتناعاً، ثم بلغني أَنَّك أخذت في الاحتفال، وأشرفت على ربوة القتال، وجمعتَ جَمْعاً من البربر والعرب الذين ادَّرعوا العار، وعبدوا الدِّرْهم والدِّينار، وأحلُّوا الحرام، وباينوا دين الإسلام، وتمطل عاماً بعد عام تنتظر حوادث الزمان، وتقلب الحَدَثان، تقدم رِجْلاً وتؤخر أُخرى، وهذا الفعل بمثلك أحرى، فلا أدري الحَيْن أبطأ بك فَضَلَلْتَ في غَيِّك، أم التكذيب بما أنزل على نبيك؟ فإنْ كنتَ عاجزاً عن العبور إلي خوفاً من أهوال الزّقاق، فأنا أذكر لك ما فيه الرِّفْق بك والارتفاق، وهو أَنْ تعاهدني بالأَيْمان المغلَّظة، والأقسام المعظَّمة ودَفْع الرَّهائن، وتوجّه إلي جُمْلةً من المراكب لأعبر إليك، وأبارزك في أعزِّ الأماكن عليك، فإنْ كانت الدائرة لك كانت غنيمة ساقها الله إليك، وإن كانت يدي العُلْيا، استحققت إمارة المِلَّتين، والتقدُّم على الفئتين، والله تعالى يوفق للسَّعادة، ويسهل الإرادة، فإنه لا رَبّ غيره، ولا خير إلا خيره، والسَّلام.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فلما قرأ يعقوب الكتاب استشاط غضباً، وأدركته حَمِيَّة الإسلام، والغيرة على الإيمان، فكتب على رأس الكتاب بخطِّه: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧].

وكتب تحت الآية: [من الطويل]

ولا كُتْبَ إلا المَشْرَفيةُ عندنا ولا رُسْلَ إلا بالخميس العَرَمْرَمِ

ثم قام من ساعته، فشدَّ ذنب فرسه بيده، ولبس سلاحه، وسار إلى زقاق سبتة، فنزل عليه، وجمع الشَّواني والمراكب، وعَرَضَ جُنْده، فكانوا مئتي ألف مقاتل، مئة ألف يأكلون الدِّيوان، ومئة ألف مطاوعة، وعبر الزقاق إلى مكانٍ يقال له: الزلاقة[1]، وجاءه الفنش في مئتي ألف وأربعين ألفاً من أعيان الفرنج والمقاتلة، والتقوا، فجرى بينهم قتالٌ لم يجر في جاهليةٍ ولا إسلام، ثم أنزل الله نَصْره على المُسْلمين، فولى الفنش هارباً في نفرٍ يسير إلى طُلَيْطُلة، وغَنِمَ المُسْلمون ما كان في عسكره، وكان عِدَّةُ من قُتِل من الفرنج مئةَ ألف وستة وأربعين ألفاً، وعِدَّة الأسارى ثلاثون ألفاً، ومن الخيام مئة ألف خيمة وخمسون ألفاً، ومن الخيل ثمانون ألفاً، ومن البغال مئة ألف، ومن الحمير أربع مئة ألف حمار يحمل أثقالهم، لأنَّهم لا جمال عندهم، ومن الأموال والجواهر والثِّياب ما لا يُحدّ ولا يحصى، وبِيْعَ الأسير بدِرْهم، والسَّيف بنصف دِرْهم، والحصان بخمسة دراهم، والحمار بدرهم، وقسم يعقوب الغنائمَ بين المُسْلمين على مقتضى الشريعة، فاستغنوا إلى الأبد.

ووصل الفنش طليطلة على أقبح حال، فَحَلَق رأسه ولحيته، ونكَّس صليبه، وآلى أن لا ينام على فراش، ولا يقرب النِّساء، ولا يركب فرساً ولا دابة حتى يأخذ بالثأر، وأقام يجمع من الجزائر والبلاد ويستعدّ، وقيل: كانت هذه الوقعة سنة تسعين.

وحج بالنَّاس من بغداد سنجر النَّاصري، ومن الشَّام سراسُنْقُر وأيبك فطيس الصَّلاحيان، [ومن مصر الشريف إسماعيل بن ثعلب الجعفري؛ من ولد جعفر بن أبي طالب][2].

---

(١) انظر حاشيتنا رقم٢ ص٤٠ من هذا الجزء.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[وفيها توفي

عبد الله بن محمد بن عبد الله الصوفي[1]

أبو القاسم، شيخ رباط المأمونية ببغداد، وكان زاهداً عابداً، متورعاً، حسن العقيدة][2].

السنة الثانية والتسعون وخمس مئة

فيها بعد خروج الحاج من مكَّة هبَّت ريحٌ سوداء عمَّتِ الدُّنيا، ووقع على الناس رملٌ أحمر، ووقع [من][2] الركن اليماني قطعةٌ، وتحرَّك البيت الحرام مراراً، وهذا شيءٌ لم يعهد منذ بناه ابن الزُّبير رضي الله عنهما، وأعاده الحَجَّاج، وإلى هلمَّ جرا.

وفيها كانت الوقعة بين ميالجق مملوك خوارَزْم وبين ابن القَصَّاب وزير الخليفة على باب هَمَذَان، كان ابن القصَّاب لما استولى على خوزستان طَمِعَ في البلاد، فتقدَّم إلى هَمَذَان، ثم سار إلى أصبهان، فولى عليها عماد الدين طغريل صاحب البصرة مملوك الخليفة، وبلغ خوارزم شاه، فبعث إليهم يقول: هذه البلاد فتحتها بسيفي وقتلت عدوَّكم، فارجعوا وإلا فأنتم خبر، فجمع الوزير الأمراء واستشارهم، فقالوا: الرأي ما ترى، فقال: ما بعد الرِّبْح إلا الخسارة، وقد فتحنا خوزستان، والمَصْلحة رجوعنا. فلم يوافقه طغريل صاحب البصرة، وطغتكوا صاحب اللِّحْف، وكان خوارزم شاه قد قطع جيحون في خمسين ألفاً، وقدَّم بين يديه مملوكه ميالجق في خمسة آلاف، وعسكر الخليفة بأصبهان، وكان بها شحنة أسود من قبل خوارزم شاه ورئيسها الصَّدْر بن الخُجَنْدي، وكان عظيماً من بيت الرياسة، فاتهمهما طغريل بمكاتبة الخوارزمي، فاستدعاهما إليه، وذبحهما بين يديه، وقيل: إنما قتلهما سُنْقُر الطَّويل، وهو كان شحنة أصبهان، ثم رحلوا إلى هَمَذَان، فنزلوا على بابها، ومَرِضَ الوزير من أصبهان إلى

(١) لم أجد له ترجمة فيما لدي من مصادر.
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

همذان، ومات تلك الليلة على باب همذان، وكبسهم ميالجق وهو في خمسة آلاف وهم في عشرين ألفاً، والتقوا، فكسرهم ميالجق كسرةً شنيعة أشنع من كسرة ابن يونس، عادوا إلى بغداد عرايا جياعاً، قد تقطَّعت أقدامهم من المشي، فلو تبعهم ميالجق مرحلة ما أبقى منهم أحداً، وكان الوزير لما مات أرادوا أن يعفوا قبره، فأدركهم ميالجق، فدفنوه في سقاية على باب هَمَذَان، فسأل ميالجق عنه، فدُل عليه، فنبشه، وقطع رأسه، وبعث به وبأعلام الخليفة والكوسات والمهد والخزائن، وكان فيها ألف ألف دينار وجواهر بمثلها، وكانت الواقعة غُرَّة شعبان، فوصلوا إلى بغداد في رابع عشر رمضان.

ثم جاء خوارزم شاه إلى همذان على البلاد إلى باب بغداد، وبعث إلى الخليفة يطلب السَّلْطنة، وإعادة دار السلطنة إلى ما كانت عليه، ويجيء إلى بغداد، ويكون الخليفة من تحت يده كما كان السَّلْجوقية، فانزعج الخليفةُ وأهلُ البلد، وغلتِ الأسعار، وولى الخليفة نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي نقابة الطَّالبيين، ثم استوزره بعد ذلك، ورتَّب ابن البخاري في نيابة الوزارة، وعزل شمس الدين ابن القَصَّاب، فإنه كان ينوب عن أبيه.

وفيها كانت وقعة يعقوب [ابن يوسف][1] مع الفنش أيضاً. قد ذكرنا أنه حَشَدَ وجمع جَمْعاً أكثر من الأول، فالتقوا، فهزمه يعقوب، وساق خلفه إلى طُلَيْطُلة، وضربها بالمجانيق، وضيَّق عليها، ولم يبق إلا فَتْحُها، فخرجت إليه والدة الفنش وبناتُه ونساؤه وأهلُه، وبَكين بين يديه، وسأَلْنَه إبقاءَ البلد عليهن، فَرَقَّ لهن، ومَنَّ عليهن بها، ووَهَبَ لهن المال والجواهر، ورَدَّهن مكرمات بعد القُدْرة، ولو فتح طُلَيْطُلة لفتح إلى مدينة النحاس[2]، وعاد إلى قرطبة، فأقام شهراً يقسم الغنائم، وجاءته رُسُل الفنش تسأله الصُّلْح، فصالحه مُدَّة، وأمَّن أهل الأندلس، وقيل: إنَّ هذه الوقعة كانت إحدى وتسعين [وخمس مئة][1].

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) هي مدينة خيالية لا وجود لها، ذكرها المسعودي في «مروج الذهب»، وذكر أن موسى بن نصير فتحها، نقل ذلك ونقضه ابن خلدون في «مقدمته»: ١/ ٣٣٠، وقد ذكرت كذلك في «ألف ليلة وليلة»: ٣/ ١٤١، (طبعة بولاق).

وفيها ظهر بيوصير؛ قرية بصعيد مِصْر [ـ وهي التي قتل فيها مروان الجعدي ـ][(١)] بيت هرمس الحكيم، وفيه أمثلة كباش وضفادع وقوارير كلها نحاس، وفيه أموات لم تبل ثيابها.

وحجَّ بالنَّاس من بغداد ألب قرا مملوك طاشْتِكِين، وكان الخليفة قد أفرج عن طاشْتِكِين من الحبس في هذه السنة.

وحج بالنَّاس من مِصْر الشَّريف إسماعيل بن ثعلب الجعفري.

وفيها توفي

إبراهيم بن أحمد بن محمد[(٢)]

أبو طاهر العُكْبَري.

ولد سنة عشر وخمس مئة، [وسمع الحديث][(١)]، ورأى في منامه في هذه السَّنة كأنه يقرأ سورة يس، وهي اثنتان وثمانون آية[(٣)]، ويقال: إنَّ مَنْ قرأها يعيش بعدد آياتها سنين، فمات في صفر، وله اثنتان وثمانون سنة، وكذا يقال: مَنْ قرأ سورة من أول ما نزل القرآن طال عمره، [ومن آخر ما نزل القرآن يقصر عمره، سمع أبا القاسم بن الحصين، وقاضي المارستان، وابن السمرقندي، وغيرهم][(١)].

عبد الخالق بن عبد الوهاب بن محمد[(٤)]

[ويعرف بابن الصابوني][(١)]، من أولاد المشايخ، [سمع الحديث ورواه][(١)]، وتوفي في شوال ودفن عند معروف [الكرخي][(١)]، وقد أناف على ثمانين سنة، [سمع أبا القاسم بن الحصين وطبقته][(١)]، وأنشد لأبي الجوائز الواسطي: [من الطويل]

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ٢٤٥، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ٢٣٤، و«مشيخة النعال»: ١٢٦ـ١٢٨، «الوافي بالوفيات»: ٥/ ٣٠٨.

(٣) كذا قال، والصواب أنها ثلاث وثمانون آية.

(٤) له ترجمة في «معجم البلدان»: ٥/ ٤٣ـ٤٤ (المالكية)، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٢٦٨ـ٢٦٩، و«مشيخة النعال»: ١٢٨ـ١٣٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٢٧٤ـ٢٧٥، و«العبر»: ٤/ ٢٧٩، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٣٠٩.

دعِ النَّاس طُرًّا واصرفِ الودَّ عنهُم إذا كنتَ في أخلاقهم لا تُسامحُ
ولا تبغِ من دَهْرٍ تكاثَفَ رَنْقُهُ صفاءَ بنيه فالطِّباع جوامحُ
فشيئان معدومانِ في الأرض: دِرْهَمٌ حلالٌ وخِلٌّ في الحقيقةِ ناصحُ(١)

عبد الله بن المُظَفَّر(٢)

ابن هبة الله ابن رئيس الرُّؤساء، ويلقب بالأثير، كان فاضلاً، ومن شعره: [من البسيط]

إنْ حاولَ الدَّهْرُ إخفائي فإنَّ له في حبسيَ الآن سِرّاً سوف يُبْديه
أعدَّني للعُلا ذُخراً ومن ذَخَرَتْ يداه في الدَّهرِ شيئاً فَهْوَ يُخْفيه(٣)

محمد بن أحمد بن يحيى(٤)

أبو منصور، ويعرف بابن ناقة.

ولد بالكوفة سنة ثلاثين وخمس مئة، واشتغل بالأدب، [وكان أبوه فاضلاً أيضاً](٥)، ومات [محمد](٥) ببغداد، وحُمل إلى الكوفة. قال: أنشدني [خالي أبو القاسم علي ابن جدي، قال: أنشدني أبو منصور ابن ناقة، قال: أنشدني](٥) أبي أحمدُ لنفسه: [من الطويل]

وكم شامتٍ بي إنْ هلكت بزعمه وجاذبِ سَيْفٍ عند ذِكْرِ وفاتي
ولو عَلِمَ المسكينُ ماذا يُصيبه من الذُّلِّ بعدي مات قبل مماتي

(١) في مطبوع «تاريخ بغداد» للخطيب: ٧/ ٣٩٣ أورد بيتين، وأورد ابن خلكان الأبيات في «وفياته»: ٢/ ١١٢ نقلاً عن «تاريخ بغداد».

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢/ ١٥٠-١٦٢، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٦٥، «إكمال الإكمال»: ٨-١٠، و«الوافي بالوفيات»: ١٧/ ٦٢٦-٦٢٧.

(٣) البيتان في «الخريدة»: ٢/ ١٥٧.

(٤) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ٢٧٩-٢٨٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٦٥، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ١٥ (وفيه وفاته سنة ٥٩٣هـ)، و«توضيح المشتبه»: ٩/ ٢٠-٢١.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

محمد بن علي بن أحمد، أبو الفَضْل(١)

مؤيَّد الدين، الوزير ابن القَصَّاب.

أصله من شيراز، قدم بغداد سنة أربع وثمانين وخمس مئة، واستخدم في ديوان الإنشاء، ثم ترقَّى إلى الوِزارة، وقرأ الأدب [على أبي السعادات ابن الشجري وغيره،](٢) وكان داهيةً، رديءَ الاعتقاد [وهو الذي أعان ابن عبد القادر على نكبة جدي](٢)، إلا أنَّه كان له خِبْرَةٌ بأُمور الحرب، وفَتْحِ البلاد، وكان النَّاصر يُثْني عليه ويقول: لو قبلوا من رأيه ما جرى ما جرى، ولقد أتعب الوزراء بعده.

وكان الخليفةُ قد سلَّم إليه ابنَ يونس أستاذ الدَّار [لما قبض عليه، فسلَّمه ابن القصاب](٢)، إلى ولده أحمد، ولما خرج عن بغداد كتب إلى ابنه، وهي له: [من المنسرح]

يا خازنَ النَّارِ خُذْ إليك أبا السـ ... ـائب حِلْفَ الفُضُول والحُمُقِ
ولا تَكِلْهُ إلى زبانيةٍ ... يأخُذُهُمْ بالخِداع والمَلَقِ
فلستَ تدري أيّ ابنِ زانيةٍ ... عندك ملقًى في القِدِّ والحَلَقِ

وقد ذكرنا وفاته على باب هَمَذَان [وما جرى عليه](٢)، وقيل: إنَّ رأسه دُفِنَ بالرّي بعد أن طافوا به البلاد، [ومن العجائب أنَّه](٣) وصل خبره مع الركابية إلى بغداد يوم الجمعة رابع عشر شعبان، وقد اجتمع على باب ولده شمس الدين أحمد أربابُ الدَّولة ليعبروا إلى تربة الخِلاطية في خِدْمته نيابةً عن أبيه، فجاء خادمٌ من عند الخليفة، فَرَدَّ بابه، وصرف أرباب الدولة [عن بابه](٢)، ونقل [ابنه](٢) من دار الوزارة التي تقابل باب النّوبي، وأسكنها ناصر الدين بن مهدي.

---

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٥٢، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٢٦٢، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٦٦، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ٩٦، و«الفخري»: ٣٢٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٢٣-٣٢٤، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ح): وكان وصل، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

محمد بن علي بن شُعَيْب(١)

أبو شجاع، ابن الدَّهَّان، الفرضي، الحاسب، البغدادي.

كان حاسباً فاضلاً، وصنَّف تاريخاً من سنة عشر وخمس مئة إلى هذه السنة، وكانت وفاته بالحِلَّة السَّيْفية، وقَدِمَ الشَّام، ومَدَحَ تاج الدين الكِنْدي، فقال: [من البسيط]

يا زيدُ زادَكَ ربي مِنْ مواهبه ... نعماءَ يَقْصُرُ عن إدراكها الأَمَلُ

لا غيَّر الله حالاً قد حَبَاك به ... ما دارَ بين النُّحاةِ الحالُ والبَدَلُ

النحو أنتَ أحقُّ العالمين به ... أليس باسْمِكَ فيه تُضْرَبُ المُثُلُ

محمد بن علي بن فارس(٢)

أبو الغنائم، ابن المُعَلِّم، الشَّاعر الهرثي، والهُرْث: قريةٌ تحت واسط، كان رقيقَ الشِّعْر، مليحَ المعاني، [أكثر في الغزل، ووصف المحبة والشوق والصبابة، فمالت القلوب إليه،](٣) ومولده سنة إحدى وخمس مئة، [ومدح الأمراء والرؤساء والأعيان،](٣) وكانت وفاته في رجب بالهُرْث، وديوانه مشهور [وفَضْله مذكور، وقد أنبأنا بشعره غير واحد، فمن شعره](٤): [من الرمل]

لو قضى من أهل نَجْدٍ أَرَبَهْ ... لم يَهِجْ نَشْرُ الخُزَامى طَرَبَهْ

علِّلوا الصَّبَّ بأنفاسِ الصَّبا ... إنَّها تَشْفي النُّفوسَ الوَصِبَهْ

فَهْيَ إنْ مَرَّتْ عليهِ نَشَرَتْ ... ما انطوى عنه وجلَّتْ كُرَبَهْ

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج١/ ٣١٢ـ٣١٧، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٢١٤ـ٢١٥ و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٦٧، «وفيات الأعيان»: ٥/ ١٢ـ١٣، ٢/ ٣٤١، و«العبر» الذهبي: ٤/ ٢٧٤ـ٢٧٥، و«الوافي بالوفيات»: ٤/ ١٦٤ـ١٦٥، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٣٦، ١٣٩، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٣٠٤.

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج١/ج٤/ ٤٣٠ـ٤٤٩، و«الكامل»: ١٢/ ١٢٤، «معجم البلدان»: ٥/ ٣٩٧، «التكملة» للمنذري: ١/ ٢٥٩، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٦٧-٦٨، «وفيات الأعيان»: ٥/ ٥ـ٩، «المختصر المحتاج إليه»: ١/ ٩٥ـ٩٦، «الوافي بالوفيات»: ٤/ ١٦٥ـ١٦٨، «النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٤٠، «شذرات الذهب»: ٤/ ٣١٠ـ٣١١.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ح): فمن قوله، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

كَـلَـفـي فـيـكُـمْ قـديـمٌ عَـهْـدُهُ ... مـا صَبَابـاتـي بـكُـمْ مُـكْـتَـسَـبَـهْ
أيـن وُرْقُ الـجَـزْعِ مَـنْ لـي أَنْ أرى ... عُـجْـمَـه إنْ لـم أُشـاهِـدْ عَـرَبَـهْ
ونَـعَـمْ ذا بـانُ حُـزْوى فـاسـألـوا ... إنْ شـكـكْـتُـمْ فـي عـذابـي عَـذَبَـهْ
عـن جـفـونـي الـنَّـومُ مـن بَـعْـده ... وإلـى جِـسْـمـي الـضَّـنـى مـن قَـرَّبَـهْ
وَصِـلُـوا الـطَّـيْـفَ إذا لـم تَـصِـلُـوا ... مُـسْـتـهـامـاً قـد قَـطَـعْـتُـمْ سَـبَـبَـهْ
وإلـى أن تُـحْـسِـنُـوا صُـنْـعـاً بـنـا ... قـد أسـاء الـحـبُّ فـيـنـا أَدَبَـهْ
أعـشَـقُ الـلَّـوْمَ لـحـبـي ذِكـركـم ... يـا لـمُـرٍّ فـي الـهـوى مـا أعْـذَبَـهْ
واكـشِـفُـوا لـي سِـرَّ مـا ألـقـى بـكـم ... فـلـقـد أَشْـكَـلَ مـا بـي واشْـتَـبَـهْ
هَـبْـكُـمُ عـذَّبْـتُـمُ طـرفـاً جـنـى ... فـفـؤادي مـا جـنـى مَـنْ عَـذَّبَـهْ
إن يـكـن مـجـنـون لـيـلـى فـي الـهـوى ... فـأنـا الـتَّـنـزيـه وَهْـوَ الـشَّـبَـهْ
ولـقـد ذبـتَ فـلـو تُـكْـحـل فـي ... مُـقْـلَـةِ الـوَسْـنـان وِتْـراً مـا انْـتَـبَـهْ
فـتـجـنَّـبْ مـركـبَ الـبـغـي بـه ... واتَّـقِ الـلـه وخـفْ أَنْ تـركَـبَـهْ

وقال: [من الرجز]

تـنـبَّـهـي يـا عَـذَبـات الـرَّنْـدِ ... كـم ذا الـكـرى هَـبَّ نـسـيـمُ نَـجْـدِ
مَـرَّ عـلـى الـرَّوْضِ وجـاءَ سَـحَـراً ... يَـسْـحَـبُ ثَـوْبـي أَرَجٍ ونَـدِّ
حـتـى إذا عـانـقـتُ مـنـه نَـفْـحَـةً ... عـادَ سَـمُـومـاً والـغـرامُ يُـعْـدي
أُعـلِّـلُ الـقـلـبَ بـبـانِ رامـةٍ ... ومـا يَـنُـوبُ غُـصُـنٌ عـن قَـدِّ
وأسـألُ الـرَّبْـعَ ومَـنْ لـي لـو وعـى ... رَجْـعَ الـكـلامِ أو سـخـا بِـرَدِّ
وأقـتـضـي الـنَّـوْح حـمـامـاتِ الـلِّـوى ... هـيـهـاتَ مـا عـنـد الـلِّـوى مـا عـنـدي
كـم بـيـن خـالٍ وجَـوٍ وسـاهـرٍ ... وواجـلٍ وكـاتـم ومُـبْـدِي
بـانُـوا فـلا دارُ الـعـقـيـقِ بَـعْـدَهُـمْ ... دارٌ ولا عـهـدُ الـلِّـوى بـعَـهْـدِ
هُـمْ حـمَّـلـوا ثِـقْـلَ الـفِـراقِ والـهـوى ... عـلـى فـتًـى يُـضْـنـيـه حَـمْـلُ الـبُـرْدِ
لـيـس كـمـا ظـنَّ الـعِـدى صـبـابـتـي ... صـبـابـتـي فـيـهـم ووجـدي وجـدي(١)

---

(١) القصيدة في «خريدة القصر»، قسم شعراء العراق: مج٢/ج٤/ ٤٣٩ـ٤٤١ ، والبيتان الأخيران ليسا فيها، وقد استظهرتهما هكذا على عسر في قراءتهما.

وقال: [من البسيط]

يا نازلين الحِمى رِفْقاً بقلب فتًى إنْ صاحَ للبَيْنِ داعٍ باحَ مُضْمَرُهُ
لا تحسِبُوا الصَّدَّ عن عهدي يغيِّرني غيري ملازمةُ البَلْوى تغَيِّرُهُ
وما ذَكَرْتُكُمُ إلا وهِمْتُ جَوًى وآفةُ المُبْتلى فيكم تذكُّرُهُ
يزدادُ في مَسْمَعي تكرارُ ذِكْرِكُمُ طِيْباً ويَحْسُنُ في عيني مكرَّرُهُ

وقال: [من الطويل]

أجيرانَنا إنَّ الدُّموعَ التي جَرَتْ رِخاصاً على أيدي النَّوى لغوالِ
أقيموا على الوادي ولو عمر ساعةٍ كلوثِ إزارٍ أو كحلِّ عقالِ
وجُودوا على هذا المعنَّى بنظرةٍ يعلِّلُ قلبي منكمُ بمحالِ
أذلتُمْ مصوناتِ الدُّموعِ بهَجْرِكُمْ وحبُّكُمُ في الصَّدْرِ غيرُ مُذَالِ
أضمُّ عليه الرَّاحتين ولو دَرَتْ يميني به لم تستعنْ بشمالِ
صحبناكُمُ والعُمْرُ غَضٌّ وحبُّنا جديدٌ ومَيْدانُ الصَّبابةِ خالِ
فقد رقَّ جِلْبابُ الشَّبابِ وما الصِّبى بباقٍ ولا بُرْدُ الغرامِ ببالِ
وحبُّكُمُ حُبٌّ يقومُ بنفسه ترفَّعَ عن شِبْهٍ له ومِثالِ
حماه حِفاظي أنْ يلمَّ بخاطري وأخفاه صوتي أنْ يدورَ ببالِ
يقرُّ بعيني أنْ أرى من دياركم مع الفَجْرِ وَمْضَ البارقِ المتعالِ
أداوي على بُعْدِ المَزَارِ بذكرِكُمْ عقابيلَ داءٍ في الفؤادِ عُضَالِ

وقال: [من البسيط]

هو الحِمى ومغانيه معانيه فاجلسْ وعانِ بليلى ما نعانيه
لا تسألِ الرَّكْبَ والحادِي فما سألَ الـ ـعُشَّاقُ قَبْلَكَ عن رَكْبٍ وحادِيْهِ
ما في الصِّحابِ أخو وَجْدٍ نطارحُهُ حديثَ وَجْدٍ ولا صَبٌّ نجاريهِ
إليكَ عن كلِّ قَلْبٍ في أماكنه ساهٍ وعن كل دمعٍ في مآقيه
ما واجِدُ القَلْبِ في المعنى كفاقدِهِ وجامدُ الدَّمْعِ في البلوى كجارِيْهِ
كفى الكثيبُ هوًى عادتْ أواخِرُهُ على الكثيبِ كما كانت أَوَاليهِ
يجدِّدُ العِشْقَ والأشجانُ تُخْلِقُهُ ويَنْشُرُ الدَّمْعَ والأحزانُ تَطْويهِ

وقفتُ أشكو اشتياقي والسَّحابُ به فانهلَّ جَفْني وما انحلَّتْ عَزَاليهِ
فالنَّار من زَفَراتي لا تُؤَرِّقُهُ والماءُ من عَبَرَاتي لا غواديه
يُوهي قِوَى جَلَدي من لا أبوحُ به ويستبيحُ دمي مَنْ لا أُسَمِّيه
استوهبَ البدرُ شَكْلاً من محاسنِهِ واستهدتِ الشمسُ معنًى من معانيهِ
ينأى ويَقْرُبُ والأيامُ تُبْعده عن المتيَّم والأيامُ تُدْنيهِ
يا مالكاً غير ذُلِّي ليس يُقْنِعُهُ وفاتكاً غير قَتْلي ليس يُرْضيه
قِسْماً فما في لساني ما يعاتبه ضعفاً بلى في فؤادي ما يداريه
أُهْدي السَّلام ليحيا مَنْ قُتِلْتُ به فميِّتُ الحُبِّ يُحْيِيْه مُحَيِّيْهِ

محمد بن عبد اللطيف بن محمد(١)

أبو بكر، الصَّدْر الخُجَنْدِي، رئيس أصبهان وابن رئيسها، وبيتُه مشهور بالرياسة والتقدُّم والجاه العظيم.

قدم بغداد سنة ثمانٍ وثمانين وخمس مئة، فأنْعَمَ عليه الخليفة إنعاماً كثيراً، وقربَّه، وخَلَعَ عليه، واحترمه، وولاه تدريس النِّظامية وأوقافها، فلما خَرَجَ ابنُ القَصَّاب إلى هَمَذَان خرج معه، ودخل معهم أصبهان، وولَّى ابنُ القصاب سُنْقُر الطَّويل أصبهان، وكان ابن الخُجَنْدِي ليس على يده يدٌ، فحسده سُنْقُر على مكانته، وقيل: اتَّهموه بالخوارزمي، فذبحوه.

نَصْر بن علي بن محمد(٢)

أبو طالب، زعيم الدين بن النَّاقد.

ولِي حِجْبة الباب، ثم صاحب ديوان، ثم ولي المخزن، وهو الملقب بقَنْبَر، وكان إذا بلغه أنَّ أحداً لقبه قنبر يسعى في هلاكه، ودُفِنَ بمشهد باب التِّبْن.

---

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ١٢٤، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٢٥٢_٢٥٣، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٦٩، و«المختصر في تاريخ البشر»: ٣/ ٩١_٩٢، «البداية والنهاية» (وفيات سنة ٥٩٢هـ).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ٢٥٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٧٠-٧١، و«الوافي بالوفيات»: ٢٧/ ٧٣_٧٤.

السنة الثالثة والتسعون وخمس مئة

فيها قدم حسام الدِّين أبو الهيجاء السَّمين بغداد، وخَرَجَ الموكب للقائه في زِيٍّ عظيم، رَتَّب الأطلاب على ترتيب الشَّام، وكان في خِدْمته عِدَّةٌ من الأمراء، منهم ولدا أخيه عز الدين كر والغرس، وأول ما تقدَّم طُلْب كر والغرس، ثم أمير أمير، وجاء هو بعد الكُلِّ في العُدَد الكاملة والسِّلاح التَّام، وخَرَجَ جميعُ من ببغداد للقائه، وكان رأسه صغيراً، وبطنه كبيراً جداً، بحيث كان على رقبة البغلة، وكان قد رآه عند الحَرْبية رجلٌ كوَّاز، فعمِلَ في ساعته كوزاً من طين، وسبقه فعلَّقه في السُّوق، فلما اجتاز به ضَحِكَ، وعمل بعد ذلك أهل بغداد كيزاناً، وسمُّوها أبا الهيجاء السمين [على صورته][(١)]، وأنزله الخليفة بدار العميد غربي بغداد بعد أن عَبَرَ إلى الجانب الشَّرْقي، وقبَّل عَتَبَة باب النوبي، وأكرمه الخليفة، وقام له بالضِّيافات، ثم أمره أن يجرِّد جماعةً من أصحابه مع عسكر الخليفة إلى هَمَذَان، فجرَّد جماعةً، فلما بَعُدوا عن بغداد نهبوا خزانة الخليفة، وقتلوا جماعةً من عسكره، ومَضَوْا إلى المَوْصل والجزيرة، وعاد عسكرُ الخليفة إلى بغداد وقد جُرحوا، فنقله الخليفةُ إلى دارٍ عند النِّظامية بالجانب الشَّرْقي كانت لمجير الدين أبق سُلْطان دمشق، ووكَّل به، ثم خَلَعَ عليه بعد ذلك الجُبَّة والفَرَجية والعِمامة السَّوداء والقَبَاء الأسود، وبين يديه الخيلُ بمراكب الذهب[، وقد شاهدته وأنا صغير في هذه السنة][(١)]، وأعطاه الأموال والرِّجال، وسار إلى هَمَذَان.

وفيها انقضتِ الهُدْنة التي كانت بين صلاح الدين والفرنج، فقصدوا بيروت وبها سامة الجِيْلي، فهرب واستولى الفرنج عليها، فقال بعضُ الدِّمَشْقيين[(٢)]: [من الخفيف]

سَلِّم الحِصْنَ ما عليك ملامَهْ ... ما يُلامُ الذي يرومُ السَّلامَهْ
إنَّ أَخْذَ الحصونِ لا بقتالٍ ... سُنَّةٌ سنَّها ببيروتَ سامَهْ
أبعد الله تاجراً سَنَّ ذا البـ ... ـيع وأخزى بخِزْيه مَنْ سامَهْ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) الصواب أن قائل هذه الأبيات قالها في أثناء حصار الفرنج لحصن تبنين، وهو الذي أشار إليه الشاعر بقوله: سَلِّم الحصن، انظر «الروضتين»: ٤/ ٤٤١.

وحجَّ بالنَّاس من بغداد شمس الدين أصبه، ومن الشام سيف الدين محمد بن تميرك.

وفيها توفي

أحمد بن عيسى الهاشمي(١)

من ولد الواثق بالله، ويعرف بابن الغريق، كان شاعراً فاضلاً أديباً، ومن شعره: [من الخفيف]

ظهر اللؤم في الأنامِ لهذا ... صُنْتُ نفسي عن البريَّة طُرَّا
ورأيتُ الخمولَ أنفسَ شيءٍ ... ولزومَ البيوتِ أَوْلى وأحرى

وقال: [من السريع]

لا تَرْجُ مَنْ نِعْمَتُهُ أُحْدِثَتْ ... من بَعْدِ إملاقٍ وإعدامِ
فما ترى في وجهه راحةً ... هل يُوجد الرِّيُّ من الظَّامي

وقال: [من مخلع البسيط]

لم أكتحلْ في صباح يومٍ ... أُريقَ فيه دمُ الحسينِ
إلا لحُزْني فذاك أني ... سوَّدْتُ حتى بياضَ عَيْني

وماتَ في ذي القَعْدة عن ثمانين سنة، ودُفِنَ بباب حَرْب.

الحسن بن علي بن حمزة(٢)

أبو محمد الأقساسي، النَّقيب الطَّاهر، نقيب العلويين ببغداد.

كان فاضلاً أديباً، قال: نمتُ ليلةً عن صلاتي، فرأيتُ أميرَ المؤمنين علياً عليه السَّلام في جامع الكوفة وحوله جماعة، فسلَّمت عليه، فلم يَرُدَّ عليّ، ودفعني بيده من

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٢٥-٢٦، «التكملة لوفيات النقلة» للمنذري: ١/ ٢٩١، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٧٣-٧٤، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ١٩٧، و«الوافي بالوفيات»: ٧/ ٢٠٦، ٢٧٤، «لسان الميزان»: ١/ ٢٣٠.

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج١/ ج٤/ ٢٦٦-٢٧٤، «التكملة» للمنذري: ١/ ٢٨٧-٢٨٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٧٤، و«المختصر المحتاج إليه»: ٢/ ١٩، و«الوافي بالوفيات»: ١٢/ ١٢٨-١٢٩.

الجانب الآخر، ففعل بي كذلك، فخطر لي أنَّه بسبب نومي عن الصَّلاة، ثم دفعني، وقال: [من البسيط]

لا تـأمـلـنْ عَـوْدَ الـشَّـبـاب ولا تأمل قُوى بعد ضعفٍ نازحِ البَصَرِ[1]
واحـملْ عـلى ظَلْـعٍ إن كـنـتَ ذا أَرَبٍ فَـمُـدْلِجُ الـلَّـيـلِ لا يَـعْـتَـلُّ بـالـسَّـحَـرِ

صَنْدَل بن عبد الله، عماد الدِّين الخادم المُقْتَفوي[2]

كان كبير الخَدَمِ وأَعْقَلَهم، وأرسله النَّاصر إلى صلاح الدين مراراً، وكان كثير الصَّدقات والخير، وولي ناظراً بواسط، وكانت وفاته في صفر، ودُفِنَ بالتربة التي أنشأها عند جامع بلهيقا؛ غربي بغداد.

طُغْتِكِين بن أيوب[3]

سيف الإسلام، أخو صلاح الدين.

مَلَكَ اليمن من زبيد إلى حَضْرَموت، [وقمع الخوارج][4]، وكان شجاعاً شَهْماً، [وقد ذكرناه][4]، وكانت وفاته [في شوال][4] بزبيد، وولي بعده ولده شمس الملوك إسماعيل، وادَّعى الخلافة، [وسنذكره][4].

طلحة بن مُظَفَّر بن غانم[5]

أبو محمد، الحنبلي العَلْثي، والعَلْث: قرية من أعمال دُجَيْل.

---

(١) كذا في (ح)، ولم يتزن البيت.

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ٢٧٦، و«كتاب الروضتين»: ٢/ ٢٠٧، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٧٤.

(٣) له ترجمة في «طبقات فقهاء اليمن»: ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٦، و«الكامل»: ١٢/ ٥٤، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٢٨٩-٢٩٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٧٣، «وفيات الأعيان»: ٢/ ٥٢٣-٥٢٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٣٣، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ٢٩٥، و«معجم البلدان»: ٤/ ١٤٦، و«المختصر المحتاج إليه»: ٢/ ١٢١، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ١/ ٣٩٠-٣٩١، و«المقصد الأرشد»: ١/ ٤٦١-٤٦٣، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٣١٣، و«المنهج الأحمد»: ٤/ ٦-٧.

قدم بغداد، وتفقَّه على أبي الفَتْح بن المَنِّي، وعلى أبي الفرج بن الجوزي، وقرأ عليه أكثر مصنَّفاته، وكان ورعاً دَيِّناً، انقطع قبل وفاته إلى زاويةٍ له بالعَلْث سنين، واشتغل بالعبادة، وسافر إليه النَّاس لطلب الحديث، وتوفي بالعَلْث في ذي الحِجَّة.

عبد الله بن منصور بن عمران(١)

أبو بكر، الباقلاوي [المقرئ](٢).

ولد سنة خمس مئة، [وقرأ بواسط على أبي العز محمد بن الحسين القلانسي وغيره](٢)، وانفرد بالرِّواية في القراءات العَشْر [عن القلانسي](٢)، وقدم بغداد [فقرأ على أبي محمد عبد الله بن علي سبط أبي منصور الخياط وغيره، وكان حسن التلاوة، وكان قدومه إلى بغداد سنة عشرين وخمس مئة وبعدها، وآخر ما قدمها سنة ست وسبعين وخمس مئة](٢)، وتوفي بواسط سَلْخ ربيع الآخر، ودفن [عند أبيه](٢) بمقبرة المُصَلَّى، وكان يوماً مشهوداً، ورآه بعضُ الأعيان في المنام، فقال له: ما فعل بك؟ فقال: قد صلَّى عليَّ سبعون ألفاً من الأبدال. [سمع أبا القاسم بن الحُصَيْن وابن السمرقندي وقاضي المارستان وغيرهم، ولي منه إجازة](٢).

عبد الرحمن بن علي(٣)

أبو محمد الشَّرابي، بغدادي.

كان زاهداً، عابداً، منقطعاً في مسجدٍ على دِجْلة، توفي يوم الفطر، ودفن بباب حرب.

حكى عن أشياخه أَنَّ ابن بَطَّة العُكْبَري اجتاز بالأحنف العُكْبَرِي فقام له، فأنكر ذلك، فقال الأحنف بديهاً: [من الخفيف]

لا تَلُمْني على القيامِ بحقِّي حين تبدو أن لا أَمَلَّ القِياما

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ١٣٠، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٢٧٧-٢٧٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٧٤-٧٥، و«معرفة القراء الكبار»: ٣/ ١٠٩٦-١١٠٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٢٤٦-٢٤٨، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ٢٨٨.

أنــتَ مِــنْ أكــرم الــبَــرِيَّــة عــنــدي ومــن الــحــقِّ أنْ أُجِــلَّ الــكــرامــا

عبد الوهَّاب بن الشيخ عبد القادر الجِيْلي(١)

ولد سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة.

وتفقَّه ووعظ، وكان ذكياً، ولاه الخليفة المظالم وتربة الخلاطية، وهو أبو الركن عبد السَّلام(٢)، [وكانت مجالس وعظه تمضي في الهزل والمجون](٣).

قال يوماً في مجلسه: إذا مات العبد، وكان مدمناً للخمر، نزل القبر وهو سكران، وسأله منكر ونكير وهو سكران، وقام من قبره وهو سكران، ومشى على الصراط وهو سكران، فقال له بعض الحاضرين: يا سيِّدنا، أين يُباع هذا الخمر؟ يساوي كل كوز منه دينار. فضحك سيف الدين عبد الوهَّاب والجماعة.

وقيل: إنَّ هذه الواقعة جرت لابن شاشير الواعظ، [وابن شاشير مات في سبع وست مئة](٣).

وقيل له يوماً: ما تقول في أهل البيت؟ فقال: قد أعموني، وكان أعمش، [والسائل إنما سأله عن فضل بيت رسول الله ﷺ، فأجاب عن بيت نفسه. وقيل له: بأي شيء يتبين المحق من المبطل؟ فقال: بليمونة، أراد من يخضب يزول خضابه بليمونة](٣).

وكانت وفاته في شوال، ودفن بالحلبة. [سمع أباه، وأبا القاسم بن الحصين، وابن السمرقندي، وأبا الوقت وغيرهم](٣).

عُبيد الله بن يونس بن أحمد(٤)

أبو المُظَفَّر، جلال الدين، الوزير، الحَنْبَلي.

---

(١) له ترجمة في «ذيل تاريخ بغداد»: ١/ ٣٤٧ـ٣٤٨، «التكملة» للمنذري: ١/ ٢٨٩، و«المذيل من الروضتين»: ١/ ٧٥-٧٦، و«مشيخة النعال»: ١٣٢ـ١٣٣، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ١/ ٣٨٨ـ٣٩٠، «شذرات الذهب»: ٤/ ٣١٤، و«المقصد الأرشد» ٢/ ١٥٢، «المنهج الأحمد»: ٤/ ٥-٦.

(٢) ستأتي ترجمة ابنه عبد السلام ص٢٠٢ من هذا الجزء.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) له ترجمة في «ذيل تاريخ بغداد»: ٢/ ١٦٩ـ١٧٢، و«المذيل من الروضتين»: ١/ ٧٦-٧٧، و«المختصر المحتاج إليه»: ٢/ ١٨٣ـ١٨٤، و«عيون التواريخ»: ١١/ ٥٦٢، و«الوافي بالوفيات»: ١٩/ ٤٢٠ـ٤٢١، و«الفخري»: ص ٣٢٣، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ١/ ٣٩٢ـ٣٩٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٢٩٩ـ٣٠٠، و«النجوم الزاهرة» ٦/ ١٤٢، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

كان في بداية أمره أحدَ العدول ببغداد، ثم خَدَمَ في ديوان الأبنية، ولما مات أبوه توكَّل لأُم الخليفة، ثم ولي صاحب ديوان، ثم استوزره الخليفة وبعثه إلى طُغْريل، فكسره، وقد ذكرناه، وعاد إلى بغداد، فولاه الخليفة الديوان والمخزن، ثم ولاه أُستاذ دار، ثم عزله.

وكان قد قرأ القرآن وتفقَّه، وكان فاضلاً في الأُصولَين، والحساب، والهندسة، والجبر والمقابلة، غير أَنَّه شان فَضْلَه لَجاجُه ومخالفتُه الأمراء، وأخرب بيت الشيخ عبد القادر، وشتَّت أولاده، ويقال: إنه بعث في الليل مَنْ نَبَشَ الشيخ عبد القادر، ورمى عظامه في اللُّجَّة، وقال: هذا وقف ما يحِلُّ أن يدفن فيه أحد.

ولما اعتقله الخليفة كَتَبَ فتوى بأَنَّه كان سبباً لهزيمة العسكر، وذكر فيها أشياء أُخَر، فأفتَوْا بإباحة دمه، فَسُلِّم إلى أحمد بن الوزير ابن القَصَّاب، فبقي في داره، فلما مات ابنُ القَصَّاب اعتقل في التَّاج، فأُخرج في سابع عشر صفر ميتاً، ودفن بالسِّرْداب.

محمد بن صدقة[1] بن علي[2]

أبو المحاسن، البُوشَنْجي.

ولد سنة سبع عشرة وخمس مئة، واشتغل بالأدب، وبَرَعَ في الفَضْل، وكان يتوزَّر للأمراء، وقال يرثي أزدق بن قماح: [من الطويل]

سقى الله أرضاً ضمَّ أزدق عارضاً ... شآبيبه مُنْهَلَّةٌ كنَوالِهِ
فوالله لا جادَ الزَّمانُ بمِثْله ... ولا بَرِحَتْ عينُ العُلَى عن خيالِهِ

وقال:

بِتْنا وشعارُنا التُّقى والكرمُ ... والشَّمْلُ بساحةِ اللِّقا ملتئمُ
نشكو ونبثُّ ما خباه الألَمُ ... حتى بَسَمَ الصُّبْحُ ولاحَ العَلَمُ

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم شعراء العراق: ج١/ ٢٥٧-٢٥٩، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٢٨٨، و«الوافي بالوفيات»: ٣/ ١٥٩.

(٢) في «التكملة» و«الوافي»: محمد.

[وفيها توفي

يحيى بن أسعد[1]

ابن يحيى بن بَوْش، أبو القاسم الخباز، البغدادي.

سمع الكثير، وكان قد افتقر في آخر عمره، فكان يأخذ على التسميع أجرة، جلس ليلة ثالث ذي القعدة يأكل خبزاً، فغصَّ بلقمة، فمات فجأة، سمع قاضي المارَسْتان، وأبا العز بن كادش، وأبا سعد بن الطيوري، وأبا طالب بن يوسف، وهو آخر من روى عن أبي طالب، وقد سمعتُ منه الحديث، وكان ثقة][2].

السنة الرابعة والتسعون وخمس مئة

فيها ولى الخليفة شمسَ الدِّين أبا الحسن عليَّ بن عبد السيد قضاء الجانب الغربي ببغداد مضافاً إلى الحِسْبة، وعَزَلَ عمادَ الدِّين عبد الله بن الحسين ابن الدَّامَغَاني عن قضاء القُضَاة، وولى مكانه أحمد بن علي البخاري، وولى شرف الدِّين أبا القاسم النَّاقد المخزنَ، ومات في الوِزارة.

وفيها نَزَلَ الفرنج في المحرَّم على تِبْنين، فأرسل العادل محيي الدِّين بن زكي الدِّين إلى العزيز إلى مِصْر يستنجده، فخرج بجيوشه إلى الشَّام، فوصل ثالث ربيع الأول، وكانوا قد ضايقوا الحِصْن ونقبوه من كلِّ ناحية، وأشرف على الأخذ، وهدُّوه بالمجانيق، [ونقبوه سرباً سرباً][2]، وكانوا يستظلون بالأسراب من المطر، وجعلوا النقوب بيوتاً يسكنونها، وكان الفرنج يحدِّثون المُسْلمين من النُّقوب، وكان العادل نازلاً عند هونين، ومعه شيركوه صاحب حِمْص، والأمجد صاحب بَعْلَبَك، وعز الدين ابن المقدَّم، ودُلْدُرُم صاحب تل باشر، وجاءهم العزيز، فساروا جميعاً إلى هُونين، فلو تأخَّروا يوماً أُخذت تبنين، وقُتِلَ كلّ مَن فيها، وأرسل الله في تلك الليلة مطراً شديداً وريحاً عظيمة، وأوقع في قلوب الفرنج

---

(١) له ترجمة في «إكمال الإكمال» لابن الصابوني: ١١٠، ٢٣١، «التكملة» للمنذري: ١/ ٢٩٠-٢٩١، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٧٧، «مشيخة النعال»: ١٣٣-١٣٥، «سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٢٤٣-٢٤٤، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الرُّعْب وقيل: جاءكم سُلْطان مِصْر والعساكر. فتركوا المجانيق والدَّبَّابات والآلات بحالها، والخيم وما فيها، وهربوا في اللَّيل إلى صور، ثم بعثوا يطلبون الصُّلْح، فصالحهم العزيز على قاعدة صُلْح صلاحِ الدِّين، وخَلَعَ العزيز على المُعَظَّم عيسى بن العادل، وأعطاه سنجقاً ومنشوراً بدمشق، وعاد إلى مِصْر، ومضى العادل إلى ماردين، فحصرها في رمضان، وملك الرَّبَض، ولم يبق سوى القلعة.

وحجَّ بالنَّاس من بغداد أيلبا، ومن الشَّام زين الدين قَرَاجا مملوك صلاح الدين.

وفيها توفي

جُرْديك بن عبد الله النُّوري(١)

كان من أكابر أمراء نور الدين، [ثم خدم صلاح الدين](٢) في جميع غَزَواته، وهو الذي قَتَلَ شاور بمِصْر وابنَ الخَشَّاب بحلب، وكان جَوَاداً، ولاه صلاح الدين القُدْس، ثم أخذه منه الأفضل، [وولاه أبا الهيجاء، وقد ذكرناه](٢).

حسن بن مُسَلَّم بن أبي الحسن(٣)

أبو علي، الشيخ الزَّاهد، الحَنْبلي، الفارسي: من قريةٍ بنهر عيسى يقال لها الفارسية، كان من الأبدال، لازماً طريق السَّلَف، أقام أربعين سنة لم يكلِّم أحداً من النَّاس، وكان صائم الدَّهْر، وقائم اللَّيل، يقرأ كل يوم وليلة ختمة.

[وذكره جدي في صفوة الصفوة، وقال: وكان](٢) زاهد زمانه، وكانت السِّباع تأوي إلى زاويته، و[كان](٢) الخليفة وأرباب الدَّولة يمشون إلى زيارته. [وحدثني عنه شيخنا عبد الكريم ابن أخيه، وكان صالحاً، قال: كان عمي الشيخ حسن](٢) يتمثل دائماً [بهذا البيت](٢): [من الطويل]

وما كنتُ إلا مثل قابضِ كَفِّه ... على الماءِ خانَتْه فروجُ الأصابعِ

---

(١) سلفت أخباره في هذا الكتاب.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ترجمته في «معجم البلدان»: ٢/ ٣١٨، ٣/ ٢٢٨، «التكملة لوفيات النقلة»: ١/ ٣٠٠-٣٠١، «المختصر المحتاج إليه»: ٢/ ٢٦، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٧٨-٧٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٠١-٣٠٢، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

وكانت وفاته يوم عاشوراء، ودُفِنَ في رباطه بالفارسية[(١)].

قال المصنِّف رحمه الله: وقد زُرْتُه، وحكى لي جماعةٌ عن مشايخ القرية أَنَّ السِّباع تنامُ طول الليل حول زاويته، وإذا خرج أحدٌ من القرية في الليل إلى نهر عيسى لم تتعرَّض له، وأَنَّ فقيراً نام في الزَّاوية في ليلةٍ باردة، فاحتلم، فنزل إلى النهر ليغتسل، فجاء السَّبُع فنام على جُبَّته، فكاد الفقير يموت من البَرْد والخوف، فخرج الشيخ حسن، وجاء إلى السَّبُع، وضربه بكُمِّه وقال: يا مبارك، قد قلنا لك: لا تتعرَّض لضيفنا. فقام السَّبُع يهرول.

[سمع قاضي المارستان، وابن الحُصَيْن، وابن الطيوري، وغيرهم][(٢)].

زَنْكي بن مودود[(٣)]

ابن زَنْكي بن آق سُنْقُر، عماد الدين، صاحب سِنْجار، ابن أخي نور الدِّين، [وقد ذكرناه في السنين، و][(٢)] كان عاقلاً جواداً [وهو الذي قايض حلب بسنجار][(٢)]، ولم يزل مع [السلطان][(٢)] صلاح الدين في غزواته مجاهداً، وكان ميمونَ النقيبة، وكان صلاح الدين يحترمه مثلما كان يحترم نور الدين، ويعطيه الأموال والهدايا والتُّحَف الكثيرة، ولما توفي صلاح الدين خَرَجَ مع أخيه عِزِّ الدِّين إلى لقاء العادل، ولما عاد عِزُّ الدِّين إلى المَوْصل صالح عمادُ الدين العادلَ، وكانت وفاته بسِنْجار، ولما احتُضر أوصى إلى أكبر أولاده، وهو قُطْب الدين محمد، ويلقب بالملك المنصور.

علي بن جابر بن زهير قاضي البطائح[(٤)]

قال: أنشدني القاسم بن علي صاحب المقامات لنفسه: [من البسيط]

---

(١) لم أجد ترجمته في مطبوع «صفة الصفوة» الذي بين يدي.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٧٩، «وفيات الأعيان»: ٢/ ٣٣٠_٣٣١، و«الوافي بالوفيات»: ١٤/ ٢٢٣_٢٢٤، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٤٤، «الدارس»: ١/ ٦١٧.

(٤) له ترجمة في «معجم البلدان»: ٣/ ١٧٢، وفيه علي بن رجاء، وهو خطأ، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ٣/ ٢٣٤_٢٣٥، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٣١٦، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٨٠، وانظر تعليقي عليه، «المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ١٢٠، و«البداية والنهاية» (وفيات سنة ٥٩٤هـ).

لا تَـخْـطُـوَنَّ إلـى خِـطءٍ ولا خـطـأ من بَعْدِ ما الشَّيْبُ في فَوْدَيْكَ قد وَخَطَا
فـأيُّ عُـذْرٍ لـمـن شـابَـتْ ذوائِـبُـهُ إذا سعى في ميادين الصِّبا وخَطَا

علي بن علي بن ناصر(١)

أبو المجد، السيد العلوي [الحنفي](٢)، مدرِّس الحنفية ببغداد.

ولد سنة خمس عشرة وخمس مئة، [وتفقه على مذهب أبي حنيفة، وبرع فيه، وأفتى وناظر](٢)، وكان المستنجد قد حبسه وطالبه بمالٍ، فرأى النبيَّ ﷺ في المنام، فقال له: يا يوسف، استوص بولدي خيراً، فهو وديعتي عندك. فانتبه [الخليفة](٢) مرعوباً، وأحضره وخاطبه، وقال [له](٢): اجعلني في حِلٍّ، فقد شَفَعَ فيك من لا يمكنني رَدّه. وأحسن إليه [غاية الإحسان، وأكرمه وقربه منه](٢)، وكانت وفاته في ربيع الأول، ودُفِنَ عند مشهد عبيد الله شرقي بغداد، وكان صالحاً شريفاً على الحقيقة، [سمع ابن الحُصَيْن، وقاضي المارَسْتان وابن السمرقندي، وغيرهم](٢).

قيماز بن عبد الله(٣)

مجاهد الدِّين، الخادم الرُّومي(٤)، الحاكم على المَوْصل، وهو الذي بنى الجامع المجاهدي والمدرسة، والرِّباط، والمارَسْتان بظاهر المَوْصل على دِجْلة، ووَقَفَ عليهم الأوقاف، وكان عليه رواتب كثيرة بحيث لم يَدَعْ في المَوْصل بيتاً فقيراً إلا وأغنى أهله، وكان دَيِّناً صالحاً، عادلاً كريماً، يتصدَّق كل يوم خارجاً عن الرَّواتب بمئة دينار، وله حكاياتٌ مشهورة.

---

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ١٣٩، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٣٠٣، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٨٠-٨١، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ١٣٠، و«الوافي بالوفيات»: ٢١/ ٣٣٨ـ٣٣٩، و«الجواهر المضية»: ٢/ ٥٨٤ـ٥٨٥، وفيه وفاته سنة ٥٩٩هـ، وهو خطأ.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ١٥٣ـ١٥٤، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٣٢٣، و«الروضتين»: ٢/ ٤٥٣ـ٤٥٤، «وفيات الأعيان»: ٤/ ٨٢ـ٨٤، «مفرج الكروب»: ٢/ ١٥٣ـ١٥٤، ووفاته عندهم سنة ٥٩٥هـ، وكذلك أرخ وفاته ابن كثير في «البداية والنهاية»، وتابع المصنف على وفاته سنة ٥٩٤هـ أبو شامة في «المذيل»: ١/ ٨١-٨٢، وابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٤٤.

(٤) الرومي هكذا جاءت في (ح)، وكذلك هي في نسخ «المذيل» و«النجوم الزاهرة»، وهو تحريف، صوابها الزيني، نسبة إلى زين الدين علي بن بكتكين، وكان عتيقه، كما في مصادر ترجمته.

ولما مات عِزُّ الدِّين مسعود، وولي ابنُه رسلان شاه حَبَسه وضيَّق عليه وآذاه، فتوفي في الحبس، فأُخرج ملفوفاً في كِساء، فلما وصل إلى باب البلد قال البوابون: قفوا حتى نستأذن له، فأُلقي على قارعة الطريق حتى أُذِنَ له.

وكان لعِزِّ الدين مسعود جاريةٌ يقال لها أقصرا أَوْلَدها الجهة الأتابكية[1] التي بَنَتْ في قاسيون التُّرْبة والمدرسة، وكانت زوجةَ الملك الأشرف رحمه الله، وكان عِزُّ الدِّين قد زوَّج أقصرا أم الأتابكية مجاهدَ الدين قيماز.

يحيى بن سعيد[2]

ابن هبة الله، أبو طالب ابن زَبَادة الواسطي، ولد سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة، وقَدِمَ بغداد، واشتغل بالأدب، فَبَرَعَ في الإنشاء والكتابة، وانتهت إليه الرياسة فيهما مع تخصُّصه بفنون العلوم، كالفِقْه وعلم الكلام والأُصول والحساب والشِّعْر، جالسَ أبا المنصور ابنَ الجواليقي، وقرأ عليه، وسَمِعَ أبا القاسم ابن الصَّباغ وغيره، وولي للخليفة عِدَّة خِدَم: حِجْبة الباب، ثم أستاذية الدار، ثم كتابة الإنشاء في آخر أمره، وكانت وفاتُه في ذي الحجة، ودُفِنَ بمقابر قريش، ومن شعره [من المجتث]:

الوَجْهُ كالبَرْقِ يخفق ... حيناً وفي الحال يخفى
فتارةً يتلالا ... وتارةً يتخفَّى
يظميك طوراً وطوراً ... يَسْقيك رِيًّا ورَشْفا
لو كنت في الحب صِرْفاً ... سَقَوْك في الحال صرفا

وقال: [من الخفيف]

قد سَلَوْتُ الدُّنيا ولم يَسْلُها مَنْ ... عَلِقَتْ بي آمالُه والأراجي
فإذا ما صَرَفْتُ وَجْهيَ عنها ... قَذَفُوني في بحرِها العَجَّاجِ
يستضيئونَ بي وأَهْلِكُ وَحْدي ... فكأنِّي ذُبالةٌ في سراجِ

(١) ستأتي ترجمتها سنة (٦٤٠هـ).

(٢) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ٢٠/ ١٦ـ١٧، «الكامل»: ١٢/ ١٣٨، «التكملة» للمنذري: ١/ ٣١٥، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٨٢-٨٣، «وفيات الأعيان»: ٦/ ٢٤٤ـ٢٤٩، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ٢٤٢ـ٢٤٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٣٦ـ٣٣٣، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

قلت[1]: هذا مقدار ما ذكره المصنِّف رحمه الله، وقد ذكره قاضي القضاة شمس الدين ابن خَلِّكان رحمه الله في «وَفَيات الأعيان» فقال: أبو طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد بن أبي القاسم هبة الله بن علي بن زبادة الشَّيباني، الكاتب المنشىء، الواسطي الأصل، البغدادي المولد والدَّار والوفاة، الملقب قِوَام الدين، انتهت إليه المعرفة بأمور الكتابة والإنشاء وغير ذلك، وله النَّظْم الجيد، جالَسَ ابن الجواليقي، وقرأ عليه وعلى مَنْ بعده، وسمع الحديث من جماعة، وخَدَمَ الدِّيوان من صباه إلى أن توفي عِدَّة خدمات، وكان مليحَ العبارة في الإنشاء، جَيِّدَ الفكرة، حلو التوضيح، لطيف الإشارة، وكان الغالب عليه في رسائله العناية بالمعاني أكثر من طلب التسجيع، وله رسائل بليغة، وشعرٌ رائق، وفَضْله أشهر من أن يذكر.

وتولى النظر بديوان البَصْرة وواسط والحِلَّة، ولم يزل على ذلك إلى أن طُلب من واسط في المحرم سنة خمس وسبعين وخمس مئة، ورتِّب حاجباً بباب النوبي، وقُلِّد النَّظر في المظالم، ثم عُزِل عن ذلك في شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين، فلما قتل أُستاذ الدَّار ـ وهو مجد الدين أبو الفَضْل هبة الله بن علي بن هبة الله بن محمد بن الحسن المعروف بابن الصاحب، وكان قَتْلُه يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين ـ ترتَّب ابن زبادة المذكور مكانه، ثم عُزِلَ في سنة خمس وثمانين، وعاد إلى واسط، فأقام بها إلى أن استدعي في شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين، وقُلّد ديوان الإنشاء في يوم الاثنين الثَّاني والعشرين من شهر رمضان، ثم رُدَّ إليه النظر في ديوان المقاطعات، فكان على ذلك إلى حين وفاته.

وكان حَسَنَ السِّيرة، محمود الطَّريقة، متديناً، حدَّث بشيءٍ يسير، وكتب النَّاس عنه كثيراً من نَظْمه ونَثْره، فمن ذلك قوله: [من الخفيف]

باضطِّراب الزَّمان ترتفع الأنـ ـذالُ فيه حتى يعمَّ البلاءُ
وكذا الماء ساكناً فإذا حُـرِّ ك ثارتْ من قعره الأقذاءُ

(١) القائل هو قطب الدين اليونيني، مختصر «مرآة الزمان».

وله أيضاً : [من البسيط]

إنـي لأعـظـمُ مـا يـلـقـونـنـي جَـلَـداً إذا تـوسَّـطْـتُ هـولَ الـحـادثِ الـنـكـد
كـذلـك الـشَّـمْـسُ لا تَـزْدَاد قُـوَّتـهـا إلا إذا حَـصَـلَـتْ فـي زبـرة الأَسَـدِ

وكتب إلى الإمام المستنجد يهنيه بالعيد : [من البسيط]

يـا مـاجـداً جـلَّ قـدراً أن نـهـنـيـه لـنـا الـهـنـاءُ بـظـلٍّ مـنـكَ مـمـدودِ
الـدَّهْـرُ أنـتَ ويـوم الـعـيـد مـنـك ومـا في العرف أنـا نُهَنِّي الـدَّهْرَ بـالـعيدِ

وله أيضاً : [من الكامل]

إنْ كـنـتَ تـسـعـى لـلـسـعـادة فـاسـتـقـمْ تـنـلِ الـمـرادَ ولـو سـموتَ إلى الـسَّـمـا
ألـفُ الـكـتـابـة وهـو بـعـضُ حـروفـهـا لـمـا اسـتـقـام عـلى الـجـمـيـعِ تـقـدَّمـا

وقال : [من البسيط]

لا تـغـبـطـنَّ وزيـراً لـلـمـلـوك وإنْ أنـالـه الـدَّهْـرُ مـنـهـم فـوق هِـمَّـتِـهِ
واعـلـمْ بـأن لـه يـومـاً تـمـورُ بـه الـ أرضُ الـوقـورُ كـمـا مـارت لـهـيـبـتـه
هـارون وهـو أخـو موسى الـشـقـيـق لـه لـولا الـوزارةُ لـم يـأخـذ بـلـحـيـتـه

وله كل معنًى مليح، وله ديوانُ رسائل وقفت عليه في بلادنا، ولم يحضرني شيءٌ منه كي أثبته ها هنا.

وقال أبو عبد الله محمد بن سعيد الدّبيثي في «تاريخه»: أنشدنا أبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله ـ يعني ابن زبادة المذكور ـ من حِفْظه، قال: أنشدني أبو بكر أحمد بن محمد الأرَّجاني لما قدم بغداد علينا في سنة ثمانٍ وثلاثين وخمس مئة لنفسه: [من الطويل]

ومقسومةِ الـعـيـنـين من دَهَش الـنَّوى وقـد راعـهـا بـالـعـيـس رَجْـعُ حُـداءِ
تـجـيـبُ بـإحـدى مـقـلـتـيـهـا تـحـيـتـي وأُخـرى تـراعـي أعـيـنَ الـرُّقـبـاء
رأت حولها الـواشين طافوا فغيضت لـهـم دمـعـهـا واسـتـعـصـمـتْ بـحـيـاءِ
فـلـمَّـا بـكـت عـيـنـي غـداةَ وداعـهـمْ وقـد روَّعـتـنـي فـرقـةُ الـقُـرَنـاء
بـدت في مـحـيَّـاهـا خـيـالاتُ أدمـعـي فـغـاروا وظـنُّـوا أنْ بـكـت لـبـكـائـي

وكَتَبَ إليه أبو الغنائم محمد بن علي المعروف بابن المعلم الهُرْثي الشَّاعر، وقد عُزِلَ عن نظر واسط: [من الكامل]

ولأنتَ إن لم يبللِ الغيثُ الثَّرى تروي الورى بسماحك الهتَّانِ
لم يعزلوك عن البلاد لحالةٍ تدعو إلى النقصان والشنآنِ
بل مُذْ رأوا آثارَ جودكَ زاخراً حفظوا بلادهمُ مِنَ الطوفان

وحكى الوجيه أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن سويد التَّاجر التكريتي، قال: كان الشيخ محيي الدين أبو المُظَفَّر يوسف بن الحافظ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي؛ الواعظ المشهور، قد توجَّه رسولاً من بغداد إلى الملك العادل ابن الملك الكامل ابن الملك العادل بن أيوب سُلْطان مِصْر في ذلك الوقت، وكان أخوه الملك الصَّالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محبوساً في قلعة الكَرَك يومئذٍ، فلما عاد محيي الدِّين راجعاً إلى بغداد، وقَدِمَ دمشق كنت بها، فدخلت عليه أنا والشيخ أصيل الدين أبو الفَضْل عباس بن عثمان بن نبهان الإِرْبلي، وكان رئيس التجار في عَصْره، وجلسنا نتحدَّث معه، فقال: قد حلَّفت الملك النَّاصر داود صاحب الكَرَك أن لا يُخرج الملك الصَّالح من الحبس إلا بأمر أخيه الملك العادل، فقال له الأصيل: يا مولانا، هذا بأمر الدِّيوان العزيز؟ فقال محيي الدِّين: وهل هذا يحتاج إلى إذن؟ هذا اقتضته المصلحة، ولكن أنت تاريخ يا أصيل، فقال ـ يعني مولانا ـ: إني قد كبرت، وما أدري ما أقول، وأنا أحكي لمولانا حكاية في هذا المعنى أعرفها من غرائب الحكايات. قال: هاتِ. فقال: كان ابن رئيس الرؤساء ناظر واسط يحمل في كلِّ شهر حمل واسط، وهو ثلاثون ألف دينار، لا يمكن أن يتأخر يوماً عن العادة، فتعذَّر في بعض الأشهر كمال الحمل، فضاق صدره لذلك وذكره لنوابه، فقالوا له: يا مولانا، هذا ابن زبادة عليه من الحقوق أضعاف ذلك، ومتى حاسبته قام بما يتم الحمل وزيادة، فاستدعاه وقال له: أنت لم لا تؤدي كما يؤدِّي الناس؟ فقال: أنا معي خط الإمام المستنجد بالمسامحة، قال: فهل معك خط مولانا الإمام النَّاصر؟ قال: لا. قال: قم واحمل ما يجبُ عليك. قال: ما ألتفتُ إلى أحد ولا أحمل شيئاً. ونَهَضَ من المجلس، فقال النواب لابن رئيس الرؤساء: أنت صاحبُ الوسادتين وناظر النظار، ما على يدك يد، ومن هو هذا حتى يقابلك بمثل هذا القول؟ ولو كبست داره وأخذت ما فيها ما قال لك أحد شيئاً. وحملوه حتى ركب بنفسه وأجناده، وكان ابن زبادة يسكن قبالة

واسط، وقدَّموا لابن رئيس الرؤساء السفن حتى يعبر إليه، وإذ بزَبْزب قد قدم من بغداد، فقال: ما قدم هذا إلا في مهم، ننظر ما هو، ثم نعود إلى ما نحن بسببه، فلما دنا من الزبزب، فإذا فيه خدم من خدام الخليفة، فصاحوا به: الأرض الأرض، فقبَّل الأرض، وناولوه مطالعة، وفيها: قد بعثنا خِلْعة ودواة لابنِ زبادة، فتحمل الخلعة على رأسك والدَّواة على صَدْرك، وتمشي راجلاً إليه، وتلبسه الخلعة، وتجهزه إلينا وزيراً. فحمل الخِلْعة على رأسه، والدَّواة على صدره، ومشى إليه راجلاً، فلما رآه ابن زبادة أنشده ابن رئيس الرؤساء: [من الطويل]

إذا المرء حيٌّ فهو يُرْجى ويتَّقى وما يعلمُ الإنسان ما في المغيَّبِ

وأخذ يعتذر إليه، فقال ابن زبادة: لا تثريب عليكم اليوم. وركب في الزَّبزب إلى بغداد، وما علموا أنَّ أحداً أُرسلت إليه الوزارة غيره، فلما وصل إلى بغداد أول ما نظر فيه أن عزل ابن رئيس الرؤساء عن نظر واسط، وقال: هذا ما يصلح لهذا المنصب، ثم قال الأصيل: ولا يأمن يا مولانا أن يخرج الملك الصَّالح، ويملك وتعود إليه رسولاً، ويقع وجهك في وجهه، وتستحي منه، فأنشده محيي الدين [من الطويل]:

وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشرَ في الموتى كليبٌ لوائل

فما كان إلا مديدة حتى خرج الملك الصَّالح من حبس الكَرَك، وملك مصر، وكان ما كان.

قال قاضي القضاة رحمه الله: وكنتُ بمصر ومحيي الدِّين بها رسول إلى العادل، وقُبض العادل، وجاء الصَّالح، فخرج محيي الدين التقاه، وشاهدتُ ذلك.

هكذا ذكر الوجيه هذه الحكاية، وفيها غلط إما من الوجيه أو من الأصيل، فإنَّ ابن زبادة ما ولي الوزارة ولا تولى إلا ما ذكرته في أوائل ترجمته، فإنْ كان هذا صحيحاً فيكون ذلك لما طلب للإنشاء كما شرحته. والله أعلم بالصَّواب.

قال ابن الدبيثي: سألتُ أبا طالب ابن زبادة عن مولده فقال: ولدت في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة، وتوفي ليلة الجمعة السابع والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وتسعين وخمس مئة، وصلي عليه بجامع القصر، ودُفِنَ بالجانب الغربي بمشهد الإمام موسى بن جعفر ﵄ ببغداد. انتهى كلام قاضي القضاة، رحمه الله[1].

---

(١) «وفيات الأعيان»: ٦/ ٢٤٤-٢٤٩ .

قلتُ[١]: ويحيى ابن زبادة هو منشئُ الرِّسالة إلى السُّلْطان صلاح الدين ـ رحمه الله ـ تتضمن العَتْب عليه، وقد أثبتها فيما تقدَّم[٢]، وهي من غُرَر الرَّسائل.

أبو الهيجاء السَّمين[٣]

حسام الدين الكُرْدي. قد ذكرنا أَنَّه قَدِمَ بغداد، وبعثه الخليفةُ إلى هَمَذَان، فلم يتمَّ له أمر، واختلف الأمراء عليه، وتفرَّق عنه أصحابه، فخاف من الخُوارَزْمي، واستحيا أن يعود إلى بغداد، فسار يطلب الشَّام على دَقُوقا، فلما وصل إليها مرض، وأقام بها أياماً، فتوفي، و[بلغني أنه][٤] كان نازلاً على تل، فقال: ادفنوني فيه، فحفروا له قبراً على رأس التَّلِّ، فظهرت بلاطةٌ عليها اسم أبيه، فدفنوه عليه.

السنة الخامسة والتسعون وخمس مئة

دخلت هذه السنة والعادل على مارِدِين، وتوفي الملك العزيز في المحرَّم، وكتبت الصَّلاحية إلى الأفضل وهو بصَرْخد ليقدم عليهم، فسار إلى مِصْر، فجعلوه أتابَك ولد العزيز.

قال المصنف رحمه الله: وفيها وقف خالي محيي الدين أبو محمد يوسف [للخليفة في رجب، ومعه قصة ببستان يقال له دولاب البقل][٤] يذكر فيها ما نال جَدِّي وأهله من الضُّرّ، وكان نجاح الشرابي بين يدي الخليفة، فجاء، فأخذ الورقة، وقال له [الشرابي][٤]: تعال إلى باب البَدْرية، ووقعوا له بالإفراج عنه، فقَدِمَ جَدِّي بغداد في شعبان، وخُلِعَ عليه، وجلس عند تُرْبة أُمِّ الخليفة، وكانت تتعصَّب له، وساعدت في خلاصه، وأنشد جدِّي للشَّريف الرَّضي: [من السريع]

إن كان لي ذنبٌ ولم آته   فاستأنفِ العَفْوَ وَهَبْ ما مضى

[وهذا الشّعْر للرَّضي الموسوي، وقد ذكرناه في ترجمته][٤].

---

(١) هو قطب الدين اليونيني، مختصر الكتاب.

(٢) سلفت الرسالة في حوادث سنة (٥٨٣هـ)، ص٣٢٥ من الجزء ٢١ من هذا الكتاب.

(٣) سلفت أخباره في هذا الكتاب.

(٤) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

وأنشد أيضاً: [من الوافر]

شَقِيْنا بالنَّوى زمناً فلما تلاقَيْنا كأنَّا ما شَقِيْنا
سَخِطْنا عندما جَنَتِ الليالي فما زالتْ بنا حتى رَضِيْنا
سَعِدْنا بالوِصَال وكم سُقِيْنا بكاساتِ الصُّدودِ وكم ضنينا
فَمَنْ لم يحيَ بعدَ الموتِ يوماً فإنَّا بعدما مُتْنا حَيِيْنا

[وقد ذكرنا الأبيات][١].

وفيها استدعى الخليفةُ ضياءَ الدِّين بن الشَّهْرُزُوري إلى بغداد، وولاه القضاء.

وحجَّ بالنَّاس مُظَفَّر الدِّين وجه السَّبُع.

وفيها توفي

الملك العزيز عثمان[٢]

ابن [يوسف][١] صلاح الدين، صاحب مِصْر، [وقد ذكرنا أنه ولد في سنة سبع وستين وخمس مئة][١]، كان صلاح الدين يحبُّه، وكان جَوَاداً، سَمْحاً، عادلاً مُنْصفاً، لطيفاً كثير الخير، رفيقاً بالرَّعية، حليماً.

قال المصنف رحمه الله: حكى لي المبارز سُنْقُر الحلبي رحمه الله، قال: ضاق ما بيده بمِصْر، فلم يبق بالخزانة دِرْهم ولا دينار، فجاء رجلٌ من أهل الصَّعيد إلى أزكش سيف الدين، فقال: عندي للسُّلْطان عشرة آلاف دينار، ولك ألف دينار، وتوليني قضاء الصَّعيد، فدخل أزكش على العزيز فأخبره، فقال: والله لا بعت دماء المُسْلمين وأموالهم بملك الأرض، وكَتَبَ ورقةً إلى أزكش بألف دينار، وقال: اخرج، فاطرد هذا الدبر، ولولاك لأدَّبته.

وقد ذكرنا أنه وَهَبَ دمشق للمعظَّم، وكان يطلق عشرة آلاف دينار وعشرين ألفاً، وكان سببُ وفاته أنَّه خرج إلى الفيوم يتصيَّد، فَلاحَ له ظبيٌّ، فركض خَلْفه [فكبا به

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في: «الكامل»: ١٢/ ١٤٠، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٣٢٠، و«كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٤٣، «ووفيات الأعيان»: ٣/ ٢٥١-٢٥٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٢٩١-٢٩٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

الفرس، فدخل قربوس السرج في فؤاده، فحمل إلى القاهرة، فمات][1] في العشرين من المحرَّم، ودُفِنَ عند الشَّافعي ـ رحمة الله عليه ـ عن سبعٍ وعشرين سنة وشهور. وقيل: عن ثمانٍ وعشرين سنة.

وقال ابنُ القادسي: كان قد ركب وتبع غزالة، [فوقع][1] فاندقت عُنُقه، وبقي أربعة أيام، ومات، ونَصَّ على ولده إنْ أمضى العادل ذلك، وكانت الوصية إلى أميرٍ كبير اسمه أزكش، فوثبتِ الأسديةُ عليه، فقتلوه.

قال المصنِّف رحمه الله: وهذه من هَنَات ابن القادسي [بقوله: اندقت عنقه][1]، فإنَّ الملك العزيز ما اندقَّت عنقه، وإنما دخل قربوس السَّرج في فؤاده، وأقام بالقاهرة أسبوعين، ونصَّ على ولده ناصر الدين محمد، وهو أكبر أولاده، وكان له عشرة أولاد، ولم يذكر عمَّه العادل في الوصية. فأما سيف الدين أزكش فكان مقدَّم الأسدية، كبيرَ القَدْرِ فيهم، وعاش بعد العزيز مُدَّة طويلة، [وسنذكره][1].

ذِكْرُ ما جرى بعد وفاته:

كان لابنه محمد عشر سنين، وكان مقدَّم الصَّلاحية فخر الدين شركس وأسد الدين سراسُنْقُر وزين الدين قَرَاجا، فاتَّفقوا على ناصرِ الدّين محمد، وحلَّفوا له الأُمراء، وكان سيف الدين أزكوش مقدَّم الأسدية غائباً بأسوان، فقدم، فصوَّب رأيهم وما فعلوه، إلا أنَّه قال: هو صغير السِّنِّ لا ينهض بأعباء الملك، ولا بُدَّ من تدبيرٍ كبيرٍ يحسم الموادَّ، ويقيم الأمور، والعادِلُ مشغولٌ في الشَّرْق بمارِدِين، وما ثَمَّ أقرب من الأفضل نجعله أتابك العَسْكر، فلم يمكن الصَّلاحية مخالفة الأسدية، وقالوا: افعلوا، فكتَبَ أزكش إلى الأفضل يستدعيه وهو بصَرْخَد، وكتبتِ الصَّلاحية إلى مَنْ في دمشق من أصحابهم يقولون: قد اتفقتِ الأسدية على الأفضل، وإن مَلَكَ حكموا علينا، فامنعوه من المجيء. فركب عسكر دمشق ليمنعوه، ففاتهم، وكان الأفضل قد التقى نجَّاباً من شركس إلى مَنْ في دمشق بهذا المعنى، ومعه كُتُبٌ، فأخذها منه وقال: ارجعْ، فرجَعَ إلى مِصْر، ولما وصل الأفضل إلى مِصْر التقاه الأسدية والصَّلاحية، ورأى شركس النجاب، فقال: ما أسرعَ ما عُدْتَ، فأخبره الخبر،

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

فساق هو وقَراجا إلى القُدْس، فتحصَّنا به، ثم أشارتِ الأسديةُ على الأفضل بقَصْد دمشق، وأَنَّ العادل مشغول بمارِدِين، فكتب إلى الظَّاهر، فأجابه، وقال: أقدم حتى أساعدك.

[ذِكْرُ حصار دمشق:

فقام الأفضل، وسار][1] بالعساكر إلى الشَّام، واستناب بمِصْر سيف الدين أزكوش، ووصل دمشق في شعبان، فأحدق بها، وبلغ العادل و[هو][2] على مارِدِين، وقد أقام عليها عشرة أشهر ولم يبق إلا تسليمُها، وصَعِدَتْ أعلامُه على القلعة، وسمعوا بوفاة العزيز فتوقَّفوا، فرحل العادل [عنها][2]، وترك ولده الكامل عليها، وجاء العادل ومعه دُلْدُرُم وابنُ المقدَّم وجماعةٌ من الأمراء، وكان الأفضل نازلاً في الميدان الأخضر، فأشار عليه جماعةٌ من الأمراء أن يتأخر إلى مشهد القدم حتى يصل الظَّاهر وصاحب حِمْص والأُمراء، وكانت مكيدةً، فتأخَّر إلى مشهد القدم، ودخل العادل ومَنْ معه إلى دمشق، وجاء الظَّاهر بعسكر حلب، وجاء عسكر حماة وحمص، وبشارة من بانياس، وعسكر الحصون، وسعد الدين مسعود صاحب صفد، وضايقوا البلد، وكسروا باب السَّلامة، وجاء آخرون إلى باب الفراديس ـ [فيقال: إنَّ الناصح ابن الحنبلي والشهاب وأصحابهما كسروا باب الفراديس][2] ـ وكان العادل في القلعة قد استأمن إليه جماعةٌ من المِصْريين مثل ابن كهدان ومثقال الجمدار الخادم، وبلغه، فركب، وخرج إليهم، وجاء إلى جيرون، والمجد أخو الفقيه عيسى قائمٌ على فرسه يشرب الفُقَّاع، فصاح العادل: يا فَعَلة، يا صَنَعة، إلى ها هنا، فانهزموا وخرجوا، فأغلق باب السَّلامة، وجاء إلى باب الفراديس فوجدهم قد كسروا الأقفال بالمزربَّات، فقال: من فعل هذا؟ قالوا: الحنابلة، فسكتَ، ولم يقل شيئاً.

قال المصنف رحمه الله: وحكى لي المُعَظَّم عيسى رحمه الله، قال: لما رجعنا من باب الفراديس، ووصلنا إلى باب مدرسة الحنابلة رُمي على رأس أبي حُبُّ[3] الزَّيت، فأخطأه، ووقع في رقبة الحصان، فوقع ميتاً، فنزل أبي وركب غيره، ولم ينطق بكلمة.

---

(١) في (ح): فسار الأفضل بالعساكر إلى الشام، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) الحُبُّ: الخابية يجعل فيها الزيت، انظر «اللسان» (حبب).

وجاء شركس وقراجا في الليل من جبل سُنَيْر، فدخلا دمشق، وأما المواصلة فساقوا على الكامل، فرحَّلوه من مارِدِين، فجاء يقصد دمشق، وجمع التركمان.

وأما دمشق فإنَّه لما اشتدَّ الحصارُ عليها، وقطعوا أشجارها ومياهها الدَّاخلة إليها انقطعت عن أهلها المِيْرة، وضجُّوا، فبعث العادلُ إلى الظَّاهر يقول: أنا أُسلِّم إليك دمشق على أن تكون أنتَ السُّلْطان، وتكون دمشق لك لا للأفضل. فَطَمِعَ الظَّاهر، وأرسل إلى الأفضل يقول: أنت صاحب مِصْر، فآثِرْني بدمشق. فقال: دمشق لي مِنْ أبي، وإنما أُخذت مني غَصْباً، فلا أُعطيها لأحدٍ.

فوقع الخُلْف بينهما، ووقع التَّقاعد، وخرجت السنةُ على هذا.

ولما مات العزيز كَتَبَ الفاضل إلى العادل يعزيه يقول: أدام الله أيام مولانا الملك العادل، وفَدَتِ النُّفوس نَفْسَه الكريمة، وأحياه الله حياةً طيبة، يقفُ فيها في المواقف الجسيمة، وينقلب عنها بالأمور السَّالمة والعواقب السَّليمة، ولا نقَّص الله له عَدَداً ولا عُدداً، ولا أعدمه نَفْساً ولا ولداً، ولا كدَّر له مشرباً ولا مورداً، وأعظم أجره في ولده الملك العزيز، رحم الله ذلك الوجه الكريم ونَضَّرَه، وإلى سبل الجَنَّة يَسَّره: [من الكامل]

وإذا محاسنُ وَجْهه بَلِيَتْ ... فعفا البلى عن وجهه الحَسَنِ

قال: وكانت مُدَّة مرضه بعد عوده من الفيوم أُسبوعين، فأحزن القَلْب وأَجْرى العين.

قال المصنف رحمه الله: و[هذا] البيت الشِّعْر من أبيات[1]، أولها: [من البسيط]

إنـي أَرِقْتُ وذِكْرُ الموتِ أَرَّقني ... فقلتُ للدَّمْعِ أَسْعِدْني فأَسْعَدَني

إنِّي أظنُّ البِلَى لو كان يَعْرِفُهُ ... عفَّ البِلى عن بقايا وَجْهِهِ الحَسَنِ

يحيى بن علي بن الفَضْل[2]

أبو القاسم ابن فَضْلان.

---

(١) كيف يكون منها، ووزن البيتين مختلف!

(٢) له ترجمة في: «الكامل»: ١٢/ ١٥٤، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٣٣٠-٣٣١، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٨٥، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ٢٤٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٢٥٧-٢٥٨، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

مدرِّس النِّظامية، ولد سنة خمس عشرة وخمس مئة، وتفقَّه على محمد بن يحيى بنيسابور، وقَدِمَ بغداد، فناظر وأفتى ودرَّس، وكان مقطوعَ اليد، وَقَعَ من الجمل، فعملت عليه يدُه، فخِيْف عليه، فَقُطِعَتْ يده، وكانت وفاته في شعبان، وحَمَلَ الفقهاء جِنازته إلى الوَرْدِيَّة.

قال المصنف رحمه الله: أنشدنا عنه غيرُ واحد: [من الكامل]

وإذا أَرَدْتَ منازِلَ الأَشْرافِ فعليكَ بالإسْعافِ والإنصافِ
وإذا بغى باغٍ عليك فَخلِّهِ والدَّهْرَ فَهْوَ له مكافٍ كافِ

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن[1]

أبو يوسف.

الملك المنصور الغازي المجاهد، صاحب المغرب، وهو الذي كَسَرَ الفنش على الزلاقة[2]، ولم يكن في ولاة المغرب من له سيرةٌ كسيرته، ولا طَوِيَّةٌ كصالح سريرته، وقد أثنى عليه أربابُ السِّيَر، وليس الخُبْرُ كالخَبَر [وذكره عبد المنعم بن عمر في «تاريخه»، وأثنى عليه، وقال][3]: لما توفي أبوه [يوسف][3] قام بالأمر أحسنَ قيام، فأقرَّ العيون بما قرَّر من قواعد الإسلام، ونَشَرَ كلمةَ التوحيد، وأَذَلَّ من الكُفْر كلَّ جبار عنيد، ورَفَعَ راية الجهاد، فتضوَّع باجتهاده كلُّ ناد، وأَمَرَ بالمعروف، ونهى عن المنكر، ونَشَرَ نَشْرَةً أذكى من العَنْبر، وضوء كرمه أعلى من ضوء القمر الأنور، وأقام الحدود على العالمين، وخصوصاً على أهله وعشيرته الأقربين، فاستقامتِ الأمور ببركاته، وظهرتِ الفتوح العظيمة بعزماته، وانتشرتِ الخيراتُ بمكرماته.

قال المصنف رحمه الله: وحكى لي الشيخ [الصالح الفاضل][3] أبو العَبَّاس ابن تاميت المغربي اللواتي بالدِّيار المِصْرية [بالقرافة في][3] سنة أربعين وست مئة من فضائله الغرائب، وكان قد صحبه زماناً، وانتفع به، واستفاد منه. قال: وكل ما أحكيه عنه فإنّما

---

(١) له ترجمة في: «الكامل»: ١٢/ ١١٣-١١٦، و«المعجب»: ٣٦٨، وما بعدها، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٨٦-٨٧، و«وفيات الأعيان»: ٧/ ٣-١٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣١١-٣١٩، «تاريخ ابن خلدون»: ٦/ ٢٤١-٢٤٦، و«الوافي بالوفيات»: ٢٩/ ٥-١٦ وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) انظر حاشيتنا رقم٢ ص٤٠ من هذا الجزء.

(٣) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

هو على المشاهدة والعِيان، [لا عن فلان وفلان قال:] [١] فمن ذلك أَنَّه قَدِمَ بلدَه فاس رجلٌ شريفٌ، وكان فاضلاً لطيفاً، وكان يعظ بصوتٍ طيِّب، فجلس بها، فمال النَّاس إليه، وأرادوا أن يبايعوه، وبلغ خبره إلى يعقوب، فكتب إليه كتاباً يقول فيه: قد بلغَنا قدومُك البلاد، ووصولُ بركتك إلى أهلها، ونحن نسألك أن تقدمَ علينا لنأخذ حظَّنا منك كما أخذ أهلُ البلاد حَظَّهم. وبَعَثَ إليه بعشرة آلاف دينار، فخاف الشَّريف، واجتمع إليه أهلُ البلاد، وقالوا: متى وقعتَ في يده قتلك، فأظهِر العِصْيان، ونحن وأهل الجبال معك. فقال [الشريف:][١] معاذَ الله أن أكون سبباً لإراقة دَم مُسْلم، ولكني أسير إليه، وأستعينُ بالله عليه، وبلغ يعقوبَ قولُه، فلما قَرُبَ من مَرَّاكُش خرج [يعقوب][١] فاستقبله، وأنزله معه في قَصْره، وحمل إليه المال والتُّحَف، وجلس، وسَمِعَ كلامه، وكان يجالسه، واتفق عبور يعقوب للقاء الفنش، ومن عادتهم يوم المصافّ أن يصلِّيَ الخليفةُ بالنَّاس الفجر، ويركب وحوله خمسةُ آلاف من القُرَّاء مُلْبِسين الدُّروع، حاملين الأسلحة، فيقرؤون سُبْعاً من القرآن، ويدعو الخليفةُ لا يدعو غيره، وكان له [طبال اسمه حماد مقدَّم الطبالين][١] وخَلْفه مئةُ كوس، وليس في العسكر من له طَبْلٌ غير الخليفة، فإذا فَرَغَ من الدُّعاء بعد القراءة قال: حماد، فيقول: لبيك، فيقول: اضربِ الطَّبْل. فتدقُّ الكُوسات، وتحمل العساكر، وهاتان الخلتان لا يشارك الخليفةَ فيهما أحدٌ: الدعاء، وقوله: يا حماد اضربِ الطَّبْل، فلما كان في هذا اليوم الذي التقى فيه يعقوب بالفنش صلَّى الخليفةُ بالنَّاس، وركب والشريف عن يمينه، ولما فَرَغَ من قراءة السُّبْع التفت [إلى الشريف][١] وقال: يا شريف، ادعُ الله. فقال: الله الله يا أمير المؤمنين، العفو، هذه وظيفةُ أميرِ المؤمنين. فقال: لا بُدّ. فما أمكنه مخالفته خوفاً منه، فمدَّ يده ودعا، وعَجِبَ النَّاس، ولما فَرَغَ من الدعاء قال له: يا شريف، قل لحماد يضرب الطَّبل. فقال: العفو يا أمير المؤمنين، فقال: لا بد، [فقال:][١] يا حماد اضرب الطبل. فضرب وحملوا، ثم التفت إلى الشريف وقال: يا شريف، إنْ كان خطر ببالك أَنَّك تحكم على أهل البلاد، وأطمعك أهلُ فاس والجبال في هذا الأمر، أو رأيتَ مناماً فهو الذي رأيت، ما يحصل لك من الخلافة سواه. فنزل، وقَبَّل الأرض، وكسر الله الفنش، وأقام الشريف عنده في

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

أرغد عيشٍ إلى أن توفي، [وما ظن أحد أنه يَسْلَمُ منه، فلله دَرّ هذه المكارم، لو كان غير يعقوب لفعل بالشريف العظائم.

ومنها ما حكاه لي أبو العباس أيضاً، قال:][(١)] كان ليعقوب ابنُ أُخت لم يكن بمرَّاكُش أحسنَ صورةً منه، له ثمان عشرة سنة، فقدم مَرَّاكُش رجلٌ يرقِّص الدُّبَّ ومعه امرأتُه، فرآها ابنُ أُخت يعقوب، فأعْجَبَتْه، فأرسل إليها، فأخذها، فوقف زوجُها ليعقوب وقال: يا أمير المؤمنين إنني رجلٌ غريب، وقد غَصَبني ابنُ أختك وأخَذَ زوجتي. فقال له: اتَّبعني. وجاء إلى قَصْر ابنِ أخته، وقال للرجل: قف ها هنا. ودخل القَصْر، فاستدعى ابنَ أخته، وقال له: لِمَ أخذت زوجة هذا الرجل؟ فأنكر، فدعا بالرجل، وقال له: قد أنكر. فقال: يا أمير المؤمنين، لي كليبة قد رَبَّتها المرأة، تحضر كلَّ امرأة في هذا القصر، وأحضر الكليبة، فهي تعرفها من بين ألف امرأة، فإن وقفتْ عندها وإلا فاقتلني. فقال للرجل: اخرج، وقال لابنِ أخته: لا تبقى في القصر امرأةٌ إلا تخرج. فأخرج النِّساء، وخرجت المرأة بينهن وقد غيَّر زِيّها، وألْبسها الحُلِي والجواهر والثِّياب الفاخرة، وأطلق الكُليبة، فجاءت، فوقفت عندها، فاستدعى الرجل، فقال له: خُذْ زوجتك بما عليها. ثم التفتَ إلى ابنِ أخته، وقال له: قَصْرُك مملوءٌ بالجواري المُسْتحسنات، وأنت تمدُّ عينك إلى امرأةِ رجلٍ غريب جاء من بلادٍ بعيدة تأخذها غَصْباً منه؟! ثم قال لغِلْمانه: أعطوه الرِّماح. وهذه قتلة المغاربة. فخرجت أمه حاسرةً، فبكت بين يديه، وقالت: ما لي غيره، فقال: والله لأهذبنَّ به ملوك المغرب وغيرهم. وقَتَلَه.

[ومنها ما حكاه لي أبو العباس أيضاً، قال:[(١)]] اشْتَهَرَتْ امرأةٌ بالزُّهْد، وأنها ما تأكل الخبز، فبعثَ إليها يعقوب وقال: أقيمي عندي في القَصْر أياماً لأتبارك بكِ. فأقامت عنده مُدَّة، فدخلت بعضُ جواريه إلى السِّقاية يوماً فرأتِ الزَّاهدة تأكل الخبز في بيت الماء، فبهتت، وجاءت إليه، فأخبرته، فقال لها: والله لئن سمع هذا غيري منك لأقتلنَّك. ثم بحث عن ذلك، فوجده صحيحاً، فأرسل إلى الزَّاهدة خمس مئة دينار وثياباً وقال لها: قد حصلنا على البركة بمقامك عندنا، وقد سألني بنو عمِّي أَنْ تقيمي عندهم في قَصْرهم مثلما أقمتِ عندنا لتصل إليهم بركتك. فانتقلتْ إليهم، ولم يُظْهر أمرَ المرأة.

(١) في (ح): وقال أبو العباس أيضاً، والمثبت مابين حاصرتين من (م) و(ش).

[قال:][(١)] وكان جواداً سمحاً، يهب مئة ألف دينار وخمسين ألفاً، ويتفقد أربابَ البيوت، ويكرم العلماء والفقهاء، ولم يُسمع منه كلمةُ فحش، وكان عادلاً متمسِّكاً بالشرع، يصلِّي بالنَّاس الصَّلوات الخمس، ويَلْبَس الصُّوف على جسده، ويقف للمرأة والضَّعيف، ويأخذ لهم الحق، وفيه يقول الشَّاعر: [من الكامل]

أَهْـلٌ لأنْ يُـسـعـى إلـيـه ويُـرْتـجـى ... ويُزَارُ مِنْ أقصى البلادِ على الوَجَا
مَـلِـكٌ غـدا بـالـمَـكْـرُمـاتِ مُـقَـلَّـداً ... ومـوشَّـحـاً ومـختَّـمـاً ومـتـوَّجـا
عُـمِـرَتْ مـقـامـاتُ الـمـلـوك بـذكـره ... وتـعـطَّـرَتْ مـنـه الـرِّيـاح تـأَرُّجـا

من أبيات.

[قلت:][(١)] وهو الذي راسله صلاح الدين بشمس الدين ابن منقذ يستنجد به سنة سبعٍ وثمانين [وخمس مئة][(١)]، ومدحه ابن منقذ بهذه الأبيات: [من الطويل]

سـأشـكـر بـحـراً ذا عُـبـابٍ قَـطَـعْـتُـهُ ... إلـى بَـحْـرِ جُـوْدٍ مـا لـنـعـمـاه سـاحِـلُ
إلى مَعْدِنِ التَّقوى إلى كعبة الهدى ... إلى مَنْ سَمَتْ بالذِّكْرِ منه الأوائلُ
إلـيـك أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـن ولـم تَـزَل ... إلى بابك المأمول تُزْجى الرَّواحِلُ
قـطـعـتُ إلـيـك الـبـر والـبـحـر موقناً ... بـأن نَـدَاك الـغَـمْـرَ بـالـنُّـجْـحِ كـافِـلُ
رجـوتُ بـقَـصْـدِيْـك الـعُـلا فـبـلـغـتُـهـا ... وأدنـى عـطـايـاك الـعُـلا والـفـضـائِـلُ
فـلا زِلْـتَ لـلـعَـلْـيـاء والـجُـود بـانـيـاً ... تـبـلِّـغُـك الآمـال مـا أنـت آمِـلُ

من أبيات.

فأعطاه لكلِّ بيتٍ ألفَ دينار، وقال: ما أعطيك هذا لأجل صاحبك، فإنَّه خاطَبَنا بما لم يخاطِبْنا به أحد، وإنما أعطيناك لفَضْلك وبَيْتك، والحمد لله الذي وفق الفنش ملك الفرنج ما لم يهد إليه صاحبك، ولو خاطَبَنا بما يليق بنا لأنجدناه براً وبحراً، وقد وكلناه إلى من خاطبه بما هو أليق بنا منه.

ومعناه أَنَّ صلاح الدين خاطبه بأمير المسلمين، ولم يخاطبه بأمير المؤمنين.

---

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

ذِكْرُ وفاته:

قال علماء السِّير: مَرِضَ يعقوب مرضاً أشفَى منه على الوفاة، فأوصى إلى ولده أبي عبد الله محمد، وأن لا يخفوا موته، وأن يصلِّيَ عليه المسلمون، ويدفن على قارعة الطريق ليترحَّم عليه من يمرُّ به. وتوفي في ربيع الأول، فكانت مُدَّة أيامه خمس عشرة سنة، وبايع الناس ولدَه محمداً، واستمرَّ على سيرة أبيه، ثم اختلفتِ الأهواء، ودخل النَّقص على البيت بموت يعقوب، رحمه الله تعالى.

قال المصنف رحمه الله: وعَهدِي بالشَّيخ أبي العَبَّاس ابن تاميت باقياً في سنة أربعين وست مئة، وبلغني أنه توفي سنة ثلاثٍ وخمسين وست مئة بالقرافة بمِصْر وقد جاوز المئة سنة، وجرى بيني وبينه مذاكرة في القرافة سنة ثلاث وأربعين [وست مئة](1) في تارك الصَّلاة، وما حكمه؟ فقال: أنشدني ابن الرمامة واسمه محمد بن جعفر القيسي الحافظ، قال: أنشدني أبو الفَضْل طاهر النَّحْوي لنفسه هذه الأبيات: [من الكامل]

في حُكْمِ مَنْ تَرَك الصَّلاة وحُكْمُهُ ... إنْ لَمْ يقرَّ بها كحكْمِ الكافرِ
فإذا أقرَّ بها وجانَبَ فِعْلَها ... فالحُكْمُ فيهِ للحُسام الباترِ
وبه يقولُ الشَّافعي ومالكٌ ... والحَنْبَليُّ تَمَسُّكاً بالظَّاهرِ
وأبو حنيفةَ لا يقول بقَتْلِهِ ... ويقول بالضَّرْب الشَّديد الزَّاجرِ
هذي أقاويلُ الأئمةِ كلِّهم ... وأجلُّها ما قُلْتُه في الآخِرِ
المُسْلمون دماؤهم معصومةٌ ... حتى تراقَ بمستنيرٍ باهرِ
مثل الزِّنا والقَتْل في شَرْطَيْهما ... وانظرْ إلى ذاكَ الحديثِ السَّائرِ

معنى قوله في أول الأبيات: تمسّكاً بالظاهر، يعني قوله ﷺ: «بين العَبْد والكُفْر تَرْكُ الصَّلاة»(2).

---

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

وكلام المصنف في هذا الموضع يدعو للتساؤل، فكيف يقول إن عهده بالشيخ باقياً في سنة (٦٤٠هـ)، ثم يقول: وجرى بيني وبينه مذاكرة في سنة (٦٤٣هـ)، وكان قد صرح من قبل أنه التقاه سنة(٦٤٠هـ)، كما في ص٧٢ من هذا الجزء؟!

(٢) أخرجه مسلم (٨٢) من حديث جابر، وهو عند أحمد في «المسند» (١٤٩٧٩).

ومعنى قوله: في الآخر: «لا يحلُّ دمُ امرئٍ مُسْلم إلا بإحدى ثلاث». الحديث[١].

قلت[٢]: وذكر قاضي القضاة شمس الدين ابن خَلِّكان ـ رحمه الله ـ يعقوب المذكور في «وَفَيات الأعيان»[٣] فقال: يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي، صاحب بلاد المغرب.

كان صافي السُّمْرة جداً، أَفْوَهَ، أَعْيَنَ، شديد الكحل، ضخم الأعضاء، جَهْوَرِيَّ الصوت، جَزْلَ الألفاظ، من أصدق النَّاس لهجةً، وأحسنهم حديثاً، وأكثرهم إصابة بالظَّنِّ، مجرِّباً للأمور، ولي وزارة أبيه، فبحث عن الأحوال بحثاً شافياً، وطالع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعةً أفادته معرفة جزئيات الأُمور.

ولما ولي قام بالأمر أحسنَ قيام، وهو الذي أظهر أُبَّهة ملكهم، ورفع راية الجهاد، ونَصَبَ ميزان العَدْل، وبسط أحكام النَّاس على حقيقة الشَّرْع، ونظر في أمور الدِّين والورع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام الحدود حتى في أهله وعشيرته، فاستقامتِ الأحوال، وعَظُمَتِ الفتوحات.

وبنى بالقرب من مدينة سلا مدينة عظيمة سماها رباط الفَتْح على هيئة الإسكندرية في اتِّساع الشوارع، وحُسْن التقسيم، وإتقانِ البناء، وتحسينه وتجصيصه، وبناها على البحر المحيط الذي هناك، وهي على نهر سلا مقابلةً لها من البَرِّ القِبْلي.

واختلفتِ الرِّوايات في أمره، فمن النَّاس من يقول: إنَّه ترك ما كان فيه، وتجرَّد، وساح في الأرض حتى انتهى إلى بلاد الشَّرْق وهو مستخفٍ لا يُعرف، ومات خاملاً. ومنهم من يقول: إنه مات في غُرَّة جُمادى الأولى، وقيل: في شهر ربيع الآخر في سابع عشره، وقيل: في غُرَّة صفر سنة خمسٍ وتسعين وخمس مئة بمرَّاكُش. وقيل: إنَّه مات بمدينة سلا، وكانت ولادته ليلة الأربعاء رابع شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين وخمس مئة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود، وهو في «المسند» (٣٦٢١).

(٢) هو قطب الدين اليونيني، مختصر «مرآة الزمان».

(٣) «وفيات الأعيان»: ٧/ ٣-١٥.

قال قاضي القضاة: ثم حكى لي جَمْعٌ كبير بدمشق في شهور سنة ثمانين وست مئة أن بالقرب من المجدل البليدة التي من أعمال البقاع العزيزي قرية يقال لها: حَمَّارة، وإلى جانبها مشهد يعرف بقبر الأمير يعقوب ملك المغرب، وكلُّ أهل تلك النَّواحي متفقون على ذلك، وليس عندهم فيه خلاف.

وكان الأمير يعقوب يشدِّد في إلزام الرَّعية بإقامة الصَّلوات الخمس، وقتل في بعضِ الأحيان على شرب الخمر، وقتل العمال الذين تشكو الرَّعايا منهم، وأمر برفض فروع الفِقْه، وأنَّ العلماء لا يفتون إلا بالكتاب والسُّنَّة، ولا يقلِّدون أحداً من الأئمة، بل تكون أحكامهم بما يؤدِّي إليه اجتهادهم.

وكان قد عَظُمَ مُلْكه، واتَّسعت دائرةُ سَلْطنته حتى إنَّه لم يبق بجميعِ أقطار بلاد المغرب من البحر المحيط إلى برقة إلا مَنْ هو في طاعته، إلى غير ذلك من جزيرة الأندلس.

وكان من شعراء دولته أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مُجبر الأندلسي المرسي، فمن قوله: [من المديد]

أتـراه يـتـركُ الـغَـزَلا ... وعـلـيـه شَـبَّ واكـتـهـلا
كَـلِـفٌ بـالـغِـيْـد مـا عـلـقـتْ ... نَـفْـسُـه الـسـلـوانَ مُـذْ عـقـلا
غـيـر راضٍ عـن سـجـيـة مَـنْ ... ذاق طَـعْـمَ الـحـب ثُـمَّ سـلا
أيـهـا الـلُّـوَّام ويـحـكُـمُ ... إنَّ لـي عـن لـومـكـم شُـغُـلا
ثَـقُـلَـتْ عـن لـومـكـم أُذُن ... لـم يـجـد فـيـهـا الـهـوى ثِـقَـلا
تـسـمـعُ الـنَّـجـوى وإن خـفـيـتْ ... وهـي لـيـسـت تـسـمـع الـعـذلا
نـظـرتْ عـيـنـي لـشِـقْـوَتـهـا ... نـظـراتٍ وافـقـتْ أجـلا
غـادةً لـمـا مـثـلـتُ لـهـا ... تـركـتـنـي فـي الـهـوى مـثـلا
هـي بـزَّتـنـي الـشـبـاب فـقـد ... صـار فـي أجـفـانـهـا كـحـلا
أبـطـل الـحـقَّ الـذي بـيـدي ... سِـحْـرُ عـيـنـيـهـا ومـا بـطـلا
عـرضـتْ دلًّا فـإذ فـطـنـتْ ... بـولـوعـي أعـرضـتْ خـجـلا

وبــدا لــي أنــهــا وجــلــت ... مــن هَـنَـاتٍ تـبـعـث الـوَجَـلا
حـسـبـتْ أنـي سـأحـرقـهـا ... إذْ رأت رأسـي قـد اشـتـعـلا
يـا سـراةَ الـحـيّ مـثـلـكـمُ ... يـتـلافـى الـحـادثَ الـجـلـلا
قـد نـزلـنـا فـي جـواركُـمُ ... فـشـكـرنـا ذلـك الـنُّـزلا
ثـم واجـهـنـا ظـبـاءكـمُ ... فـلـقـيـنـا الـهـول والـوهـلا
أضـمـنـتـم أَمْـنَ جـيـرتـكـمْ ... ثُـمَّ مـا آمـنـتـم الـسـبـلا
وأردتـم غَـضْـبَ أنـفـسـهـم ... فـبـثـثـتـم بـيـنـهـا الـمُـقَـلا
لـيـتـنـا خـضـنـا الـسـيـوف ولـم ... نـلـقَ تـلـك الأعـيـن الـنـجـلا
عـارضـتـنـا مـنـكـم فـئـة ... أحـدثـتْ فـي عـهـدنـا دَخَـلا
ثُـعَـلِـيَّـاتٌ جـفـونُـهُـم ... وهُـمُ لـم يـعـرفـوا ثُـعَـلا
أشـرعـوا الأعـطـاف نـاعـمـة ... حـيـن أشـرعـنـا الـقـنـا الـذبـلا
واسـتـفـزتـنـا عـيـونـهـمُ ... فَـخَـلَـعْـنـا الـبَـيْـضَ والأسـلا
ورمـتـنـا بـالـسـهـام فـلـم ... نَـرَ إلا الـحـلـي والـحـلـلا
نُـصـروا بـالـحُـسْـن فـانـتـهـبـوا ... كـل قـلـب بـالـهـوى جـذلا
عـطـلـتـنـي الـغـيـدُ مـن جَـلَـدي ... وأنـا حـلـيـتـهـا الـغـزلا
حـمـلـت نـفـسـي عـلـى فـتـن ... سُـمـتـهـا صـبـراً فـمـا احـتـمـلا
ثـم قـالـت سـوف نـتـركـهـا ... سـلـبـاً لـلـحـب أو نَـفَـلا
قـلـت أمَّـا وَهْـيَ قـد عـلـقـت ... بـأمـيـرِ الـمـؤمـنـيـن فـلا
مـا عـدا تـأمـيـلـهـا مـلـكـاً ... مـن رآه أدرك الأمـلا
أودع الإحـسـانُ صـفـحـتـه ... مـاء بـشـر يـنـقـع الـغُـلـلا
فـإذا مـا الـجـودُ حـرَّكـه ... فـاض فـي يـمـنـاه فـانـهـمـلا

وهي قصيدة طويلة، عددُ أبياتها مئة وسبعة أبيات.

ودخل إبراهيم بن يعقوب الشَّاعر، فأنشده: [من الوافر]

أزال حـجـابـه عـنـي وعَـيْـنـي ... تـراه مـن الـمـهـابـة فـي حـجـابِ
وقـرَّبـنـي تـفـضُّـلـه ولـكـنْ ... بـعـدتُ مـهـابـةً عـنـد اقـترابـي

السنة السادسة والتسعون وخمس مئة

[وفيها كان ابتداء جلوسي عند قبر الإمام أحمد ابن حنبل في يوم الأربعاء، ويجتمع خلق عظيم، وتهب على تلك المجالس من القبول نسيم، ويعرف فيها نضرة النعيم، ويصحبها كل بارد من الطيب وكل تكريم، وسلام قولاً من ربٍ رحيم][١].

ودخلت هذه السنة والحصار على دمشق، وكان أتابك رسلان شاه صاحب المَوْصل قد رحَّل الملك الكامل من مارِدِين، فقَدِمَ دمشق ومعه خَلْقٌ كثيرٌ من التركمان، وعسكر حَرَّان والرُّها، فتأخر الأفضل بالعساكر إلى عقبة شحورا سابع عشر صفر، ووصل الكامل تاسع عشره، فنزل بجوسق أبيه على الشَّرف، ورحل الأفضل إلى مرج الصُّفَّر، ورحل الظَّاهر إلى حلب، وأحرقوا ما عجزوا عن حَمْله، وسار الأفضل إلى مِصْر، وأحضر العادل بني الحنبلي النَّاصح وأخاه شهاب الدين وغيرهما، وكان الأفضل قد وعد النَّاصح بقضاء دمشق، والشِّهاب بالحِسْبة، فقال لهم العادل: ما الذي دعاكم إلى كَسْرِ باب الفراديس ومظاهرةِ أعدائي عليَّ وسَفْك دمي؟ فقال له النَّاصح: أخطأنا، وما ثَمَّ إلا عفو السُّلْطان. فقال العادل: فما بدا مني إليكم ما يوجب ذلك، ولولا أَنْ يقال عني: إنني شنقتُ فقيهاً لما أبقيتُ منكم أحداً، ولكنَّ البلد لكم فهبوه لي. فأخرجهم إلى حلب.

ثم [جرت بعد هذا واقعة عجيبة،][١] شُفِعَ في الشِّهاب بعد ذلك إلى العادل فردَّه، وكان يذكر الدرس بعد ذلك في حَلْقة الحنابلة، ويأخذ مغل الوقف، وكان في الحنابلة رجلٌ يقال له: نصر المِصْري يخدم الشيخ العماد، فأقام الشِّهاب سنين لا يعطيهم شيئاً، فاستغاثوا إلى العادل وهو في دار العَدْل، وكان [الملك الأشرف والمعظم][١] أولاد العادل وقوفاً في الخِدْمة، فقال نصر: يا سُلْطان المُسْلمين، هذا الرَّجل للوقف معه مُدَّة يأكله، ولا يوصل إلينا شيئاً! وكان ذلك في حدود سنة عشر وست مئة. فقال العادل: كم له معه سنة؟ فقال نصر: مِنْ كَسْرِ باب الفراديس. فقال الملك الأشرف: ذا تاريخ مشؤوم. فضحك العادل والجماعة.

---

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

وأما الأفضل، فإنَّه لما سار إلى مِصْر أرسل العادل وراءه أبا محمد نجيب الدِّين عَدْل الزَّبداني يقول له: ترفَّقْ، فإنَّا لك مثل الوالد، وعندي كل ماتريد. فقال للعدل: قل له: إن صَحَّ ما قلتَ فأبعدْ عنك أعدائي الصَّلاحية. وبَلَغَ الصَّلاحية، فقالوا للعادل: أيش قعودنا؟ قُمْ بنا. وساروا خَلْفَ الأفضل مرحلة مرحلة، فنزل الأفضل بِلْبِيس، ونزل العادل السَّانح، فرجع الأفضل، وضَرَبَ معهم المصافَّ، فكسروه، وتفرَّق عنه أصحابه، ودخل القاهرة، وأغلق أبوابها، وجاء العادل، فنزل البِرْكة، ودخل سيف الدين أزكش بين العادل والأفضل، واتفقوا [على][1] أن يعطيه العادل ميَّافارِقِين وجبل جور ودياربكر، ويأخذ منه مِصْر، ورحل الأفضل مِن مِصْر في ربيع الآخر، ودخل العادل القاهرة، وأحسن إلى أزكش، وقال للأَفْضل: جميع مَنْ معك كاتبني إلا سيف الدين، وقدَّم العادل أزكش، وحكَّمه في البلاد، ورَدَّ القضاء إلى صَدْر الدين عبد الملك بن دِرْباس الكُرْدي، وولَّى شيخ الشيوخ ابن حموية التدريس بالشَّافعي ومشهد الحسين، والنَّظر في خانكاه الصُّوفية، وجلس الوزير صفي الدين عبد الله بن علي بن شُكْر [وزير العادل][1] في دار السَّلْطنة في حجرة الفاضل، ونَظَرَ في الدَّواوين، [قال العماد: وأخذ القوس باريها، وأجرى الأمور على أحسن مجاريها][1].

وسار الأفضل إلى مَيَّافارقين، واستدعى العادل ولده [محمد][1] الكامل إلى مِصْر، فخرج من دمشق في ثالث وعشرين شعبان، وودَّعه أخوه المعظَّم عيسى إلى رأس الماء.

قال العماد: وسرت معه إلى مصر، وأنشدته: [من البسيط]

دَعَتْكَ مِصْرُ إلى سُلْطانها فأَجِبْ ... دُعاءها فهو حقٌّ غيرُ مكذوبِ
قد كاد يَهْضِمُني دَهْرِي فأدركني ... محمدُ بنُ أبي بكر بن أيوبِ

ووصل الكامل إلى مِصْر في عاشر رمضان، والتقاه العادل من العَبَّاسة، وأنزله في دار الوِزارة، وكان قد زوَّجه بنتَ أخيه صلاح الدين، فدخل بها، ولم يقطع العادل

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

الخُطْبة لولد العزيز، ثم إنَّه جمع الفقهاء وقال: هل تجوز ولاية الصَّغير على الكبير؟ فقالوا: الصغير مولًّى عليه. قال: هل يجوز للكبير أن ينوبَ عن الصَّغير؟ قالوا: لا، لأن الولاية من الأصل إذا كانت غير صحيحة فكيف تصح النِّيابة؟ فقطع خُطْبة ابن العزيز، وخَطَبَ لنفسه ولولده الكامل من بعده.

ونقص النيل في هذه السنة، فلم يبلغ ثلاثة عشر ذراعاً، ووقع الغلاء والوباء.

وحج بالنَّاس من العراق آق سُنْقُر وجه السبع، ومن الشام سامة الجِبْلي.

وفيها توفي

تُكُش بن رسلان شاه[1]

علاء الدِّين، خوارزم شاه، مِنْ ولد طاهر بن الحسين.

كان شجاعاً جَوَاداً، ملك الدُّنيا من الصِّين[2] والهند وما وراء النهر إلى خُرَاسان إلى باب بغداد، وكان نوابه في حُلْوان، وكان ديوانه مئة ألف مقاتل، وهو الذي كسر مملوكُه ميالجق عسكرَ الخليفة، وأزال دولة بني سَلْجوق، وكان حاذقاً بعلم الموسيقى، لم يكن في زمانه ألعب منه بالعود.

وحُكِيَ أنَّ الباطنية جَهَّزوا إليه رجلاً ليقتله، وكان يحترس كثيراً، فجلس ليلةً يلعب بالعود، وشرَّع الخيمة، فاتَّفق أَنَّه غنَّى بيتاً بالعجمية وفيه ميبنم، ومعناه: قد أُبصرتك. فخاف الباطني منه، وارتعد وهَرَبَ، فأُخذ، وحُمِلَ إليه، فقرَّره، فأقرَّ، فقتله.

وكان يباشر الحروب بنفسه حتى ذَهَبَتْ إحدى عينيه في الحرب، وكان يقول: الملك إذا لم يباشرِ الحربَ بنفسه لا يَصْلُحُ للمُلْك؛ لأَنَّه يكون مِثْلَ المرأة.

---

(١) له ترجمة في: «الكامل»: ١٢/ ١٥٦-١٥٨، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٣٦٢، و«كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٨٤، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٨٩-٩٠، «المختصر في أخبار البشر»: ٣/ ٩٨-٩٩، «العبر» للذهبي: ٤/ ٢٩٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٣٠-٣٣٢، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) كذا قال، وهو وهم، والصواب: من السند، كما جاء في «الوافي بالوفيات» ١٣/ ٤٢٨، إذ لم تدخل الصين في ملك الدولة الخوارزمية، انظر «سيرة السلطان جلال الدين» ص ٧١-٧٣.

وكان قد عَزَمَ على قَصْدِ بغداد، وجمع وحَشَدَ، فوصل إلى دِهِسْتان، فتوفي بها في رمضان، فَحُمِلَ في تابوت إلى خُوارَزْم، فدُفِنَ عند أهله، وقام ولده محمدٌ مقامه.

عبد الرحيم بن علي بن الحسن(١)

أبو علي، [البَيْساني الكاتب](٢)، القاضي الفاضل، ولد ببيسان في سنة تسعٍ وعشرين وخمس مئة، ونشأ بِمِصْر، واشتغل بعِلْم الأدب والرسائل، فَبَرَعَ فيه، وصار أوحدَ زمانه في فَنِّه، وكان صلاحُ الدِّين يقول في ملأ من النَّاس: لا تظنُّوا أني ملكتُ البلادَ بسيوفكم، بل بقلم الفاضل. [وكان يستشيره في أموره، وقد ذكرنا طرفاً من ذلك](٢)، وكان كثيرَ العبادة، تالياً للقرآن، وقد استعان بآياتِ الكتاب العزيز في كثيرٍ من رسائله، ورسائله عشر مجلَّدات.

ومن كتابٍ كَتَبَه إلى الخليفة النَّاصر يطلب منه العهد بالسَّلْطنة: فإنْ أَنْعَمَ الدِّيوان بما طلبناه وقلَّدناه، وإلا تقلدناه بما تقلَّدناه.

وسمع قائلاً ينشد: [من المتقارب]

لقد ضاعَ شِعْري على بابكُمْ ... كما ضاع دُرٌّ على خالِصَهْ

فقال: لو قُلِعَتْ عينا هذا البيت لأبصر.

ومن شعره: [من الطويل]

تقدَّمْ إلى هذا السَّحابِ فإنَّه ... أخوك بأن تنأى مطارِفُهُ عنّا

فلو لم يُصِبْنا منه صيِّبُ قَطْره ... لجادَ علينا من يمينكَ ما أغنى

[وسمع قائلاً يقول: إن المداد خَلُوق ثوب الكاتب، فقال: الكاتب النحس](٢).

---

(١) سلفت أخباره في هذا الكتاب، وله ترجمة في «الخريدة» قسم شعراء مصر: ١/ ٣٥-٥٤، و«معجم البلدان»: ١/ ٥٢٧، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٣٥١-٣٥٢، و«كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٧٢-٤٨٣، «وفيات الأعيان»: ٣/ ١٥٨-١٦٣. و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٣٨-٣٤٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

وكان [الفاضل][(١)] ممدَّحاً، [قال العماد][(١)]: مُدح بمئة ألف بيت من الشِّعْر، وكان منجذباً عن النَّاس، إذا سلَّم عليه من لا يعرفه آذاه، وإذا التقاه إنسان ولم يُسَلِّم عليه أغناه.

ذِكْرُ وفاته:

لما تيقَّن استيلاء العادل على القاهرة دعا على نفسه بالموت خوفاً من ابن شُكْر [وزير العادل][(١)]، فإنه كانت بينه وبينه وَحْشة، فخاف أن يستدعيه ويهينه، فقام تلك الليلة يبكي ويتضرع [ويصلي][(١)]، فأصبح مَيْتاً، [وحكي عن][(٢)] الملك المحسن بن صلاح الدين: اتَّفق يوم وفاة الفاضل يوم دخول العادل إلى القاهرة، دخل مِنْ باب النَّصْر، وخرجنا بجِنازته من باب زويلة.

وقال العماد الكاتب في حوادث سنة ستٍّ وتسعين وخمس مئة: وفيها تمَّت الرَّزِيَّة الكبرى والنكبة العُظْمى بانتقالِ الفاضل من دار الفناء إلى دار البقاء، وذلك في سادس ربيع الآخر يوم الثلاثاء، وكان فيه مصافّ الأفضل يوم الكسرة، ومصاب الفاضل يوم الحسرة، وكان قد باتَ صحيحاً من الأسقام، فقال لغلامه: رَتِّبْ حوائجَ الحَمَّام، ولم يعلم بقُرْب الحِمَام، فأصبح وقد قضى سعيداً، ومضى حميداً، وله بسيِّد المُسْلمين أُسوة، وهو وإن عَرِيَ عن رداء العمر فله من حُلَل البقاء في عِلِّيين أفخر كُسْوة، ولم يُبْقِ في مُدَّة حياته عملاً صالحاً إلا قدَّمه، ولا عَقْداً في أبواب البِرِّ إلا أَحْكَمَه، فإنَّ صنائعه قلائد في الرِّقاب، وأوقافه على سُبُل الخيرات متجاوزة الحساب، فهي باقيةٌ على الدَّوام من خلاصِ الأُسارى، والتُّرْبة والمدرسة والفقراء والأيتام على مرور الأيام، بحبائه باقية إلى يوم نَشْر العظام، وكانت كتائبه كتائبَ النَّصْر، وبلاغته تفوق بلاغة أهل العَصْر، والكرامُ في ظِلِّه يقيلون، ومن عثرات النَّوائب بفضله يستقيلون، وبعزِّ حمى حمايته يعزون، ولهزِّ عِطْفه يهتزُّون، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون، ولأوامره منقادون، ودُفِنَ بتربته

---

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): «وقال الملك المحسن»، والمثبت مابين حاصرتين من (م) و(ش).

في القَرَافة، وبنى مدرسة بالقاهرة، ووقف عليها أوقافاً مخلَّدة، ونقل إليها بعضَ كتبه، وكانت كُتُبُه مئةَ ألف مجلَّدة، ووقف على الأُسارى وَقْفاً عميماً، فاستنقذ به خَلْقاً عظيماً.

وهجاه ابنُ عُنَيْن، فأشار على صلاح الدين بنفيه من البلاد، فنفاه إلى الهند، وهجاؤه معروف.

مَـنْ أنـت يـا هـذا ومـا بَـيْـسـان

الأبيات[١].

وقوله: والفاضل الفاضل[٢].

وما زال الفاضلُ ممدَّحاً، وفيه يقول الوجيه المِصْري: [من مجزوء الكامل]

فـي كَـفِّـه قَـلَـمٌ يُـرِيْـ ـكَ الـقـضـاءَ مُـقَـدَّرا

مـا نـوَّرَ الـظـلـمـاءَ غـيـ ـرُ مِـدادِه إذْ نـوَّرا

عبدُ اللَّطيف بن إسماعيل[٣]

ابن شيخ الشيوخ أبي سَعْد، أبو الحسن، صفي الدِّين، [وعبد اللطيف أخو أبي القاسم عبد الرحيم شيخ الشيوخ][٤].

ولد سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة، وسمع الحديث، وكان شيخَ الرِّباط الذي بالمشرعة شرقي بغداد، خرج حاجًا من بغداد، ثم ركب البحر إلى مِصْر، فتاه بهم المركب أياماً، ثم أرسى بعيداً، فزار الشَّافعي رحمة الله عليه، وجاء، فزار الخليل عليه السَّلام، والقُدْس، وقَدِمَ دمشق، فتوفي بها في ذي القَعْدة، ودُفِنَ بمقابر الصُّوفية عند المُنَيْبع، [سمع والده أبا البركات إسماعيل، وقاضي المارستان، وأبا القاسم بن السمرقندي وغيرهم][٤]، وكان صالحاً ثقةً، رحمه الله تعالى.

---

(١) انظر الأبيات في «ديوان ابن عنين»: ١٨٨-١٨٩.

(٢) انظر «ديوان ابن عنين»: ١٩٠.

(٣) له ترجمة في: «التكملة»: للمنذري ١/ ٣٧٠-٣٧١، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٩٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٣٤-٣٣٥، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٤) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

علي بن نَصْر بن عقيل البغدادي(١)

ويعرف بالهُمام العَبْدِي الشَّاعر.

قَدِمَ الشَّام سنة خمسٍ وتسعين وخمس مئة، ومَدَحَ العادل، والأمجد صاحب بَعْلَبَكّ، ومن شعره: [من الطويل]

وما النَّاسُ إلا كامِلُ الحَظِّ ناقِصٌ وآخرُ منهمْ ناقِصُ الحَظِّ كامِلُ
وإنـي لَمُثْرٍ من حَيَاءٍ وعِفَّةٍ وإنْ لم يكن عندي من المال طائِلُ

قَيْماز النَّجْمي صارم الدين(٢)

كان من أكابر مماليك نجم الدين أيوب، وكان عظيمَ القَدْر عند صلاح الدين، إذا فَتَحَ بلداً سلَّمه إليه واستأمنه عليه، وكان كثيرَ الصَّدقات وأفعال الخير، بنى القنطرة التي بين خِسْفين ونوى وغيرها، والمدرسة المجاورة لداره بدمشق بجنب باب القلعة، وكان العادل قد جعله بدمشق مع ولده المُعَظَّم عيسى ثقةً به، فتوفي بدمشق في جُمادى الأُولى، وظهرت له أموالٌ عظيمة، فيقال: إنه وُجِدَ له في أسفل البركة مئة ألف دينار.

كامل بن الفَتْح(٣)

أبو تمام بن سابور، النَّحْوي.

توفي في جُمادى الآخرة، ودُفِنَ بباب حرب، ومن شعره: [من البسيط]

وفي الأوانسِ من نُعمانَ آنسةٌ لها من القَلْبِ ما تهوى وتختارُ

(١) وكذا ورد اسمه هنا، وتابعه على ذلك أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٧٠، وتابعه ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٥٨، وسماه أبو شامة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٩٤-٩٥، الحسن بن علي، وهو الأرجح، وسماه كذلك المنذري في «التكملة»: ١/ ٣٥٩-٣٦٠، وابن الدبيثي في «المختصر المحتاج إليه»: ٢/ ١٨-١٩، وابن شاكر في «فوات الوفيات»: ١/ ٣٣٦، والصفدي في «الوافي بالوفيات»: ١٢/ ١٢٩-١٣٠.

(٢) له ترجمة في «كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٦٤-٤٦٥.

(٣) له ترجمة في: «معجم الأدباء» ١٧/ ١٩، و«إنباه الرواة»: ٣/ ٤١، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٣٥٦-٣٥٧، و«تكملة ابن الصابوني»: ٢٦-٢٧، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٩٢، و«نكت الهميان»: ٢٣١، و«الوافي بالوفيات» ٢٤/ ٣١٣-٣١٤، و«فوات الوفيات»: ٣/ ٢١٧.

سـاوَمْـتُـهـا نَـفْـثـةً مـن رِيْـقـهـا بـدمـي ... ولـيـس إلا خـفـيَّ الـطَّـرْفِ سِـمْـسـارُ
عـنـد الـعـذولِ اعـتـراضـاتٌ ولائـمـةٌ ... وعـنـد قـلـبـي جـوابـاتٌ وأعـذارُ

الحاجب لؤلؤ بن عبد الله[1]

الذي [ذكرنا أنه][2] أخذ مراكب الفرنج من بحر القُلْزُم، كان شجاعاً جَوَاداً، كثيرَ الصَّدقات، [قال العماد:][2] وقع الغلاء بمِصْر في السَّنة الماضية وهذه، فكان يخبز كل يوم أربعة وعشرين ألفَ رغيف يفرِّقها في الفقراء، وفي غير الغلاء كان يخبز في كلِّ يومٍ اثني عشر ألفاً، وكان صائماً [قائماً][2]، متعبِّداً، وكانت وفاته بالقاهرة في جمادى الأُولى.

محمد بن عبد الله البَلْخي[3]

الواعظ، ويلقب بالنِّظام.

ولد ببَلْخ سنة ستٍّ وعشرين وخمس مئة، [وقدم بغداد][2]، فوعظ بها في النِّظامية وباب بَدْر، وجامع القَصْر، ومدرسة أبي النَّجيب، ودار ابن حديدة الوزير.

وكان فصيحاً، مليحَ الصَّوت، متشيِّعاً، أنشد يوماً في النظامية: [من البسيط]

سقاهُمُ اللَّيلُ كاساتِ السُّرى فغدوا ... منـه سُـكـارى كـأَنَّ الـلـيـل خَـمَّـارُ
وصيَّـرَ الـشَّـوْقُ أطـواقـاً عـمـائـمـهـم ... لا يـعـقـلـونَ أقـامَ الـحـيُّ أم سـاروا
ونـسـمـةُ الـفَـجْـر إذ مـرَّت بـهـم سَـحَـراً ... تـمـايـلـوا وبَـدَتْ لـلـسُّـكْـرِ آثـارُ

[فلم يبق في المجلس إلا من صاح وقام وتواجد][2].

وأنشد أيضاً: [من الطويل]

مـددتُ يـدي في الـحُـبِّ نـحـوك سـائـلا ... وقـلـتُ لـجَـفْـنـي أَذْرِ دَمْـعَـك سـائـلا

---

(١) سلفت أخباره في سنة ٥٧٨هـ، وله ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ٤١٧ ، و«كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٦٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٨٤-٣٨٥ ، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٣٠٤ ، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٣٣٦ ، وعندهم وفاته سنة ٥٩٨هـ، إلا في «الروضتين» فوفاته سنة (٥٩٦هـ).

(٢) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة»: للمنذري ١/ ٣٤٦، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٩٣ و«المختصر المحتاج إليه» ١/ ٦٠، و«المستفاد من ذيل تاريخ بغداد»: ٩٥-٩٧ ، و«الوافي بالوفيات» ٣/ ٣٤٣-٣٤٤ ، و«لسان الميزان»: ٥/ ٢١٧-٢١٨ .

تفقَّهْتُ في عِلْم الصَّبابة والهوى فمن شاء فليُلْقِ عليَّ المسائلا

وحُكي أنَّه نُقِلَ إلى الخليفة عنه أنَّه يعاشر النِّساء [ويرتكب المحرمات][(١)]، فأرسل إليه الوزير وهو على المِنْبر، فقال: قد رسم [الخليفة][(١)] أن تخرج من البلد، فأنشد: [من الطويل]

أبابلُ لا واديْكِ بالجُوْدِ مُفْعَمٌ لديَّ ولا ناديْك بالرِّفْد آهِلُ
لئن ضِقْتِ عني فالبلادُ فسيحةٌ وحَسْبُكِ عاراً أنَّني عنكِ راحِلُ
وإن كنتِ بالسِّحْرِ الحَرَام مُدِلَّةً فعندي من السِّحْرِ الحلالِ دلائلُ
قوافٍ تُعِيرُ الأعينَ النُّجْلَ حُسْنَها فأيُّ مكانٍ خَيَّمَتْ فَهْو بابِلُ[(٢)]

وأُخرج إلى الجانب الغربي من بغداد، فماتَ، ودفن في مقابر قريش في صفر.

محمد بن عبد المنعم بن أبي الفضائل[(٣)]

الصُّوفي المِيْهَني ويلقب بالركن، [وهو أخو بهاء الدين، شيخ رباط الخلاطية، وكان الركن شيخ رباط البسطامي][(١)]، وكان جَوَاداً سَمْحاً، لم يكن في أبناء جنسه من يضاهيه في الكرم، ما طلب منه أحدٌ شيئاً فمنعه، حتى كان يخرج وفي رِجْله مَدَاس، فيرجع حافياً، ويخرج وعليه ثوبان ويرجع عُرْياناً، وكانت له خلواتٌ ومحاضرات، [وسمع الحديث من شُهْدة وغيرها][(١)]، وتوفي في ذي الحِجَّة، ودفن بالشُّونيزية [عند والده أبي الفضائل][(١)].

محمد الطوسي الواعظ[(٤)]

[قد ذكرنا أنه][(١)] قَدِمَ بغداد، و[أنه][(١)] كان يركب بالسَّنْجق والسيوف المُسَلَّلة والغاشية المرتفعة والطَّوْق في عُنُق البغلة، فَمُنِعَ من ذلك، فسافر إلى مِصْر، ووعظ،

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) الأبيات للأبيوردي، وهي في «ديوانه»: ١/ ٣٧٧ .
(٣) له ترجمة في: «التكملة» للمنذري: ١/ ٣٦٦-٣٦٧ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٩٥ .
(٤) له ترجمة في: «التكملة» للمنذري: ١/ ٣٦٤-٣٦٥ ، و«كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٦٧-٤٦٨ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٩٤ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٨٧-٣٨٩ ، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٢٩٤ ، و«الوافي بالوفيات»: ٥/ ٦، ٩ ، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ٣٩٦ ، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٥٩ ، و«حسن المحاضرة»: ١/ ٤٠٧ ، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٣٢٧ .

وأظهر مذهب الأشعري، وثارت عليه الحنابلة، [وكان يجري بينه وبين زين الدين ابن نُجَيَّة العجائب من السِّباب، ويكفِّر بعضُهم بعضاً، وكان قد أُعطي منازل العِزّ، فدرَّس بها مذهب الشافعي](١)، وكان جبَّاهاً بالقبيح؛ دخل يوماً على العادل، وعنده وزيره ابن شُكْر، فقال للعادل: أنت فِرْعون وهذا هامانك، فأقامه العادل.

و[حكى لي مشايخ مصر، قالوا:](١) دخل يوماً على الملك العزيز وكان قد تَرَكَ شُرْبَ الخمر وتاب، فوجده قَلِقاً، فقال: مالك قلقاً؟ أحضرِ السَّاعة الخمر واشرب، فَشُرْبُك خيرٌ من توبتك، فلما خرج قال العزيز: أنا الواعظ لا هذا.

وكان قليلَ البضاعة في الوعظ، وإنما كان ينتسبُ ويدَّعي دعاوى عريضة، أنشد يوماً [للمتنبي]: [من الكامل]

أنا صخرةُ الوادي إذا ما زوحمتْ　　فإذا نطقتُ فإنني الجَوْزَاءُ

فكتَبَ إليه بعضُهم رقعةً: أنت صخرةُ الوادي، أما الجوزاء فلا، [وكانت وفاته في ذي القعدة، ودفن بالقرافة](١).

و[بلغني أنه](١) سُئِلَ: أيُّما أفضلُ دم الحسين عليه السَّلام أو دم الحلاج؟ فقال: قطرةٌ من دمِ الحسين أفضلُ من مئةِ ألف دم مثل دم الحلاج، فقال السائل: فَدَمُ الحلاجِ كَتَبَ على الأرض: الله، الله، ولا كذلك دم الحسين، فقال: المتَّهم يحتاجُ إلى تزكية.

قال المصنف رحمه الله: وهذا الجواب صحيح [إن لو ثبت أن دم الحلاج كتب الله، ولم يصح، والدم نجس، فكيف يكتب الله؟!](٢)، وكانت وفاة الطُّوسي في ذي القَعْدة، ودفن بالقَرَافة.

السنة السابعة والتسعون وخمس مئة

فيها استناب الخليفة نصير الدين [ناصر ابن] مهدي في الوِزارة، وأَذِنَ للقاضي ابنِ الشَّهرزوري في الخروج من بغداد.

(١) مابين حاصرتين من (م)و (ش).

(٢) في (ح): «إذ لو ثبت ذلك لم يصح»، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها كانت حوادث عظيمة [لم يتجدَّد مثلها في السنين الماضية][(١)]، منها هبوط النيل، ولم يعهد ذلك في الإسلام إلا مرَّة واحدة، فإنَّه بقي منه شيءٌ يسير، واشتدَّ الغلاءُ والوباءُ بمِصْر، فَهَربَ النَّاسُ إلى المغرب والحجاز واليمن والشَّام، وتفرَّقوا أيدي سبأ، ومُزِّقوا كلَّ ممزَّق [أعظم من سنة اثنتين وستين وأربع مئة في أيام المستنصر، فإن الناس في هذه السنة][(١)] كان الرجل يذبح ولده الصَّغير، وتساعِدُه أُمُّه على طبخه وشَيِّه[(٢)] وأحرق السُّلْطان جماعةً فعلوا ذلك ولم ينتهوا، وكان الرَّجل يدعو صديقه، وأحبَّ النَّاس إليه إلى منزله ليضيفه، فيذبحه ويأكله، وفعلوا ذلك بالأطباء كذلك [وكانوا يدعونه ليبصر المرضى فيقتلونهم ويأكلونهم][(١)]، وفقدت الميتات والجيف [من كثرة ما أكلوها][(١)]، وكانوا يخطفون الصِّبْيان من الشوارع فيأكلونهم. وكَفَّن السُّلْطان في مُدَّة يسيرة مئة ألف وعشرين ألفاً، وامتلأت طرقات المغرب والحجاز والشَّام برمم الناس، وصلَّى إمامُ جامع الإسكندرية في يوم على سبع مئة جنازة.

وقال العماد الكاتب: وفي سنة سبع وتسعين [وخمس مئة][(١)] اشتدَّ الغلاء، وامتدَّ البلاء، وتحقَّقتِ المجاعة، وتفرَّقت الجماعة، وهلك القويُّ فكيف الضَّعيف؟ ونحف السمين فكيف العجيف؟ وخَرَجَ النَّاس حَذَرَ الموت من الدِّيار، وتفرَّق فريق مِصْر في الأمصار، ولقد رأيتُ الأرامل على الرِّمال، والجمال باركةً تحت الأحمال، ومراكب الفرنج واقفةً بساحل البحر على اللَّقَم، تسترقُّ الجِياعَ باللُّقَم.

وجاءت في شعبان زلزلة هائلة من الصَّعيد، فعمَّت الدُّنيا في ساعةٍ واحدة، هدمت بنيان مِصْر، فمات تحت الهدم خَلْقٌ كثير، ثم امتدَّت إلى الشَّام والسَّاحل فهدمت مدينةَ نابُلُس، فلم يبق فيها جدارٌ قائم إلا حارة السمرة، ومات تحت الهَدْم ثلاثون ألفاً، وهَدَمَتْ عكا وصور، وجميعَ قِلاع السَّاحل[(٢)]، وامتدَّت إلى دمشق، فَرَمَتْ بعض المنارة الشَّرْقية بجامع دمشق، وأكثر الكلَّاسة، والمارَسْتان النُّوري، وعامة دور دمشق إلا القليل، فَهَرَبَ النَّاس إلى الميادين، وسَقَطَ من الجامع ست عشرة شرافة، وتشقَّقت

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) قال الذهبي في «السير»: ٢٢/ ٢٢٠ : وهذه مجازفة ظاهرة.

قُبَّة النَّسْر وخسف بالكلَّاسة، وتهدَّمت بانياس، وهُونين، وتِبْنين، وخَرَجَ قومٌ من بَعْلَبَكَّ يجنون الرِّيباس(١) من جبل لبنان، فالتقى عليهم الجبلان، فماتوا بأَسْرهم، وتهدَّمت قلعة بَعْلَبَك مع عِظَمِ حجارتها، ووثيق عمارتها، وامتدَّت إلى حِمْص وحماة وحلب والعواصم، وقطعت البحر إلى قبرس، وانفرق البحر فصار أطواداً، وقذف بالمراكب إلى السَّاحل فتكسَّرَتْ، ثم امتدَّت إلى خِلاط وأرمينية وأَذْرَبيجان والجزيرة. وأُحصي مَنْ هلك في هذه السنة على وجهِ التقريب، فكانوا ألف ألف [إنسان](٢) ومئة ألف إنسان، وكان قوة الزلزلة في مبدأ الأمر بمقدار ما يقرأ الإنسان سورة الكهف، ثم دامت بعد ذلك أياماً.

[فقال بعض البلغاء: أما بعد، فإنه لما حدث بمدن الشام حادث الزلازل، ووجد في أكثرها من عظم البلايا والبلابل، حتى طبقت من أرض الجزيرة إلى بلاد الساحل، وهدمت الحصون والمعاقل، وأخربت ما لا يحصى من الدور والمنازل، وسوت الأعالي من البنيان بالأسافل، وأوحشت من أهلها المجالس والمحافل، وشدخت كثيراً من الهام بالجنادل، وفصلت بين الأعضاء والمفاصل، وأبانت من الأقدام والأكف الأنامل، فأدبر القطان من الأوطان إدبار النعام الجافل، وخلا كثير من السكان في الموارد والمناهل، وكثَّرت في الدنيا اليتامى والأرامل، وأمرضت قلوب الفاقدات، وأرمضت عيون الثواكل، وأجهضت كثيراً من الحوامل، ووضعت الطيور لهولها ما في الحواصل، فكان ما حدث منها عبرة للبيب العاقل، وحجة على المُصِرِّ الغافل، وتنبيهاً على إخلاص التوبة من المغافل، وإزعاجاً للمتباطئ عن الطاعة والمتثاقل، وما ظلم الله عباده بإهلاك النسل والناسل، ولكنهم لما تعاموا عن الحق، وتمادوا في الباطل، وأضاعوا الصلوات، وعكفوا على الشهوات والشواغل، وأهدروا دم المقتول، وأَرْشوا في دم القاتل، وارتكبوا الفجور، وشربوا الخمور، وانتشر فسقهم في القبائل، وأكلوا الربا والرّشا، وأموال اليتامى وهي شر المآكل،

(١) نبت كانوا يتداوون به من الحصبة. «القاموس المحيط» (ربس).
(٢) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

وزهدوا فيما رغّبوا فيه، وطمعوا في الحاصل، ومن بقي منهم إنما يستدرج في أيام قلائل، وما جرى على البلاد، فعبرة للخارج وموعظة للداخل، والله يمنُّ على الإسلام وأهله بفرج عاجل، ويوفقهم للقيام بمرضاته من أداء الفرائض والنوافل، ويكفيهم من عذابه الأليم الهائل، وينجيهم من عقابه الآجل والعاجل، فهو مجيب المضطر ومعطي السائل، وفارج الكرب الفادح والخطب النازل][١].

وفي مستهل ذي القَعْدة حُوصرت دمشق؛ جاء الأفضل والظَّاهر، وكان العادل بمِصْر، وبشارة ببانياس، وقد أقطعها العادل مع تِبْنين وهُونين وغيرها لشركس، فلما نزل الأفضل والظَّاهر على دمشق جاء بشارة نجدةً لهما، فقاتلوا دمشق أياماً، وكان بها الملك المعظَّم عيسى، وبلغ العادل، فجاء، فنزل نابُلُس، وبعث فأصلحَ الأمراءَ، وزحَفَ الأفضلُ والظَّاهر، فوصلوا إلى باب الفراديس، وأحرقوا فندق تقيِّ الدِّين، وقاتلهم المعظَّم، وحَفِظَ البلد، فأقاموا شهرين، وقيل: شهر ذي القَعْدة، وبعث العادل فأخلف بين الأخوين، فرحلوا سَلْخ ذي الحجة، وجاء العادل فدخل دمشق، ومضى المعظَّم وشركس وقراجا، فحاصروا بانياس، وبها حسامُ الدِّين بشارة، فقاتلهم، فَقُتِلَ ولده، وأخرجوه من البلاد، وتسلَّمها شركس، وتسلَّم قراجا صَرْخَد.

وحجَّ بالناس طاشْتِكِين، وكان الخليفة قد أفرج عنه، ورَدَّ إليه إقطاعه، [وماله. وتوفي جدي والعماد الكاتب عقيب هذه الزلازل][١].

وفيها توفي

إبراهيم بن محمد بن عبد الملك[٢]

عز الدين ابن المُقَدَّم، [وأبوه محمد المقتول بعرفات، وكان إبراهيم][١] شجاعاً عاقلاً، وله قلعة بارين وفامية ومنبج والرَّاوَنْدان، وعِدَّة حصون مَدَّ عينه إليها الملك الظَّاهر، فأخذها وبقيت له بارين، فتوفي، ودفن بدمشق في العُقَيْبة، وكان له بنات.

---

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «الروضتين»: ٤/ ٤٨٣-٤٨٤، و«المذيل على الرّوضتين»: ١/ ٩٩، و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ١٣٧.

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم(١)

ناظر نهر الملك ببغداد ـ كان متزهِّداً، يَلْبَسُ القُطْن الفوط، ويعدل في الرَّعية، ويحسن إليهم ـ أمر الخليفة النَّاصر بصَلْبه، فَصُلِبَ على كرسي جسر بغداد، وعليه القميص الفوط على جانب نهر عيسى، فمرَّ به الخليفة وهو مصلوبٌ في وسط الجِذْع، فقال: تتنمَّس علينا! ارفعوه إلى رأس الجِذْع، وكان شيخاً مهيباً، وحَزِنَ النَّاسُ عليه.

[وفيها توفي

حسن بن علي بن محمد(٢)

الدرزبيني، الضرير، المقرئ، الحنبلي، ودرزبين قرية من قرى بغداد.

قرأ القرآن بالروايات، وكان حسن الصوت، مليح الأذان، وكان أهل بغداد يقصدونه من أقطار بغداد في ليالي رمضان، يسمعون صوته، وكان يحضر بباب حجرة الخليفة، فيقرأ والخليفة يسمعه، وقرأ القرآن على أبي الحسن البطائحي وغيره، وكان يصلي بمسجد أبي الفَضْل ابن ناصر بدرب الدواب، وسمع الحديث من أبي محمد ابن الصابوني وغيره، ومات في رجب، ودفن بباب حرب، وكان صالحاً، ورعاً، ديناً، ثقة.

وفيها توفي جدي رحمه الله، واسمه](٣)

عبد الرحمن بن علي(٤)

ابن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حُمَّادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النَّضْر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن

(١) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٩٩.

(٢) «نكت الهميان»: ١٣٨-١٣٩. ومابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج١/ج٣/ ٢٦٠-٢٦٥، و«الكامل»: ١٢/ ١٧١، و«التكملة»: للمنذري ١/ ٣٩٤-٣٩٥، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٠٠-١١٢، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ١٤٠-١٤٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٦٥-٣٨٤، و«طبقات علماء الحديث»: ٤/ ١١٩-١٢٥، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه، أبو الفرج [بن أبي الحسن][١] القُرَشي، التَّيْمي.

[ورأيت بخط ابن دحية المغربي قال: وجعفر الجوزي منسوب إلى فرضة من فرض البصرة يقال لها جوزة. وقال الجوهري: فرضة النهر ثلمته التي يُسْتقى منها، وفرضة البحر محط السفن، والجمع الفرائض.

ولد جَدِّي][٢] ببغداد بدَرْب حبيب سنة عشر وخمس مئة تقريباً، وتوفي أبوه وله ثلاثُ سنين، وكانت له عمةٌ صالحة، وكان أهله تجاراً في النُّحاس [ـ ولهذا رأيتُ في بعض سماعاته: وكتب عبد الرحمن الصَّفَّار ـ][١]، فلما ترعرع حَمَلَتْه عمَّتُه إلى مسجد أبي الفَضْل بن ناصر، فاعتنى به، وأسمعه الحديث، وقرأ القرآن، وتفقَّه على أبي بكر الدِّينوري الحَنْبلي وابن الفَرَّاء، وسمع الحديث الكثير، وقد ذكر من مشايخه في «المشيخة» نيفاً وثمانين شيخاً، وعني بأمره شيخُه ابنُ الزَّاغوني، وعَلَّمه الوعظ، واشتغل بفنون العلوم، وأخذ اللغة عن أبي منصور ابن الجواليقي، وصنَّفَ الكُتُبَ في فنون، وحَضَرَ مجالِسَه الخلفاءُ والوزراءُ والعلماءُ والأعيان، وأقلّ ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف، وربما حَضَرَ عنده مئةُ ألف، وأوقع الله له في القلوب القَبُول والهيبة، وكان زاهداً في الدُّنيا، متقلِّلاً منها، [وسمعته يقول][١] على المِنْبر في آخر عمره: كتبتُ بأصبعيَّ هاتين ألفي مجلَّدة، وتاب على يدي مئة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألف يهودي ونَصْراني. وكان يجلس بجامع القَصْر والرُّصافة والمنصور وباب بدر وتُرْبة أُم الخليفة وغيرها، وكان يختم القرآن في كلِّ سبعة أيام، ولا يخرج من بيته إلا إلى الجامع للجُمُعة وللمجلس، وما مازَحَ أحداً قَطُّ، ولا لعب مع صبيٍّ، ولا أكل من جهةٍ لا يتيقن حِلَّها، وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفَّاه الله تعالى.

---

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): وقال، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[(١)وقد ذكرنا محنته التي زاحم بها الأنبياء والعلماء والفضلاء والأولياء، وتلقى ذلك بالصبر والحمد والشكر.

وقد أثنى عليه العلماء، فذكره أبو محمد ابن الدبيثي في الذيل الذي ذيله على ذيل ابن السمعاني، فقال:] شيخنا جمال الدِّين ابن الجوزي الإمام، صاحب التَّصانيف في فنون العِلْم من التفاسير والفِقْه والحديث والتَّواريخ وغير ذلك، وإليه انتهت معرفةُ الحديث وعلومه، والوقوف على صحيحه من سقيمه، وله فيه المصنَّفات من المسانيد والأبواب والرِّجال ومعرفة الأحاديث الواهية والموضوعة، والانقطاع والاتصال، وكان من أحسنِ النَّاس كلاماً، وأتمِّهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودِهم بياناً، تفقَّه على أبي بكر الدِّينوري، وقرأ الوعظ على الشَّريف أبي القاسم العَلَوي، وأبي الحسن ابن الزَّاغوني، وبورك له في عمره وعِلْمه، فروى الكثير، وسمع النَّاس منه أكثر من أربعين سنة، وحدَّث بمصنفاته مراراً، وأنشدني [بواسط](٢) لنفسه: [من مجزوء الكامل]

يا ساكنَ الدُّنيا تأهّبْ وانتظرْ يوم الفِراقِ
وأعِدَّ زاداً للرَّحيلِ فسوف يُحدى بالرِّفاقِ
وابكِ الذُّنوبَ بأدْمُعٍ تنهلُّ من سُحُبِ المآقي
يا مَنْ أضاعَ زمانَهُ أرضيتَ ما يفنى بباقِ

[قال(٣): وسألته عن مولده غير مرة، وفي كلها يقول: ما أحققه، ولكن يكون تقريباً في سنة عشر وخمس مئة، وسألت أخاه عمر بن علي فقال: في سنة ثمانٍ وخمس مئة.

ذكر ما وقع إلي بالشام] من أسامي فهرست مصنفاته [ومجموعاته ومنقولاته](٢) ومؤلفاته:

(١) في (ح): «وقال محمد بن الدبيثي في «الذيل» عن شيخنا جمال الدّين...»، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٣) في (ح): وقال المصنّف رحمه الله: ذكر ما وقع بالشام من أسامي فهرست مصنفاته، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فصل [في] [١] علم التَّفسير: «المغني» أحد وثمانون جزءاً بخطه، [إلا أنه لم يبيضه ولم يشتهر][١]، «زاد المسير» أربع مجلدات، «التلخيص» مجلد، «تذكرة الأريب في علم الغريب» مجلد، «تيسير البيان في تفسير القرآن» مجلد، «ناسخ القرآن ومنسوخه» مجلد، و«مختصره» جزء، «فنون الأفنان في علوم القرآن» مجلد، «ورد الأغصان في معاني القرآن» مجلد، و«الوجوه والنظائر» مجلد، و«مختصره» جزء، «غريب الحديث» ثلاثة أجزاء، «السبعة في القراءات السبعة» أربعة أجزاء، «الإشارة في القراءات المختارة» جزء، «تذكرة المنتبه في عيون المشتبه» جزء، وذلك خمس عشرة كتاباً.

فصل علم الحديث: «جامع المسانيد بألخص الأسانيد» سبع مجلدات، «غرر الأثر» خمس مجلدات، «الكشف عن معاني الصحيحين» أربع مجلدات، «غريب الحديث» مجلدان، [«الحدائق» مجلدان، «كتاب الضعفاء والمتروكين» مجلدان،][١] «الصلف في المؤتلف والمختلف» مجلدان، «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» مجلدان، «الموضوعات» مجلدان، «الخطأ والصواب من أحاديث الشهاب» مجلدان، «تلقيح فهوم أهل الأثر في علم التواريخ والسير» مجلدان، و«مختصره» مجلد، «الفرائد المنتقاة» ستة وخمسون جزءاً، «نفي النقل» مجلد، «ناسخ الحديث ومنسوخه» مجلد، «النقاب عن الأسماء والألقاب» مجلد، «المحتسب في النسب» جزآن، [«كتاب المدبج» مجلد، «كتاب المسلسلات» مجلد، «كتاب أخاير الذخائر» مجلد، «كتاب المجتبى» مجلد، «كتاب المشيخة» جزآن،][١] «روضة النائل» جزء، [«كتاب تنوير السدف في المؤتلف والمختلف» جزء، «كتاب آفة أصحاب الحديث» جزء][١]، «المعلق» أربعة أجزاء، فذلك ثمانية وعشرون كتاباً[٢].

فصل: ومن التواريخ والسير: «المنتظم في تواريخ الملوك والأمم» عشر مجلدات، «درة الإكليل» أربع مجلدات، «سلوة المحزون» مجلدان، «مناقب بغداد» مجلد، «المجد العضدي» مجلد، «الطرائف» مجلد، «الفاخر في أيام الناصر» مجلد، «شذور العقود»

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في النسخ: ستة وعشرون كتاباً، فلعل قطب الدين اليونيني «مختصر المرآة» قد أسقط في اختصاره كتابين. والله أعلم.

مجلد، «المصباح المضيء بفضائل المستضيء» مجلد، «الأعاصر في ذكر الإمام الناصر» مجلد، «الفخر النوري» مجلد، «المجد الصلاحي» مجلد، فذلك اثنا عشر كتاباً.

فصل: ومن علم العربية: «فضائل العرب» مجلد، «الأمثال» مجلد، «تقويم اللسان» جزآن، «ملح الأعاريب» جزآن، «لغة الفقه» جزآن، «المطرب» جزآن، «فتوى فقيه العرب» جزء، «نزهة أهل الأدب» جزء، «المألوف دون الغريب» جزء، فذلك تسعة كتب.

فصل في علوم الأصول: «منهاج الوصول إلى علم الأصول» مجلد، «دفع التشبيه بأكف التنزيه» أربعة أجزاء، «البدائع الدالة على وجود الصانع» أربعة أجزاء، «منتقد المعتقد» جزء، «شرف الإسلام» جزء، «ما لا يسع الإنسان جهله» جزء، «السر المصون» جزء، «الغوامض» جزء، «شفاء علل الأمراض» جزء، «مسلك العقلاء» جزء، «منهاج أهل الإصابة في محبة القرابة والصحابة» جزء، فذلك اثنا عشر كتاباً[١].

فصل: ومن [تصانيفه في علم[٢]] الفقه: «المذهب في المذهب» جزآن، «التحقيق في أحاديث التعليق» مجلدان، «المنفعة في المذاهب الأربعة» مجلدان، «الدلائل في مشهور المسائل» مجلدان، «مسبوك الذهب» مجلد، «البلغة» مجلد، «التلخيص» مجلد، «الإنصاف في مسائل الخلاف» مجلد، «البازي الأشهب» مجلد، «القطة العجلان» مجلد، «كشف الظلمة عن الضيا في الرد على الكيا» مجلد، «لُهْية العجل في الجدل» ثلاثة أجزاء، «درء اللوم والضيم في تحريم صوم يوم الغيم» جزء، «مناسك الحج» جزء، «تحريم المحل المكروه» جزء، «تعظيم الفتوى» جزء، «الرد على القائلين بجواز المتعة» جزء، «المسائل المفردة» جزء، [«كتاب العدة في أصول الفقه» جزء، «كتاب الفرائض للوازم الفقه» جزء][٢] فذلك عشرون كتاباً.

فصل: [ومن تصانيفه في][٢] المناقب: «الوفا بفضائل المصطفى» مجلدان، «مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه» مجلد، «مناقب عمر بن عبد العزيز» مجلد، «مناقب ابن المسيب» مجلد، «مناقب الحسن البصري» مجلد، «مناقب سفيان الثوري» مجلد، «مناقب إبراهيم بن أدهم» مجلد، «مناقب الفضيل بن عياض» جزء، «مناقب بشر

(١) كذا قال، وهم أحد عشر كتاباً.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الحافي» مجلد، «مناقب الإمام أحمد رحمة الله عليه» مجلد، «شرف أصحاب الحديث» مجلد، «فضائل معروف» جزآن، «مناقب رابعة» جزآن، «فضائل الفقه» جزء، «فضائل القدس» جزء، «فضائل ليلة الجمعة» جزء، «كتاب النساء» جزء، «تقريب الطريق الأبعد بفضل مقبرة أحمد» جزآن، «تنوير الغبش في فضل السود والحبش» مجلد، «قيام الليل» ثلاثة أجزاء، «الستر الرفيع» جزء، «أسرار الموالي» جزء، «مناجزة العمر» جزء، فذلك ثلاثة وعشرون كتاباً.

فصل الرقائق: «صفوة الصفوة» أربع مجلدات، «عيون الحكايات» مجلدان، «ملتقط الحكايات» مجلد، «أسباب الهداية» مجلد، «صولة العقل» جزء، «العزلة» جزء، «الصلوات والأدعية» جزء، «البر والصلة» جزء، «الأنس والمحبة» جزء، «الوصية» جزء، «ذم الحسد» جزء، «ذم المكر» جزء، «المحاضرات» جزء، «الرياضة» جزء، فذلك أربعة عشر كتاباً.

فصل الرِّياضات ونحوها: «منهاج القاصدين» ثلاثة مجلدات، «تلبيس إبليس» مجلدان، «ذم الهوى» مجلدان، «صيد الخاطر» ثلاث مجلدات، «القصاص» مجلد، «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» مجلد، «الأذكياء» مجلد، «المغفلين» مجلد، «المختار من كلام ابن عقيل» مجلدان، «الحفاظ» مجلد، «الآثار العلوية» مجلد، «الظراف والمتماجنين» مجلد، «السهم المصيب» جزآن، «عجالة المنتظر في الخضر» جزآن، «أعمار الأعيان» جزآن، «الثبات عند الممات» جزآن، «الطب الروحاني» جزآن، «عطف الأمراء على العلماء» جزآن، «فتوح الفتوح» ثلاثة أجزاء، «إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء» جزآن، «النحاة» جزآن، «الحث على طلب العلم» مجلد، «الحلاج» جزء، «تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر» جزء، «الحث على طلب الأولاد» جزء، «الوداع» جزء، «المقاسم لأبي المقاسم» جزء، «المستدرك على ابن عقيل»، «لفتة الكبد»، «النصر على مصر»، «العشرة والعطف» جزء، «الأخذ على ابن نباتة» جزء، فذلك اثنان وثلاثون جزءاً مصنفاً.

فصل الطب: «لقط المنافع» مجلدان، «المشيب والخضاب» مجلد، و«مختصره» في جزأين، «الحقير النافع» جزآن، «طب الأشياخ» جزء، «الباه» جزء، فذلك ستة كتب.

فصل الأشعار: «إحكام الأشعار بأحكام الأشعار» مجلدان، «المختار من الأشعار» عشر مجلدات.

فصل الوعظ: «التبصرة» ثلاث مجلدات، «المنتخب» مجلدان، «المنتخب» مجلد، «الذخيرة» ثلاثون جزءاً، «المستنجد والمستنجد» مجلدان، «رؤوس القوارير» مجلدان، «الزير من رؤوس القوارير» مجلد، «المدهش» مجلد، «المقتبس» مجلد، «موافق المرافق» مجلد، «نسيم الرياض» مجلد، «محض المحض» مجلد، «منتهى المشتهى» مجلد، «المرتجل» مجلد، «زين القصص» مجلدان، «اللطائف» مجلد، «اللطف» مجلد، «الوعظ النفيس» مجلد، «التحفة» مجلد، «النور» مجلد، «المقامات» مجلد، «المجالس اليوسفية» مجلد، «احتباس المجالس» مجلد، «المقعد المقيم» مجلد، «شاهد ومشهود» مجلد، «الأرج» أربعة أجزاء، «نسيم السحر» ثلاثة أجزاء، «صبا نجد» جزآن، «الملهب» جزآن، «الزند الوري في الوعظ الناصري» ثلاثة أجزاء، «المعلق» ثلاثة أجزاء، «الفصول الوعظية» على حروف المعجم ثلاثة أجزاء، «مغاني المعاني» ثلاثة أجزاء، «الوعظ المقبري» جزآن، «لقط الجمان» جزآن، «زواهر الجواهر» أربعة أجزاء، «الخواتيم» جزآن، «المجالس البدرية» أربعة أجزاء، «أخاير الذخائر» ثلاثة أجزاء، «اليواقيت في الخطب» جزآن، «اللآلئ في الخطب» جزآن، «المقتضب» جزآن، «شطب اللمع في خطب الجمع» ثلاثة أجزاء، «إيقاظ الوسنان من الرقدات بأحوال الحيوان والنبات» جزآن، «الزجر المخوف» جزء، «المطلوب» جزء، «الطرب»، «الوعظ الملوكي» جزء، «أغاني المعاني» جزء، «المواعظ السلجوقية» جزء، «مختصر لقط الجمان» جزء، «واسطات العقود» جزء، «المحادثة» جزء، «المناجاة» جزء، «اللؤلؤة» جزء، «الملح» جزء، «الياقوتة» جزء، «التصديقات لرمضان» جزء، «كنز المذكر» جزء، «التعازي الملوكية» جزء، «روح الروح» جزء، «المقاطع» جزء، «كنوز الرموز» فذلك نيف وستون كتاباً، أبرمت من الفصاحة أسباباً، ورفعت لها مناراً، وأحصت حساباً، وأزالت عن الأبصار بأنوار الأسرار حجاباً، فبعول العقول تجلي من أرق الألفاظ وأدق المعاني عرائس أبكاراً، وكواعب أتراباً، وقيل: بلغت تصانيفه ثلاث مئة اخترعها وأودعها حكمة وصواباً[1].

---

(١) لمعرفة المزيد من مؤلفات ابن الجوزي يراجع كتاب «مؤلفات ابن الجوزي» تأليف عبد الحميد العلوجي، نشر مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت ١٩٩٢م.

ذِكْرُ ما جرى في مجالسه [من الطرف المبتكرات، والنُّتَف المُسْتظرفات، والسؤالات والجوابات، وتلخيصه المعاني في ألخص الكلمات.

قال رحمه الله يوماً في مجلس وعظه: الدنيا نهر طالوت فاعبروها ولا تعمروها. فقام سائل فقال: كيف أصنع وحبها مجبول في طباعي من يوم ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران: ١٤]؟ فقال جدي: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ﴾ [البقرة: ٢٤٩] قطرة من القطرات.

وقال: لما دعا الله الخلق إلى بابه بقوله ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] أعرض عنه أقوام، فقوبلوا بالإعراض ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وقال في قوله عليه السلام: «هَبْ لي عينين هطالتين»(١) أراد أن يبكي بهما ليرحم الله هذه الأمة، كلما قويت قواصف العواصف، صاح ناتاني المركب: من هو على شيني ينتقل](٢).

وقال: والله ما اجتمع لأحدٍ أمله إلا وسعى في تفريقه أجلُه.

وقال: عقاربُ المنايا تلسع، وجُذْران جسم الأمل تمنع الإحساس.

وقال: الرَّواحل في طيِّ المراحل، والأنام نيام.

[وقال: ركب الأجل يجري، والركاب في الحديث.

وقال: ماء الحياة من إناء العمر يرشح بالأنفاس](٢).

وقال لبعضِ الولاة: اذكر عدل الله فيك، وعند العقوبة قدرة الله عليك، وإياك أن تشفي غيظك بسقم دينك.

[وكان يحضر مجلسَه صاحبٌ له، ثم انقطع مدة وعاد، فقال: ما أنت في أوسع العذر من التأخير لثقتي بك، وفي أضيقه من شوقي إليك.

وقال له قائل: ما نمت البارحة من شوقي إليك، وإلى المجلس. فقال له: نعم، لأنك تريد أن تتفرج، وإنما ينبغي أن لا تنام الليلة لأجل ما سمعت.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٨٠) وأحمد في الزهد (٤٨١)، والطبراني في «الدعاء» (٣٦٦١)، وإسناده ضعيف.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، والشيني: ضرب من السفن الشراعية. انظر «تكملة المعاجم العربية»: ٦/ ٣٩٩ .

وقال: لا تسمع ممن يقول الجوهر والعرض والاسم والمسمى، والتلاوة والمتلو، لأنه شيء لا يحيط به أوهام العوام، بل قل: آمنت بما جاء من عند الله، وبما صح عن رسول الله ﷺ، هذا شيء يفهمونه.

وقرأ بين يديه قارئ، فأطرب الجمع، فأنشد: [من الطويل]

ألا يا حمامي بطن نعمانَ هجتُما عليَّ الهوى لما تغنيتما ليا
ألا أيها القمريتان تجاوبا بلحنيكما ثم اسجعا لي علانيا

وقرأ بين يديه قارئ حسن الصوت، فأطرب الجماعة، ثم قرأ بعده آخر مزعج الصوت، فنغَّص الجماعة. فقال جدي: كان لبعضهم جاريتان مغنيتان، إحداهما تغني طيباً، والأخرى مزعجاً، فكان إذا غنت الطيبة الصوت يمزق ثيابه، وإذا غنت القبيحة الصوت يقعد يخيط ما مزّق.

قلت: حضر مجلسي بجامع دمشق في سنة عشر وست مئة القضاة والأشراف والأعيان، والملك المعظم عيسى رحمه الله، وشيوخنا جمال الدين الحصيري، وتاج الدين الكندي، والقاضي شمس الدين بن سني الدولة، وكان مجلساً عظيماً، احتوى على عشرة آلاف وزيادة على باب مشهد علي عليه السلام، وكان بمجلسي قارئان أحدهما يقال له النجيب البغدادي، إذا قرأ طربنا، والآخر يقال له الشرف ابن مي إذا قرأ أزعجنا. فحكيت للجماعة حكاية الجاريتين المغنيتين، وكان تاج الدين الكندي قاعداً في القبة التي في وسط المجلس، فصاح: يا بني، كلنا اليوم نخيط(١).

وقيل لجدي: إن فلاناً أوصى عند الموت، فقال: طيِّن سطوحه في كانون!

وقال له قائل: أيما أفضل، أسبح أم أستغفر؟ فقال: الثياب الوسخة أحوج إلى الصَّابون من البخور.

---

(١) كنت ذكرت في «المذيل على الروضتين»: ١/ ١٦٠ أن هذا النص ليس في نسخ «مرآة الزمان»، ولم أكن قد وقفت عليه في هذا الموضع، فليعذرني القارئ.

وقال في قوله عليه السلام: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين»[١]: إنما طالت أعمار القدماء لطول البادية، فلما شارف الركب بلد الإقامة قيل: حثوا المطي.

وقال: من قنع طاب عيشه، ومن طمع طال طيشه.

وقال: البخل فراش العار، والحرص فراش النار، والكرم فراش الدار][٢].

وقال: لا تعجبوا من قوس حاجب في وفاء قوس حاجب.

وقال: الطاعة تبسط اللسان، والمعاصي تذل الإنسان.

[وقال في حق واعظٍ جاهل: احذروا جاهل الأطباء فربما سمى اسماً ولا يعرف المسمى.

وقال في الاستهانة بالعدو: ذباب السيف لا يجوز على ذباب الصيف.

وقام إليه رجل نجار، فسأله سؤالاً بَرَّدَ به المجلس، فقال: يا نجار، أخذت بالأنفاس، هذا وقت الرندج[٣] لا وقت الفاس.

وقال يوماً في معنى قوله عليه السلام: «غضوا أبصاركم لتجوز فاطمة»: هذا تنبيه لشرف القادم.

وجواب آخر، كأنه يقول: قد أقبلت في الموقف، وأنتم في كرب شديد، فتعلقوا بذيل كرمها، لعلها أن تشفع لكم كما شفع أبوها.

قلت: تعلقوا بذيل كرمها لا يطابق قوله: غضوا أبصاركم، كيف يتعلقون بذيلها! وإنما معناه إذا رأتهم قد تأدبوا معها بغض الأبصار حملتها أريحية النبوة على أنها تقف وتشفع فيهم في مقابلة تأدبهم معها. وهذا الكلام إنما يصح لو صح الحديث، وقد ذكره جدي في «الأحاديث الواهية»[٤]، وصححه غيره][٢].

ووعظ الخليفة يوماً، فقال: يا أمير المؤمنين، إن تكلمتُ خفتُ منك، وإنْ سكتُّ خفتُ عليك، فأنا أقدّم خوفي عليك على خوفي منك لمحبتي لدوام أيامك، إن قول

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥٠)، وابن ماجه (٤٢٣٦)، وابن حبان (٢٩٨٠)، والحاكم ٢/ ٤٢٧ من حديث أبي هريرة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) الرندج: كلمة فارسية معربة، وهي آلة لسحج الخشب وتسويته وتنعيمه. «تكملة المعاجم العربية»: ٥/ ٢٢٤.

(٤) هو في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية»: (٢٦٧١).

القائل: اتَّقِ الله خير من قول القائل: إنكم أهل بيت مغفور لكم، وقد قال الحسن البصري: لئن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تبلغ المأمن خير من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى تبلغ المخاوف، وكان عمر بن الخطاب يقول: إذا بلغني عن عامل ظالم أنه قد ظلم الرعية ولم أغيره فأنا الظالم، يا أمير المؤمنين، كان يوسف عليه السلام لا يشبع في زمان القحط لئلا ينسى الجياع، وكان عمر يضرب بطنه عام الرَّمادة، ويقول: قَرْقِرْ إن شئت أو لا تقرقر، فوالله لا شبعت والمسلمون جياع.

فتصدق الخليفة ـ وكان المستضيء ـ بصدقات كثيرة، وأشبع الجياع، وأطلق الحبوس.

[وقال: أهل البدع يقولون: ما في السماء أحد، ولا في المصحف قرآن، ولا في القبر نبي. تكتب ثلاث عورات لكم.

وقال: مذهب الشافعي في تعظيم القرآن آكد من مذهب أحمد، لأن عند أحمد يجوز للمُحْدِث أن يَمَسَّه، وعند الشافعي: لو كان المصحف على جمل لم يجز للمحدث أن يقوده.

وقرأ بين يديه قارئ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾[الزمر: ٢٠] فقال: العِدَةُ دين، فالطالب أين؟

وسئل عن قوله عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم»(١): وقوله: «لا تفضلوني على يونس ابن متى»(٢) فقال: هذا خال جمال على خد كمال.

قلت: وقد سئلت في مجالسي عن هذا، فأجبت: لأن يونس كان أضعف الأنبياء حالاً، لأنه ذهب مغاضباً لقومه، فخاف من عتبه ولومه.

ولما قال نبينا: «أنا سيد ولد آدم». قيل: قد بلغت أعلى المراتب، وإن كان العهد قد تقادم، فتواضع وإن كنتَ سيد العالم، واجبرْ قلبَ ذلك الضعيف المنكسر ـ الذي لولا لطف الله به لصيَّفَ في بطن الحوت وشتَّى ـ بقولك: «لا تفضلوني على يونس بن متى».

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) من حديث ابن هريرة مرفوعاً.
(٢) بنحوه أخرجه البخاري (٣٤١٣)، ومسلم (١٩٤) من حديث ابن عباس مرفوعاً.

وقال له قائل: آدم تلقى من ربه كلمات، فأنت من أين تلقيت؟ فقال: الولد للفراش.

قلت: وقد سئلت عن مثل هذا، فقال لي رجل في المجلس: أي شيء تعشيت البارحة؟ فقلت: هذه نوالة رفعت من موائد فوائد، أظل عند ربي يطعمني ويسقيني ويقيني][١].

وسئل عمن ينهر السائل، فقال: إن لم تدنه من مبارِكِ مبارِّك، فأبعده عن معارِك معارِّك.

وقال في قوله تعالى ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧]: نظر في استيفاء الدَّيْن بمقتضى الوكالة، وما علم أن صاحب الحق قد وَهَب.

وقال في قول فرعون ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١]: يفتخر بنهرٍ ما أجراه، ما أجراه!

[وقال: سأل إبليس الإنظار، فلما أجيب قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص: ٨٢] فقيل: جعلت شكر النعمة بالإنظار إغواء العباد، ولكن هكذا فعل أولاد الحلال!

وحضر مجلسه جماعة من المخالفين، فأنشد: [من الرجز]

ما للهوى العذري في ديارنا   أين العُذيب من قصور بابل

قلت: هذا البيت يقتضي المدح لهم، لأنه شبههم بالهوى العذري، وكذا العذيب وقصور بابل، لأنها كلها أماكن ممدوحة، وإنما كان يقال: [من البسيط]

أتظهرون نهاراً بين أظهرنا   أما نهاكم سليمان بن داود][١]

وتواجد رجل في المجلس، فقال: واعجباً، كلنا في إنشاد الضالة سواء، فلم وجدت أنت وحدك؟! وأنشد: [من الرمل]

قد كتمتُ الحبَّ حتى شفَّني   وإذا ما كُتِمَ الدَّاءُ قَتَلْ
بين عينيك علالات الكرى   فدعِ النومَ لربَّاتِ الحَجَلْ

ونظر يوماً إلى أقوام يبكون في ضائقة ويتواجدون، فأنشد:[من الطويل]

ولو لم يَهِجْني الظَّاعنون لهاجَني   حمائمُ وُرْقٌ في الدِّيارِ وقُوعُ
تداعين فاسْتَبْكَيْنَ من كان ذا هوى   نوائحُ لم تَقْطُرْ لهنَّ دموعُ
وكيف أطيقُ العاذلاتِ وذِكْرُهُمْ   يؤرِّقُني والعاذلاتُ هجوعُ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقام رجل فتواجد، فأنشد: [من الطويل]

وما زال يشكو الشوق حتى كأنه ... تنفَّس من أحشائه وتكلَّما
ويبكي فأبكي رحمةً لبكائه ... إذا ما بكى دمعاً بكيت له دما

وأعجبه يوماً كلامه، فأنشد: [من الرجز]

تزدحم الألفاظ والمعاني ... على فؤادي وعلى لساني
تجري بي الأفكار في ميدان ... أزاحم النجم على المكانِ

وكتب إليه بعضهم رقعةً يقول له فيها: أنت مشبهي. فقال: نعم، بالكلب. ثم قال: المشبِّه يثبت وأنتم محوتم [بالكاشة، دعونا فنحن أعرف بمذاهبكم منكم][1]، ثم أنشد: [من الوافر]

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا ... فنجهل فوق جَهْلِ الجاهلينا

[وقال في قصة الذين عبدوا العجل: لو أن الله خار لهم ما خار لهم، عبدوا العجل من غير فكرة، بل على الفور، وما يعبد العجل إلا ثور.

ومدح رجلاً بالكرم، فقال: نبل فضله يرمي عن قوس جوده، فقد صار الفقر في زمانه كالقنفذ.

وقال له رجل: لي صديقٌ كنت أنهاه عن المعاصي ولا يقبل، وقد وقع الآن في الحق، فقال له: اذهب إليه وقل له:

كم كنت بالله أقل لك لدى التواني غائله
وللقبح معرَّة تبين بعد قليل

وقال: لقي عيسى عليه السلام يوماً إبليس، فقال: أسألك بالحي القيوم، ما الذي يقطع ظهرك؟ فقال إبليس: صهيل الخيل في سبيل الله. فقال له رجل: نحترم اليمين ونعصي المحلوف به! فقال: قطع اليد لا يمنع من اعتياد السرقة، ولا ينفع انكسار القلب مع العزم على الإصرار على الذنب][1].

وانقطع القراء يوماً عن مجلسه، فأنشد: [من الطويل]

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وما الحَلْيُ إلا زينةٌ لنقيصةٍ يتمم من حُسْنٍ إذا الحُسْنُ قصَّرا
وأما إذا كان الجمالُ موفَّراً كحُسْنك لم يحتجْ إلى أَنْ يزوَّرا

[وقال في حق أمير المؤمنين علي: كان يسرع في القتال من غير توقف، مطبوعاً على الشجاعة من غير تكلف، هل قيل في حقه: إنه إذا لقي أبطالاً أنه أبطا، لا.

وقيل له: لم تقع النار على الحراق دون غيره؟ فقال: بينهما مناسبة من الأصل، وإنما تراكمُ الدُّخان حَجَبَ بينهما، فإذا زال ظهر.

قلت: معنى هذه المناسبة أنه قد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠] إنه شجر القطن، فكانت النار فيه كامنة إذا جعل حراقاً، والزناد يظهرها.

وقرئ بين يديه ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] فقال: قلع عيسى القانور - يعني الوتد - وسمر السفينة، ونبينا ﷺ ضرب البحر، وقال: أمتي أمتي.

وذكر يوماً أن الفتح بن شخرف(١) لما مات وجد غاسله كتابة في جسده بين الجلد والعظم: الله. ما كتبها كاتب، ثم قال: هذه علامة التوفيق ليكف الهوى كف التصرف.

وسأله رجل: لم لا جعل الطلاق للنساء كما جعل للرجال؟ فقال: لو كان كذلك، وتعوق الخبز ساعة وقع الثلاث.

وقال: الرجاء يلعب بالحصى، والأمل يضرب بالقرعة، والطمع يخط بالرمل.

وصاح رجل في المجلس، وهجَّ على وجهه، فأنشد الشيخ: [من الخفيف]

أقرِ عني السَّلام أهل المُصَلَّى](٢)

وقيل له: لم تعلَّل موسى عليه السلام بسوف تراني؟ فأنشد: [من الكامل]

إن لم يكن وَصْلٌ لديك لنا يشفي الصَّبابة فليكن وَعْدُ

وذكر حديث بلال، وأنه كان قد مُنِعَ من الطواف بالبيت، كان يقف من بعيد ويبكي، ثم أنشد: [من الوافر]

(١) له ترجمة في «صفة الصفوة»: ٢/ ٤٠٢-٤٠٤، والقصة بنحوها فيه.
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

أمــرُّ عــلــى مــنــازلــهــم وإنــي ... لــمــن أضــحــى بــه صــبٌّ مــشــوقُ
فــأومــي بــالــتــحــيــة مــن بــعــيــد ... كــمــا يــومــي بــأصــبــعــه الــغــريــقُ

[وقيل له: قد نبغ أقوام يتعانون الوعظ، وليس من شغلهم، فأنشد: [من مجزوء الكامل]

قــالــوا تــصــاهــلــت الــحــمــيــ ... ــر فــقــلــت إذ عــدم الــســوابــقْ
خــلــتِ الــديــار مــن الــرخــا ... خ فــفــرزنــت فــيــهــا الــبــيــادقْ

وقال: مطر الربيع تهاجُر العُشَّاق.

وذكر ضرب عمر رضي الله عنه الأرض بالدرة، فقال: الخائن خائف، والبريء جريء][(١)].

وسئل عن لعنة يزيد بن معاوية، فقال: قد أجاز الإمام أحمد ـ رحمة الله عليه ـ لعنته. ونحن نقول: ما نحبه لما فعل بابن بنت نبينا ﷺ، وحمله آل رسول الله ﷺ سبايا إلى الشام على أقتاب الجمال، وتجرُّئه على الله ورسوله ﷺ، فإن رضيتم بهذه المصالحة في قولنا: ما نحبه، وإلا رجعنا إلى أصل الدعوى، يعني جواز لعنته، أما أبوه ففي خفارة الصحبة، فدعوه من أيديكم، وأنتم في حِلٍّ من الابن. وقال رسول الله ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[(٢)] وما رآها يزيد قط، ودخلها معاوية.

[ثم قال: لا تدنسوا مجلسنا بذكر من ضرب بالقضيب ثنايا كان يقبلها رسول الله ﷺ، فجعلها يزيد غرضاً لبلوغ غرضه.

وقال: قال رسول الله ﷺ: «أذكركم الله وأهل بيتي»[(٣)]. قالها ثلاثاً.

ثم قال: هذا الصوت ما بلغ أهل الشام.

قلت: لا ذنب لأهل الشام في قصة الحسين عليه السلام، فإنه ما شهد قتله منهم أحد، وإنما قتله أهل العراق، أهل الشقاق والنفاق، وقد ذكرناه][(١)].

ثم قال جدِّي: تقدم رجلان إلى قاضٍ، فادَّعى أحدهما دعوى، وقال: لي عند هذا الكشحان دين، فقال القاضي للمدَّعى عليه: ما تقول يا كشحان؟ فقال الرجل: أما

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧٨١) من حديث أبي هريرة.
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم بنحوه.

تستحي وأنت حاكم المسلمين تشتمني؟! قال: ما شتمتك! قال: بلى، قلت لي كشحان. قال: أو ليس اسمك كشحان؟ قال: لا والله. قال: فما اسمك؟ قال: يزيد. قال: كشحان أصلح.

وقال: كم واعظ إذا خطب سبقت الباء الطاء، وأنشد: [من الكامل]

يا عُصْبة لا يفرقون بجهلهم ما بين سحبان ولُكْنة باقِلِ
أهذي ويهذي الجاهلون فنستوي لا فرق بين فضولهم وفضائلي

[وقال يوماً في مجلسه في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۖ﴾: من عادة القادم أن يبدأ بالسلام، فلما أزعجتْ نبيَّنا ﷺ ليلةَ المعراج أنوارُ الهيبة، قيل له: نحن نبدؤك بالسلام، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۖ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وكتب إليه رجل : أيما أفضل أتوب في نفسي أم بين الناس؟ فقال: إنما يقصد التائب بالتوبة بين الناس إما للتبرك بدعائهم، أو لخوف عود النفس إلى الذنب، فإذا شاهد الناس منه التوبة استحيا من الرجوع إلى الذنب، وفي الجملة فإن كنت أذنبت بينك وبين ربك فاستر توبتك، وإن كانوا شاهدوك على الذنب، فتب ظاهراً، لتقطع ظنة الشهود.

وكان يوماً يشرح أحوال الصالحين، فعورض بغير ذلك، فقال للسائل: لا تذكر لمن في طريق الحج إلا طريق مِنى.

وقطع شاب شعره، فقال: هذه الشعرة أوتار عود، ومعنى قطعها أنه لا أعود.

وقال مرة أخرى: الشعر أوتار رباب، يغني عليها شيطان الشباب.

وقال يوماً: يا أهل البدع، لو بقيت من السنة ذرة لأهلكتكم بمرة، وما خلقت الجنة إلا لأهل الكتاب والسنة.

وسئل ـ رحمه الله ـ عن علم إبليس أنه من المنظرين، فلِمَ فَرَّ من عمر؟ فأجاب بأجوبة أحدها لهيبة عمر رضي الله عنه، والمهيب مجتنب.

والثاني: أنه خاف من أذى يلحقه لا من إهلاكه، فإنه لقيه يوماً عمر، فصارعه، فصرعه عمر.

والثالث: لأن إبليس لا يسير إلا في ستر تلبيس، ونور عمر يفضح ظلام خديعته.

وسئل: كيف سَلِمَ موسى من التنور واليم، ولم يسلم من أخذ الجمرة حتى أحرقت لسانه؟ فأجاب بأجوبة، أحدها أن حفظ الجملة لا يمنع من نيل بعض الأطراف بالبلايا، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[المائدة: ٦٧] وقد كسرت رباعيته.

والثاني: إنها بهرجة مرت على فرعون سَلِمَ بها من القتل كقول الخليل: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾ [الصافات: ٨٩].

والثالث أنه قال: يابا، فعوقب لسانه، ويده لما مدت إلى لحية فرعون سلمت.

قلت: يابا، مخرجها من الشفتين، وليس مخرجها من اللسان][١].

وقال يوماً وقد طرب المجلس لكلام سمعوه منه: فهمتم فهمتم.

[وسئل عن قوله عليه السلام: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله»[٢] فأعطاها علياً ﷺ، فأين كان أبو بكر؟ فقال: لما كان يوم بدر قام أبو بكر ليقاتل، فقال له رسول الله ﷺ: «متعنا بنفسك»[٣]، ولما كان يوم خيبر سلَّم الراية إلى علي، وقال له: اخرج. فقعود من قعد بالأمر كخروج من خرج بالأمر، ولكن في قوله: متعنا بنفسك، فضيلة][١].

وسئل: لِمَ لم ينصَّ النبي ﷺ على خلافة أبي بكر رضوان الله عليه؟ فقال: قد جرت أشياء تجري مجرى النص، منها قوله: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»[٤]، و«اقتدوا باللذين من بعدي»[٥]، و«هلموا اكتب لأبي بكر كتاباً لئلا يختلف عليه المسلمون»[٦] فهذه أحاديث تجري مجرى النصوص، فهمها الخصوص، غير أَنَّ الرَّافضة في إخفائها كاللُّصوص.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد.

(٣) أخرجه الواقدي في مغازيه: ١/ ٢٥٧ ، ومن طريقه البيهقي في السنن: ٨/ ١٨٦ ، مرسلاً.

(٤) أخرجه البخاري(٦٦٤)، ومسلم (٤١٨) من حديث عائشة.

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣٢٤٥)، والترمذي (٣٦٦٣)، وابن ماجه (٩٧) من حديث حذيفة بن اليمان.

(٦) أخرجه أحمد (٢٤١٩٩)، وابن ماجه (١٦٢٧) من حديث عائشة.

وقال سائلٌ لما قال: أقيلوني: ما سمعنا مثل جواب علي رضوان الله عليه: والله لا أقلناك.

فقال [جدي][(١)]: لما غاب عليٌّ عن البيعة في الأول أخلف ما فات بالمدح في المستقبل، ليعلم السَّامع والرائي أَنَّ بيعة أبي بكر وإن كانت مِنْ ورائي فهي برأيي، ومثل ذلك الصَّدْر لا يرائي، وما أحسنَ استدلالَه حين قال: رضيك رسولُ الله ﷺ لديننا، أفلا نَرْضاك لدنيانا؟ [وسأل آخر، فقال: سيف علي نزل من السماء، فسعفةُ أبي بكر من أين؟ فقال: إن سَعَفَةً هزَّت يوم الردة، فأثمرت سبياً جاء منه مثل ابن الحنفية لأمضى من سيوف الهند، ثم قال: يا عجباً، الرافضة إذا مات لهم ميت تركوا معه سعفة، من أين وقع هذا الصلح؟!

سأل سائل: ما معنى قوله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض، فلينظر إلى أبي بكر»[(٢)]؟ فقال: الميت يقسم ماله، ويلبس الكفن، وأبو بكر أخرج المال كله، وتخلل بالعباء][(١)].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣] قال علي رضوان الله عليه: والله، إني لأرجو أن تكون هذه الآية نزلت فيَّ وفي عثمان. ثم قال: إذا اصطلح الخصوم، فما بال النَّظَّارة؟!

وقال: قال جبريل للرسول ﷺ: [سَلِّمْ][(١)] على عائشة، فلم يواجهها بالخطاب احتراماً لزوجها، وواجه مريم لأَنَّه ما كان لها زوج، فمن يحترمها جبريل، كيف يجوز في حقِّها الأباطيل؟!

وذكر يوماً حديث داود عليه السَّلام: وهبه آدم عليه السلام ستين سنة، وأن الله تعالى أتم لداود مئة، ولآدم ألفاً، ثم قال: المتوسط بين اثنين إذا كان كريماً غرم.

[قلت: وقد ذكر في كتابه المسمى بـ«فتح الفتوح» إلى طَرَفٍ من هذه الطُّرَف][(١)].

ذكر نبذة من أشعاره [التي جعلها في الواقعات من شعاره، وبلغني أنها عشر مجلدات في الأجناس والمدائح والصفات][(١)]، فمن ذلك: [من الطويل]

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) لم أجده فيما بين يدي من المصادر.

[يودُّ حسودي أَنْ يرى ليَ زلةً إذا ما رأى الزَّلاتِ جاءتْ أكاذيبُ
أرد جوى خصمي وليس بقادرٍ على ردِّ قولي فَهْو موتٌ وتعذيبُ
ترى أوجه الحُسَّاد بيضاً لرؤيتي وإنْ قمتُ عادت وهي سودٌ غرابيبُ
إذا فهت لم ينطق عدوي بلفظةٍ إذا ورد الضرغام لم يلغِ الذيبُ] (١)

[وقال](٢): [من المتقارب]

لعبتَ ومِثْلُكَ لا يلعبُ وقد ذَهَبَ الأطيبُ الأطيبُ
وقد كنتَ في ظلماتِ الشَّباب فلما أضاءَ انجلى المغيبُ
ألا أين أقرانُك الرَّاحلون لقد لاحَ إذْ ذهبوا المذهب
دعِ اللَّهو وارجعْ إلى مدح مَنْ له حَسَبٌ لا كما يحسبُ
وما المدح إلا بوصف الرِّجال وإلا فمادِحُهُمْ يكذبُ
إذا صاغَ ذو مِدَحٍ وصفهم فهمْ مدحوا لا الذي يطلبُ
ففكرتُ في شَرَفِ المُسْتضيء فحرتُ وتاه بي السَّبْسَبُ
أردتُ مديحاً فقال القريض إلى أين قل لي ترى تَذْهَبُ
خليفة رَبِّ الأنام ابن عم نبي الهدى بعد ذا مذهب

وقال أيضاً: [من السريع]

أقْتَلُ أدواءِ الرِّجال الوَجْدُ توقَّ نجداً فالغرامُ نجدُ
حيث الرِّياض والنسيم أُنُفٌ ودَنِفٌ ما يستفيق بعدُ
إن الصَّبا إذا جَرَتْ قادِحَةً نارَ الغرامِ ففؤادي الزَّنْدُ
تُعْدي المحبِّين الصَّبا كأنما لها على أهل الغرام حِقْدُ
لا تتلق نفحة نجدية هزلاً فهزل النفحات جدٌّ
ما كبدي بعدك إلا جذوة لها بترجيع الحنين وَقْدُ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

النـار قـلـبـي والـسّـمـوم نـفـسـي والـمـاء طَـرْفـي والـتُّـراب الـخَـدُّ
قـد كـدت أخـفـى عـن عـيـون حُـسَّـدي كـذا وجـودُ الـعـاشـقـيـنَ فَـقْـدُ

وقال أيضاً: [من الرمل]

لا وشُـعْـثٍ فـارقـوا أوطـانَـهُـمْ يـسـتـلـيـنـون الـسَّـبـيـلَ الأَوْعَـرا
كـلـمـا غـنَّـى بـهـمْ حـاديـهُـمُ أخـذت عِـيْـسُـهُـمُ تَـفْـري الـبُـرا
وافَـقَـتْ مَـنْ حَـمَـلَـتْ فـي شَـوْقِـهـا فـتـنـاسـتْ بـالـهـوىٰ طُـولَ الـسُّـرى

وقال أيضاً: [من السريع]

يـا صـاحـبـي إن كـنـتَ لـي أَوْ مـعـي فَـعُـجْ إلـى وادي الـحِـمـى نَـرْتَـعِ
وسَـلْ عـن الـوادي وسُـكَّـانـه وانْـشُـدْ فـؤادي فـي رُبـا الـمَـجْـمَـعِ
حـيِّ كـثـيـبَ الـرَّمْـلِ رَمْـلِ الـحِـمـى وَقِـفْ وسَـلِّـمْ لـي عـلـى لـعـلـع
واسْـمَـعْ حـديـثـاً قـد رَوَتْـه الـصَّـبـا تـسـنـده عـن بـانـةِ الأَجْـرَعِ
وابـكِ فـمـا فـي الـعـيـن مِـنْ فَـضْـلَـةٍ وَنُـبْ فَـدَتْـكَ الـنَّـفْـسُ عـن مـدمـعـي
وانـزلْ عـلـى الـشِّـيْـحِ بـواديـهـمُ واشـمـم عـشـيـبَ الـبـلـد الـبَـلْـقَـعِ
رِفْـقـاً بـنِـضْـوٍ قـد بَـراه الأسـى يـا عـاذلـي لـو كـان قـلـبـي مـعـي
إذا تـذكَّـرْتُ زمـانـاً مـضـى فـويـحَ أجـفـانـيَ مِـنْ أَدْمُـعـي
يـا نـفـسُ كـم أتـلـو حـديـثَ الـمُـنَـى ضـاعَ زمـانـي بـالـمُـنَـى فـاقْـطَـعـي
يـا قـلـب لا تـسـكـن عـلـى بُـعْـدهـم وأنـتِ يـا عـيـنُ فـلا تَـهْـجَـعـي

وقال أيضاً: [من المتدارك]

أَتُـرى سـألـوا لـمـا رَحَـلُـوا مـاذا فـعـلـوا فـيـمـن قَـتَـلُـوا
خَـدَعـوا بـالـبَـيْـنِ قـتـيـل الـبـيـ ـنِ فَـسُـحْـبُ الـعـيـنِ لـهـم ذلـلُ
وغـدوا فـطـمـعـت غـداةَ سـمـت مـنـي وقـنـعـتُ بـمـا بـذلـوا
أحـلـيـف الـنـومِ أقـلَّ الـلَّـوْ م فـعـنـدي الـيـوم بـهـمْ شُـغُـلٌ
أدنـى جـزعـي لـم يُـبْـقِ مـعـي قـلـبـاً فـيـعـي مـنـذ احـتـمـلـوا

وبـســمـعـي ثـوَّر سـائـقـهـم ... وبـعـيـنـي قُـرِّبـتِ الـبُـزْلُ
جِـلْـدي سَـلَـبُـوا جَـسَـدِي نـهـبـوا ... كـمـدي وهـبـوا كـبـدي نـبـلـوا
لـمـا ذرفـتْ عـيـنـي وَقَـفَـتْ ... أتـرى عَـرَفَـتْ مـا بـي الإبـلُ
ولـحـا الـلاحـي وَهُـوَ الـصَّـاحـي ... ولـهـم راحـي وأنـا الـثَّـمِـلُ

وقال: [من مجزوء الرجز]

تـمـلَّـكـوا واحـتـكـمـوا ... وصـار قـلـبـي لـهـمُ
تـصـرَّفـوا فـي مُـلـكـهـم ... فـلا يـقـال ظـلـمـوا
إن واصـلـوا مـحـبَّـهـم ... أو قـطـعـوا فـهـمْ هُـمُ
اصـبـرْ لـمـا شـاؤوا وإن ... سـاء الـذي قـد حـكـمـوا
يـا أرض سَـلْـعٍ خـبّـري ... وحـدثـيـنـي عـنـهـمُ
يـالـيـت شـعـري إذ غـدوا ... أأنـجـدوا أم أتـهـمـوا
تـشـتـاقـهـم أرض مـنـى ... وتـشـتـكـيـهـم زمـزمُ

وقال: [من المتقارب]

إذا جـزتَ بـالـغـور عَـرِّجْ يـمـيـنـا ... فـقـد أخـذ الـشَّـوق مِـنَّـا يـمـيـنـا
وسَـلِّـمْ عـلـى بـانـةِ الـواديَـيْـنِ ... فـإنْ سَـمِـعَـتْ أوشـكَـتْ أن تـبـيـنـا
ومِـلْ نـحـو غُـصْـنٍ بـأَرْضِ الـنَّـقـا ... ومـا يُـشْـبِـهُ الأيـكَ تـلـك الـغُـصـونـا
وَصِـحْ فـي مـغـانـيـهـمُ أيـن هُـمْ ... وهـيـهـاتِ أَمَّـوْا طـريـقـاً شَـطُـونـا
وروِّ ثـرى أرضـهـمْ بـالـدُّمـوعِ ... وخَـلِّ الـضُّـلـوعَ عـلـى مـا طُـويـنـا
أراك يَـشُـوقُـكَ وادي الأراكِ ... ألـلـدَّارِ تـبـكـي أم الـظَّـاعـنـيـنـا
سـقـى الـلـه مـرتَـعَـنـا بـالـحِـمـى ... وإن كـان أَوْرَثَ داءً دَفِـيْـنـا
وعـاذلـةٍ فـوق داءِ الـمـحـبِّ ... رويـداً رويـداً بـنـا قـد بـلـيـنـا
لـمـن تـعـذلـيـن أمـا تـعـذُريـنَ ... فـلـو قـد نـفـعـتِ دفـعـتِ الأنـيـنـا
إذا غَـلَـبَ الـحُـبُّ ضـاع الـعـتـاب ... تَـعِـبْـتِ وأَتْـعَـبْـتِ لـو تـعـلـمـيـنـا

ذِكْرُ وفاته رحمه الله تعالى:

جلس جدِّي يوم السبت سابع شهر رمضان تحت تُرْبة أُمِّ الخليفة المجاورة لمعروف الكَرْخي. قال المصنف رحمه الله: وكنتُ حاضراً، فأنشد أبياتاً، وقطع عليها المجلس، وهي: [من الكامل]

اللهَ أسألُ أنْ يطوِّلَ مُدَّتي ... وأنال بالإنعام ما في نِيَّتي
لي همةٌ في العِلْم ما في مِثْلها ... وهي التي جَنَتِ النُّحولَ هي التي
خُلِقَتْ من القلق العظيم إلى المُنى ... دُعِيَتْ إلى نَيْلِ الكمال فَلَبَّتِ
كم كان لي مِنْ مجلسٍ لو شُبِّهَتْ ... حالاتُهُ لتشبَّهَتْ بالجَنَّةِ
أشتاقُهُ لما مَضَتْ أيَّامُهُ ... عَطَلاً وتُعْذَرُ ناقةٌ إنْ حَنَّتِ
يا هَلْ لليلاتٍ بجمعٍ عودةٌ ... أم هَلْ على وادي مِنًى مِنْ نَظْرَةِ[1]
قد كان أحلى من تصاريف الصَّبا ... ومن الحَمَامِ مُغَنِّياً في الأيكةِ
فيه البديهاتُ التي ما نالها ... خَلْقٌ بغير مخمَّرٍ ومبيَّتِ
برجاحةٍ وفصاحةٍ وملاحةٍ ... يقضي لها عدنانُ بالعربيةِ
وبلاغةٍ وبراعةٍ ويراعةٍ ... ظنَّ النَّباتي أنها لم تَنْبُتِ
وإشارةٍ تُبْكي الجُنَيْدَ وصحبَهُ ... في رِقَّةٍ ما قالها ذو الرُّمَّةِ

ونزل من المنبر، فَمَرِضَ خمسةَ أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين في داره بقطفتا.

وحكت لي والدتي ـ رحمها الله تعالى ـ أنها سمعته يقول قُبيل موته: أيش أعمل بطواويس ـ يردِّدُها ـ قد جبتم لي هذه الطَّواويس.

وحضر غَسْله شيخنا ضياء الدِّين بن سُكَيْنة، وضياء الدين ابن الجبير وقت السَّحَر، واجتمع أهلُ بغداد، وغُلِّقتِ الأسواق، وجاء أهل المحال، وشدَدْنا التَّابوت بالحبال، وسلَّمناه إليهم، فذهبوا به إلى تحت التُّرْبة مكان جلوسه، فصلَّى عليه ابنه أبو القاسم علي اتِّفاقاً، لأنَّ الأعيان لم يقدروا على الوصول إليه، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور فصلُّوا عليه، وضاق بالنَّاس، وكان يوماً مشهوداً، لم يصل إلى حُفْرته بمقبرة الإمام أحمد ابن حنبل

(١) هذا البيت لمهيار الديلمي، وهو في «ديوانه»: ج١/ ١٥٤، قد ضمنه ابن الجوزي في قصيدته، وانظر ص٣٧٨ من هذا الجزء.

ـ رحمة الله عليه ـ إلى وقت صلاة الجُمُعة، وكان في تموز، وأفطر خَلْقٌ كثير ممن صحبه، ورموا نفوسهم في خندق الطَّاهرية في الماء، وما وصل إلى حُفْرته من الكفن إلا قليل، ونَزَلَ في الحُفْرة والمؤذِّنون يقولون: الله أكبر، وحَزِنَ النَّاسُ عليه حُزْناً شديداً، وبكوا بكاءً كثيراً، وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات بالقناديل والشُّموع والجماعات، ورآه في تلك الليلة رجلٌ صالح من أهل الحَرْبية ـ محدِّث اسمه أحمد بن سلمان، ويلقب بالشُّكْر ـ في منامه وهو على منبرٍ من ياقوت مرصَّع بالجواهر، وهو جالسٌ في مقعد صِدْق، والملائكة جلوس بين يديه، والحقُّ سبحانه حاضر يسمع كلامه. [وأصبحنا يوم السبت][(١)] وعملنا عزاءه، وتكلَّمْتُ فيه، وحَضَرَ خَلْقٌ عظيم، وقام الفاخر العَلَوي من أهل مشهد موسى بن جعفر عليه السَّلام، فأنشد: [من الكامل]

الدَّهْرُ عن طَمَعٍ يُغر ويخدعُ ... وزخارفُ الدُّنيا الدَّنِيَّةِ تُطْمِعُ
وأعِنَّةُ الآمالِ يُطْلِقُها الرَّجا ... طَمَعاً وأسيافُ المَنِيَّة تَقْطَعُ
والمرءُ مَعْ عِلْمٍ بها متشوِّفٌ ... أبداً إلى نَيْلِ المُنَى مُتَطلِّعُ
يا لاهياً أَمِنَ الحوادثَ غِرَّة ... يغدو بصفو زمانه يتمتَّعُ
الشَّيْبُ يا مغرورُ يأنفه الرَّدى ... أأمنتَ مِنْ حَدَثانِهِ ما تَفْزَعُ
والموتُ آتٍ والحياةُ مريرةٌ ... والنَّاس بعضُهمُ لبعضٍ يَتْبَعُ
وأخو البصيرةِ مَنْ لخيرٍ زارعٌ ... والمرءُ يحصُدُ في غدٍ ما يَزْرَعُ
واعلمْ بأنَّك عن قليلٍ صائرٌ ... خَبَراً فكُنْ خَبَراً لخيرٍ يُسْمَعُ
لِعُلا أبي الفَرَجِ الذي بعد التُّقى ... والعِلْم يوم حواه هذا المضجعُ
مازال منتصراً لمذهبِ أحمدٍ ... بالحقِّ والحُجَجِ التي لا تُدْفَعُ
حِبْرٌ عليه الشَّرْعُ أصبحَ والهاً ... ذا مُقْلَةٍ حَرَّى عليهِ تَدْمَعُ
مَنْ للفتاوى المُشْكلاتِ وحلِّها ... مَنْ ذا لِخَرْقِ الشَّرْعِ يوماً يَرْقَعُ
مَنْ للمنابرِ إن تفاقَمَ خَطْبُها ... ولِرَدِّ مسألةٍ يقولُ فَيُسْمِعُ
مَنْ للجِدال إذا الشِّفاه تقلَّصَتْ ... وتأخَّر القَرْمُ الهِزَبْرُ المِصْقَعُ
مَنْ للدَّياجي قائماً ديجورَها ... يتلو الكتابَ بمُقْلَةٍ لا تَهْجَعُ

---

(١) في (ح): وعملنا يوم السَّبت عزاءه، والمثبت مابين حاصرتين من (م) و(ش).

أجـمـال ديـن مـحـمـدٍ مـاتَ الـتُّـقـى والـعِـلْـم بـعـدك واسـتـجـمَّ الـمَـجْـمَـعُ
وَتَـزَعْـزَعَـتْ لـعـظـيـمِ يـومـك حـسـرةً صـمُّ الـجـبـالِ وكـيـف لا تـتـصـدَّعُ
قـد كـنـتَ كَـهْـفـاً لـلـشَّـريـعـةِ والـهُـدى حِـبْـراً بـأنـوار الـهـدايـة تَـلْـمَـعُ
يـا قَـبْـرَهُ جـادَتْـك كـلُّ غـمـامـةٍ هـطَّـالـةٍ بـركـابـه لا تُـقْـلِـعُ
فـيـك الـصَّـلاةُ مـع الـصِّـلاتِ فَـتِـهْ بـه وانـظـرْ بـه يـا ويـك مـاذا تَـصْـنَـعُ
يـا أحـمـد خُـذْ أحـمـدَ الـثَّـانـي الـذي مـازال عـنـك مُـدافـعـاً لا يَـرْجِـعُ
خُـذْ يابنَ حَنْبل سَيْفَكَ الماضي الذي مـازال عـنـك إذاً يـذبُّ ويَـدْفَـعُ
أقـسـمـتُ لـو كُـشِـفَ الـغِـطـا لـرأيـتـمُ وَفْـدَ الـمـلائـكِ حـولَـه تـتـسـرَّعُ
ومـحـمـدٌ يـبـكـي عـلـيـه وآلُـهُ خـيـرُ الـبـريـةِ والـبـطـيـنُ الأَنْـزَعُ
والـحُـورُ حُـوْرُ الـقُـدْسِ حـول ضـريـحـه والأولـيـاءُ بـقـبـره تـتـضـرَّعُ

من أبيات.

ومن العجائب أننا كنا يوم السبت بعد انفضاض العزاء جلوساً عند قبره، وإذا بخالي محيي الدِّين قد صَعِدَ من الشَّطِّ، وخلفه تابوتٌ، فعجبنا، [وقلنا[١]: ترى من مات عنده في الدار؟ وإذا بها خاتون بنت عبد الله أم ولد جدي، والدة خالي محيي الدين، وعهدي بها ليلة الجمعة التي مات فيها جدي في عافية، قائمة ليس بها مرض]، فكان بين موتها وموته يوم وليلة، وعَدَّ النَّاسُ ذلك من كراماته، لأنه كان مغرًى بها [في حال حياته][٢].

وأوصى [جدي][٢] أن يكتب على قبره: [من مجزوء الرمل]

يـا كـثـيـرَ الـعَـفْـوِ عَـمَّـنْ كَـثُـرَ الـذَّنْـبُ لـديـه
جـاءكَ الـمُـذْنِـبُ يـرجـو الـصـفْـحَ عـن جُـرْمٍ يـديـه
أنـا ضـيـفٌ وجـزاءُ الـضـيـفِ إحـسـانٌ إلـيـه

(١) في (ح): فعجبنا، وإذا بها والدة محيي الدين، وعهدي بها ليلة الجمعة في عافية، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ذِكْرُ أولاده:

كان له من الولد الذكور ثلاثة: عبد العزيز، وهو أوَّل أولاده، وكنيته أبو بكر، تفقّه [على مذهب أحمد، وسمع أبا الوقت وغيره، وابن ناصر، والأرموي،][(١)] وسمع جماعةً من مشايخ والده، وسافر إلى المَوْصل ووعظ بها، وحَصَلَ له القَبُول التَّام، فيقال: إن بني الشَّهْرُزوري حسدوه، فدسُّوا إليه من سقاه السُّمَّ، فمات بالمَوْصل سنة أربع وخمسين وخمس مئة.

وأبو القاسم عليّ، كَتَبَ الكثير، [وسمع الحديث من ابن البطي وغيره،][(١)] وهو الذي أظهر مصنَّفات والده، وباعها [بيع العبيد، ولما مضى والده إلى واسط كانت كتبه في داره بدرب دينار، فتحيَّل عليها بالليل والنهار حتى أخذ منها ما أراد، وباعها ولا][(١)] بثمن المداد، وكان أبوه قد هجره مدة سنين، فلما امتحن [أبوه][(١)] صار إلباً عليه [للمعادين، وتوفي أبوه ولم يشهده، وأقام على ما نعرفه منه ونعهده ـ اللهم غفراناً ـ ولقد بلغني عنه أنه قال: قال لي أبي: يا أبا القاسم، قد قال النبي ﷺ: «إن البركة لتبلغ السابع من الولد»[(٢)]، فأنت لمن تشبه؟ قال: فقلت له: أنت السابع][(١)]، وتوفي سنة ثلاثين وست مئة، وله ثمانون سنة [وسنذكره][(١)].

وأبو محمد يوسف محيي الدِّين، ولد سنة ثمانين وخمس مئة، وسمع الحديث الكثير، وتفقَّه، وناظر، [ونشأ على الطرائق الرشيدة، والخلائق الحميدة، وهو كان السبب في خلاص والده من واسط][(١)]، ووعظ بعد وفاة أبيه تحت تُرْبة والده الإمام، وقام بأمره [أحسن قيام،][(١)] وولي حسبة بغداد، [وسلك طريق العقل والسَّداد][(١)]، وترسَّل عن الخلفاء إلى الملوك، [وسلك في ترسُّله السَّبيل المسلوك قال:][(١)] وتقلَّبتْ به الأحوال [والأمور][(١)] في مدة سنين إلى سنة أربعين، إلى أن ولي أستاذ دارية الإمام المستعصم [بالله أمير المؤمنين][(١)]، وأول ترسُّله عن الإمام الظَّاهر سنة ثلاثٍ وعشرين وست مئة إلى أولاد العادل: الأشرف والمُعَظَّم والكامل، وآخر ما انفصل عن الشَّام سنة خمس وثلاثين [وست مئة إلى بغداد، وفي تلك السنة توفي صاحب الروم والكامل والأشرف، وكان

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) لم أجده فيما بين يدي من المصادر.

لجدِّي عِدَّة بنات منهن والدتي رابعة][١]، وشرف النِّساء، وزينب، وجوهرة، وست العلماء الكبرى، وست العلماء الصُّغرى، وكلهن سمعن الحديث [من جدي وغيره][٢].

عمر بن علي الواعظ الحربي[٣]

[شيخنا[٤]، ولد سنة أربع عشرة وخمس مئة، وسمع الحديث الكثير، وتوفي في شوال بالحربية، ودفن بباب حرب، وكان بين وفاته وبين وفاة جدي شهر، سمع ابن الحصين، وقاضي المارستان، وابن السمرقندي وغيرهم، وأنشدنا لنفسه]: [من السريع]

مَنْ داومَ العُزْلَةَ في دَهْرِه ... كان له تصحيفُها[٥] دائما
فجانِبِ الخَلْقَ جميعاً وثِقْ ... بخالقِ الخَلْقِ تَعِشْ سالما
[وخَلِّهم ألا ففي حِلِّهم ... تطيحُ واهجرهُمْ تكن غانما][٢]

وكان صالحاً ثقةً.

قراقوش الخادم بهاء الدين[٦]

من أكابر الأُمراء، من خُدَّام القَصْر، وقيل: من خُدَّام العاضد، وقيل: من الأسدية، [وهو الذي][٢] أُسِرَ في عكا، ففداه السُّلْطان بستين ألف دينار، وهو الذي بنى قلعة القاهرة والسُّور على مِصْر والقاهرة، والقنطرة التي عند الأهرام وغيرها، وله واقعاتٌ عجيبة مع المِصْريين حتى صنَّفوا له كتاباً [في واقعاته][٢] وسموه «الفاشوش في أحكام قراقوش»، [وفيه العجائب][٢].

---

(١) في (ح): وكان للشيخ أبي الفرج عدَّة بنات، منهن رابعة، والدة المصنِّف رحمه الله، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة»: للمنذري ١/ ٤٠١، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ١٠٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٥٣-٣٥٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) في (ح): ولد سنة أربع عشرة وخمس مئة، قال المصنِّف رحمه الله: أنشدنا لنفسه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في هامش (ح): «لو قال: «تقطيعها» كان أجود».

(٦) له ترجمة في «التكملة»: للمنذري ١/ ٣٨٩، و«كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٨٤-٤٨٥، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٩٦، «وفيات الأعيان»: ٤/ ٩١-٩٢، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٢٩٨، «النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٧٦-١٧٨، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٣٣١-٣٣٢، وأخباره منثورة في هذا الكتاب.

محمد بن محمد(١)

ابن حامد ابن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أَلُّهْ بتشديد اللام(٢) ـ وهو اسمٌ فارسي، ومعناه بالعربية العقاب ـ أبو عبد الله بن أبي الفَرَج، العماد الكاتب الأصفهاني، المنشئ، ويعرف بابن أخي العزيز، [وقد ذكرنا جملة من أخباره وعبارته وآثاره، وذكره الحافظ ابن عساكر، فقال:(٣)] ولد بأصبهان سنة تسع عشرة وخمس مئة، وبها نشأ، وقَدِمَ بغداد سنةَ أربعٍ وثلاثين في خدمة أبيه، وتفقَّه على مذهب الشَّافعي [على أبي منصور سعيد بن محمد بن الرزاز، مدرس النظامية](٣) وسمع [عليه](٣) الحديث، واشتغل بعلم الأدب، وبَرَعَ في الإنشاء، وخَدَمَ الوزير يحيى ابن هُبيرة، وكان أحدَ كُتَّابه وشعرائه، ثم [سافر إلى الشَّام، و](٣) قدم دمشق في أيام نور الدين، فأنزله القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري في المدرسة التي في نواحي باب الفرج [عند حمام القُصَيْر](٣)، وكان نجم الدين أيوب بدمشق، فقصد زيارته ليرفع من قدره، (٤)[ومدحه العماد، وقد ذكرناه في سنة اثنتين وستين وخمس مئة، ثم مدح نور الدين وأسد الدين وصلاح الدين، وكان فاضلاً عارفاً بالأدب، أخذه عن ابن الخشاب وغيره، وله الترسل والنظم والنثر، وكان] حافظاً لدواوين العرب، وصنَّف المصنَّفات الحسان كـ«البَرْق الشَّامي» و«الفَتْح القسي في الفَتْح القُدْسي» و«خريدة القَصْر في شعراء أهل العَصْر»، وغير ذلك.

وكان القاضي الفاضل يقول: العماد كالزِّناد الوقاد، يعني أَنَّ النَّار في باطنه كامنة، وظاهره فيه فترة، وكان يحبه ويثني عليه ويمازحه، وهو الذي استخدمه عند صلاح الدين، [وقد ذكر العماد نفسه في «الخريدة»، ومبدأ حاله، وأن عمه العزيز قتل بتكريت، وأن أبا

---

(١) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ١٩/ ١١-٢٨ ، و«الكامل»: ١٢/ ١٧٦ ، و«التكملة» للمنذري ١/ ٣٩٢-٣٩٣ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١١٢-١١٣ ، «وفيات الأعيان»: ٥/ ١٤٧ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٤٥-٣٥٠ ، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) كذا قال، وضبطه ابن خلكان في وفيات الأعيان ٥/ ١٥٢ : بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ح): فقصد زيارته ليرفع من قدره، وكان فاضلاً حافظاً لدواوين...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

العماد صودر بأصبهان، وخرجوا منها، وقدموا بغداد في سنة أربع وثلاثين وخمس مئة، وأنه عاد إلى أصبهان في سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة في زي طلبة العلم، وأنه لقي بها الفضلاء، وصحب العلماء، وخرج منها في سنة ثمان وأربعين وخمس مئة على نية الحج، ثم عاد إليها، ثم سافر إلى بغداد مع أبيه في سنة إحدى وخمسين وخمس مئة، ومدحه(١) بقصائد، فاستكتبه، واستنابه بواسط وأعمالها.

ذِكْرُ جملة من مدائحه في الوزير، وذكر عمه أبي الرجاء حامد بن محمد(٢):

وقال: كان يحفظ شعر البحتري، ودواوين العرب، ومن شعر حامد: [من الوافر]

تـولَّـى الـجَـهْـلُ وانـقـطـع الـعـتـابُ ... ولاحَ الـشَّـيْـبُ وافـتـضـحَ الـخـضـابُ
لـقـد أبـغـضـتُ نـفـسـي فـي مـشـيـبـي ... فـكـيـف يـحـبـنـي الـخُـودُ الـكِـعـابُ

قال: وتوفي عمي سنة نيف وتسعين وأربع مئة بأصبهان](٣).

وكانت وفاة العماد بدمشق يوم الاثنين غُرَّة رمضان، ودُفِنَ بمقابر الصُّوفية عند المُنَيْبِع على الجادة.

[سمع أبا الفتوح الإسفراييني، وأبا القاسم بن الصباغ، وعلي بن محمد بن الهيثم العلوي بأصبهان، وبالشام الحافظ ابن عساكر، وشيوخ ذلك العصر، ولي من العماد إجازة.

قال: ومن شعر العماد، وقد ذكرنا في أثناء الكتاب نبذاً منه تدل على إيراده في الفصاحة وإصداره، فمنها يتشوق إلى دمشق: [من المتقارب]

أجـيـرانَ جـيـرونَ مـالـي مـجـيـر ... سوى عطفِكُمْ فاعدلوا أو فجوروا
ومـالـي سـوى طـيـفِـكُـمْ زائـرٌ ... فـلا تـمـنـعـوه إذا لـم تـزوروا
يَـعِـزُّ عـلـيَّ بـأنَّ الـفـؤاد ... لـديـكـم أسـيـرٌ وعـنـكـم أسـيـرُ
ومـا كـنـتُ أعـلـم أنـي أعـيـ ... ـشُ بـعـد الأحِـبَّـة إنـي صـبـورُ

(١) ثمة سقط، ولعلّه، فاتصل بالوزير يحيى بن هبيرة، ومدحه....
(٢) لم يُذكر شيء تحت هذا العنوان، ويبدو أنه مما حذفه مختصر الكتاب قطب الدين اليونيني.
(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

إلى ناس بناس لي صَبْوَةٌ … لها الوجدُ داعٍ وذكرى مثيرُ
يزيد اشتياقي وينمو كما … يزيدُ يزيدُ وثورا يثورُ
ومن بردى بَرْدُ قلبي المشوق … فها أنا من حَرِّه مستجيرُ
فقدتكُمُ ففقدت الحياة … ويوم اللِّقاء يكون النُّشورُ
أيا راكب النِّضو يُنْضي الرِّكابَ … تسيرُ وخطب سُراه يسيرُ
يؤمُّ دمشق ومن دونها … تجابُ سهول الفلا والوعورُ
إذا ما بلغت فبلِّغهُمُ … سلاماً تأرَّج منه العبيرُ
فيا طيب بشراي من جِلِّقٍ … إذا جاءني بالنجاح البشير
ويستبشرُ الأصدقاء الكرام … هنالك بي وتوفَّى النُّذُور
ترى بالسلامة يوماً يكون … بباب السلامة مني عبورُ
وباب الفراديس فردوسُها … وسُكَّانها أحسن الناس حورُ
والارزة فالسَّهْمُ فالنيربان … فجنَّات مِزَّتها فالكُفُورُ
وما جنَّةُ الخُلْدِ إلا دمشقٌ … وفي القلب شوقاً إليها سعيرُ
ميادينها الخُضْر فِيْحُ الرِّحاب … وسلسالها العَذْبُ صافٍ نميرُ
وجامعها الرَّحْب والقبة الـ … ـمنيفة والفلك المستديرُ
كأنَّ الجواسقَ مأهولةً … بروجٌ تطلَّعُ منها البدورُ
بنيربها تتبرَّا الهمومُ … بربوتها يتربَّى السُّرور
وعند المغارة يوم الخميس … أغار على القلب مني مغيرُ
وعند المُنَيْبع عينُ الحياة … مدى الدهر نابعةٌ ما تغورُ
بجسر ابن شواس تم السكون … لنفسي بنفسيَ تلك الجسورُ
وكم بتُّ ألهو بقرب الحبيـ … ـب في بيت لهيا ونام الغيورُ
وأشجار سطْرىٰ بدت كالسطو … ر نمَّقَهُنَّ البليغ البصيرُ
إلام القساوة يا قاسيون … وبين السنا يتجلى سَنِيْرُ][1]

ومن شعره: [من الخفيف]

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

دارِ غيرَ اللبيب إن كنت ذا لـ ـبٌ ولاطِفْه حين يأتي بخَرْقِ
فأخو السُّكْرِ لا يخاطبه الصَّا حي إلى أنْ يُفيق إلا بِرِفْقِ

وقال: [من الكامل]

بالله يا ريحَ الشَّمال تَحَمَّلي مني التَّحيةَ نحو ذاك المَنْزِلِ
خُفِّي إلى حَمْلِ السَّلام وخَفِّفي عن قَلْبِ صَبٍّ بالصَّبابةِ مُثْقَلِ
قولي لمن شُغِلَ الفؤادُ بحبِّه ويُخال أنَّ فؤاده منه خَلِي
حُلَّتْ عقودُ دموعِه وعقودُهُ وعهودُهُ معقودةٌ لم تُحْلَلِ
سُقْيا لأحبابٍ تبدَّلَ ودُّهُمْ بعدي ولم أنقضْ ولم أتبدَّلِ
الظَّاعنين وودُّهُم مستوطنٌ والرَّاحلين وذِكْرُهُمْ لم يَرْحَلِ
لي بعدَهُمْ حالُ المعنَّى المُبْتلى حُزْناً وعينُ السَّاهر المُتَملْمِلِ
يا راكباً يطوي الفلا مستعجلاً هيَّجْتَ أحزاني فلا تَسْتَعْجِلِ
أَقْفَلْتَ باب مسرَّتي وفتحتَ مِنْ دَمْعي وحُزْني كلَّ بابٍ مُقْفَلِ
عَرِّجْ وعُجْ نحو الحِمى سُقيَ الحِمى واعدلْ فليس عن الحِمى من مَعْدِلِ

وقال: [من الطويل]

أَأَحبابنا من بَعْدِنا كيفَ أنتمُ فقد بان صَبْرِي والكرى منذ بنتمُ
ومازلتُمُ أهل المودَّة والوفا ولكنَّما جار الزَّمان فخنتُمُ
وإني بحالٍ لستُ أذكر شَرْحها على كلِّ حالٍ أنتمُ كيف أنتمُ
محبكُمُ مِنْ لوعةِ البَيْنِ مُشْتَكٍ وقد كنتم تشكُونه لو علمتُمُ
أسيركُمُ العاني أما تُطْلِقُونَه فديتكُمُ ما ضرَّكُمْ لو مننتُمُ

وقال: [من الطويل]

أيا ساكني مِصْر عفا الله عنكُمُ وعافاكم مما أنا فيه منكُمُ
أبيت على هِجْرانكم متندِّماً ومَنْ ينأَ عنكُمْ كيفَ لا يتندَّمُ
فإن كنتُمُ لا تعلموا ما لَقِيْتُهُ من الوَجْدِ والأشواقِ فالله يعلمُ
[بقيتم وعشتم سالمين من الأذى ومنية قلبي أن تعيشوا وتسلموا](١)

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

محمد بن المبارك بن محمد(١)

الظَّهير، أبو غالب المِصْري.

ولد سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة، ومن شعره: [من الوافر]

تقنَّعْ بالقليلِ وعِشْ عزيزاً خفيفَ الظَّهْرِ من كلفٍ وإثْمِ
وإلا هيِّي نَفْسَك للبلايا وهمٍّ واردٍ في إثْرِ هَمِّ

مكلبة بن عبد الله المستنجدي(٢)

[كان خازناً بدرب دينار الكبير، و](٣) كان صالحاً يقوم الليل، سَمِعَ المؤذِّن يقول وقت السَّحَر: [من مجزوء الرمل]

يا رجالَ اللَّيْلِ جُدُّوا رُبَّ صوتٍ لا يُرَدُّ
ما يقومُ اللَّيلَ إلا مَنْ له عَزْمٌ وجِدُّ

فبكى مكلبة بكاء شديداً، وصاحَ بالمؤذِّن: زِدْ، فقال [المؤذن](٣):

قد مضى الليل وولى وحبيبي قد تجلَّى

فصاح مكلبة، ومات. فاجتمع جميعُ مَنْ ببغداد على باب داره، وكان يوماً عظيماً لم ير ببغداد مِثْلُه، وأُخرجت جنازته، فالسَّعيد مَنْ وَصَلَ إلى كفنه، وقُطِّعَ الكَفَنُ قِطَعاً، ودُفِنَ بالوردية.

أبو منصور ابن نُقْطة المزكلش(٤)

(٥)[كان يقول كان وكان، ولا يعرف الخط، وهو أخو عبد الغني الزاهد، وعوتب على حاله، وقيل له: أخوك زاهد بغداد، وأنت كذا! قال:

(١) له ترجمة في «التكملة»: للمنذري ١/ ٣٨٧، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ١٣٩-١٤٠، و«الوافي بالوفيات»: ٤/ ٣٨٢.
(٢) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ١١٣-١١٤.
(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٤) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ١١٤-١١٥.
(٥) في (ح): أخو عبد الغني الزاهد، كان يقول كان وكان، ولا يعرف الخط وكان منحرفاً... والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

في الـدار بيـريـن ذي حـلـوة وذي مـرَّه

وقد ذكرناه.

وكان أبو منصور] منحرفاً عن عليٍّ عليه السَّلام، جرى حديثُ قتل عثمان رضوان الله عليه، وأنَّ علياً كان بالمدينة ولم يقدر على الوصول إليه، فقال [ابن نقطة، أبياتاً، منها](١):

ومن قتل في جواره مثل ابن عفان واعتذر يجب عليه أن يقبل بالشَّام عذر يزيد

فأراد الشيعة قتله.

[قلت: قبحه الله، وأين وجه المشابهة بين الحالين، وابن زياد إنما قدم بكتاب يزيد على قتل الحسين، وقد جرح عليّ يوم الدار لنصرة عثمان، وفعل ما استطاع بقدر الإمكان](١).

وكان يسحِّر النَّاس في رمضان، فوثبوا عليه ليلة، وكان الإمام الناصر في المنظرة وهو واقفٌ يسحر يقول: أي نياما، قوما قوما، السحور قوما. فعطس الخليفة، فقال [ابن نقطة](١): أي من عطس في الروزنة يرحمكم الله قوما، فبعث له مئة دينار، وحماه من الشيعة، فمات بعد قليل.

السنة الثامنة والتسعون وخمس مئة

في المحرَّم ولى الخليفة عبد اللطيف بن نَصْر الكيال الواسطي قضاء واسط، وخَلَعَ على ابنِ علي بن الرَّبيع الواسطي، ودرس بالنِّظامية.

وكانت السِّعايات قد كَثُرَتْ ببغداد، ففسدتِ الأُمور، فنادى الخليفةُ: مَنْ سعى بأحدٍ أُبيح دمه وماله. فصلحت الأحوال.

وفيها بَرَزَ العادل إلى القُصير طالباً حلب، وكان الأفضل بحمص عند شيركوه، فجاء إلى عمِّه العادل، فالتقاه عند ثنية العقاب، فأكرمه وعوَّضه عن ميَّافارقين سُمَيْساط وسَرُوج وقلعة نجم، وقرايا في المرج ومصر، وتسلَّم الملك الظَّاهر فامية من شمس الدِّين ابن المقدَّم في صفر، ونزل العادل على حماة، فصالحه الظَّاهر، ورَجعَ العادل إلى حِمْص.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وجاءت في شعبان زلزلة عظيمة، فشققت قلعة حمص، ورمت القنطرة التي على القلعة، وأخربت حصن الأكراد، وتعدَّت إلى جزيرة قبرس، وامتدَّت إلى نابُلُس، فأخربت ما بقي.

وفيها شرع الشيخ أبو عمر شيخ المقادسة ـ رحمه الله ـ في بناء المسجد الجامع بالجبل، وكان بقاسيون رجل فامي يقال له: أبو داود محاسن، [ـ وأدركته في سنة ست مئة ـ][١] فوضع أساسه وبلغ قامة، وأنفق عليه ما كان يملكه، وبلغ مُظَفَّر الدِّين بن زين الدِّين، فبعث إلى الشيخ أبي عمر مالاً، فتممه، ووقف عليه وَقْفاً، وبعد ذلك أراد ابنُ زين الدين أن يسوق الماء إليه من بَرْزَة، وبعث ألفَ دينار، فقال المعظم عيسى رحمه الله: طريق الماء كلها قبور، كيف يجوز أن تنبش عظام المُسْلمين؟ اشتروا بغلاً، واعملوا مداراً، وبالباقي مكاناً قفوه عليه، ولا تؤذوا أحداً. ففعلوا.

وحج بالنَّاس من العراق وجه السبع. ومن الشَّام خشترين الهكاري.

وفيها توفيت

بنفشا بنت عبد الله[٢]

جارية المستضيء، وكانت كريمةً صالحةً، كثيرةَ الصَّدقات والصِّلات، وعمرت الرُّبُط والمساجد، والجسر ببغداد، وتصدَّقت بأموالٍ كثيرة على العلماء والفقراء والمساكين، و[هي التي][١] اشترت دار الوزير ابن جَهِير بباب الأَزَج، ووقفتها على الحنابلة، وفوَّضت نظرها إلى الشيخ جمال الدين ابن الجوزي، وهي التي أشارت على المستضيء بولاية الإمام الناصر، وكان في عَزْمه أن يولي ولده الأمير أبا منصور، فرأى النَّاصر لها ذلك، فلما ولي الخلافة أنزلها في الدار التي كانت بها والدته، وأحسن إليها، ولما توفيت تولَّت أمرها والدة الخليفة، وجهَّزتها أحسن جهاز، ودفنتها في تربتها المجاورة لمعروف الكرخي، وذلك في ربيع الأوَّل.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) لها ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ١٧٨، و«التكملة»: للمنذري ١/ ٤٢٢، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١١٧-١١٨، و«الوافي بالوفيات»: ١٠/ ٢٩٣، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمتها.

حماد بن هبة الله بن حماد[(١)]

أبو الثناء، التَّاجر الحَرَّاني.

ولد سنة إحدى عشرة [وخمس مئة، وسمع الحديث ببغداد ومصر والإسكندرية][(٢)]، ومات بحرَّان في ذي الحِجَّة [أنشدني الموفق الحراني، ويعرف بابن صديق، قال: أنشدني حماد نفسه][(٢)]: [من البسيط]

تنقُّلُ المَرْءِ في الآفاقِ يُكْسِبُهُ محاسناً لم يكن فيها ببَلْدَتِهِ

أما ترى بيذقَ الشِّطْرنج أكسبه حُسْنُ التنقُّلِ فيها فوقَ رُتْبته

[سمع بمصر أبا محمد ابن رفاعة السعدي، وبالإسكندرية الحافظ أبا طاهر السِّلَفي، وببغداد ابن السمرقندي وغيرهم، وأثنى عليه ابن صديق][(٢)].

عبد الملك بن زيد بن ياسين[(٣)]

[أبو القاسم،][(٢)] التَّغلبي؛ خطيب دمشق، الدَّوْلعي، والدَّوْلعية قرية من قرى الموصل.

ولد سنة سبع وخمس مئة، [وقدم بغداد، فتفقه على مذهب الشافعي، وسمع الحديث][(٢)]، وقدم دمشق، فاستوطنها، وصار خطيبها، ودرَّس بالزَّاوية الغربية من جامع دمشق، وكان متزهِّداً، حَسَنَ الأثر، حميدَ الطريقة، [ولي منه إجازة][(٢)]، وكانت وفاته في ربيع الأول، ودفن بالباب الصَّغير، [وكانت جنازته مشهودة، سمع «جامع» الترمذي من أبي الفتح الكروخي، وكتاب «السنن» للنسائي من أبي الحسن علي بن أحمد اليزدي. وسمع الحافظ ابن عساكر، وأبا سعد بن أبي عصرون، وقرأ عليه الفقه، وغيرهم][(٢)].

---

(١) له ترجمة في «التكملة»: للمنذري ١/ ٤٣٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١١٨، و«المختصر المحتاج إليه»: ٢/ ٥١-٥٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٨٥-٣٨٦، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «معجم البلدان»: ٢/ ٤٨٦، و«الكامل»: ١٢/ ١٧٨، و«التكملة»: للمنذري ١/ ٤٢٠-٤٢١، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١١٩-١٢٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٥٠-٣٥١، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

[وفيها توفي

ابن التركي الواعظ الواسطي(١)

واسمه محمد بن إبراهيم بن عثمان، أبو عبد الله.

قدم بغداد، ووعظ بها، ووقع له القبول، وكذا بالموصل، وسمع الحديث من يحيى ابن بَوْش وطبقته، وناب برباط الزوزني عن أخيه عمر بن إبراهيم الصوفي، ثم خرج إلى واسط، فتوفي بها، ودفن بمقبرة زنبور](٢).

هبة الله بن الحسن بن المظفر(٣)

[أبو القاسم الهَمَذَاني، ويقال له ابن السبط، والسبط هو جد المظفر، كان سبطاً لأحمد بن علي بن لال، الفقيه الهَمَذَاني.

ولد هبة الله سنة عشر وخمس مئة، وهو](٢) محدث ابن محدث ابن محدث، وكانت وفاته بباب المراتب ببغداد في المحرم. ودفن بالرّيّان، [سمع أبا القاسم ابن الحصين، وقاضي المارستان وابن السمرقندي، وسمعنا عليه بباب المراتب،](٢) وأنشدنا لغيره: [من البسيط]

إذا الفتى ذَمَّ عَيْشاً في شبيبته ... فما يقولُ إذا عَصْرُ الشَّباب مضى
وقد تعوَّضْتُ عن كلٍّ بمشبهه ... فما وجدتُ لأيامِ الصّبا عِوَضا

السنة التاسعة والتسعون وخمس مئة

في ليلة السبت سَلْخ المحرَّم ماجت النجوم في السماء شرقاً وغرباً، وتطايرت كالجراد المنتشر يميناً وشمالاً، ولم ير هذا إلا عند مبعث النبي ﷺ وفي سنة إحدى وأربعين ومئتين، وكانت هذه السنة أعظم.

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ٤٣٧-٤٣٨ .

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ٤١٠-٤١١ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١١٨-١١٩ و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٥٢-٣٥٣، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

وتمَّت عمارة رباط المرزبانية الذي بناه الخليفة على نهر عيسى، ورتَّبَ فيه الشهاب عمر السُّهْروردي، وعنده جماعة من الصُّوفية.

وفيها بعث الخليفة الخِلَع وسراويلات الفتوة إلى العادل وأولاده مع عليِّ بنِ عبد الجبار والعقاب، فلبسوا الخِلَع والسَّراويلات في رمضان بدمشق، وأخذ الظَّاهر قلعة نجم من أخيه الأفضل بأمرِ العادل.

وابتدئ بعمارة قلعة دمشق.

وحجَّ بالنَّاس طاشْتِكِين.

وفيها توفي

إبراهيم بن أحمد بن محمد(١)

أبو إسحاق الموفق بن الصَّقَّال، الحَنْبلي.

ولد سنة خمس وعشرين وخمس مئة، وتفقَّه على أبي يعلى ابن الفَرَّاء، وسمع الحديث الكثير، وكان شيخاً ظريفاً، صالحاً زاهداً، وتوفي في ذي الحِجَّة، ودُفِنَ بباب حَرْب، رحمه الله تعالى.

زُمُرّد خاتون(٢)

والدة الإمام النَّاصر، [أم ولد المستضيء](٣)، كانت صالحةً، كثيرةَ المعروف والصَّدقات، دائمةَ البر والصِّلات، متفقدة لأرباب البيوت، وحجَّت، فأنفقت ثلاث مئة ألف دينار [على ما بلغني](٣)، وكان معها نحو ألفي جمل، وتصدَّقت على أهل

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ٤٦٧، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ٢٣٤، و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ١٣٧، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب: ١/ ٤٤١-٤٤٢، و«المقصد الأرشد»: ١/ ٢٣٢-٢٣٣، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٣٣٩، و«المنهج الأحمد»: ٤/ ٤٨-٤٩.

(٢) لها ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ١٨٤، و«التكملة للمنذري»: ١/ ٤٥١، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٢٦-١٢٧، و«الوافي بالوفيات»: ١٤/ ٢١٣، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمتها.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الحرمين، وأصلحت البرك والمصانع، وعمرت التربة عند قبر معروف، والمدرسة إلى جانبها، وأوقفت عليها الأوقاف، وتوفيت في جمادى الأُولى، وحَزِنَ الخليفةُ عليها حُزْناً لم يحزنه ولد على والدة، وفعل في حقِّها مالم يفعله أحد، وصلَّى عليها في صحن السَّلام، ومشى بين يدي تابوتها إلى دِجْلة من ناحية التَّاج، ثم حملت في الشَّبارة نهاراً والوزير ناصر بن مهدي مشدود الوسط، وأرباب الدولة في السفن، وصَعِدوا بتابوتها إلى القرية، وأمر الخليفة أن يمشي النَّاس من دِجْلة إلى تُرْبتها المجاورة لمعروف، والمسافة بعيدة، وكان الوزير سميناً، فكاد يهلك، وقعد في الطَّريق نحواً من ثلاثين مرة، وعمل لها العزاء شهراً كاملاً، وأُنشدت المراثي، وختمت الختمات طول الشهر.

قال المصنف رحمه الله: وتكلَّمْتُ في العزاء، وأنشدتُ أبياتاً، وكان قد وقع الثَّلْج يوم وفاتها، وزاد الماء في دِجْلة زيادةً عظيمة، وتكدَّر نهر عيسى والتربة قريبة منه، والأبيات [التي أنشدتها، أوَّلها][(١)]: [من الكامل]

نادي النَّدى عَبِقٌ بطِيْبِ ثنائه ... متبسِّمُ الأنوار مِنْ أنوائِهِ
يا ابن الإمام المستضيء ومن سما ... كَرَماً على كَرَمِ الغمام ومائِهِ

[ومنها][(١)]:

شابت ليوم وفاتها لمم الثَّرى ... حُزْناً وجاد لها الندى ببهائِهِ
فلنهرِ عيسى بعد أُنْسٍ وَحْشَةٌ ... وبمائِهِ كدرٌ بُعَيْدَ صفائِهِ
قامت قيامتُهُ فأضحى زائداً ... ينمي وذلك مُؤْذِنٌ ببكائِهِ

وفرَّق الخليفةُ بعد الشَّهر أموالاً كثيرة في الزَّوايا والرُّبُط والمدارس، وخَلَعَ على الأعيان، ومن لم يخلع عليه أعطاه مالاً، وأمر بأن يفرَّق جميع ما خلَّفته من ذهب وفِضَّة وحُلي وجواهر وثياب في جواريها ومماليكها، فقُسِمَ بينهم، وحُمِلَ ما كان في خزائنها من الأشربة والمعاجين والعقاقير إلى المارَسْتان العَضُدي، وكان يساوي ألوفاً، وحَزِنَ عليها أهلُ بغداد حُزْناً عظيماً لإحسانها إليهم.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[وفيها توفي

عبد الله بن الحسن بن زيد(١)

أبو محمد الكندي، أخو شيخنا تاج الدين، وكان عبد الله أصغر من تاج الدين، وكان تاجراً، سمع ببغداد أبا الفضل ابن ناصر وغيره، واستوطن دمشق إلى أن توفي بها في ذي القعدة، وصلى عليه أخوه تاج الدين بجامع دمشق، ودفن بقاسيون](٢).

علي بن إبراهيم بن نجا(٣)

أبو الحسن بن زين الدين، الواعظ، [سِبْط](٢) أبي الفَرَج ابن الحَنْبلي الأنصاري.

ولد بدمشق سنة ثمان وخمس مئة، ونشأ بها، واشتغل بالتَّفسير والوعظ، وبعثه نور الدين رسولاً إلى بغداد سنة أربع وستين [وخمس مئة، فسمع بها عبد الخالق بن أحمد ابن يوسف، وغيره](٢) وصاهر سَعْد الخير [الأنصاري](٢) على ابنته، وسكن مِصْر، وصار صاحب الدَّولة المصرية قبل صلاح الدين وفي أيام صلاح الدين، [وقد ذكرناه](٢) وكان [صلاح الدين](٢) يحضر مجلسه وأولاده العزيز وغيره، وكان له الجاه العظيم، والحرمة الزائدة [وكان يجري بينه وبين الطوسي العجائب، لأن الطوسي أشعري، وابن نُجَيَّة حنبلي، جلس يوماً بالقرافة في الجامع فوقع عليه وعلى جماعة ممن عنده السقف، فعمل الطوسي خطبة وذكر ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦].

وجاء يوماً كلب يشق الصفوف، فقال زين الدين: هذا جاء من هناك. وأشار إلى مكان الطوسي، ومن هذا غرائب.

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ٤٦٦-٤٦٧، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٢٧-١٢٨، و«المختصر المحتاج إليه»: ٢/ ١٤٠.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ بغداد»: لابن النجار: ٣/ ١٢-١٥، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٤٦٣-٤٦٤، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٣٩١، ٢/ ٢٨٢، ٣/ ٢١٣، ٣٨٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٣٠-١٣٢، «وفيات الأعيان»: ٢/ ٥٣٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٩٣-٣٩٦، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

وكان [ابن نجية قد](١) اقتنى أموالاً عظيمة، وتنعَّم تنعماً زائداً بحيث كان في داره عشرون جارية للفِراش تساوي كل جارية ألف دينار، وأما الأطعمة فقد كان يعمل في داره ما لا يعمل في دور الملوك، وتعطيه الخلفاء والملوك أموالاً كثيرة، ومع هذا مات فقيراً، كفَّنه بعضُ أصحابه وتمزَّقت الأموال، وحالتِ الأحوال، وكانت وفاته بمصر، ودفن بالقَرَافة.

[(٢)وحكى لي بعض المصريين أنه كان ينشد على المنبر شعر الوزير طلائع بن رُزِّيك، فمن ذلك هذه الأبيات]: [من الوافر]

مَشِيْبُكَ قد نضا صِبْغَ الشَّبابِ   وحلَّ البازُ في وَكْرِ الغُرابِ
تنام ومُقْلةُ الحَدَثان يقظى   وما نابُ النَّوائبِ عنك نابِ
وكيف بقاءُ عُمْري وهو كَنْزٌ   وقد أنفقتُ منه بلا حسابِ

علي بن الحسن بن إسماعيل(٣)

أبو الحسن [العبدي، من](١) عبد قيس.

ولد سنة أربع وعشرين وخمس مئة بالبصرة، وبرع في علم الأدب [(٤)والترسل، وسمع الحديث بالبصرة وبغداد، ثم عاد إلى البصرة، فتوفي بها في شعبان. سمع بها جابر بن محمد الأنصاري. وأبا العز طلحة المالكي وغيرهما، وسمع ببغداد ابن ناصر وطبقته، وأنشدنا أبو الحسن المقرئ، قال: أنشدني العبدي لنفسه]: [من السريع]

لا تَسْلُكِ الطُّرْقَ إذا أَخْطَرَتْ   لو أنها تُفْضي إلى المملكهْ
قد أنزل الله تعالى ﴿ولا   تُلْقوا بأيديكمْ إلى التهلكهْ﴾

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): وأنشد على المنبر لطلائع بن رزيك، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ١٣/ ٨٨-٩٠، و«إنباه الرواة»: ٢/ ٢٤٢-٢٤٣، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٤٦٢-٤٦٣، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٣٢-١٣٣، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ١٢٣، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٨٣.

(٤) في (ح): وبرع في علم الأدب، وتوفي بها في شعبان، ومن شعره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

عليُّ بنُ يحيى بن أحمد(١)

أبو القاسم الصُّوفي، يعرف بسِبْط حامد، ومن شعره: [من الخفيف]

أيُّ شيء يكونُ أعجب مِنْ ذا   إنْ تفكَّرْتَ في صُروفِ الزَّمانِ
حادثاتُ السُّرورِ تُوزَنُ وَزْناً   والبلايا تُكالُ بالقُفْزانِ

القاسم بن يحيى(٢)

ابن عبد الله بن القاسم، أبو الفضائل، ضياء الدِّين ابن الشَّهرزوري، هو ابنُ أخي القاضي كمال الدين.

ولد سنة أربع وثلاثين وخمس مئة، وآخر قدومه بغداد رسولاً عن صلاح الدين سنة ثمان وثمانين، ولما أخذ العادِلُ دمشق أخرجه منها بسببِ الأفضل، فاستدعي إلى بغداد سنة خمسٍ وتسعين، فولاه الخليفة قضاءَ القُضاة، وَرَدَّ إليه أمورَ المدارس والأوقاف الشَّافعية والحنفية وغيرها.

وكانت مطالعات الخليفة تَصْدُرُ إليه دائماً، وحَظِي عنده، وحَصَلَتْ له منه منزلة لم تحصُل لغيره من الغرباء، وكانت زوجتُه سِتُّ الملوك تدخل على أُمِّ الخليفة النَّاصر، وتحسن إليها، وأقام ببغداد، فلم تَطِبْ له، واشتاق إلى الشَّام، فطلب الانفصال، فلم يجبه الخليفة، فدخلت زوجته على أُمِّ الخليفة، وسألتها المخاطبة في الإذن له في العَوْد إلى الشَّام، فسألته، فأذن له.

قال المصنف رحمه الله: وسمعتُ بعضَ عوام بغداد يقول: كان سببُ عَزْله أَنَّه مَسَحَ يوماً القلم في شرابة الدَّواة، ولم يمسحه في الخِرْقة الزَّرقاء التي عند الدواة، وبلغ الخليفة فعزله. وليس هذا بشيء، ولم يعزله الخليفة، وإنما هو اشتاق إلى الشَّام،

---

(١) له ترجمة في «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ٤/ ٣٠١-٣٠٣، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٤٣٩، ووفاته عندهما سنة (٥٩٨هـ)، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٣٢-١٣٣.

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٣٤٣-٣٤٤، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٣٣-١٣٥، «وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٤٤-٢٤٥، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ٢٧٢-٢٧٣، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٣٠٨، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٨٣-١٨٤، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٣٤٢.

ولم يعتد قواعدَ العراق، وخاف على نَفْسه أن يبدوَ منه ما لا يليق، فطلب الخروج إلى الشَّام، وكان قد حَسَدَه أربابُ الدَّولة على قُرْبه ومنزلته من الخليفة، فخاف من التحريف عليه، ولما سافر عن العراق جاء إلى حماة، فأقام بها، وولي القضاء، فعِيْبَ عليه ذلك بعد قضاء بغداد، فقال: ما عُزِلْتُ عن قضاء بغداد، وحماةُ والشَّامُ والشَّرق والغرب في ولايتي، فإذا نظرتُ في بعض ولاياتي، فليس ذلك بعيب.

وكانت وفاته بحماة منتصف رجب، ودُفِنَ بها، ولما احْتُضِرَ جلس يسبِّحُ ويذكر الله تعالى، وتتفرقع أصابعُهُ حتى قضى، وكان فاضلاً، جَوَاداً، سخياً، لم يكن في أبناء جنسه أكرمَ منه، ومن شعره: [من البسيط]

فـي كـلِّ يـومٍ تُـرى لـلـبَـيْـنِ آثـارُ ... ومـالـه فـي الـتـئـام الـشَّـمْـل آثـار
يَـسْـطُـو عـلـيـنـا بـتـفـريـقٍ فـواعـجـبـا ... هـل كـان لـلـبَـيْـنِ فـيـمـا بـيـنـنـا ثـارُ
يـهـزُّنـي أبـداً مـن بَـعْـدِ بُـعْـدِهُـمُ ... إلـى لـقـائـهـمُ وَجْـدٌ وتَـذْكـارُ
ما ضَرَّهُمْ في الهوى لو واصَلُوا دَنِفاً ... ومـا عـلـيـهـمْ مِـنَ الأوزار لـو زاروا
يـا نـازلـيـن حـمـى قـلـبـي وإن بَـعُـدوا ... ومُـنْـصِـفـيـنَ وإن صَـدُّوا وإنْ جـاروا
ما في فؤادي سواكُمْ فاعْطِفُوا وَصِلُوا ... ومـا لـكُـمْ فـيـه إلا حُـبُّـكُـمْ جـارُ(١)

وكانت مدة ولايته القضاء ببغداد سنتين، وصُرِفَ في ذي الحجة سنة سبعٍ وتسعين.

محمد بن أحمد بن سعيد(٢)

أبو البركات، التَّكريتي، ويعرف بالمُؤَيَّد.

كان أديباً فاضلاً، وكان الوجيه النَّحْوي قديماً على مذهب الإمام أحمد رحمة الله عليه، فآذاه الحنابلة، فتحنَّف، فآذاه الحنفية، فانتقل إلى مذهب الشَّافعي رحمة الله عليه، فجعلوه يدرِّسُ النحو في النِّظامية، فعمل المُؤَيَّد: [من الطويل]

---

(١) «الخريدة»: ٢/ ٣٤٣-٣٤٤.

(٢) له ترجمة في «الاعتبار» لابن منقذ: ٩٤-٩٥، و«المحمّدون من الشعراء» للقِفطي: ٥٠-٥١، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٤٥٤، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٣٥، و«وفيات الأعيان» ٤/ ١٥٣، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٨١-٨٢، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ١٦، و«الوافي بالوفيات»: ٢/ ١١٥-١١٦، و«البداية والنهاية» (وفيات سنة ٥٩٩هـ)، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٣٤٧-٣٤٨، وفيه وفاته سنة ٦٠٠هـ

ألا مُبْلِغٌ عنِّي الوَجِيْهَ رِسالةً   وإنْ كان لا تُجْدِي لديه الرَّسائِلُ
تمذهَبْتَ للنُّعْمان بعدَ ابنِ حَنْبَلٍ   وذلكَ لما أَعْوَزَتْكَ المآكِلُ
وما اخْتَرْتَ رأيَ الشَّافعي تديُّناً   ولكنَّما تهوى الذي هو حاصِلُ
وعَمَّا قليلٍ أنتَ لا شكَّ صائِرٌ   إلى مالكٍ فافْطَنْ لما أنا قائِلُ

يحيى بن طاهر بن محمد، أبو زكريا الواعظ(١)

ويعرف بابن النجار، البغدادي.

ولد يوم عرفة سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة، وتوفي في ذي الحِجَّة، ودفن بالمختارة شرقي بغداد، وأنشد في مجلسه: [من البسيط]

عاشِرْ من النَّاسِ مَنْ تبقى مودَّتُهُ   فأكْثَرُ النَّاسِ جَمْعٌ غيرُ مُؤْتَلِفِ
منهمْ صديقٌ بلا قافٍ ومعرفةٌ   بغير فاءٍ وإخوانٌ بلا ألفِ

سنة ست مئة

فيها قَدِمَ بغداد أبو الفتوح ابن أبي نَصْر الغَزْنوي رسولاً من صاحب غَزْنة، وجلس بباب بَدْر، وقال: يا أهل بغداد، هنيئاً لكم، أنتم تَحْظَوْنَ بأميرِ المؤمنين ونحن محرومون، وتشاهدون سُدَّة سيادته ونحن محجوبون، وأنشد: [من المتقارب]

ألا قُلْ لسُكَّانِ وادي العقيقِ   هنيئاً لكمْ في الجنانِ الخلودُ
أفيضُوا علينا من الماء فَيْضاً   فنحنُ عِطاشٌ وأنتم وُرُوْدُ

قال المصنِّف رحمه الله: وفي أوَّل هذه السنة سافرتُ من بغداد إلى الشَّام، وهي أوَّل رحلتي، فاجتزتُ بدقوقا [وبها خطيبها، ويقال له الحجة، وكان يعظ بها، وروى لنا الحديث، وسمع بالعراق ابن البطي وغيره، (٢)] وجلستُ بها، ثم قدمت إربل، واجتمعت [بشيخ كيِّس ظريف يقال له(٢)] محيي الدين الشاتاني، وأنشدني مُقَطَّعات لغيره، منها: [من البسيط]

رَحِمْتُ أسودَ هذا الخال حين بدا   في حُمْرَةِ الخدِّ مرمياً بأبصار

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ٤٠٢، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٣٥-١٣٦، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ٢٤٤.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

كأنَّه بعضُ عُبَّادِ المجوسِ وقد ... ألقى بمهجته في لُجَّةِ النار

ومنها: [من الكامل]

نَسَجَتْ خيالاً والصُّدودُ بغارها ... وبَدَتْ هلالاً والنِّقاب سِرَارُها
بدرية في الجَفْنِ مني ماؤها ... يوم الرَّحِيْلِ وفي فؤادي نارُها
أَلِفَتْ لتعذيب المُحِبِّ وحَيْنِهِ ... شيَمَ البُدُور فما يقرُّ قرارُها
طَوْراً بحُزْوىٰ والعقيقِ وتارةً ... بمُحَجَّرٍ وادي السفيق ديارُها
وإذا رجعتَ إلى الصَّحيحِ فَنَجْدُها ... قلبي وبين جوارحي أغوارُها
يا آل خِنْدِفَ عندكُمْ أرواحُنا ... مأسورةً فمتى يُفَكُّ إسارُها
ماشيمةُ العُرْبِ الكرامِ وأنتُمُ ... منها النَّواصي أن يُذَمَّ جِوارُها

وجلست بإربل، ثم قدمت المَوْصِل وجلستُ بها، وحَصَلَ لي القَبول التَّام [بحيث إن الناس كانوا ينامون ليلة المجلس في الجامع من كثرة الزِّحام، وأدركت بها جماعةً من مشايخ الإسلام، وحملةً من حديث المصطفى عليه السلام، فسمعتُ الأحاديث النقورية على أبي طاهر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي الخطيب، وغيره][(١)]. ثم قدمت حَرَّان، فجلست بها، [وسمعت الخطيب فخر الدين ابن تيمية، وابن الطباخ، وعبد القادر الرُّهاوي][(١)]، ثم قدمت حلب، وجلست بها [، وسمعت «شمائل النبي ﷺ» من افتخار الدين، و«أسباب النزول» من عبد الرحمن بن الأستاذ وغيرهما، ثم سمعت «شمائل النبي ﷺ» من افتخار الدين في سنة ثلاث مرة ثانية،][(١)] ثم قدمت دمشق، فنزلت بقاسيون عند المقادسة، وجلست به وبجامع دمشق، فكانت مجالسي ـ ولله الحمد والمنة ـ مثل غدوات الجنة، ثم زرت [البيت المقدّس المخصوص بالإعظام، وقبر][(٢)] الخليل عليه السلام، وجلستُ بالقدس، وذكرت فَضْله [الذي هو على التقوى مؤسس،][(١)] وعُدْتُ إلى قاسيون، فأقمتُ به إلى سنة ثلاث وست مئة، ورجعتُ إلى حلب، وأدركت بالشام [شيخنا][(١)] تاج الدين الكِنْدي وجمال الدِّين ابن الحرستاني، وشمس الدين ابن الشِّيرازي، وشرف الدِّين بن المَوْصلي، وبني عساكر،

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) في (ح): ثمّ زرت القدس والخليل عليه السلام، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقرأتُ على الشيخ موفق الدِّين الحنبلي، وداود بن ملاعب، وابن صَصْرى، وخَلْق كثير.

وصحبتُ الشيخ أبا عمر شيخ المقادسة، وشاهدتُ منه من الزُّهد في الدُّنيا والورع والفَضْل والتواضع، ومن أخيه الشيخ موفق الدين، ونسيبه الشيخ العماد ما نرويه عن الصَّحابة والأولياء الأفراد، فأنساني حالُهم أهلي وأوطاني مع بقاء أعياني، ثم عُدْتُ إليهم بعد ذلك على نية الإقامة، عسى أن أكون رفيقهم في دار المقامة، وأنشدتُ بلسانِ الباطن والظَّاهر:

فألقتْ عصاها واستقرَّت بها النَّوى

وفيها كانت كَسْرة المواصلة؛ سار نورُ الدِّين صاحب المَوْصل إلى تل أعفر، ففتحها بالسَّيف، وكانت لقُطْبِ الدِّين بن عماد الدين صاحب سِنْجار، فاستنجد قُطْبُ الدين بالملك الأشرف بنِ العادل، فجاء ومعه سنجر شاه صاحب الجزيرة، والصَّالح صاحب آمد، والأوحد [أخو الأشرف][١] صاحب مَيَّافارِقين في عساكر دياربكر، واجتمعوا في خَلْق عظيم، وكان صاحبُ المَوْصل نازلاً على كَفْر زَمَّار في عسكر المَوْصل لا غير، [وكان الحر شديداً، والأشرف على بوشرى في ألوف][٢]، فساق عليهم نور الدين في ألفِ فارس، فواقعهم، وقد عطش نور الدين وأصحابه، فكسرهم نور الدين في أوَّل مرة، ثم كانت الكسرة عليه لسوء تدبيره، لأنهم كانوا أضعافه مستريحين، وهو متعوبٌ عطشان، فانهزم، وأسروا جماعةً من أُمرائه منهم المبارز سُنْقُر الحلبي وولده الظَّهير غازي، وذلك في يوم السبت تاسع عشر شوَّال، ودخل نور الدين المَوْصل، وتحصَّن بها، واستعدَّ للحصار، وجاء الأشرف فنزل على كَفْر زَمَّار، وتراسلا واصطلحا في آخر ذي الحِجَّة، وأطلق الأمراء الذين أسرهم إلا المبارز سُنْقُر وولده الظَّهير [غازي][١]، فإنهما أقاما في حَبْس حرَّان مُدَّة حتى شفع فيهما مظفر الدين بن زين الدين، فأطلقهما.

وتزوَّج الأشرف أُخت نور الدين [صاحب الموصل][١] بنت عز الدين مسعود، وهي التي بنت بقاسيون التُّرْبة، ودفنت بها.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح) والحرّ شديد في ألوف، وفيها سقط، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها وَثَبَ ناصر الدِّين بن أُرْتُق صاحب مارِدِين على عَمِّه زوج أُمِّه نظام الدين وغلامه لؤلؤ، فألحقهما بالهالكين، واستولى على القلعة، وكانا قد حكما عليه [وقترا الرزق لديه](١)، وكان ناصر الدين وأخوه حسام الدين نازلين عرزم، لا يمكنهما النظام ولؤلؤ من سُكْنى القلعة، فيقال: إنَّ لؤلؤاً دَسَّ إلى حسام الدين مَنْ سقاه السُّمّ، فرمى كبده قِطَعاً، وبقي ناصر الدين، فخاف أن يجري عليه ما جرى على أخيه، [ويصير له تبعاً](١)، وكان النِّظام ولؤلؤ يأكلان البلاد على اسم ناصر الدين، فاتَّفق ناصرُ الدِّين وجماعة من الأمراء على قَتْلهما، وكان ناصر الدين يصعد إلى القلعة للسَّلام على النِّظام، فصعِدَ على العادة، وضبط له الأمراء الباب، فدخل على النظام [وقد تهيأت له الأسباب](١) وعنده أُمُّ ناصر الدين، فضربه بالتافروت(٢)، فقامت أمه في وَجْهه، [وقالت: تأنّ فما يفوت.](١) فقال: اذهبي وإلا ألحقتك به. ثم قتله وخرج، واتَّفق دخول لؤلؤ، فالتقاه في الدِّهْليز، وكان أعور من اليمين، ذهبت عينه في حصار مارِدِين، فضربه بالتافروت(٢) في عينه الصحيحة [على أفعاله القبيحة](١)، وقطع رأسه، وصَعِدَ إلى السَّطْح، فرمى به إلى العوام، فانهزم أصحاب لؤلؤ والنِّظام، وملك القلعة وما فيها، واستولى على ذخائر عظيمة [يحيّر وصفها](١)، وبعث بأطراف لؤلؤ إلى الموصل وميَّافارقين وجبل جور، واستقامت أموره.

وحج بالنَّاس طاشْتِكِين.

وفيها توفي

الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد(٣)

ابن علي بن سرور، أبو محمد، المَقْدِسي.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) لم أقف على معناها.

(٣) له ترجمة في «معجم البلدان»: ٢/ ١٦٠، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ١٧-١٩، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٥٣-١٥٧، و«المستفاد من ذيل تاريخ بغداد»: ٣٠٢-٣٠٤، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ٨٢-٨٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٤٣-٤٧١، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

ولد بجمَّاعيل؛ قرية من أعمال نابُلُس في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمس مئة، وكان أكبر من الشيخ موفق الدِّين بأربعة أشهر، [لأن مولد الموفق في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمس مئة][1]، والموفق ابنُ عَمَّة الحافظ.

قرأ القرآن، وسمع الحديث الكثير، وسافر إلى الأمصار، وكتب الكثير، وقَدِمَ بغداد هو والشيخ موفق الدِّين سنة ستين، وقيل: سنة إحدى وستين [وخمس مئة][1]، السنة التي توفي فيها الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه، فنزلا بمدرسته، وما كان يمكِّنُ أحداً من النزول فيها، ولكن لما رآهما تَفَرَّس فيهما الخير والصَّلاح، فأكرمهما، وسمعا منه، ثم توفي الشيخ عبد القادر بعد قدومهما بغداد بخمسين ليلة.

وكان ميل الحافظ إلى الحديث، وميل الشيخ موفق الدين إلى الفقه، فاشتغلا بالفِقْه على أبي الفتح ابن المَنِّي، وتفقها عليه، ثم قدما دمشق بعد أربع سنين.

وسافر الحافظ إلى مِصْر والإسكندرية، ثم عاد إلى دمشق، ونزل إلى الجزيرة، فسمع بها، وعاد إلى بغداد، ثم رحل إلى أصبهان، فسمع بها، ثم عاد إلى دمشق.

وصنَّف الكتب الحسان، منها: كتاب «نهاية المراد من كلام خير العباد» نحواً من مئتي جزء، «مشكل الألفاظ» مجلَّدان، «المصباح في عيون الأخبار الصِّحاح» ثمانية وأربعين جزءاً، [وكتاب اليواقيت][1]، مجلدة، وكتاب «تحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين» أحد عشر جزءاً][1]، «الآثار المرضية في فضائل خير البرية» أربعة أجزاء، «الرَّوْضة» جزآن، [وكتاب «الصلات من الأحياء إلى الأموات» جزآن، وكتاب «الإسراء» جزآن، وكتاب «التهجد» جزآن،][1] «الصِّفات» جزآن، «محنة الإمام أحمد رحمة الله عليه» ثلاثة أجزاء، «ذم الرِّياء» جزء، [وكتاب «الذكر» جزآن، وكتاب «الفرج» جزآن][1]، «ذم الغيبة» جزء، «الترغيب في الدعاء» جزء، «الأمر بالمعروف» جزء، «فضائل رمضان» جزء، «فضائل عشر ذي الحِجَّة» جزء، و«الصَّدقة»، و«الحج»، و«رجب»، و«وفاة النبي ﷺ»، و«الأربعين من كلام رسول رب العالمين»، و«مناقب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه» جزء، وله عدة أربعينيات، و«الجامع الصَّغير لأحكام البشير

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

النذير» لم يتمه، و«الأحكام الكبير» و«الأحكام الصغير»، و«درر الأثر» تسعة أجزاء، و«تبيين الإصابة لأوهام حَصَلَت في معرفة الصحابة على أبي نُعَيْم» جزء كبير، [وكتاب «السيرة»][(١)]، و«الإكمال في معرفة الرجال» رجال الصحيحين وأبي داود، والتِّرْمِذِي والنَّسائي وابن ماجه، عشر مجلَّدات.

ذِكْرُ محنه:

وهي كثيرةٌ؛ منها أنه لما دخل أصبهان وَقَفَ على كتاب أبي نُعَيْم الحافظ في «معرفة الصحابة»، فأخذ عليه في مئة وتسعين موضعاً، فطلبه بنو الخُجَنْدي ليقتلوه، فاختفى، وخرج من أصفهان في إزار.

ومنها أنه لما عاد من أصفهان دخل المَوْصل، فقرأ كتاب «الجرح والتعديل»[(٢)] للعُقَيْلي، وذكر فيه أبا حنيفة وجَرَحَه، فثار عليه أصحابُ أبي حنيفة وحبسوه، ولولا البرهان ابن البِرْتي الواعظ خلَّصه لقتلوه، فإنَّه قَطَعَ الكُرَّاسة التي فيها ذكر أبي حنيفة، ففتَّشوا على اسم أبي حنيفة، فما وجدوه، فأطلقوه، فخرج منها خائفاً يترقَّب.

ومنها لما قدم دمشق من المَوْصِل كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجُمُعة بحَلْقة الحنابلة، ويجتمع النَّاسُ إليه، وحصل له قَبُول، وكان سريعَ الدَّمْعة، فحسده الدَّماشقة، ودخلوا عليه بطريق النَّاصح ابن الحَنْبلي، فحسَّنوا له أن يعظ بعد الصَّلاة تحت النَّسْر، فشوَّش على الحافظ، فصار الحافظ يقعد بعد العَصْر، فذكر عقيدته على الكرسي، فاتَّفق محيي الدين بن زكي الدِّين، والخطيب الدَّوْلعي وجماعة من الدَّماشقة، وصَعِدُوا إلى القَلْعة وواليها صارم الدين بُزْغُش، فقالوا: هذا قد أَضَلَّ النَّاس، ويقول بالتشبيه. فعقدوا له مجلساً، وأحضروه، فناظرهم، فأخذوا عليه مواضع؛ منها قوله: كان الله ولا مكان، وليس هو اليوم على ما كان.

ومنها: ولا أُنزهه تنزيهاً ينفي حقيقة النُّزول.

ومنها: مسألة الصَّوْت والحرف.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) هو كتابه المشهور «الضعفاء الكبير» فذكر موضوع الكتاب عنواناً له، وترجمة الإمام أبي حنيفة في الجزء الرابع منه ص٢٦٨-٢٨٥ .

فقالوا له: إذا لم يكن على ما كان، فقد أثبتَّ له المكان، وإذا لم تنزهه تنزيهاً ينفي حقيقةَ النزول فقد أَجَزْتَ عليه الانتقال.

وأما الحرف والصَّوت، فإنه لم يصحَّ عن إمامك الذي تنتمي إليه فيه شيء، وإنما المنقول عنه أَنَّه كلام الله لا غير.

وارتفعت الأصوات، فقال له صارم الدين: كل هؤلاء على ضلالةٍ وأنتَ على الحق؟! فقال: نَعَمْ. فأمر الأسارى، فنزلوا إلى جامع دمشق، فكسروا منبر الحافظ، وما كان في حَلْقة الحنابلة من الدرابزينات، ومنعوهم من الصَّلاة، ففاتتهم صلاةُ الظُّهْر، فجمع النَّاصح ابن الحنبلي النَّبوية، وقال: لئن لم نرجع إلى مكاننا، وإلا فَعَلْنا وصنعنا. فأَذِنَ لهم القاضي ابنُ الزكي في ذلك، وكان رأس الفِتْنة، وكان الدَّوْلعي موافقاً للحافظ، وإنما خاف على منصبه، فوافقهم، وخرج الحافظ إلى بَعْلَبَكَّ، فأقام بها، وكان العادل في الشرق يحاصر مارِدِين، ثم سافر الحافظ إلى مِصْر، ونزل عند الطحانين، وصار يقرأ الحديث، وكان الملك العزيز في الصَّعيد، فأفتى فقهاء مصر بإباحة دمه، وبعثوا بالفتوى إلى العزيز، فقال: إذا رجعنا أخرجناه. واتَّفق أَنَّه وقع من الفرس، واشتغل بنفسه ومات، وجاء الأفضل إلى مِصْر، فأوصى به الولاة، ولما دخل العادل مِصْر ومعه وزيره ابن شُكْر نُقِلَ إليه ما نُقِلَ إلى العزيز، فطلبه، فدخل عليه دِرْباس الكُرْدي وعثمان بن الزَّنْجيلي، وعرَّفاه زُهْدَه وفَضْلَه، وتعصُّبَهم عليه، فلما دخل على العادل قام له وصافحه، وأجلسه إلى جانبه، وأكرمه، وسأله الدعاء، ثم عاد العادل ووزيره إلى الشَّام، وأقام الحافظ في مسجد المصنع يذكر الحديث، فكتب أهلُ مِصْر إلى ابن شُكْر يقولون: قد أفسد عقائدَ النَّاس، ويذكر التجسيم على رؤوس الأشهاد. فكتب إلى والي مِصْر بنَفْيه إلى المغرب.

قال المصنِّف رحمه الله: فحدَّثني شيخُنا تاجُ الدِّين الكندي، قال: حكى لي رجلٌ من أهل مِصْر أَنَّ الحافظ توفي، واتفق أَنَّ الوزير ابن شُكْر طلبني في تلك السَّاعة، فحضرت عنده، فقال للكاتب: اكتب إلى مِصْر بنفي عبد الغني إلى المغرب، ولم يكن عَلِمَ بموته، فقلتُ: ما تحتاجون تنفونه هو قد نفاكم. فقال ابنُ شُكْر: وكيف؟ قلت: السَّاعة أخبرني شخص أَنَّه مات. فوجَمَ ابنُ شُكْر ساعةً كأنَّه نَدِمَ.

وكانت وفاتُه بمسجد المصنع يوم الاثنين ثالث وعشرين ربيع الأول، ودُفِنَ بالقَرَافة عند الشيخ أبي عمرو بن مرزوق، وكان إذا اجتاز بذلك المكان يقول: روحي ترتاح إلى ها هنا، [فدفن فيه.

سمع بأصبهان الحافظ أبا موسى محمد بن عمر المديني وغيره، وببغداد أحمد بن المُقرِّب الكَرْخي، وعبد الله بن النَّقُّور، ويحيى بن ثابت بن بُنْدار، والشيخ عبد القادر وغيرهم، وبدمشق أبا المكارم عبد الواحد بن المُسَلَّم بن هلال وغيره، وبالإسكندرية الحافظ السِّلَفي، وبمصر عبد الله بن بَرِّي النحوي وغيره][(١)]. وكان زاهداً عابداً ورعاً، يصلِّي كل يوم وليلة ثلاث مئة ركعة - وِرْد الإمام أحمد، رحمة الله عليه - ويقوم الليل، وعامة دَهْره صائم، وما ادَّخر شيئاً قَطُّ، وكان جَوَاداً، سَمْحاً، إذا فُتِحَ عليه بشيءٍ من الدُّنيا حَمَلَه في اللَّيل إلى أبواب الأرامل واليتامى، فألقاه إليهم، ومضى لئلا يعرفوا مَنْ جاء به، وكان ثوبه مرقوعاً، ويُؤْثر بثمن الثَّوب، وكان قد ضَعُفَ بَصره من كَثْرة المطالعة والبكاء، وكان أوحدَ زمانه في عِلْم الحديث.

وقال تاج الدين الكندي: هو أعلم من الدَّارَقُطْني والحافظ أبي موسى.

[وسأله الحافظ السِّلفي، فقال: مَنْ هو محمد بن عبد الرَّحمن الذهبي؟ فقال له: المخلِّص.

وحضر عند جدي فتذاكرا، فذكر جدي رجلاً اسمه ويزرة، فقال الحافظ: ورِيْزة. فقال جدي: أنتم أعلم بأهل بلادكم.

ذكر أولاده][(١)]:

وكان له ثلاثة أولاد: محمد، وعبد الله، وعبد الرَّحمن، وابنة اسمها فاطمة.

فأما محمد، فكنيته أبو الفَتْح، ولقبه عِزُّ الدين، [سمعنا بقراءته «مسند الإمام أحمد ابن حنبل» بالحربية على عبد الله بن أبي المجد في سنة ست وتسعين وخمس مئة،][(١)] وأما عبد الله، فلقبه الجمال، حضر وفاةَ أبيه. وأما عبد الرَّحمن، فكنيته أبو سليمان، وسنذكرهم [في مواضعهم][(١)] إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

السنة الحادية والست مئة

في جُمادى الآخرة عَزَلَ الخليفةُ ولدَه أبا نَصْر محمداً، عُدَّة الدُّنيا والدِّين عن ولاية العهد، واجتمع أربابُ الدَّولة في دار الوزير ابن مَهْدي، والقضاةُ والعلماءُ والأمراء، وأخرج الوزيرُ رقعةً بخطِّ ولي العهد إلى والده مضمونها: أَنَّه حين ولَّاه العهد لم يكن يعلم ما يجب عليه فيه ولا قدَّر ذلك، وأَنَّه سأل أباه إقالته وعَزْلَه، وأَنَّه لا يَصْلُح لذلك، وشهد عليه أبو منصور بن سعيد بن الرَّزَّاز، وأبو نَصْر أحمد بن زهير العَدْلان بذلك، وأَنَّ الخليفة أقاله، وأنشأ محمد بن محمد القُمِّي [ـ وهذا هو محمد القُمِّي هو الذي ناب في الوزارة، وعُزل في أيام المستنصر بالله، ولقبه المكين ـ][1] كتاباً إلى البُلْدان بذلك ومضمونه: أما بعد، فإنَّ أمير المؤمنين كان قَلَّد ولده أبا نَصْر محمداً ولايةَ العَهْد في المُسْلمين، ورشَّحه بعده لإمرة المؤمنين، وألقى عليه هذا القول الثقيل، ونَهَجَ له من مراشد الدِّين والدُّنْيا أوضحَ سبيل، مؤمِّلاً فيه الاستقلال بأعبائه، والإتيان بما يتبيَّن عن اضطلاعه وغَنَائه، والتخلُّق بأخلاقه التي هي من أخلاق الباري مُقْتَبَسَة، وعلى التَّقوى مُؤَسَّسة، فلما آن أوانُ رُشْده، وبلوغِ المبلغ الذي أَمَلَ فيه سَدَادَ رأيه وقَصْدِه، رأى من نَفْسه القُصور عن التزام شروطِ الخلافة، وما يجبُ عليه من الرَّحمة للأمة والرافة، فأقرَّ بالعَجْز عن تأدية حَقِّ الأُمَّة في أمره، وأشْهَدَ عليه أَنَّه لا يَصْلُحُ لها فيما مضى ولا فيما بقي من عمره، وخَلَعَ نفسه فيما كان أميرُ المؤمنين فوّض إليه، واعتمد فيه عليه، ولم يَسَعِ الخليفةَ إلا استخارةُ الله تعالى في إقالته، وطلب رضاه في حَلِّ عُقْدة ولايته، فأسقط اسمَه من السِّكَك والمنابر، والأقلام والمحابر.

ولما خَلَعَه لم يَرَ أَنْ يعيِّنَ أحداً ليلقى الله بذمَّةٍ بريئة من الآثام، غيرِ متعلِّقةٍ بوِزْرٍ يخصُّ الخاصَّ ويعُمُّ العام، وقد وافق أميرَ المؤمنين عمرَ بنَ الخَطَّاب رضي الله عنه حيث جَعَلَها شورى في السِّتَّة المذكورين من أعيان المهاجرين، ولما قال له عبد الله ابنه: ما يمنعك أن تعيِّن مَنْ تراه أهلاً؟ فقال: لا والله، لا أتحمَّلُها حَيًّا ومَيِّتاً. وذكر كلاماً طويلاً، وكَتَبَ نُسَخاً إلى الأطراف.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

قال المصنِّف رحمه الله: وحجَّ خالي أبو محمد يوسف في هذا العام، وقرأ الكتاب بمكَّة وبالمدينة، وخاضَ أهل بغداد في السَّبب الموجب لذلك مع اتفاقِ العقلاء على أَنَّه كان أهلاً للخلافة من قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ، فقال قوم: سببه تخرُّصُ الحُسَّادِ المخالفين له في المذهب، فضربوا بينه وبين والده حتى ألجؤوه إلى هذه الحال، ومال الخليفةُ إلى ولده علي، ورشَّحه للخلافة، فاخترم في شبابه، فألجأتِ الضرورةُ إلى أن رَجَعَ الحقُّ إلى نصابه.

وفي جمادى الآخرة عقيبَ هذه الواقعة وَقَعَ حريقٌ بدار الخلافة لم يَجْرِ في الدُّنْيا مِثْلُه، فُتحت أبوابُ الدَّار في اللَّيل، وركب الوزير ابن مهدي وأربابُ الدَّولة إلى خزانة السِّلاح، فرأوا النَّار قد لعبت فيها، واجتمع جميعُ مَنْ ببغداد من السَّقَّائين والفَرَّاشين بالقِرَب والرَّوايا والصُّنَّاع والفَعَلة، وأقاموا يوماً وليلة يقلبون الماء على النَّار وهي تزداد، فاحترقَ جميعُ ما كان في الخزانة من السِّلاح، والأمتعة، والقِسِيّ، والنُّشَّاب، والرِّماح، والجروخ، والسيوف، والجواشن، والزَّرَديات، وقدور النِّفْط، والخُوَذ المرصَّعة بالجواهر واليواقيت، وعملتِ النَّارُ، وساعدها الهواء، ودَبَّتْ إلى الدُّور والتَّاج والدار البيضاء، فخرج الخليفةُ منها إلى دِجْلة، واحترقت خزانة الرؤوس: [رأس البساسيري، ورأس طغريل، وغيرهما][(١)]. ويقال: إنَّ قيمةَ ما ذهب ثلاثةُ آلاف ألف دينار وسبع مئة ألف دينار، وكان في ذلك عبرة [لمن اعتبر، وفكرة لمن افتكر][(١)].

وفيها جاءتِ الفرنج إلى حماة بغتةً، وأخذوا النساء الغسَّالات من باب البلد على العاصي، وخرج إليهم الملك المنصور بن تقيِّ الدين، وثبت، وأبلى بلاءً حسناً، وكَسَرَ الفرنجُ عسكرَه، ووقَفَ في السَّاقة من الرقيطاء إلى باب حماة، ولولا وقوفُهُ ما أبقوا من المُسْلمين أحداً.

وحج بالنَّاس من العراق وجه السَّبع، ومن الشَّام صارم الدين بُزْغُش العادلي [والي قلعة دمشق][(١)]، وزين الدين قراجا صاحب صَرْخَد، [وجاء أبو محمد يوسف، وقرأ عَزْلَ ولي العهد بمكة والمدينة عند قبر النبيِّ ﷺ.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها توفي

أحمد بن سَلْمان(١)

أبو العباس الحَرْبي، ويلقب بالسُّكَّر.

قرأ القرآن بالرِّوايات، وسمع الحديث الكثير، ومولده في سنة أربعين وخمس مئة، وكان صالحاً، زاهداً، عابداً، وأقام سنين في الحربية يختم القرآن كل ليلة في صلاة التراويح، وكان جاري، وكنت أصلي خلفه، وكان قنوعاً، صبوراً على الفقر، وكانت وفاته في صفر، ودفن بباب حرب، سمع أبا الوقت، وابن البطي وغيرهما، وسمعنا عليه الحديث، وكان ثقة، صدوقاً](٢).

وفيها توفي

عبد المنعم بن علي بن الصَّيْقل(٣)

أبو محمد، نجم الدين، الحَرَّاني.

قدم بغداد [(٤) أول مرة في سنة ثمان وسبعين وخمس مئة، وتفقه على أبي الفتح ابن المني] وسمع [الحديث الكثير من أبي الفتح ابن شاتيل، وأبي السعادات ابن زريق، وجدي رحمه الله، وغيرهم،]، ثم عاد إلى حران، ووعظ بها، وحصل له القبول، ثم عاد إلى بغداد فاستوطنها، ووعظ بها، [وحضرتُ مجالسه بمسجد باب المشرعة](٥)، وسمعته ينشد: [من الطويل]

وأشتاقكُمْ يا أهلَ وُدِّي وبَيْنَنا كما زَعَمَ البَيْنُ المُشِتُّ فراسخُ
فأما الكَرَى عن ناظري فَمُشَرَّدٌ وأما هواكُمْ في فؤادي فراسِخُ

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٥٦ـ٥٧، و«معرفة القراء الكبار»: ٣/ ١١٢٨، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ١٨٢، و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ٣٩٩ـ٤٠٠، و«غاية النهاية»: ١/ ٥٨، و«توضيح المشتبه»: ٥/ ١٢٥.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ١/ ١٧٢ـ١٧٣، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٥٩، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٦٦، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ٩٢، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٣٦ـ٣٨، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٨٧، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٣ـ٤.

(٤) في (ح): قدم بغداد وتفقّه بها وسمع، ثم عاد إلى حرّان، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ح): قال المصنف رحمه الله، وسمعته ينشد، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وكان[1] صالحاً ديناً، نَزِهاً عفيفاً، كيِّساً لطيفاً، متواضعاً، كثير الحياء، وكان يزور جدي، ويسمع معنا الحديث، وكانت وفاته يوم الخميس سادس عشر ربيع الأول، وصلي عليه بالنظامية، ودفن بباب حرب، وخَلَّف ولدين: النجيب عبد اللطيف، والعز عبد العزيز، فأما عبد اللطيف فكان يسمع معنا الحديث على جدي بقَطُفْتا، وأما العز فكان صغيراً، ثم تقلبت بهما الأحوال إلى أن صارا تاجرين لديوان الخليفة، وظهر منهما الثِّقة والأمانة، والعِفَّة والدِّيانة، والنَّهْضة والصِّيانة.

محمد بن سَعْد الله بن نصر[2]

أبو نَصْر ابن الدَّجاجي، الواعظ الحنبلي.

ولد سنة أربع وعشرين وخمس مئة، وتوفي في ربيع الأول، ودُفِنَ بباب حَرْب.

قال المصنف رحمه الله: أنشدني في رباط الأخلاطية: [من الرجز]

نَفْسُ الفتى إن أَصْلَحَتْ أحوالَها كان إلى نَيْلِ التُّقى أحوى لها
وإنْ تَرَاها سَدَّدَتْ أقوالَها كان على حَمْلِ العُلا أقوى لها
فلو تَبَدَّتْ حالُ مَنْ لَهَا لها في قَبْرِهِ عند البِلَى لَهَالَهَا

الملك بن بَكْتَمُر

صاحب خِلاط، كان شابًّا لم يكن في الدُّنيا أحسنَ منه، ولم يبلغ عشرين سنة، قتله الهزار ديناري، قيل: غَرَّقه في بحر خِلاط، ثم قُتِلَ الهزار ديناري بعده، [وسنذكره في موضعه إنْ شاء الله تعالى][3].

السنة الثَّانية وست مئة

وفيها استوزر الخليفةُ نصيرَ الدِّين ناصر بن مَهْدي العَلَوي الحسني، وخَلَعَ عليه خِلْعَةَ الوِزَارة: القميصَ والدَّرَّاعة والعِمامة والسيف، وخرج من باب الحجرة، فَقُدِّمَ له

(١) هذه الفقرة إلى آخر هذه الترجمة من (م) و(ش)، وهي في (ح) نحوها مع اختلاف في التقديم والتأخير لبعض عباراتها.
(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٥٨-٥٩، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٦٦-١٦٧، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ٥٣، و«الوافي بالوفيات»: ٣/ ٩١، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٣٤-٣٦، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٨٧.
(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فرسٌ من خيل الخليفة، وبين يديه دواةٌ عليها ألف مِثْقال [ذهب](١)، ووراءه المهد الأصفر، وألويةُ الحمد، وطبول النُّوبة، والكوسات تَخْفِق، والعهد منشور بين يديه، وجميعُ أرباب الدَّولة مشاةٌ بين يديه، وضربت [الطبول و](١) البوقات له بالرَّحْبة في أوقات الصَّلوات الثَّلاث: المغرب والعشاء الآخرة والفجر، فقال النَّاس: يا ليتَ شِعْرنا، ماذا أبقى الخليفة لنفسه؟!

وفيها هرب أبو جعفر محمد بن حديدة الوزير الأنصاري من دار الوزير ابنِ مهدي، وكان محبوساً عنده بدرب المطبخ ليعذِّبه، فَحَلَق ابنُ حديدة رأسه ولحيته، وخَرَجَ، فلم يظهر خبرُه إلا من مراغة بعد مُدَّة، وعاد إلى بغداد.

وفيها توجَّه ناصرُ الدِّين صاحب مارِدين إلى خِلاط بمكاتبة أهلها، فجاء الملكُ الأشرف، فنزل على دُنَيْسر، وأقطع بلد مارِدين، فعاد ناصرُ الدِّين إلى بلده بعد أَنْ غَرِمَ مئة ألف دينار، ولم يسلموا إليه خلاط.

وفيها أغار ابن لاون على بلاد حلب، وأخذ الجشار من نواحي حارم، فبعث الملكُ الظَّاهرُ فارسَ الدِّين ميمونَ القَصْري، وأيبك فُطَيْس وحسام الدين ابن أمير تُرْكمان، فنزلوا على حارم، فقالوا لميمون: كُنْ على حَذَر. فتهاون، فكبَسَهم ابنُ لاون، وقتل جماعةً من المسلمين، وثَبَتَ أيبك فطيس وحسام الدين، وقاتلا قتالاً شديداً، ولولاهما لأُخذ ميمون، وبلغ الظَّاهر، فخرج من حلب، فنزل مرج دابق، وجاء إلى حارم، فهرب ابنُ لاون إلى بلاده، وكان قد بنى قلعةً فوق دَرْبَساك، فأخربها الظَّاهر، وعاد إلى حلب.

وحج بالنَّاس من العراق وجه السبع، ومن الشَّام الشجاع علي بن السَّلَّار.

[وفيها توفي

حمزة بن علي بن حمزة(٢)

أبو يعلى الحرَّاني، ويعرف بابنِ القُبَّيطي.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٩٢-٩٣، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٧٢-١٧٣، و«معرفة القراء الكبار»: ٣/ ١١٣٠-١١٣١، «سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٤١-٤٤٢، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

ولد سنة أربع وعشرين وخمس مئة ببغداد، وقرأ القرآن بالروايات على الشيخ أبي محمد سبط الشيخ أبي منصور الخيَّاط وغيره، وسمع الحديث، وكان حَسَنَ الصوت بالقراءة، صلى إماماً بالمسجد الذي إلى جانب البدرية، فكان الناس في ليالي رمضان يأتون إليه من أقطار بغداد، يسمعون قراءته، وكانت وفاته في ذي الحِجَّة، وصلي عليه بالنظامية، ودفن بباب حرب، وسمع أبا الكرم المبارك ابن الشهرزوري، وإبراهيم بن نبهان الرَّقِّي، وسَعْد الخير، وأبا الفَضْل الأرموي وغيرهم، وروى لنا عنهم، وكان صالحاً عفيفاً، زاهداً، ثقة][1].

وفيها توفي

طاشْتِكِين بن عبد الله المقتفوي[2]

أمير الحاج، مجير الدِّين.

حج بالنَّاس ستاً وعشرين حجة، وكان في طريق الحج مثل الملوك، فقصده ابنُ يونس، وقال للخليفة: إنَّه يكاتبُ صلاح الدِّين، وزوَّر عليه كتاباً، فحبسه مُدَّة، ثم تبيَّن له أنَّه بريء من ذلك، فأطلقه، وأعطاه خوزستان، ثم أعاده إلى إمرة الحج، وكانت الحِلَّة السَّيْفية إقطاعه، وكان شجاعاً جَوَاداً، سَمْحاً، قليل الكلام، يمضي عليه الأسبوع ولا يتكلَّم، استغاث إليه رجلٌ يوماً، فلم يكلِّمْه، فقال الرَّجل: الله كلَّم موسى، فقال: وأنتَ موسى؟ فقال له الرجل[: وأنت الله! فقضى حاجته.

وكان حليماً، التقاه رجل، فاستغاث إليه من نوابه، فلم يجبه، فقال له الرجل:][1] حمار أنت؟ فقال طاشتكين: لا.

وفي قِلَّة كلامه يقول ابنُ التَّعاويذي: [من الخفيف]

وأميرٍ على البلاد مولَّى ... لا يجيبُ الشَّاكي بغيرِ السُّكوتِ
كلما زاد رِفْعةً حَطَّنا اللـ ... ـه بتَغْفِيْله إلى البَهْمُوتِ[3]

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٢٤١، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٨٣ـ٨٤، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٧٠-١٧٢، و«المختصر في أخبار البشر»: ٣/ ١٠٧، و«فوات الوفيات»: ٢/ ١٢٩ـ١٣٠، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٩٠، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٨، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٣) لم أجد البيتين في ديوانه المطبوع.

وقام يوماً إلى الوضوء، فحل حياصته، وتركها موضعه، ودخل ليتوضأ، وكانت الحياصة تساوي خمس مئة دينار، فسرقها الفَرَّاش وهو يشاهده، فلما خرج طَلَبَها فلم يجدْها، فقال أستاذ داره: اجمعوا الفَرَّاشين، وأحضروا المعاصير. فقال له طاشْتِكِين: لا تضرب أحداً، فالذي أخذها ما يردُّها، والذي رآه ما يغمز عليه. فلما كان بعد مدَّة رأى على الفَرَّاش [الذي أخذ الحياصة][1]، ثياباً جميلة وبِزَّة ظاهرة، فاستدعاه سرًّا، وقال له: بحياتي، هذه من ذيك؟ فخجل، فقال: لابأس عليك، فاعترف، فلم يعارضه.

وكان قد جاوز تسعين سنة، فاستأجر أرضاً وَقْفاً ثلاث مئة سنة على جانب دِجْلة ليعمرها داراً، وكان في بغداد رجلٌ محدِّث في الحِلَق يقال له: فتيحة [المحدِّث،][1] فقال: يا أصحابنا، نهنئكم، ماتَ ملكُ الموت. قالوا: وكيف؟ قال: طاشْتِكِين عمره مقدار تسعين سنة، وقد استأجر أرضاً ثلاث مئة سنة، فلو لم يعلم أَنَّ ملك الموت قد مات ما فعل هذا. فتضاحك النَّاس.

وكانت وفاته بششتر، وأوصى إلى أن يحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السَّلام، فحمل في تابوت، فدفن فيه، رحمه الله تعالى.

مسعود سعد الدين صاحب صفد

وممدود بدر الدين شِحْنة دمشق[2]

ابنا الحاجب مبارك بن عبد الله، وأمهما أم فَرُّخْشاه بن شاهنشاه بن أيوب، وأختهما لأُمهما ست عذرا؛ صاحبة المدرسة المجاورة لقلعة دمشق، وأمهم من المُنَيْطرة، وكانا أميرين كبيرين، لهما مواقفُ كبيرة مع صلاح الدين، وتقدَّمت وفاة [بدر الدين][1] ممدود، فإنَّه مات بدمشق يوم الأحد خامس شهر رمضان، وتوفي [سعد الدين][1] مسعود بصفد يوم الاثنين خامس شوَّال، بينهما شهر، [وحزن الناس عليهما][1].

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) لهما ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ١٧٢ ، وفيه تتمة مصادر ترجمتهما.

السنة الثالثة وست مئة

فيها فارق وجه السَّبع الحاج، وقصد الشَّام، وكان في الحج العراقي جماعةٌ من الأعيان، فبكوا وضجُّوا، وسألوه، فقال: مولاي أمير المؤمنين محسنٌ إليّ، وما أشكو إلا من الوزير ابن مهدي، فإنه يَقْصِدُني لقُرْبي من مولاي، وما عن الرُّوح عِوَض. وسار إلى الشَّام، ودخل الحاج بغداد وعليهم وَحْشة وكآبةٌ، وأمر الخليفة أن لا يخرج الموكب إلى لقائهم، ولا يخرج إليهم أحد، وأدخل الكوس والعَلَم والمهد في الليل، وأقام الخليفة حزيناً أياماً، وأما وجه السبع فوصل إلى دمشق، فالتقاه العادل وأولاده، وخدموه، وأحسنوا إليه.

وفيها ولَّى الخليفةُ عمادَ الدين أبا القاسم عبد الله ابن الدَّامَغَاني قضاءَ القضاة ببغداد.

وفيها قَبَضَ الخليفةُ على عبدِ السَّلام بن عبد الوهَّاب ابن الشيخ عبد القادر [الذي أحرقت كتبه في الرحبة][1] فاستأصله، وأصبح يطلب من الناس، [وكان قد بلغه فِسْقُه وفجوره][1].

وفيها قدم البُرْهان محمد بن عمر بن مازة البخاري، ويلقب بصَدْرجهان حاجًّا إلى بغداد، وتلقَّاه جميعُ مَنْ ببغداد ما عدا الخليفة [والوزير][1]، وأُنزل في دار زُبيدة على نهر عيسى، وحُمِلَتْ إليه الإقامات والضِّيافات، وكان معه ثلاث مئة من الفقهاء والمتفقهة.

وفيها نزلت الفرنج على حِمْص، وكان الظَّاهر قد بعث المبارز يوسف بن خُطْلخ الحلبي إليها نجدةً لأسد الدين، وأُسر في هذه المرة الصَّمْصام بن العلائي؛ خادم صاحب حِمْص.

قال المصنِّف رحمه الله: وفيها فارقتُ دمشق قاصداً حلب، وجلستُ بقاسيون، وودَّعْتُ النَّاس، فلم يتخلَّفْ بدمشق إلا اليسير، وامتلأ جامعُ الجبل بالنَّاس، [فصاحوا علينا من الشبابيك التي بالإيوان: لا، لا. يعني قوموا، فاخرجوا،][1] فخرجنا إلى

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

المُصَلَّى، وكان [شيخنا][(١)] تاج الدين الكِنْدي حاضراً، [فلما خرج من الباب زحموه، فانكشف رأسه، ووقعت عمامته، فعز عليَّ، وسألته وأقسمت عليه أن يمضي إلى دمشق، فامتنع، وقال: لا والله حتى نتمم المجلس][(١)]. وتابَ في ذلك اليوم زيادة على خمس مئة شاب، وقطعوا شعورهم، وجرى كلامٌ في المغناطيس [وأنه يعشق الحديد، ثم قلت:][(١)] والخُبَّازى يعشق الشمس، ولهذا كلَّما مالت الشمس إلى جهةٍ مال الخُبَّازى إليها. فصاحَ سيفُ الدِّين بنُ تميرك، وكان حاضراً: يا مولاي شمسَ الدِّين، كلُّنا اليوم خُبَّازى.

وحجَّ بالنَّاس مجاهد الدين ياقوت، [وهي أول حجة حجَّها، وحج][(١)] صدرجهان، ووصلتُ حلب في ذي الحِجَّة، واجتمعتُ بمسعود ابن أبي الفَضْل أبي الفتح النَّقَّاش الحلبي الشَّاعر تاج الدين، وأنشدني مُقَطَّعات من شعره: [وكتبها لي بخطِّه، ومولده][(١)] سنة أربعين وخمس مئة، فمن ذلك: [من السريع]

ما لي سوى حُبِّكُمُ مَذْهَبُ ... ولا إلى غَيْرِكُمُ مَذْهَبُ
بددتم شملي فيا هل ترى ... يجمعني يوماً بكم مذهب
وساحَ دمعي في هواكم دماً ... فصرت فيكم مثلاً يضرب
أبكي وأنتم نُصْبَ عيني كما ... يغص بالماء الذي يشرب
وأعشق التعذيب في حبكم ... ومن عذاب النفس ما يَعْذُبُ
ناشدتُكَ الله نسيمَ الصَّبا ... من أينَ هذا النَّفَسُ الطَّيِّبُ
أأودَعَتْ برداكَ وقتَ الضُّحى ... مكانَ ألقت عِقْدَها زينبُ
أم ناسَمَتْ رَيَّاك روضَ الحِمَى ... وذَيْلُها من فَوْقِهِ يُسْحَبُ
فهاتِ أتحفني بأخبارها ... فَعَهْدُكَ اليومَ بها أَقْرَبُ
أحباب قلبي ليس من جَوْركم ... إلا إلى عدلكُمُ المهرب
وهبتكم روحي فمن ذا الذي ... عاين روحاً قبلها توهب
وعدت أسعى في نجاتي بها ... ما كل رأي المرء يُسْتَصْوَبُ

وأنشدني أيضاً: [من السريع]

---
(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

أَصْلُ تِلافي مِنْ تلافيكُمُ ... فعلِّموني كيفَ أُرْضِيكُمُ
قلَّبتم قلبي وما خلته ... يَشْقَىٰ وقد أصبحَ يَأْويكُمُ
أحبابَنا مَنْ ذا الظَّلومُ الذي ... بقَتْلَتي في الحُبِّ يُفْتِيْكُمُ
وأيُّ خَلْقِ اللهِ يَرْضىٰ لكُمْ ... بفَتِّ أكبادِ مُحِبِّيْكُمُ
كَمْ مُنِعَتْ عيني بكُمْ إنْ رأتْ ... واسْتَحْسَنَتْ غيرَ معانيكُمُ
ولا اشتفتْ روحي بلُقْياكُمُ ... إن حدَّثتني بتَسلِّيْكُمُ
وَيْلاه ما أَعْذَبَ تَعْذِيْبَكُمْ ... عندي وما أَحلَىٰ تَجَنِّيْكُمُ
وما ألذَّ الموتَ في قُرْبِكُمْ ... على مَلالٍ وجَفا فِيْكُمُ
أَمْرَضْتُموني بمَضِيْضِ القِلىٰ ... فالله مِمَّا بي يُعافِيْكُمُ
ونِمْتُمُ عن سَهَرِي فارْحَمُوا ... طولَ نُواحي في نواحِيْكُمُ
طوبىٰ لعينٍ عايَنَتْكُم ويا ... طِيبَ مكان باتَ يَحْويكُمُ
وهَذْيُ مَنْ قد ضَلَّ في حُبِّكُمْ ... أو راح بالرُّوْحِ يُواسِيْكُمُ
أَطَلْتُمُ ليلي فَواحَسْرتي ... على دجى الليل بداجيكُمُ
وبحتُمُ عَمْداً بقَتْلي ولم ... أفه مع الضُّرِّ بحبِّيْكُمُ
ورُبَّ سِرْبٍ من ظِباءِ الحِمَىٰ ... مرَّتْ بَوَاديه بوادِيْكُمُ
قَبَضْتُ من خُرَّدِهِ دميةً ... رواحُها قَبْلَ تغادِيْكُمُ
فَطَوِّلُوا في العَذْل أو قصروا ... ماتيكُمُ أوفق هاتِيْكُمُ

ومن ذلك: [الرجز]

أيُّ يدٍ عندي وأيُّ مِنَّهْ ... للرَّكْبِ أَنْ بَشَّرني بهنَّهْ
صاحوا الرَّحيلَ فظلِلْتُ والهاً ... أَنْشُدُ قلبي بينَ عِيْسهنَّهْ
كأنني بالحَيِّ قد شدُّوا العُرَىٰ ... لبَيْنِهِمْ وأَرْخوا الأَعِنَّهْ
وما سمعتُ قبل أن يَرتحلُوا ... بمَطْلَعِ الشُّهْبِ من الأَسِنَّهْ
يا حادي الأظعانِ رُبَّ فرحٍ ... أحدثَه طِيْبُ حديثهنَّهْ
فاسْلَمْ وقُلْ للرَّاحلين إن يكن ... بَيْنٌ فرِفْقاً بقتيلكنَّهْ
فَشُرِّعَتْ تلك السُّجوفُ عن مَهَا ... تَحْسَبُها الأقمارَ في الدُّجُنَّهْ

مبتسماتٍ والربا من … البرق لألآء نورهِنَّهْ

والجوُّ مُعْتَلُّ النَّسيْم أَرِجٌ … بالمِسْك من رَدْعِ نُهودِهِنَّهْ

وبينهن مَنْ إذا تحدَّثَتْ … شَمَمْتَ أنفاسَ ثمارِ الجَنَّهْ

وما علمت إن هي تطلعت … أنَّ الخُدُورَ للمَها مَظِنَّهْ

قالت حزين إن يَبِنْ ألفُهُ … يوم النوى أنَّ فقلتُ إنَّهْ

فابتسمَتْ فبان لي مُسْتَرِقاً … من ثَغْرِها دُرُّ عقودِهِنَّهْ

ومن ذلك: [من السريع]

ما عذُبَتْ مِدْحَة مَغْناهُمُ … إلا لتعذيبِ مُعَنَّاهُمُ

فاقوا فلا الإحسانُ يَزْري بهم … يوماً ولا الحُسْنُ تعدَّاهُمُ

يا حبَّذا رؤياهُمُ المشتهاة … وحَبَّذا نَفْحَةُ رَيَّاهُمُ

وحبَّذا فَرْطُ الجمال الذي … بحَلْيِه لبَّى فَلَبَّاهُمُ

أصبَحْتُ لا أهوىٰ سِواهُمُ كما … أمْسَيْتُ لا أعشقُ إلا هُمُ

أغارُ مِنْ قلبي عليهم إذا … فكَّرَ فيهمْ وتمنَّاهُمُ

يا عجباً لي كيف أشْتَاقُهُمْ … وفي صَمِيْمِ القلب مأواهُمُ

وواحيائي من حياتي وقد … علمتُ أني بعضُ قَتْلاهُمُ

يا ليتَ شِعْري هكذا كل من … رآهمُ هامَ بمَرْآهُمُ

أم مِنْ غَرامي وجُنوني بهم … أظنُّ كلَّ الخلق يهواهُمُ

أمرُّ مِنْ وَجدِي بأبوابهم … أقول علِّي اليومَ ألقاهُمُ

أُضاحِكُ الشُمَّاتَ خوفاً ولو … تحقَّقُوا وَجْدي لأبْكاهُمُ

واحزناً كم أتلظى وكم … خوفَ تِلافي أتلفاهُمُ

وكَمْ أذوقُ الصَّبْرَ من يأْسِهِمْ … وحُسْنُ ظني يترجَّاهُمُ

كنت أُرى أسعدَ هذا الورَى … بهمْ وقد أصبحتُ أشقاهُمُ

أموتُ مِنْ خوف تناسيهُمُ … عَهْدي وأحيا عند ذكراهُمُ

أَفْقَرني الحُبُّ إليهم كما … أبعدَهُمْ عني فأغناهُمُ

فإن تَنَاسَوْا مَلَلاً مَوقِفي … فلستُ مِمَّنْ يتناساهُمُ

ومن ذلك: [من الوافر]

سـقـاكِ الـلـه ريـاً دارَ رَيَّـا ... وحَـيَّـا عـن غَـرَامـي فـيـكِ حَـيَّـا
فـمـا أنـا مَـنْ يُـغَـيِّـرُنـي جَـفَـاكُـمْ ... فـأنـفـضُ مـن مـحـبـتـكُـمْ يـديَّـا
وفـي الـمـتـغـيِّـبـات عـلـيَّ شَـمْـسٌ ... تُـغِـيْـرُ بِـدُرٍّ قُـرْطَـيْـهـا الـثُّـريَّـا
مـحـجـبـة حـمـتـنـي الـغـمـضَ لـمـا ... نـصـبـتُ لـصـدِّهـا شـبـك الـحُـمـيَّـا
طـمـعـتُ بـأَنْ أعـيـشَ لـهـا سـعـيـداً ... أقـاسِـمُـهـا الـحـيـاةَ فـمـا تَـهَـيَّـا
أيـا لـلـه قـاسـيـةٌ طَـوَتْـنِـي ... بـنَـشْـرِ سـريـرتـي فـي الـحُـبِّ طَـيَّـا
شـكـوتُ إلـى جَـفَـاهـا جُـرْحَ قـلـبـي ... لـيـرحَـمَـنـي فـزاد الـجُـرْحَ كَـيَّـا
وأَوْدَعَ سُـقْـمَ جـفـنـيـهـا فـؤادي ... وبـالـغَ فـيَّ حـتَّـى صـرتُ فَـيَّـا
وهـا أنـا بـيـن جـفـوتِـهـا وحَـتْـفـي ... كـذا والـحَـتْـفُ أَيْـسَـرُ حـالـتـيَّـا
أنـادي سَـلـوتـي فـيـجـيـبُ وَجْـدي ... لـقـد أسـمـعـتَ لـو نـاديـتَ حَـيَّـا
هـداك الـلـه يـا نَـشْـرَ الـخُـزامـىٰ ... وأهـدَى طِـيْـبَ مـا تُـهْـدِي إلـيَّـا
وزادك مِـنْ عـوارِفـهِ فـإنِّـي ... شَـمَـمْـتُ لـعَـرْفِ رَيَّـا فـيـك رَيَّـا

ومن ذلك، وهي منها:

وبـيـن ظُـبـى وجـيـرة أم خِـشْـفٍ ... تـمـرَّض مَـوْعِـدي مَـطْـلاً ولَـيَّـا
يُـطـاوِعُ فـي عـذابـي مُـقْـلَـتَـيْـهـا ... وأَعـصِـي فـي هَـوَاهـا عـاذلَـيَّـا
وأَعْـشَـقُـهـا فـإنْ رُشْـداً فَـرُشْـداً ... وإنْ غَـيَّـاً كـمـا زعـمـوا فـغَـيَّـا
هـوًى لـم يَـهْـوَ أَيْـسَـرَهُ جـمـيـلٌ ... بُـثَـيْـنـتَـهُ ولا غَـيْـلانُ مَـيَّـا
ولـيـلـةَ أقـبـلَـتْ كـالـبَـدْرِ نَـشْـوىٰ ... فـلَـيْـتَـك كُـنْـتَ تُـبْـصِـرُنـا أُخَـيَّـا
أُعـانِـقُـهـا ومِـسْـكُ ذؤابَـتَـيْـهـا ... يـعـانـقـني[1] فـأَلْـتَـثِـمُ الـمُـحَـيَّـا
وأَرْبَـعُ فـي شـقـائـقِ وَجْـنَـتَـيْـهـا ... فَـتُـحْـدِثُ لـي حـدائـق جَـنَّـتـيَّـا
ويُـذْكِـرُنـي جـنـى الـتـفـاحِ غَـضًّـا ... فـأقـطـفُ مـنـهـمـا تـفـاحـتـيَّـا

ومن ذلك: [من الكامل]

---

(١) في (ح) سقط، ولعل ما أثبتناه من عندنا لا يأباه البيت.

حَلَفَ الغرامُ عليَّ يومَ فِراقِهِمْ ألا أبارحَ بَعْدَهُمْ بُرَحائي
فبقَدْرِ ما يزدادُ فَرْطُ جمالِهِمْ يزدادُ طولُ تأَسُّفِي وعَنَائي
ولقد وقفتُ مُبَلَّلاً بمدامعي ثم انثنيتُ مخلَّفاً بدمائي
أُذكي بِسُحْبِ مدامعي جَمْرَ الحَشَا وكذا تكونُ مدامعُ الغُرَباءِ
وسَرَوْا فأمَّ الجور منهم جنَّةً فارَقْتُ طيْبَ نعيمها لشقائي
زهراءُ تُصْبِحُ شَمْسَ كل صبيحة حسناً وتمسي بَدْرَ كلِّ مساءِ
رحلتْ وكنتُ شفيعَ غيري عندها واليوم لا تصغي إلى شُفَعائي
يا وقفةَ التَّوْديعِ كيف غَدَرْتِ بي فقطعتِ منها بالفِراقِ رجائي

ومن ذلك يمدح الملك الأمجد صاحب بعلبك: [من السريع]

زارَ وطَرْفُ النَّجْمِ لم يَرْقُدِ موتزر من حُسْنِهِ مُرْتَدِ
أَحْوَرُ يحكي الخالُ في خَدِّه نُقْطَةَ نَدٍّ فوق وَرْدٍ نَدِي
يا حُسْنَهُ مِنْ زائرٍ ما بدا إلا وأنسى قَمَرَ الأَسْعُدِ
ويا ضَلالي فيه من بعدما كنتُ بمرأى وَجْهِهِ أهتدي
أطفأ لثمُ البَرَدِ المُشْتَهى مِنْ ثَغْره ناري ولم تَبْرُدِ
وجاد لي بالكأسِ ممزوجةً بريقه تِيْهاً على عُوَّدِي
فيا لَها من ليلةٍ لم يَفُزْ بمِثْلها الهادي ولا المُهْتَدِي
أدنت لي البدر إلى أن غفا مُوَسَّداً يُشْرِقُ منه النَّدي
أحويه في صَدْري كرَيْحَانةٍ ريانة تأرَجُ في مَرْقَدِي
وآخذ الصَّهْباءَ مِنْ ريقه بما جنت غُلَّة قلبي الصَّدِي
إذْ أجتلي في ليلِ أصداغه مِنْ وَجْهِهِ شمسَ صباحِ الغَدِ
وعاذلي عَنَّفَ فيه وَمَنْ يُنادِمِ البَدْرَ ولم يُحْسَدِ
ظنَّ خلاصي في يدي فاعتدى قال أتهوى قاتلاً لا يدي
فقلتُ لا تَرْجُ سُلُوِّي فقد خلَعْتُ سُلْواني على عُوَّدي
أأهجر العَيْشَ بهجري له وأُخْرِجُ الفوزَ به عن يدي
وأنثني عنه إلى غيره لا وحياةِ الملكِ الأمجدِ

وقال: اشتريتُ من دمشق فاكهةً بأربعين دِرْهماً، وقوسين بأربعين دِرْهماً، وقصدتُ شَيْزَر، فنزلت بخانٍ في الرَّبَض، وأُخبر مسعودُ صاحِبُها بي، فاستدعاني فدخلت عليه، وقدَّمتُ له الهدية، وأنشدته أبياتاً غَزَلاً ومديحاً، فلما أنهيتها أخرج من تحت طَرَّاحته خمسة دراهم، وقال: أنفقْ هذه عليك هذه اللَّيلة، فطباخُنا مريض. فنزلتُ إلى الخان، فلما كان صبيحة ذلك اليوم جاءني أستاذ داره، وقال: الأمير يُسَلِّم عليك، ويقول لك: كم ثمن الفاكهة والقوسين؟ فقلتُ: معاذ الله أن أذكر ثمناً، وإنما أهديتها للأمير. فقال: لابُدَّ. فقلتُ: اشتريتها من دمشق بثمانين دِرْهماً، واكتريتُ لها ولي بغلاً بعشرين دِرْهماً. فمضى وعاد ومعه مئة درهم، وقال: هو يعتذر إليك، وما في الخزانة شيءٌ. فامتنعتُ مِنْ أَخْذها، وخرجتُ من شَيْزَر ولم أبت بها، وقلتُ: [من السريع]

ما أليقَ النَّحس بمسعودكُمْ على الورى يا ساكني شَيْزَرِ
فيا ملوكَ الأَرْضِ هُمُّوا به فإنَّه والله شيءٌ زَرِي

[قلت: عهدي بالنقاش في سنة ثمان وست مئة في الحياة، وقدم دمشق في سنة تسع وست مئة،](1) وأنشد الجماعة قِطَعاً من قصائده [،وأفادهم من فرائد فوائده، إلا أنه كان باطنه كالزناد الوقاد، وظاهره كالجليد والجُماد، ومن رآه نسبه إلى البلاهة وعدم الذكاء والفقاهة،](2) فإذا أنشد تساقط من ألفاظه مِثْلُ الجُمَان، وقد شاهدتُهُ، وليس الخبر كالعِيان، ولم أقف على تاريخ وفاته.

وفيها توفي

إسماعيل بن علي(3)

الحظيري، ومن شِعْره: [من السريع]

لا عالمٌ يبقى ولا جاهِلُ ولا نَبِيَّةٌ لا ولا خامِلُ
على سبيلٍ مَهْيَعٍ لاحِبٍ يُودي أخو اليَقْظَةِ والغافِلُ

(١) في (ح): قال المصنف رحمه الله: قدم النقاش سنة تسع وست مئة دمشق، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): وأنشد الجماعة مقطعاً من قصائده، وكان باطنه كالزناد الوقاد، وظاهره كالجليد الجماد، فإذا أنشد...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ٧/ ٢٣-٢٤، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٨٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

عبد الرَّزَّاق بن الشيخ عبد القادر، الجِيْلي(١)

كان زاهداً، عابداً، وَرِعاً، مقتنعاً من الدُّنيا باليسير، صالحاً، ثِقَةً، لم يدخل فيما دخل فيه غيرُهُ من إخوته، ولد سنة ثمانٍ وعشرين وخمس مئة، وكانت وفاته في شَوَّال، ودفن بباب حَرْب.

عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الله أبو منصور(٢)

النُّعْماني، النِّيْلي، القاضي شُرَيح، يسمَّى بذلك لذكائه وفِطْنته.

ولي قضاء النِّيل مُدَّة، ثم قَدِمَ بغداد، فَنُدِبَ إلى المراتب الكبار، فلم يدخل في شيءٍ منها، فرمى طاشْتِكِين [أمير الحج](٣) نفسه عليه، وسأله أن يكتبَ له، فاستحيا منه، وكَتَبَ له، فأقام عنده مُدَّة عشرين سنة، فقصده الوزير ابنُ مهدي حسداً له لفَضْله. وكان فاضلاً، مترسلاً، بليغاً، جَوَاداً، سَمْحاً، حَسَنَ الصُّورة، فصيحَ اللِّسان، متواضعاً، لطيفاً، يَصْلُحُ للوِزارة، فلبَّسَ على الخليفة في أمره، فحبسه في دار طاشْتِكِين بدار الخليفة، ولم يقدر طاشْتِكِين على الكلام فيه، [ومات طاشْتِكِين وهو محبوس](٣)، وتوفي في ربيع الأول، فأخرج من دار طاشْتِكِين ميتاً، فدفن بداره في القُبيبات، ومن العجائب أنَّ ابن مهدي نُكِبَ بعد وفاته، وحُبِسَ بدار طاشْتِكِين أيضاً، ومات بها.

جاءت القاضي رقعةٌ من ناظرِ واسط، فكتب إليه: وصلتْ المكاتبةُ الكريمةُ، والمخاطبةُ الوسيمةُ، فحلَّت من العبد مَحَلَّ الدِّرْياق من السَّليم، والبُرْء من السَّقيم، مفصحةً عن سلامة قاطبة لا استقلَّتْ، وسعادة وافية لا اضمحلَّت، بمعاني تشرق فصاحَتُها، وبلاغة تروق عبارتها، ولما سرَّحْتُ النَّاظر في رَوْضها الأنيق النَّاضر، تيقَّنْتُ مسالمةَ الدَّهْرِ لمولانا ذي المفاخر والمآثر، وجعلتُ عِوَضها السعي على الناظر إلى خِدْمة مولاي النَّاصر، وذكر رسالةً طويلة، ورسائله مدوَّنة في مجلَّدين.

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ١١٦ـ١١٧، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٨٠-١٨١، و«مشيخة النعال»: ١٤٣ـ١٤٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٢٦ـ٤٢٨، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ١١٣، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٨١-١٨٢، و«توضيح المشتبه»: ١/ ٦٨٧، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[وقد رأيت القاضي شريحاً، وكان ألطف العالم وأذكاهم][1].

أبو القاسم ابن المقرىء، حاجب الدِّيوان

كان شاباً حسناً، يعاشر ابنَ الأمير أصبه شاباً جميلاً، جلسا يوماً، فداعب ابنُ المقرىء ابنَ أصبه، فرماه بسكِّينٍ صغيرةٍ، فوقعت في فؤاده، فقتلته، فَسَلَّم الخليفةُ ابنَ المقرىء إلى أولاد أصبه، فلما خرجوا به ليقتلوه، أنشد: [من الوافر]

قَدِمْتُ على الإله بغير زاد من الأعمالِ بل قلبٍ سليمِ
وسوءُ الظَّنِّ أَنْ تعتدَّ زاداً إذا كان القدومُ على كريمِ

فقتلوه، رحمه الله تعالى.

السنة الرَّابعة وست مئة

فيها ولي [خالي أبو محمد][1] محيي الدين يوسف ابنُ الجوزي الحِسْبة بجانبي بغداد.

ودرَّس الكمال عبد الرَّحيم بن محمد الواسطي بمدرسة أم الخليفة مكان الفارقي.

وقَدِمَ الحاجُّ من مكة في صفر، وحكوا ما لقوا من صدرجهان وشِدَّة العطش، وأن غِلْمانه كانوا يسبقون النَّاس إلى المناهل، فيأخذون الماء، فيرشُّون به حول خيمته، ويسقون أحواضَ البَقْل على الجمال، وماتَ عطشاً أكثرُ النَّاس، وسمُّوا هذه السنة سنة صدر جهنم، ولما وصل إلى بغداد لم يخرج أحدٌ للقائه، ولعنوه في وَجْهه، وسبُّوه في الأسواق، وكتبوا لعنته على المساجد والجوامع، وكان النِّساء يخرجن [صارخات][1]، منشرات الشُّعور، يَلْطِمْنَ على موتاهن، ويقلن: العنوا صَدْرَ جهنم. فسأل الوزيرَ أَنْ يأذن له في الرُّجوع إلى بلده، فخلع عليه جُبَّة وعِمامة وطَيْلَسان، وخرج من بغداد والنَّاسُ خلفه يسبُّونه، ولم يقدر أحدٌ على مَنْعهم.

قال المصنف: وحججتُ [أنا][1] في هذه السنة، وهي الرابعة وست مئة، ورأيتُ من الموتى ما أذهلني، وخصوصاً في النقرة والغُسَيْلة، فإني رأيتُ فيهما ما يزيد على خمسة آلاف ميت، ومشينا ثلاثة أيام في الأموات.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها ولي القوام ابن ناصر المخزن، وعُزِلَ عنه محمد بن الوزير بن مهدي، وكان القوام من المدائن.

وانتقل العماد ابن الحُبَيْر من مذهب الإمام أحمد إلى مذهب الإمام الشَّافعي ـ رحمة الله عليهما ـ وأعطى مدرسته للإصبهبذ، ثم لما ولي الإمام الظاهر الخلافة أراد أَنْ يرجعَ إلى مذهب الإمام أحمد، رحمة الله عليه، فلم يمكَّن من ذلك.

وفي جُمادى الآخرة بعث الخليفةُ رجلاً من أهل باب الأَزَج يقال له: ابن دكالة، فأغلق بابَ الوزير ابنِ مهدي، وقبضَ عليه وأقام أياماً، ثم نقله في رجب إلى دار طاشْتِكِين بالصناعة، [في دار الخليفة التي مات بها القاضي شريح](١)، ونقل أهله وأولاده وأمواله وذخائره، ووجد له من الأموال والذَّخائر ما لم يوجد في خزائن الخُلَفاء، فلم يتعرَّض له الخليفة، وفوَّض الأمر إلى المكين محمد القُمِّي كاتب الإنشاء بين يدي ابن مهدي، وناب القُمِّي بعد ذلك في الوزارة إلى أيام المستنصر، فقبض عليه.

واختلفوا في سبب عزله، فقال قومٌ: كان الوزير ابن مهدي ظالماً جَبَّاراً، قاسياً، متكبراً، قليل الرحمة، قَلَّ أَنْ حبس أحداً فتخلَّص منه، [حكى لي خالي أبو محمد يوسف، قال](٢): شفعتُ يوماً إليه في محبوسٍ، فقال: وكم له في الحَبْس؟ قلتُ: خمس سنين، قال: ليس هذا بمحبوس، المحبوس عندنا في العجم مَنْ يمضي عليه خمسون سنة.

[وقال آخرون](٣): إنَّ المكين القُمِّي سعى به إلى الخليفة، وقال: إنه قد طَمِعَ في الخلافة، ويقول: أنا علوي، ونحن أحقُّ، وأنه ينفذ الأموال إلى العجم في قواصر التَّمْر إلى أهله بخراسان، ليجنِّدوا العساكر، ويقيموا ملكاً، ويقصدوا بغداد.

[وقال آخرون](١): إنَّه اتَّفق مع ابن ساوى النَّصْراني على قَتْلِ علاء الدِّين تنامش مملوك الخليفة، [وسنذكره](١)، ولما ظهر تجبُّره واستقلاله بالأمور هجاه أهلُ بغداد، وكتبوا فيه الأشعار، وأوصلوها إلى الخليفة، منها ما كَتَبَ به يعقوبُ بن صابر المنجنيقي: [من الطويل]

خليليَّ قُولا للخليفةِ أحمد ... تَوَقَّ وُقِيْتَ السُّوءَ ما أنتَ صانِعُ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): قال محيي الدين أبو محمّد يوسف ابن الجوزي، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ح): وقيل، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وزيـرُك هـذا بـيـن أمـريـنِ فـيـهـمـا صَـنِـيْـعُـك يـا خـيـرَ الـبَـرِيَّـةِ ضـائِـعُ
فـإنْ يـكُ حـقّـاً مـن سُـلالـة حَـيْـدَرٍ فـهـذا وزيـرٌ فـي الـخِـلافـة طـامِـعُ
وإنْ كـان فـيـمـا يـدَّعـي غـيـرَ صـادِقٍ فـأضْـيَـعُ مـا كـانـتْ لـديه الـصَّـنـائِـعُ

وجلس يوماً في الدِّيوان، فوقعت بين يديه ورقةٌ مختومة، فلم يتجاسر على فَتْحها، فبعث بها إلى الخليفة، وفيها: [من السريع]

إنْ صَـحَّ مـا تَـزْعُـمُ يـا مُـدَّعـي إلـى نـبـيٍّ لـسـتَ مِـنْ نَـسْـلِـهِ
لا قـاتـلَ الـلـهُ يـزيـداً ولا مُـدَّتْ يـدُ الـسُّـوءِ إلـى نَـعْـلِـهِ
لأنَّـه قـد كـانَ ذا قُـدْرةٍ عـلـى اجـتـثـاثِ الـعُـوْدِ مِـنْ أَصْـلِـهِ
وإنَّـمـا أبـقـاكَ أحـدوثـةً لـلـنَّـاسِ كـي يُـعْـذَرَ فـي فِـعْـلِـهِ

فكانت سببَ حَتْفه، لأنَّ الخليفة قال: ما كتبوا هذه إلا وقد أهلك الحَرْثَ والنَّسْل.

وقال مظهر الياماشكي:

ذا الخماين المُدَّعي لو صحت أنسابه ما خان وقبح على مَنْ حَسَّن ألقابه
صوم الخنا والتعدِّي والبطر صابه في فتح الحلق ذكره وانغلق بابه

وفيها رتَّبَ الخليفةُ في رمضان دور المضيف ببغداد من الجانبين عشرين داراً، في كلِّ دار في كلِّ ليلة خمس مئة قَدَح، وألفُ رَطْل من الطبيخ الخاصِّ، والخبز النَّقي والحلوى، وغير ذلك، مستمراً في كلِّ رمضان.

وفيها وصل النجم خليل الحنفي؛ قاضي العسكر إلى بغداد رسولاً من العادل، فأخرج في مقابلته الشِّهاب السُّهْرَوَرْدي وسُنْقُر السَّلَحْدار، ومعهما الخِلَع للعادل وأولاده، وكان في خِلْعة العادل الطَّوْق والسِّواران.

وفيها مَلَكَ الأوحد بن العادل خِلاط، كاتبه أهلُها بعد قَتْلِ ابنِ بَكْتَمُر والهَزَار ديناري، وكانت بنت بَكْتَمُر مع صاحب أَرْزَن الرُّوم، فقالت: لا أرضى حتى تقتل الهَزَار ديناري، وتأخذ بثأر أخي. فسار إلى خِلاط، وخَرَجَ الهَزَار ديناري للقائه، فَضَرَبه فأبان رأسه، وعاد إلى أَرْزَن الرُّوم، وبقيت خِلاط بغير ملك، وكان الأوحد صاحب مَيَّافارِقين، فكاتبوه، فجاء إليهم، واستولى عليها، وكانوا جبابرة، وتشرَّط عليه المكدفانية والمقدَّمون، فَشَرَعَ فيهم، فأبادهم وغرَّقهم في بحر خلاط، وبدَّد شَمْلَهم.

وحجَّ بالنَّاس من العراق ياقوت. قال المصنف رحمه الله: وحججت معه، وهي أول حجاتي، وكانت الوقفة يوم الأربعاء، وعُدْتُ إلى العراق.

وحجَّ من الشَّام بدر الدين دُلْدُرم، وشيخ الشيوخ صدر الدين وأولاده، وشِبْل الدولة الحسامي.

وفيها توفي

علاءُ الدِّين تَنامِش [ابن عبد الله](١)

مملوك الإمام الناصر، وكان شجاعاً، عاقلاً، صالحاً، متصدِّقاً، رحوماً، رقيق القَلْب، لا يَقْرَبُ المُنْكر ولا الفواحش، وكان يُطْعِمُ المسكين، ويكسو العاري، [وكان الخليفة يحبه ويقربه، والوزير ابن مهدي يَشْنَؤه لقربه من الخليفة،](٢) وكان ابن مهدي قد ولَّى الدُّجَيْل ودقوقا رجلاً نَصْرانياً يقال له ابن ساوى، فتسلَّط على المُسْلمين وفتك وظَلَمَ، وأهان المُسْلمين، وأَذَلَّهم، وكان يركبُ مِثْلَ صاحب الدِّيوان، وجميع النَّاس مشاةٌ بين يديه، [قالوا:](٢) وكان [ابن ساوى](٢) يحمل مَغَلَّ البلاد إلى ابنِ مهدي، فيأخذ [منها](٢) ما يريد، ويُعْطي للخليفة ما يريد، فأقطع الخليفة تنامش دقوقا والدُّجَيْل، فخرج إليهما، واطَّلع على الأحوال، فخاف ابنُ مهدي. قالوا: فاتَّفق مع ابنِ ساوى على أن يُسِمَّ تنامش، فمضى النَّصراني إلى دقوقا، وتوصَّل إلى تنامش، ودسَّ عليه من سقاه السُّمّ، فمرض [تنامش](٢)، وعاد إلى بغداد مريضاً، فمات بعد أيام، فتقدَّم الخليفةُ بأَنْ يفتح له جامع القَصْر، ولا يتخلَّف عن جِنازته أحدٌ من أرباب الدَّولة إلا الخليفة والوزير، وحُمِلَ إلى مشهد موسى بن جعفر، فَدُفِنَ هناك، وعلم الخليفةُ بباطن الحال، فأمر بأن يُسَلَّم ابنُ ساوى إلى غِلْمان تنامش، فكتب ابنُ مهدي إلى الخليفة يقول: إنَّ النَّصارى قد بذلوا في ابن ساوى خمسين ألف دينار ولا يُقْتل. فكتب [الخليفة](٢) على رأس الرُّقْعة: [من البسيط]

إنَّ الأسودَ أسودَ الغابِ هِمَّتُها ... يومَ الكريهة في المَسْلُوب لا السَّلَبِ

(١) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ١٨٧-١٨٨، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فَسُلِّمَ ابنُ ساوى إلى مماليك علاء الدين، فأُخرج من دار الوزير، وفي رقبته حَبْلٌ وهو مكتوفٌ، فقتلوه وأحرقوه، وكان لابنِ مهدي مملوكٌ عاقل يقال له: آق سُنْقُر الدَّوادار، وكان يطالع الخليفةَ بأخبارِ ابنِ مهدي، وأَنَّه يكاتب الأعاجم، ويسعى في فساد الدولة، وعلم الوزير، فسقاه السُّمَّ، فمات في ربيع الآخر [هو وعلاء الدين][١] تنامش في أيامٍ قريبة، فكتَبَ محمدُ بنُ جميل كاتب المخزن إلى الخليفة [أبياتاً يذكر فيها ابن مهدي وابن ساوى وعلاء الدين والدوادار][١]: [من الكامل]

هـذا ابـنُ مـهـدي قـد أتـى مـن بـعـدمـا ... طـافـت عـلـيـه مـن الـنُّـحـوس طـوائِـفُ
واسْـتَـوْعَـبَ الأعـمـالَ مُـقْـتَـطِـعـاً لـهـا ... جَـهْـراً وذلـك ظـاهـرٌ مـتـعـارَفُ
وأقـام يُـحْـدِثُ فـي الـرَّعِـيَّـة سـيـرةً ... مـا سـارهـا إلا غـشـومٌ عـاسِـفُ
مـتـخـيِّـراً مِـثْـلَ ابـنِ سـاوةَ نـاظـراً ... مـتـجـبـراً مـمـن عـلـيـه يـشـارِفُ
فـمـضـى ابـنُ سـاوةَ هـالـكـاً مـن بـعـدمـا ... تـمَّـتْ عـلـيـه مـن الـعـذاب طـوائـفُ
أتـنـامـش يـا مَـنْ نـمـتـه مـراحـمٌ ... نـبـويـةٌ وصـفـت عـلـيـه عـوارفُ
كـيـف اسـتـجـازَ الـخـارجـيُّ وَرَهْـطُـهُ ... أَنْ يـطـمـعـون وأنـتَ فـيـهـم عـارِفُ
وكـذا الـحِـمـامُ أتـى إلـى أَق سُـنْـقُـر الـ ... ـمِـسْـكـيـنِ إذْ هـو بـالـدَّسـائـس عـارِفُ
ومـتـى شَـرَعْـتُ أرومُ حَـصْـرَ صـفـاتِـهِ ... ضـاقَ الـزَّمـانُ وكـلَّ عـنـهـا الـواصِـفُ

فقبض الخليفة على ابن مهدي في جمادى الأولى.

الحسن بنُ أبي طالب[٢]

شرف الدِّين، النَّاقد ابن قنبر.

ولاه الخليفة حِجْبة الباب، وناب في الوزارة، ثم ولاه صاحب المخزن، فتجبَّر وطغى، وبنى بدرب المطبخ داراً تناهى في بنائها، فلم يكن ببغداد مِثْلُها، وشَرَعَ في الظُّلْم والفِسْق، وتجاهَرَ به، ومدَّ عينه إلى أولاد النَّاس، وكان قبيحَ السِّيرة، فَرُفِعَ أمره

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ١٨٨، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

إلى الخليفة، فأخذه [أخذ عزيز مقتدر][١] وقبضَ عليه، واستأصله، ونَقَضَ داره إلى الأساس، وحبسه، فأُخرج في رمضان ميتاً، فدفن بمشهد باب التِّبْن.

حَنْبَل بنُ عبد الله[٢]

ابن الفرج بن سعادة، أبو علي المُكَبِّر بجامع الرَّصافة.

كان فقيراً جداً، [وكان قد سمع][٣] «المسند» من ابن الحُصَيْن، فقيل له: لو سافرت إلى الشَّام. فخرج من بغداد، فأَسْمَعَ «المُسْنَد» بإرْبِل، فسمعه ابنُ زين الدين، وبالمَوْصِل وبدمشق، فسمعه الملك المعظَّم عيسى في الكلَّاسة، [وألحق الصِّغار بالكبار][١]، وكان كثيرَ الأمراض بالتُّخَم، لأنَّ المعظم كان يُطْعِمُهُ ألوان الطعام، وأشياء ما رآها [ولا في المنام، وكان معوَّداً ببغداد أكل الهرطمان وتلك الألوان، وبلغني أن الشيخ تاج الدين الكندي حضر يوماً عندهم في السماع، ولم يحضر حنبل، فقال تاج الدين: وأين حنبل؟ فقال المعظم: هو متخوم. فقال تاج الدين: أطعمه عدس. فضحك المعظم والجماعة][١].

وكان عمر بن طَبَرْزَد قد رافقه من بغداد إلى الشَّام، وحصَّلا مالاً طائلاً، وعادا إلى بغداد، فاشترى حَنْبل العَتَّابي والكاغَد، وعَزَمَ على العود إلى الشَّام في تجارة، فأدركته المنيةُ رابع عشر محرَّم عن تسعين سنة، ودُفِنَ بباب حَرْب ولم يكن له وارثٌ، فحمل المال إلى بيت المال، ومات ابنُ طَبَرْزد في السنة السَّابعة [وست مئة][١].

[فصل: وفيها توفي

عبد الرحمن بن عيسى بن أبي الحسن[٤]

البزوري الواعظ، من أهل باب البصرة.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٢٧٨، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ١٢٥-١٢٦، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٨٨-١٨٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٣١-٤٣٣، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ح): وسمع المسند...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ١٣٧، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٩٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

ولد سنة تسع وثلاثين وخمس مئة، وقرأ على جدي الحديث والفقه والوعظ، ثم حدثته نفسه بمضاهاته حتى كنى نفسه أبا الفرج، واجتمع إليه سفساف أهل باب البصرة، وانقطع عن جدي، ولما جاء من واسط ما جاء إليه ولا رآه، وكانت وفاته في صفر، وكان في عَشْر السبعين تزوَّج صبيَّةً، ثم اغتسل في يوم بارد، فانتفخ ذكره، ومات، سمع أبا الوقت وغيره.

وفيها توفي

عبد المجيب بن أبي القاسم عبد الله بن زهير(١)

أبو محمد، الحَرْبي، ابن أخي عبد المغيث الحربي.

ولد سنة سبع وعشرين وخمس مئة، وسمع الحديث الكثير، وكان يتردد من عند الخليفة إلى العادل في أمور خفية، فخرج في السنة الماضية، فاجتمع بالعادل، وعاد في هذه السنة، فتوفي بحماة، وسمع أحمد بن الطلاية، وعبد الله بن أحمد بن عبد القادر بن يوسف، وغيرهما، وكان صالحاً، ثقة](٢).

قراجا الصَّلاحي(٣)

صاحب صَرْخَد، [ولقبه زين الدين](٢).

كان شجاعاً، جَوَاداً، توفي بدمشق، ودفن بقاسيون، وقبره عند تربة ابن تميرك في قُبَّةٍ على الجادَّة.

محمود بن هبة الله(٤)

ابن أبي القاسم الحِلِّي، أبو الثَّناء البزَّاز.

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ١٢٦ـ١٢٧ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٩٠ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٧٢ـ٤٧٣ ، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ١٩٠-١٩١ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ١٣٠ـ١٣١ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٩١ .

قرأ القرآن [على ابن عساكر البطائحي، والأدب على أبي محمد بن الخشاب][(١)]، وسمع الحديث على [أبي الوقت، وعلى][(١)] إسماعيل بن موهوب ابن الجَوَاليقي وغيره، وحُكي عن إسماعيل بن موهوب، قال: كنتُ في حَلْقة والدي [أبي منصور موهوب][(١)] يوم جُمُعةٍ بعد الصَّلاة بجامع القَصْر، [والناس يقرؤون عليه،][(١)] فوقف عليه شابٌّ، فقال: [يا سيدي،][(١)] ما معنى قول القائل: [من البسيط]

وَصْلُ الحبيبِ جِنَانُ الخُلْدِ أَسْكُنُها ... وهَجْرُه النَّارُ يُصْلِيني به النَّارا

فالشَّمْسُ بالقَوْسِ أمست وهي نازِلَةٌ ... إن لم يَزُرْني وبالجَوْزاء إنْ زارا

فقال له والدي: يا بُني: هذا شيءٌ يتعلَّق بسير الشمس في البروج، وما يتعلَّق بعِلْم الأدب، ثم قام والدي، وآلى على نفسه أن لا يعودَ إلى مكانه حتى ينظر في علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر، فنظر فيه وعَلِمه بحيثُ إذا سُئِلَ عن أيِّ شيء منه أجاب. ومعنى الشِّعْر: أَنَّ الشمس إذا نزلت في القَوْس يكون الليل في غاية الطُّول، وإذا كانت في الجوزاء كان اللَّيل في غاية القِصَر.

[وفيها توفيت

ست الكتبة[(٢)]

واسمها نعمة بنت علي بن يحيى بن محمد بن الطَّرَّاح، شيختنا، سمعت عليها الحديث بدمشق في سنة ست مئة، وكانت صالحة زاهدة، عابدة، وتوفيت في ربيع الأول، ودفنت بباب الفراديس، روت «شمائل النبي ﷺ» للترمذي عن أبي شجاع عمر ابن أبي الحسن البِسْطامي، وعن جدها أبي محمد يحيى بن محمد بن الطراح، وغيرهما.

فصل: وفيها حج بالناس من العراق ياقوت][(١)].

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) لها ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ١٣٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٩٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٣٤-٤٣٥، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمتها.

السنة الخامسة وست مئة

قال المصنف رحمه الله: فيها عدت إلى الشام.

وفيها تكاملت دار المضيف ببغداد بالجانب الغربي للحُجَّاج الواردين من البلاد، ورتَّب لهم [الخليفة](١) فنون الأطعمة والزَّاد، وإذا عادوا من الحَجِّ فُرِّقَتْ فيهم الدَّنانير والثياب.

وفيها قَدِمَ الشِّهاب السُّهروردي من الشَّام، ومعه الشمس إلْدُكز أُستاذ دار العادل، فتلقى الموكبُ إلْدُكز، وكان معه الهدايا والتُّحف، وأعرض الخليفةُ عن الشِّهاب، ونُقِمَ عليه حيث مَدَّ يده إلى الأموال بالشَّام، وحضر دعوات الأُمراء سامة وغيره، وقد كان قَبْلَ الرِّسالة زاهداً فقيراً، وأُخذ منه رباط الزَّوْزَني والمَرْزُبانية، ومُنِعَ من الوعظ فقال: ما قَبِلْتُ هذه الأموال إلا لأفَرِّقها في فقراء بغداد. وشَرَعَ يفرِّق المال والثِّياب في الزَّوايا والرُّبُط، فأغنى خَلْقاً كثيراً من فقراء الشَّام والعراق، وخَلَع الخليفة على إلْدُكز، وعاد إلى الشَّام بالهدايا.

وزُلْزِلت نَيْسابور زلزلةً عظيمة، ودامت عشرة أيام، فمات تحت الهَدْم خَلْقٌ عظيم.

وحجَّ الفخر ابن تيمية في السنة الماضية، وكَتَبَ مظفر الدِّين بنُ زين الدين معه كتاباً بالوصية إلى الخليفة، فلما عاد من مكَّة سأل الجلوس بباب بَدْر، ووعظ ابن تيمية، ومَدَحَ الخليفة، وأنشد في أثناء كلامه: [من البسيط]

وابنُ اللَّبون إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ ... لم يَسْتَطِعْ صولةَ البُزْلِ القناعيسِ

فقال العوام: ما قَصَدَ إلا محيي الدين(٢)، يعني أنَّه كان شيخاً، ومحيي الدِّين شاب.

وحج بالنَّاس من العراق ياقوت، ومن الشَّام حسام الدين قيماز والي القُدْس.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) يعني يوسف بن أبي الفرج ابن الجوزي، خال سبط ابن الجوزي، انظر «المذيل على الروضتين»: ١/ ١٩٥-١٩٦ .

وفيها توفي

الخَضِر بن محمد بن علي(١)

أبو العَبَّاس الجَزَري.

ولد [بجزيرة ابن عمر في](٢) سنة خمس وعشرين [وخمس مئة، وقدم بغداد، وكانت له يَدٌ في تعبير الرؤيا،](٢) وأنشدنا لنفسه: [من الوافر]

أَنِسْتُ بوَحْدتي حتى لو انّي رأيتُ الإنْسَ لاستَوْحَشْتُ منه
وما ظَفِرَتْ يدي بصديقِ صِدْقٍ أخافُ عليه إلا خِفْتُ منه
وما تَرَكَ التَّجارِبُ لي صديقاً أميلُ إليه إلا مِلْتُ عنه

[وفيها توفيت

فاطمة بنت الفائز بن الطريزة البزَّاز

وتسمى ست الأعز، وهي أخت جدي أبي الفرج لأمه، سمعت الحديث، وعمرت طويلاً، وتوفيت في رجب، ودُفنت بقرب قبر أحمد، وكانت عفيفة، دَيِّنة، سمعت أبا الوقت وغيره](٢).

محمد بن أحمد بن بختيار(٣)

أبو الفَتْح، الواسطي.

ولد سنة سبع عشرة وخمس مئة، وتوفي بها في شعبان، وأنشد لغيره ـ وكان صالحاً ثِقَةً صدوقاً، وولي القضاء بواسط ـ: [من الوافر]

أراك إذا نَأَيْتَ بعينِ قلبي كأنَّك نُصْبَ عَيْني عن قريبِ
لئن بَعُدَتْ معاينةُ التَّلاقي فما بَعُدَتْ معاينةُ القُلُوبِ

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ١٦٥، و«المذيل على الروضتين» ١١/ ١٩٨، وفيه تتمة مصادر ترجمته.
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٣) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٢٨٢، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ١٥٧ـ١٥٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٩٨-١٩٩، و«معرفة القراء الكبار»: ٣/ ١١٤٤ـ١١٤٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٣٨ـ٤٣٩، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

محمد بن بختيار بن عبد الله(١)

أخو أُستاذ دار الخليفة.

كان فاضلاً، أُنشد يوماً: [من الكامل]

قَسَماً بمن سَكَنَ الفؤادَ وإنَّه ... قَسَمٌ به لو تعلمونَ عظيمُ

فأجاب بديهاً:

إنِّي به صَبٌّ كئيبٌ مُدْنَفٌ ... قَلِقُ الفؤادِ مولَّهٌ مهمومُ

لا أستطيعُ مَعَ التَّنائي سُلْوَةً ... حتى المماتِ وإنَّني لسليمُ

فتعطَّفُوا بالوَصْلِ بعد تهاجُرٍ ... فالصَّبْرُ يَنْفَدُ والرَّجاءُ مقيمُ

محمد بن المبارك بن محمد(٢)

أبو بكر البَيِّع، ويعرف بابن مَشِّق، من أهل باب البَصْرة، ولد سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة، وسمع الكثير، وكان فهرست سماعاته في ستِّ مجلدات، وكانت وفاته في شعبان، ودفن بباب حَرْب، وكان عالماً بالحديث وطُرُقه، ثِقَةً، دَيِّناً، غيرَ أَنَّه مَرِضَ، فتغيَّر ذِهْنُه، رحمه الله.

نَصْر بن ناصر بن ليث(٣)

أبو البركات القوام، صاحب المَخْزن، من مدائن كسرى، كان فاضلاً، متواضعاً، إذا ركب ببغداد يُسَلِّم على الصَّغير والكبير، غير أنه وشى إلى الخليفة بالحسن بن زياد؛ ناظر نهر الملك، وشيخ البلد ابن رزيق، وقال: قد خانا في الأموال، فقال الخليفة له: اخرج إلى نهر الملك واصلبهما، ففعل، وحَزِنَ النَّاس عليهما لعَدْلهما وكرمهما

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ١٦٦ـ١٦٧، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٩٩، و«الوافي بالوفيات»: ٢/ ٢٤٦.

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ١٥٩ـ١٦٠، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ١٤٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٤٠ـ٤٤١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٢٧/ ٩٠ـ٩١.

وتواضعهما، ما ردًّا قاصدين ولا خانا، وعاد إلى بغداد، فَمَرِضَ، وأقام ثلاثة أشهر مريضاً، ومات، ودُفِنَ بمشهد موسى بن جعفر، فقال الناس: إنَّ في ذلك لعبرة، وكانت له جِنازةٌ عظيمة.

ورَّامُ ابنُ أبي فراس(١)

أبو الحسين، الحِلِّي، فقيه الشِّيعة، كان الخليفةُ يمضي إلى الحِلَّة يزوره، ويحمل إليه الأموال، فما قبل منه شيئاً، وكان زاهداً متعبِّداً، ومات بالحِلَّة، وحُمِلَ إلى الكوفة، فدفن بمشهد أمير المؤمنين، رضوان الله عليه.

السنة السَّادسة وست مئة

فيها قدم الجمال المِصْري رسولاً من العادل، وخرج في مقابلته ابن الضَّحّاك أُستاذ دار وآقباش النَّاصري، فالتقيا العادل على رأس العين، وهو قاصدٌ سِنْجار.

ونزلتِ الكُرْج على خِلاط، وبها الملك الأوحد بن العادل في عسكر خِلاط، وجاء ملك الكُرْج ـ [ويقال له] إيواني ـ في خَلْقٍ عظيم، وتحصَّن الأوحد في القلعة، وحَصَرَ إيواني البلد، وضايقه، وأَشْرَفَ على أَخْذه، فأصبح ذات يوم، فقال له منجِّمُه: البشارة لي. قال: وكيف؟ قال: ما تبات الليلة إلا في قلعة خِلاط. فشرب الخمر حتى ثَمِلَ، وركب في جيوشه، وقصد باب أَرْجِيْش، فخرج إليه المسلمون، فقاتلوه، ورأوا ما لا قِبَلَ لهم به، فبينا هم كذلك عَثَرَ به حصانُه، فقُتِلَ عليه جماعةٌ من خواصِّه، وأُخذ أسيراً، فحمل إلى القلعة، فما بات إلا بها، ورحل الكُرْج عن البلد، وفرَّج الله عن أهله، ثم اتَّفق مع الأوحد على أن يرد ما فَتَحَ من بلاد المسلمين، ويطلق الأُسارى ومئة ألف دينار، ويزوِّج ابنته للأوحد.

وقيل: [إنما كانت وقعة إيواني](٢) بعد حصار سنجار في سنة سبع وست مئة.

---

(١) له ترجمة في «الكامل» لابن الأثير، و«لسان الميزان»: ٨/ ٣٧٥-٣٧٦، و«الأعلام» للزركلي: ٨/ ١١٣ وفيه وفاته سنة (٦٥٠هـ) وهو خطأ.

(٢) في (ح): إنما كان ذلك بعد حصار...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفي ربيع الأول نَزَلَ العادل على سِنْجار بعساكر مِصْر والشَّام ودياربكر وحلب، ومعه أولاده من جُمْلتهم الأوحد، وأقام يضربها بالمجانيق إلى رمضان، ولم يبق إلا تسليمُها، فأرسل الظَّاهر أخاه المُؤَيَّد يشفع في السَّناجرة فلم يُشَفِّعْه، ومات المُؤَيَّد في هذه السفرة، وكره المشارقة مجاورة العادل، فاتَّفقوا عليه وصاحب إربل، وأرسل الخليفةُ ابن الضَّحَّاك وآقباش يشفع إلى العادل فيهم، وتقاعَدَ العساكرُ عن القتال، وخذله صاحبُ حِمْص، فرحل بعد أن أخذ نَصِيْبين والخابور، ونزل حَرَّان، وفَرَّقَ العساكر، وعَزَمَ صاحبُ إرْبل والمَوْصل ومارِدِين والجزيرة وحلب على قتالِ العادل، ثم صالحهم، واتَّفقوا.

وحجَّ بالنَّاس من العراق ياقوت، ومن الشَّام فخر الدين إياس الشَّمَّامي.

وفيها توفي

الحسن بن أحمد بن حِكِّينا(١)

من أهل الحريم الطَّاهري، كان فاضلاً، ومن شِعْره: [من الكامل]

قد بانَ لي عُذْرُ الكرام فَصَدُّهُمْ عن أكثر الشُّعراء ليس بعارِ
لم يسأموا بذل النَّوال وإنَّما جَمَدَ النَّدى لبرودةِ الأشعارِ

محمد بن عمر بن الحسين(٢)

أبو المعالي، فخر الدين الرَّازي، ابن خطيب الرَّيِّ، صاحب الكلام والمنطق، صنَّف «التفسير» و«المحصَّل» و«الأربعين» و«نهاية العقول» وغيرها. واعتنى بكُتُب ابنِ سينا في المنطق، وشَرَحَها، وكان يعظ وينال من الكَرَّامية وينالون منه، ويكفِّرهم

---

(١) اضطرب سبط ابن الجوزي في تاريخ وفاته، فذكر في هذه السنة، وكان قد ذكره كذلك في وفيات سنة (٥٠٥هـ) والصواب أنه توفي سنة (٥٢٨هـ) فيما ذكر أغلب من ترجم له. انظر ترجمته في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١/ ٢٣٠ـ٢٤٨، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ٢٧٥ـ٢٧٦، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٠٨، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ١٨٦ـ١٨٧، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٠٤-٢٠٦، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٤٨ـ٢٥٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٥٠٠ـ٥٠١، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

ويكفِّرونه، وقيل: إنهم وضعوا عليه من سقاه السُّمَّ، فمات، ففرحوا بموته، وكانوا يرمونه بالكبائر، وكانت وفاته في ذي الحِجَّة.

ولا كلام في فَضْله، وإنَّما الشَّناعات عليه قائمة بأشياء، منها: أَنَّه كان يقول: قال محمد التَّازي يعني [العربي، يريد](١) النَّبيَّ ﷺ، وقال: قال محمد الرَّازي يعني نفسه.

ومنها: أنه كان يقرِّرُ مذاهب الخصوم وشُبَهَهم بأَتَمِّ عبارة، فإذا جاء إلى الأجوبة اقتنع بالإشارة، ولعله قصد الإيجاز، لكن أينَ الحقيقةُ من المجاز.

وخالف الفلاسفة الذين أُخذ هذا الفن عنهم، واقتبسه منهم، [فقال في كتاب له يقال له «المعالم»: أطبقت الفلاسفة على أن النفس جوهر وليست بجسم. قال: وهذا باطل عندي، لأن الجوهر يمتنع أن يكون له قرب أو بعد من الأجسام.

قلت: اتفاقهم على أنها ليست داخلة في البدن ولا خارجة عنه تدل على عدم الجسمية، وما ادعوا أن للجوهر قرباً ولا بعداً عن الأجسام، وإنما ادعوا ذلك في ذات الجوهر لا في غيره، وليست النفس كذلك، ولهذا توقفوا عن الجواب في معنى الجوهر الفرد، ولهم في هذا مذاهب موصوفة، ومآرب معروفة](٢).

وكان تلميذه الشيخ شمس الدين عبد الحميد الخُسْرُوشاهي ـ رحمه الله ـ يحكي عنه من الفضائل وكَرَمِ الأخلاق، وحُسْن العشرة، واعتنائه بالمِلَّة الإسلامية ما يُبْطل قول الكَرَّامية.

قال المصنِّف رحمه الله: وكان صديقنا الخُسْرُوشاهي من كبار الأماثل، جَمَعَ أشتاتَ الفضائل، عاقلاً، رئيساً، دَيِّناً، صالحاً، مُحْسناً، متمسِّكاً بالدِّين، سالكاً طريق السَّلف الصَّالحين، تقلَّبت به الأحوال، تارةً بالشرق، وتارة بالكَرَك، وتارةً بمِصْر، وآخر قدومه دمشق في سنة ثلاث وخمسين وست مئة(٣)، فتوفي بها، ودُفِنَ بقاسيون، عند باب تُرْبة الملك المعظَّم عيسى رحمه الله، [وسنذكره هناك](٢).

---

(١) ما بين حاصرتين من «المذيل على الروضتين»، ليفهم سياق الكلام.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) كذا قال، وقد ذكر وفاته سنة (٦٥٢هـ)، وهو الصحيح.

المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم[١]

أبو السعادات، مجد الدين، ابنُ الأثير، المَوْصلي الجَزَري الكاتب.

ولد سنة أربعين وخمس مئة بجزيرة ابن عمر، وانتقل إلى المَوْصل، وكتب لأمرائها، وكانوا يحترمونه ويعظِّمونه، ويستشيرونه، وكان بمنزلة الوزير النَّاصح، إلا أنه كان منقطعاً إلى العِلْم، صنَّف الكُتُبَ الحِسان، منها «جامع الأصول» و«التَّاريخ»[٢] و«الغريب»[٣] وغير ذلك، وكان يَسْكُنُ في المَوْصل بدرب دراج.

قال المصنف رحمه الله: واجتمعتُ به في سنة ثلاثٍ وست مئة بداره، وقرأتُ عليه شيئاً من تصانيفه، وأجاز لي الباقي، وكان به نِقْرس، فكان يُحمل في مِحَفَّة. وكانت وفاته بالمَوْصِل يوم الخميس سَلْخ ذي الحِجَّة، ودُفِنَ بدرب دراج ـ وهو أخو أبي الحسن علي الكاتب الجَزَري ـ قرأ النَّحو على ابنِ الدَّهَّان، ثم على أبي الحرم الضَّرير، وسمع الحديث من أبي بكر بن سَعْدون القُرْطُبي، وأبي الفَضْل عبد الله ابن الطُّوسي وغيرهم، وروى الحديث، وانتفع به النَّاس، وكان عاقلاً مهيباً، ذا بِرٍّ وإحسان.

السنة السَّابعة وست مئة

فيها أظهر الخليفةُ الإجازة التي أُخذت له من الشُّيوخ، وذكرهم في كتاب «روح العارفين».

قال المصنِّف رحمه الله: وقد شَرَحْتُ هذا الكتاب، وهو في وقف دار الحديث الأشرفية بدمشق، ودفع الخليفةُ إلى كلِّ مذهب إجازة عليها مكتوباً بخطِّه: أجزنا لهم ما سألوا على شَرْط الإجازة الصَّحيحة، وكتبه العبدُ الفقير إلى الله تعالى أبو العَبَّاس أحمد أمير المؤمنين. وسُلِّمت إجازةُ الشَّافعية إلى ضياء الدين عبد الوهَّاب بن علي

---

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٢٨٨، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ١٩١-١٩٢، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٠٦-٢٠٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٨٨-٤٩١، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) لا يصح هذا، فمؤلف «التاريخ» هو أخوه عز الدين علي بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم المتوفى سنة (٦٣٠هـ).

(٣) هو «النهاية في غريب الحديث»، وهو مطبوع مشهور متداول.

الصُّوفي، وإجازة الحنفية إلى الضياء أحمد بن مسعود التركستاني، وإجازة الحنابلة إلى أبي صالح نَصْر بن عبد الرَّزَّاق بن الشيخ عبد القادر، وإجازة المالكية إلى التقي علي بن جابر التَّاجر المغربي.

وفيها عصى قُطْبُ الدِّين سنجر النَّاصري[١] بششتر بعد موت طاشْتِكِين، وكان زوجَ ابنته، فبعثَ إليه الخليفةُ عِزَّ الدين نجاح الشَّرابي ومؤيَّد الدين القُمِّي نائب الوزارة، فلما قربوا من ششتر هرب سنجر بأمواله وأهله إلى صاحب شيراز أتابك نرسي وقيل: سَعْد، فحلف له على أن لا يسلمه، ثم نكث وغَدَرَ به، ونهب أمواله وأهله، وجميع ما كان معه، وارتكب من النِّساء الفواحش، وسَلَّمه إلى نواب الخليفة، فعادوا به إلى بغداد، فأدخل سنجر بعد الملك والسَّلْطنة على بغل في السنة الآتية.

قال المصنِّف رحمه الله: وفيها خرجتُ من دمشق إلى نابُلُس إلى الغَزَاة، وكان الملك المعظَّم عيسى ـ رحمه الله ـ بها. جلستُ بجامع دمشق يوم السبت خامس ربيع الأول، وكان النَّاس من [باب][٢] مشهد زين العابدين إلى باب النَّاطفانيين، وإلى باب السَّاعات، وكان القيامُ في الصَّحْن أكثر، بحيث امتلأ الجامع، وحُزروا بثلاثين ألفاً، وكان يوماً لم يُرَ بدمشق مثله [ولا بغيرها][٢]، وكان قد اجتمع عندي شعور كثيرة، وقد وقفتُ على حكاية أبي قدامة الشَّامي مع تلك المرأة التي قَطَعَتْ شَعْرها، وبعثت به إليه، وقالت: اجعله قيداً لفرسك في سبيل الله. فَعَمِلْتُ من الشُّعور التي اجتمعت عندي شُكلاً لخيل المجاهدين، وكرفسارات، ولما صَعِدْتُ المنبر أمرتُ بإحضارها، فحملت على أعناق الرِّجال، وكانت ثلاث مئة شكال، فلما رآها النَّاس صاحوا صيحةً عظيمة، وقطعوا مِثْلها، [وقامتِ القيامة،][٢] وكان المبارز إبراهيم المعتمد رحمه الله والي دمشق حاضراً، وجَمَعَ الأعيان، فلما نزلتُ من المنبر قام المبارز [يُطَرِّقُ لي][٢]، ومشى معي إلى باب النَّاطفانيين، [فتقدم إلى فرسي][٢]، فأمسك بركاب فرسي، وأركبني، وخرجنا من باب الفرج إلى المُصَلَّى، [وجميع من كان بالجامع بين يدي][٢]، وسرنا إلى الكُسْوة من الغد، ومعنا خلق [مثل التراب، وكان معنا من قرية

(١) ستأتي وفاته سنة ٦١٠هـ.
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

واحدة يقال لها زَمْلَكا ـ من قرى دمشق ـ نحو][1] ثلاث مئة رجل بالعُدَد والسِّلاح، وأما من غيرهم فَخَلْقٌ كثير، والكُلُّ خرجوا احتساباً، [وجئنا][2] إلى عقبة فيق، والطير لا [يقدر أن][2] يطير من خوف الفرنج، فسرنا على الجادَّة إلى نابُلُس، ووصلت أخبارُنا إلى عكا، وخرج المعظَّم، فالتقانا، وسُرَّ بنا، وجلستُ بجامع نابُلُس، وحَضَرَ وأحضرنا الشُّعور، فأخذها، وجعلها على وَجْهه، وجعل يبكي، ولم أكن اجتمعتُ به قبل ذلك اليوم، وكان يوماً عظيماً، وخَدَمنا وأكرمنا، وخرجنا نحو بلاد الفرنج، فأخربنا وهَدَمْنا، وقطَّعْنا أشجارهم، وأسرنا جماعة، وقُتِلَ جماعةٌ، ولم يتجاسروا أن يخرجوا من عكا، فأقمنا أياماً ثم عُدْنا سالمين غانمين إلى الطُّور المطل على النَّاصرة، والمعظم معنا، فقال: أريد أن أبني عليه قلعةً. وطلب أخاه الملك الأشرف وعساكر الشَّرْق وحلب، وشَرَعَ في عمارة الطُّور، وأقام العسكر تحته من ذي الحِجَّة بهذه السنة إلى سنة ثمانٍ وست مئة، فكمل سوره ودار واستوى، وخاف الفرنج منه، فأرسلوا إلى العادل، فصالحهم، وأعطى العساكر دستوراً، فتفرَّقوا، وأقام المعظم يعمر الطور إلى قبيل وفاة العادل، فلا يحصى ما غَرِمَ عليه.

وحج بالنَّاس محمد بن ياقوت، وكان صبيًّا، ومعه ابنُ أبي فراس الحِلِّي، وكان الخليفةُ قد أقطع ياقوت ششتر، وحج ولده نيابةً عنه، وحجَّ من الشَّام سيف الدين علي ابن عَلَم الدِّين سليمان بن جَنْدَر.

وفيها توفي

رسلان بن عز الدين مسعود[3]

نور الدين أتابَك، صاحبُ المَوْصل.

وكان متكبِّراً، جبَّاراً، بخيلاً، فاتكاً، سفَّاكاً للدِّماء، حبس أخاه علاء الدين، فمات في حَبْسه، وولَّى المَوْصل رجلاً ظالماً يقال له: السَّرَّاج، فأهلك الحَرْثَ والنَّسْل.

---

(١) في (ح): ومعنا خلق، فمن زملكا ثلاث مئة رجل...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٢٩١ـ٢٩٤ ، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٢١٠ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢١١ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٩٦ـ٤٩٧ ، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

وكان نور الدين يسيء التَّدْبير، وهو الذي كسره الأشرف على بوشرى، وعَرَضَ لنور الدِّين مرضُ السل، فأقام يذوب ذوباناً، ومات في صفر، وخلَّف ولدين القاهر مسعود وزَنْكي، وأوصى إلى بدر الدين لؤلؤ أن يكون مسعود السُّلْطان، وزَنْكي في شَهْرُزور، وبعث بدرُ الدِّين العماد بن يونس إلى بغداد يطلب الخِلَع للقاهر، فبعثَ له الخليفةُ الخِلَع مع بدر الدِّين محمد سِبْط العقاب، فَخَلَعَ عليه.

عبد الوهَّاب بن علي بن علي(١)

أبو محمد الصُّوفي، ويعرف بابن سُكَيْنة، ضياء الدِّين، سِبْط شيخ الشيوخ إسماعيل ابن أحمد النَّيسابوري.

ولد سنة تسع عشرة وخمس مئة، وقرأ القرآن، وسمع الحديث الكثير، وكانت وفاته في ربيع الآخر وقد قارب تسعين سنة، صُلِّي عليه بجامع القَصْر، وحضره أربابُ الدَّولة، ودُفِنَ عند جامع المنصور، وكان من الأبدال، وأنشد لمحمد الفارقي الواعظ: [من المتقارب]

تحمَّلْ أخاكَ على خُلْقِهِ فما في استقامته مَطْمَعُ
وأنَّى له خُلُقٌ واحدٌ وفيه طبائعُهُ الأرْبَعُ

عمر بن محمد(٢)

أبو حفص الدَّارَقَزِّي، يعرف بابن طَبَرْزد.

ولد في ذي الحِجَّة سنة خمس عشرة وخمس مئة(٣)، وسمع الحديث الكثير، وكان ماجناً خليعاً، وسافر مع حنبل إلى الشَّام، وحَصَلَ له مالٌ بسبب الحديث، وعاد إلى بغداد، فاستعمل الكاغَد والعَتَّابي، فمرض، وأقام مريضاً مُدَّة، وتوفي، ودفن بباب حَرْب، ولم يكن له وارثٌ، فرجع المال إلى بيت المال.

---

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٢٩٥، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٠١-٢٠٢، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢١١-٢١٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٥٠٢-٥٠٥، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٢٩٥، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٠٧-٢٠٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢١٢-٢١٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٥٠٧-٥١٢، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٣) ولد على الصحيح في ذي الحجة سنة ست عشرة وخمس مئة.

قيل له بدمشق: لم تغرَّبْتَ؟ فأنشد أبيات ابنِ ماكولا: [من البسيط]

قوِّضْ خيامك عن دارٍ تُهانُ بها ... وجانبِ الذُّلَّ إنَّ الذُّلَّ مُجْتَنَبُ
وارحلْ إذا كانتِ الأوطانُ مضيعةً ... فالمَنْدَلُ الرَّطْبُ في أوطانه حَطَبُ

قُثَم بن طلحة(١)

أبو القاسم، العَبَّاسي، نقيب الهاشميين.

تولى بيتَ النقابة يتوارثونها صاغراً عن كابر، وصنَّف الكُتُبَ في فنون، وتوفي في رجب، وسمع ابنَ البَطِّي وغيره، وأنشد: [من المنسرح]

لا غَرْوَ من جَزَعي لِبَيْنِهِمُ ... يوم النَّوى وأنا أخو الفَهْمِ
فالقوسُ مِنْ خَشَبٍ تئنُّ إذا ... ما كلَّفوها فُرْقة السَّهْمِ

قيصر بن كُمُشْتِكِين(٢)

حاجب الخليفة.

كان شيخاً، مليحَ الصُّورة، متواضعاً، مهيباً، فاضلاً، ولد سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة، ومات في صفر، ودُفِنَ بمشهد موسى بن جعفر، وكان ثقة.

أنشد لغيره: [من الطويل]

أَزِيدُ إذا أَيْسَرْتُ فَضْلَ تواضعٍ ... ويَزْهُو إذا أَعْسَرْتُ بعضي على بعضي
فذلك عند اليُسْرِ أَكْسَبُ للثَّنا ... وذلك عند العُسْرِ أصونُ للعِرْضِ
أرى الغُصْنَ يَعْرَى وهو يسمو بنفسه ... ويَثْقُلُ حِمْلاً وَهْوَ يدنو من الأرضِ

محمد بن أحمد(٣)

ابن محمد بن قُدَامة، أبو عمر، شيخ الصَّالحية والمقادسة، الزَّاهد العابد.

---

(١) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ١٧/ ١١-١٢، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٠٦-٢٠٧، و«تاريخ الإسلام» للذهبي: (وفيات سنة ٦٠٧هـ)، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ١٦١، و«الوافي بالوفيات»: ٢٤/ ٢٠١.

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٠٤.

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٠٢-٢٠٣، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢١٣-٢٢٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٥-٩، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

ولد سنة ثمانٍ وعشرين وخمس مئة بقرية جَمَّاعيل، وقيل: بقرية من أعمال بيت المقدس ونابُلُس، وكان معتدلَ القامة، حَسَنَ الوَجْه، عليه أنوارُ العبادة، لا يزال مُبْتَسِماً، نحيلَ الجسم من كَثْرة الصِّيام والقيام، وهاجَرَ مع والده [الشيخ أحمد، فحدثني أبو عمر،](١) قال: هاجَرْنا من بلادنا، فنزلنا مسجد أبي صالح بباب شَرْقي، فأقمنا به مُدَّة، ثم انتقلنا إلى الجبل، فقال النَّاس: الصَّالحية الصَّالحية، نسبونا إلى مسجد أبي صالح، لا أننا صالحون، ولم يكن بالجبل عِمارة إلا ديرُ الحوراني، وأماكنُ يسيرة.

ذِكْرُ اشتغاله وزُهْده وعبادته:

قرأ القرآن بحرف أبي عمرو، وحفظ الخِرَقي، وقرأ النَّحْو على ابنِ بَرِّي، وسمع الحديث بدمشق ومِصْر، واشتغل بالعبادة عن الرِّواية، وكتب «الحِلْية» لأبي نُعَيْم و«تفسير البغوي» و«المغني» لأخيه شيخنا موفق الدِّين رحمه الله، و«الإبانة» لابن بَطَّة، ومصاحفَ كثيرة للنَّاس ولأهله، وكُتُباً كثيرة، والكل بغير أجرة.

وكان يصومُ الدَّهر إلا من عُذْر، ويقوم الليل من صِغَره، وما كان يفطر إلا في يوم عيد، ويحافظ على الصَّلوات الخمس في الجماعات، ويخرج من ثُلُث الليل الأخير إلى المسجد في الظُّلْمة، فيصلِّي إلى الفجر، ويقرأ في كل يوم سُبُعاً من القرآن بين الظُّهْر والعَصْر، ويقرأ بعد العشاء الآخرة آيات الحرس وياسين والواقعة وتبارك و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوِّذتين، وإذا ارتفعت الشمس لقَّن النَّاسَ إلى وقت الضُّحى، ثم يقوم فيصلي الضُّحى ثماني ركعات، ويقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ألف مرة، ويزور المقابر بعد العَصْر في كلِّ جُمُعة، ويَصْعَدُ يوم الاثنين والخميس إلى مغارة الدَّم ماشياً بالقَبْقاب، فيصلِّي فيها ما بين الظُّهْر والعصر، وإذا نزل جمع الشِّيْح من الجبل، وربطه بحَبْلٍ، وحمله إلى بيوت الأرامل واليتامى، ويحمل في الليل إليهم الدَّراهم والدَّقيق ولا يعرفونه، ولا ينام إلا على طهارة، ومتى فُتِحَ له بشيءٍ من الدُّنيا آثر به أقاربه وغيرهم، ويتصدَّق بثيابه، وربما خَرَجَ الشِّتاء وعلى جسده جُبَّة بغير ثوب، ويبقى مُدَّة طويلة بغير سراويل، وعِمامتُه قِطْعةٌ من بطانة، فإنِ احتاجَ أحدٌ إلى خِرْقة أو ماتَ صغيرٌ يحتاج إلى كَفَنٍ، قَطَعَ له منها قِطْعة.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وكان ينام على الحصير، ويأكل خُبْزَ الشَّعير، وثوبه خام إلى أنصافِ ساقيه، وما نَهَرَ أحداً، ولا أَوْجَعَ قَلْبَ أحد، وكان يقول: أنا زاهدٌ، ولكن في الحرام.

ولما نزل صلاحُ الدِّين ـ رحمه الله ـ على القُدْس كان هو وأخوه الشيخ الموفق والجماعة في خيمة، فجاء العادلُ إلى زيارته وهو في الصَّلاة، فما قَطَعها، ولا التفتَ، ولا ترك وِرْدَه.

وكان يصعد المِنْبر في الجبل، وعليه ثوبُ خام مهدول الجيب، وفي يده عصا، والمِنْبر ثلاث مراقي، وكان يجاهد في سبيل الله، ويحضر الغزوات مع صلاحِ الدين.

وكان الشيخ الموفق ـ رحمه الله ـ يقول: أخي شيخنا ربَّانا وأحسنَ إلينا، وعلَّمنا، وحَرِصَ علينا، وكان للجماعة كالوالد، يقوم بمصالحهم، ومَنْ غاب منهم خَلَفَه في أهله. قال: وكان أبي أحمدُ قد تخلَّى عن أمور الدُّنيا وهمومها، وكان المرجعُ في مصالح الأهل إليه، وهو الذي هاجر بنا، وسفَّرنا إلى بغداد، وبنى الدَّير، وكفانا همومَ الدُّنيا، وكان يُؤْثِرُنا ويَدَعُ أهله محتاجين، وبنى المدرسة والمَصْنَع بعلو هِمَّته، وكان مجابَ الدَّعْوة، وما كَتَبَ لأحدٍ ورقة للحُمَّى إلا وشفاه الله تعالى.

[(١) **ذِكْرُ نبذة من كلامه وكراماته**: وكانت كراماته كثيرة، وفضائله غزيرة، فمنها ما شاهدته، ومنها ما أُخبرت به. فأما الذي شاهدته، فإني] صليت يوم الجمعة بجامع الجبل في أول سنة ستٍّ وست مئة، والشيخ عبد الله اليونيني إلى جانبي، فلما كان في آخر الخُطْبة وأبو عمر يخطب، نهضَ الشيخ عبد الله اليونيني مُسْرعاً، وصَعِدَ إلى مغارة توبة، وكان نازلاً بها، فظننت أَنَّه قد احتاج إلى الوضوء، أو آلمه شيء، فلما صلينا الجمعة صَعِدْتُ وراءه، وقلت: خير، ما الذي أصابك؟ فقال: هذا أبو عمر ما تَحِلُّ خلفه صلاة. قلت: ولِمَ؟ قال: لأَنَّه يقول على المِنْبر ما لا يَصْلُح. قلتُ: وما الذي قال؟ قال: قال: الملك العادل، وهو ظالمٌ، فما يَصْدُق. وكان أبو عمر يقول في آخر الخُطْبة: اللهم وأَصْلِحْ عَبْدَك الملك العادل سيفَ الدِّين أبا بكر بن أيوب. فقلتُ له: إذا كانتِ الصلاةُ خلف أبي عمر لا تصح، فيا ليت شِعْري خَلْفَ مَنْ تصحّ! [وخطر لي قول عبد الرحمن

(١) في (ح): وقال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: صلّيت يوم الجمعة...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ابن عوف لما رأى عمر بن الخطاب ليلة يمشي في أزقة المدينة، فأتى إلى بيت عجوز، فدخله، فقلت: لا أنصرف حتى أنظر ماذا يصنع. فتواريت، وإذا به قد خرج من عندها، فدخلت بعده، وقلت: ما كان يصنع عندك؟ فقالت: يحمل إليَّ ما آكل، ويخرج عني الأذى. قال عبد الرحمن: فقلت في نفسي، ويحك يا عبد الرحمن، أعثرات عمر تتبع؟][(١)] وبينا نحن في الحديث إذا بالشيخ أبي عمر [(٢)وقد صَعِدَ إلى مغارة توبة، فدخل] ومعه مئزر، فَسَلَّم، وحَلَّ المئزر، وفيه رغيفٌ وخيارتان، فكسر الجميع، وقال: بسم الله، الصَّلاة، ثم قال: ابتداءً قد جاء في الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ولدتُ في زمن الملك العادِل كِسْرى»(٣)، فنظر إليَّ الشيخ عبد الله وتبسَّم، ومدَّ يده فأكل، وقام أبو عمر، ونزل، فقال لي الشيخ عبد الله: يا سَيِّد، ما ذا إلا رجلٌ صالح.

قال المصنف رحمه الله: وأصابني قُولَنْج، وعانيت منه شِدَّة، فدَخَلَ عليَّ أبو عمر وبيده خَرُّوب شامي مدقوق، فقال: استفَّ هذا. وكان عندي جماعةٌ، فقالوا: هذا يزيد القولنج ويضرّه! فما التفتُّ إلى قولهم، وأخذتُه من يده، فأكَلْتُه، فبرأت في الحال، ومن هذا شيءٌ كثير.

[(٤)وأما ما أُخبرت به، فحكى] الجمال البُصْراوي، قال: أصابني قُولَنْج في رمضان، فاجتهدوا بي أَنْ أُفطر، فلم أفعل، وصَعِدْتُ إلى قاسيون، فقعدت موضعَ الجامع اليوم، وإذا بالشيخ أبو عمر قد أقبل من الجبل، وبيده حشيشةٌ، فقال: شُمَّ هذه تنفَعْك. فأخذتُها وشممتها، فبرأت.

وجاءه رجلٌ مغربي، فقرأ عليه القرآن، ثم غاب عنه مُدَّة وعاد، فلازمه، فَسُئِلَ عن ذلك، فقال: دخلتُ دياربكر، فأقمتُ عند شيخٍ له زاوية وتلامذة، فبينا هو ذاتَ يوم جالسٌ بكى بكاءً شديداً، وأُغمي عليه، ثم أفاق وقال: ماتَ القُطْب السَّاعة، وقد أقيم

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): إذا بالشيخ أبي عمر قد دخل، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) لا أصل له، انظر حاشيتنا رقم ١ ص٢١٧ من الجزء الأول من «المذيل على الروضتين»، وتعقيب أبي شامة على هذ الخبر.

(٤) في (ح): وقال الجمال...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الشيخ أبو عمر شيخ الصَّالحية مقامه، قال: فقلتُ له: ذاك شيخي، فقال: فأيش قعودك ها هنا، قُمْ فاذهبْ إليه، وسَلِّمْ عليه عني، وقُلْ له: لو أمكنني السَّعي إليه لسعيتُ. ثم زوَّدَني وسافرتُ.

قال المصنف رحمه الله: قلتُ له يوماً أوَّلَ ما قَدِمْتُ الشَّام، وما كان يَرُدُّ أحداً في شفاعةٍ إلى مَنْ كان، وقد كَتَبَ ورقةً إلى الملك المُعَظَّم عيسى بن العادل، وقال فيها: إلى الولد الملك المُعَظَّم، فقلتُ له: كيف تكتب هذا والملك المعظم على الحقيقة هو الله تعالى! فتَبَّسم ورمى إليَّ الورقة، وقال: تأَمَّلها. وإذا به لما كَتَبَ المعظم كسر الظَّاء، فصار المعظِّم، وقال: لا بُدَّ أن يكون يوماً عَظَّم الله تعالى. فتعجَّبْتُ من ورعه وتحفُّظه في منطقه عن مِثْلِ هذا.

وقال يوماً للمبارز المعتمد: قد أكثرتُ عليك من الرِّقاع والشَّفاعات. فقال له: ربما تكتب إليَّ في حَقِّ أُناسٍ لا يستحقون الشَّفاعة، وأكره رَدَّ شفاعتك، فقال له الشيخ: أنا أقضي حَقَّ مَنْ قصدني، وأنت إن شئت أن تقبل، وإنْ شئت ألَّا تقبل، فقال: ما أَرُدُّ ورقتك أبداً.

وكان على مذهب السَّلف الصَّالح، حسنَ العقيدة، متمسِّكاً بالكتاب والسُّنَّة، والآثار المَرْوِيَّة، ويُمِرُّها كما جاءت من غير طَعْنٍ على أئمة الدِّين وعلماء المُسْلمين، وينهى عن صُحْبة المبتدعين، ويأمر بصحبة الصَّالحين.

ذِكْرُ وفاته:

قال المصنِّف رحمه الله: كان سببُها أَنَّه حَضَرَ مجلسي بقاسيون في الجامع، وأخوه شيخنا الموفَّق ـ رحمه الله ـ حاضر، والعمادُ والجماعة، وكان قاعداً في الباب الكبير، وجرى الكلامُ في رؤية الله تعالى ومشاهدته، واستغرقتُ في ذلك، وكان وقتاً عجيباً وأبو عمر جالسٌ إلى جانب أخيه الموفق، فقام، وطَلَبَ باب الجامع [ولم أره، فالتفتُّ، وإذا بين يديه شخص يريد الخروج من الجامع،][1] فصحتُ على الرَّجل: اقعد. فَظَنَّ أبو عمر أنني أُخاطبه، فجلس على عَتَبة بابِ الجامع الجوَّانية إلى أن فَرَغَ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

المجلس، ثم حُمِلَ إلى الدَّير، فكان آخرَ العَهْدِ به، وأقام أياماً مريضاً، ولم يترك شيئاً من أوراده، فلما أن كان عشية الاثنين ثامن عشرين ربيع الأول جمع أهله، واستقبل القِبْلة، ووصَّاهم بتقوى الله ومراقبته، وأمرهم بقراءة «يس» وكان آخرَ كلامه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] وتوفي رحمه الله، وغُسل في وقت السَّحَر، [ومَنْ وصل إلى الماء الذي غُسِّل به نَشَّف به النِّساء مقانعهن، والرجال عمائمهم،][١] ولم يتخلَّف عن جِنازته أحدٌ من القُضَاة والأُمراء والعُلماء والأَعْيان وعامة الخَلْق، وكان يوماً مشهوداً، ولما خرجوا بجنازته من الدَّير كان يوماً شديدَ الحَرِّ، فأقبلت غمامةٌ، فأظلَّتِ النَّاسَ إلى قبره، وكان يُسمع منها دوِيٌّ كدويِّ النَّحْل، ولولا المبارز المعتمد وابن محارب وشِبْل الدولة الحُسَامي ما وصل إلى قبره مِنْ كفنه شيءٌ، فإنما أحاطوا به بالسُّيوف والدَّبابيس.

وكان قبل وفاته بليلةٍ رأى إنسانٌ كأَنَّ قاسيون قد وَقَعَ أو زال من مكانه، فأوَّلوه موته، ولما دُفِنَ رأى بعضُ الصَّالحين في منامه تلك الليلة النَّبيَّ ﷺ وهو يقول: مَنْ زار أبا عمر الليلة ـ وهي ليلة الجمعة ـ فكأنَّما زارَ الكعبة، فاخلعوا نعالكم قبل أَنْ تصلوا إليه. [ورئيت مناماتٌ كثيرة][٢]، ومات عن ثمانين سنة، ولم يخلِّف دِيناراً ولا دِرْهماً، ولا قليلاً ولا كثيراً.

سمع بدمشق أبا المكارم عبد الواحد بن محمد بن مُسَلَّم بن هلال الأَزْدي، وأبا تميم سلمان بن علي الرَّحْبي، وأبا الفَهْم عبد الرَّحمن بن عبد العزيز الأَزْدِي وغيرهم [وبمصر][٢] أبا محمد عبد الله بن بَرِّي بن عبد الجبار اللُّغوي المَقْدِسي، وأبا طاهر إسماعيل بن قاسم الزَّيَّات وغيرهما.

وروى لنا الحديث، وعَلَّمني دُعاء السَّنَة، فقال: مازال مشايخنا يواظبون على هذا الدُّعاء في أوَّل كلِّ سنة وآخرها، وما فاتني طول عمري، وأما أَوَّل السنة فإنَّك تقول: اللهم أنتَ الأبدي القديم، وهذه سَنَةٌ جديدة، أسألك فيها العصمة من الشيطان وأوليائه، والعَوْنَ على هذه النَّفْس الأمَّارة بالسُّوء، والاشتغال بما يقرِّبُني إليك يا ذا الجلال والإكرام، فإنَّ الشيطان يقول: قد آيسنا مِنْ نفسه فيما بقي، ويوكل الله به ملكين يحرسانه.

---

(١) في (ح): ونشف النساء والرجال الماء الذي غسل به العمائم والمقانع...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وأما دعاءُ آخر السنة، فإنَّه يقول في آخر يوم من أيام السَّنة: اللهم ما عَمِلْتُ في هذه السنة مما نهيتني عنه، ولم تَرْضَه ولم تنسه، وحَلُمْتَ عني بعد قُدْرتك على عقوبتي، ودعوتني إلى التَّوبة من بعد جرأتي على معصيتك، فإني أستغفرك منه، فاغفرْ لي، وما عملت فيها مما ترضاه، ووعدتني عليه الثَّواب، فأسألك أن تتقبَّلَه مني، ولا تقطع رجائي منك يا كريم. فإنَّ الشيطان يقول: تعبنا معه طول السنة، فأفسد فِعْلَنَا في ساعة.

وأنشدني [أبو عمر][١] لنفسه: [من الطويل]

ألم يكُ مَنْهاةً عن الزَّهو أنني ... بدا لي شَيْبُ الرَّأسِ والضَّعْفُ والألَمْ
ألمَّ بيَ الخَطْبُ الذي لو بَكَيْتُهُ ... حياتيَ حتى ينفَدَ الدَّمْعُ لم أُلَمْ

وأنشدني لنفسه: [من الرجز]

أوصيكُمُ بالقَوْلِ في القُرْآنِ ... بقيلِ أَهْلِ الحَقِّ والإتْقانِ
ليس بمخلوقٍ ولا بفانِ ... لكنْ[٢] كلامُ المَلِكِ الدَّيَّانِ
آياتُهُ مُشْرقةُ المعاني ... متلوَّةٌ لله باللِّسانِ
محفوظة في الصَّدْرِ والجَنَانِ ... مكتوبةٌ في الصُّحْفِ بالبَنانِ
والقولُ في الصِّفاتِ يا إخواني ... كالذَّاتِ والعِلْم مع البيانِ
إمرارها من غيرِ ما كُفْران ... من غيرِ تشبيهٍ ولا عُدْوان

وأنشدني لغيره: [مجزوء الكامل]

لي حيلةٌ فيمن ينمُّ ... وليس في الكذَّاب حِيْلَهْ
مَنْ كان يَخْلُقُ ما يقو ... لُ فحِيْلَتي فيه قليلَهْ

ورثاه [جماعةٌ، منهم][١] شمسُ الدِّين محمد بن سَعْد، فقال: [من البسيط]

يا عاذليَّ أفيقا مِنْ ملامِكُما ... وعلِّلاني فإني اليومَ سكرانُ
أَبَعْدَ أنْ فَقَدَتْ عيني أبا عُمَرٍ ... يضُمُّني في بقايا العُمْرِ عُمْرانُ
ما للمساجِدِ منه اليوم مُقْفِرَةً ... كأنَّها بعد ذاكَ الجَمْعِ قِيْعانُ
ما للمحاريبِ بعد الأُنْس مُوْحِشَةً ... كأنَّ لم يُتْلَ فيها الدَّهْرَ قُرْآنُ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): إلا، والمثبت من «المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٢١، بتحقيقي. وأبو شامة ينقل عن «المرآة».

والـلـهِ والـلـهِ أَيْـمـانٌ مـؤكَّـدةٌ وحُـقَّ أَنْ تـتـوالـى فـيـك أَيْـمـانُ
لـو كان صَرْفُ الرَّدى بالمالِ مُفْتدَياً أُعطي فِداك كما أعطى سليمانُ
تبكي عليك عيونُ النَّاسِ قاطبةً إذْ كانَ في كلِّ عينٍ منك إنسانُ
وكان في كلِّ قلبٍ منك نورُ هدى فصارَ في كلِّ قلبٍ منك نيران
وكلُّ حيٍّ رأينا فَهْوَ ذو أسفٍ وكلُّ مَيْتٍ رآه فَهْوَ فَرْحانُ
والناس في حلباتِ السَّبق أنفسهم هي النجائب والأحوال ميدان
لا زال يَسْقي ضريحاً أنت ساكِنُهُ سحائِبُ غَيْثُها عَفْوٌ وغُفْرانُ
كم مَيِّتٍ ذِكْرُهُ حيٌّ ومتَّصِفٍ بالحيِّ مَيْتٌ له الأثوابُ أكفانُ

وأنشدني أيضاً على لسان ولده عبد الرحمن ـ وكان إذ ذاك صغير السن، لأنَّ مولده سنة سبع وتسعين ـ من أبيات: [من البسيط]

لا تعجبوا مِنْ تباريحي ومِنْ فِكَري هدَّ الأكابرَ ما لاقيتُ في صِغَرِي
لم يُبْقِ فيَّ الأسى والسُّقْمُ جارحةً فكيف أُشْفِقُ مِنْ دَمْعي على بَصَرِي
لو حلَّ بالأرضِ ما قد حَلَّ بي خُسِفَتْ والشَّمْسُ ما طَلَعَتْ والبَدْرُ لم يُنِرِ
فقدتُ روحي وراحاتي بفِقْداني أبي المكارمِ والتَّقْوى أبي عمر
والله لو زِيْدَ في عُمْرٍ بموهبةٍ يوماً وهبتُ له يا سادتي عُمُري
وكنتُ أفديه من سُوءٍ أَلَمَّ به بما قدرتُ ولو بالسَّمْعِ والبَصَرِ
لكنَّه القَدَرُ المحتومُ ليس له من دافعٍ مِنْ جميعِ البَدْوِ والحَضَرِ

ذِكْرُ أولاده:

كان له [عِدَّة][(١)] أولاد، منهم عمر، وأمه فاطمة بنت عبد الرَّحمن [عمة الضِّياء محمد][(١)]، وكانت أسنَّ من أبي عمر، وتوفيت قبله بيسير، وكان له منها أولاد أُخر.

وعبد الله، ويلقب بالشَّرف، وهو الذي قام بعده، وأمه [فاطمة][(١)]، بنت أبي المجد، دمشقية، توفيت في حياته.

وأحمد، أُمُّه آمنة بنت أبي موسى، توفيت بالبيت المقدس، وهو شابّ.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وعبد الرَّحمن، ولقبه شمس الدين، وهو الخطيب بعد أخيه عبد الله، وهو شقيق أحمد [لأمه وأبيه](١)، وكان لأبي عمر بنات كما قال الله تعالى: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥].

النِّظام الطُّغْرائي

وزير الظَّاهر صاحب حلب، واسمه حمد بن الحسين.

كان أديباً كاتباً مترسِّلاً، أقام في خِدْمة الظَّاهر عشرين سنة، وتوفي في صفر، وصلَّى عليه الظَّاهر تحت القلعة، وحُمِلَ إلى داره، فدفن بها إلى سنة تسع عشرة وست مئة، فأُخرج تابوته منها، ودُفِنَ في المقام عند تُرْبة مجد الدِّين ابن الدَّاية، وبيعت داره في الدَّيْن.

مظفر بن شاشير(٢)

[الواعظ](١)، الصُّوفي، البغدادي.

ولد سنة ثلاثٍ وعشرين وخمس مئة [(٣)وكان يعظ في الأعزية، وترب الرصافة، والمساجد، والقُرى، وكان مطبوعاً كيِّساً ظريفاً، وكان يسكن دار العميد عند الصوفية، فتوفي في المحرم، ودفن عند معروف الكرخي.

سمع أبا الوقت وغيره، جلس يوماً في مسجد القرية، فقام إليه إنسان، فقال: أنا مريض وجائع، فقال له: احمد ربك، فقد عوفيت].

واجتاز يوماً بقصاب يبيع لحماً هزيلاً، وهو ينادي: أين مَنْ حلف لا يُغْبَن؟ فقال له: حتى تُحْنِثَه!

[وقال: خرجت يوماً إلى بَعْقُوبا، فتكلمت بها في الليل في جامعها، فقال واحد: عندي نصفية، وقال آخر: وعندي نصفية، فعدُّوا نحواً من خمسين نصفية، قال: فقلت في نفسي، استغنيت الليلة. فلما أصبحنا، وإذا في زاوية المسجد مقدار كارة شعير،

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري ٢/ ٢٠٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٢٧-٢٢٨، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ح): وكان مطبوعاً، يقص في الأعزية...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فقلت: ما هذا؟ قالوا: النصافي، كل كيل نصفية. فقلت: ما جمع الله عليكم غير نصافيكم. وقد أنكرت أن تكون النصافي التي تحمل إليَّ إلا كرى](١).

وقال: جلست بباجِسْرى، فجمعوا لي شيئاً ما أعلم ما هو، فلما أصبحنا إذا في جانب المسجد صوفُ الجاموس وقرونه، فقام واحدٌ ينادي عليه ويقول: مَنْ يشتري صوفَ الشَّيخ وقرونه؟ فقلت: رُدُّوا صوفكم وقرونكم إليكم، ما لي بها حاجة.

[قال: وذكر يوماً إذا مات العبد وهو سكران حُشِرَ وهو سكران، فقام واحد، فقال: يا مولانا، أين هذا الخمر؟ يساوي كل قدح منه دينار.

قال: وسمعته ليلة ينشد بقرية الرَّصافة في بعض المواسم وذكر فصلاً في الربيع، ويقال: إن الأبيات لابن النيل الشاعر، وهي هذه](١): [من البسيط]

عرائسُ الأرضِ تُجْلَى في غلائلها ... وفي حُلِيٍّ عليها صاغه الدِّيَمُ
يسير في حُلَلِ الأنوار مُذْهبة ... في كل ناحية من نَسْجِها عَلَمُ
دُرٌّ من الأُقْحوانِ الغَضِّ زينته ... حُمْرُ اليواقيتِ في المنثور يَنْتَظِمُ
كأنَّما بالسَّماء الأرضُ شامتةٌ ... تبكي السماء وثَغْرُ الأرضِ مُبْتَسِمُ

توفي مُظَفَّر في المحرَّم، ودُفِنَ عند قبر معروف الكَرْخي.

الوجيه بن البُوني المَغْربي(٢)

إمام مقصورة الحنفية الغربية بجامع دمشق.

كان صالحاً دَيِّناً، فقيراً، قارئاً للقرآن بالسَّبْع، وأنشد: [من الطويل]

ومِنْ عادةِ السَّادات أنْ يتفقَّدوا ... أصاغرَهُمْ والمكْرُماتُ مصايدُ
سليمانُ ذو مُلْكٍ تفقَّدَ هُدْهُداً ... وإنَّ أَقَلَّ الطائراتِ الهداهِدُ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) هو إبراهيم بن يوسف بن محمّد، وقد أخطأ سبط ابن الجوزي في ذكره في وفيات هذه السنة، والصحيح في وفاته أنها كانت سنة (٦١٢هـ) كما ذكرت مصادر ترجمته: «التكملة» للمنذري: ٢/ ٣٥٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٦٠ ـ وهو شيخ أبي شامة ـ و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ١٧٣، و«الجواهر المضية»: ١/ ١١٨، و«توضيح المشتبه»: ١/ ٦٥٤ـ٦٥٥.

[فصل: وفيها توفي

يحيى بن أبي الفَتْح(١)

ابن الطبَّاخ، الحرَّاني الضَّرير.

شيخنا، قدم بغداد، وأقام بها مدة يتفقه على مذهب أحمد ابن حنبل، وسمع الحديث، وقرأ النحو على أبي البقاء العكبري وغيره، وعاد إلى حران، فأقام بها إلى أن توفي، وكان قد ابتلي في آخر عمره، فوقعت الأكلة في فِيْه.

سمع شُهْدة، وعبد الحق ابن يوسف، وابن الخشَّاب وغيرهم، وكان صالحاً، فقيراً، صبوراً على قضاء الله تعالى، ديِّناً، اجتزت بحران سنة ثلاث وست مئة، فسمعت عليه الحديث](٢).

السنة الثامنة وست مئة

فيها عاد نجاح الشَّرابي والقُمِّي من ششتر إلى بغداد، وبين أيديهما سنجر مملوك الخليفة الذي عصى عليه، راكباً على بغل ببرذعة، وفي رِجْله سِلْسِلَةٌ، وحُبِسَ، وجَمَع القُمي القضاةَ والفقهاءَ والأعيان، وأخرج كتبه إلى المخالفين للدَّوْلة وإلى نوابه يقول: من لقيتم من عسكر الخليفة [فاقتلوه](٢) ـ وقرأها على الجماعة ـ فأفتَوْا بإراقة دمه، وأيس سنجر [والنَّاس](٢) مِنْ نفسه، فقال القُمِّي: فإنَّ أمير المؤمنين قد عفا عن ذنبه، وصفح عن جُرْمه، فأفاضَ الخِلَعَ عليه، وجمع بينه وبين أهله في [الصَّاغة في](٢) دار طاشْتِكِين بدار الخليفة.

وفيها قَدِمَ رسولُ جلال الدين حسن صاحب ألموت يخبر بأَنَّهم قد تبرؤوا من الباطنية، وبنوا الجوامع والمساجد، وأقيمت الجمعة والجماعات عندهم، وصاموا رمضان، فَسُرَّ الخليفةُ والنَّاسُ بذلك، وقدمت خاتون أم جلال الدين حاجَّة، فاحتفل لها الخليفة.

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢١٣ـ٢١٤، و«تاريخ الإسلام» للذهبي: (وفيات سنة ٦٠٧هـ)، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٦٢، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٣١.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها بعث الخليفة خاتمه إلى وجه السَّبع إلى الشَّام، وبعث معه العادل رسولاً، فأكرمه الخليفة، وولى وجه السبع الكوفة إقطاعاً.

وفي شعبان قدم أيدغمش من هَمَذَان إلى بغداد، وكان منكلي مملوك أزبك قد طرده من هَمَذَان، فاحتفل له الخليفة، وأخرج جميع أرباب الدولة للقائه، وأقام له الضِّيافات العظيمة.

وفيها أمر الخليفة أن يُقرأ «مسند أحمد ابن حنبل» ـ رحمة الله عليه ـ بمشهد موسى ابن جعفر بحضرة صفيِّ الدِّين محمد بن مَعَدّ الموسوي بالإجازة عن الخليفة، وأول ما قُرِىء منه مسند أبي بكر الصِّدِّيق ـ رضوان الله عليه ـ وحديث فَدَك، وما جرى فيها.

وفيها قُبِضَ على أبي جعفر محمد بن النَّاعم؛ حاجب الباب، وظَهَرَ أَنَّه خان في الأموال، فاستؤصل، وضُرِبَ بالخشب إلى أن مات تحت الضَّرب، ورمي بدِجْلة، وكان شيخاً جَبَّاراً ظالماً، جبَّاهاً بالقبيح.

وحج بالنَّاس من العراق علاءُ الدين محمد بنُ ياقوت نيابةً عن أبيه، ومعه ابنُ أبي فراس يفقهه ويدبِّره، وفي الحج أُمُّ جلال الدين، وحَجَّ من الشَّام الصَّمصام أخو سياروخ على حَجِّ دمشق، ومن القدس الشُّجاع عليُّ بن السَّلَّار أميراً [على حج القدس][(1)]، وكانت ربيعة خاتون بنت أيوب أُخت صلاح الدين في الحج، فلما كان يوم النحر بمِنى بعدما رمى النَّاس الجمرة وَثَبَ الإسماعيلية على رجلٍ شريف من بني عم قتادة أشبه الناس به، وظنوه إياه، فقتلوه عند الجمرة، ويقال: إنَّ الذي قتله كان مع أُمِّ جلال الدين، وثار عبيد مكة والأشراف، وصَعِدُوا على الجبلين بمنى، وهلَّلوا، وكبَّروا، وضربوا النَّاس بالحجارة والمقاليع والنُّشَّاب، ونهبوا النَّاس يوم العيد والليلة واليوم الثاني، وقتل من الفريقين جماعة، فقال ابنُ أبي فراس لمحمد بن ياقوت: ارحلوا بنا إلى الزَّاهر منزلة الشَّاميين. فلما حصلت الأثقال على الجمال حَمَلَ قتادة أميرُ مكة والعبيد عليهم، فأخذوا الجميعَ إلا القليل، وقال قتادة: ما كان المقصود إلا أنا، والله لا أبقيتُ من حاجِّ العراق أحداً، [وكانت ربيعة خاتون بالزَّاهر، ومعها ابن

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

السلار، وأخو سياروخ، وحج الشام،][١] فجاء محمد بن ياقوت [أمير الحاج العراقي،][١] فدخل خيمة ربيعة خاتون مستجيراً بها، ومعه خاتون أُمُّ جلال الدين، فبعثت ربيعة [خاتون][١] ابن السَّلَّار إلى قتادة تقول: ما ذَنْبُ النَّاس، قد قتلت القاتل، وجعلتَ ذلك وسيلةً إلى نَهْبِ المسلمين، واستحللت الدِّماءَ في الشهر الحرام في الحرم والمال، وقد عَرَفْتَ مَنْ نحن، ومَنْ أولاد أخي، والله لئن لم تنته لأفعلنَّ ولأفعلن. فجاء إليه ابنُ السَّلَّار وخوَّفه، وقال: ارجع عن هذا وإلا قَصَدَك الخليفةُ من العراق، ونحن من الشَّام. فكفَّ عنهم، وطلب مئة [ألف دينار، فجمعوا له ثلاثين ألفاً من أمير الحاج العراقي، ومن][١] خاتون أُمِّ جلال الدين، وأقام النَّاس ثلاثة أيام حول خيمة ربيعة خاتون بين قتيلٍ وجريحٍ، ومسلوب وجائع وعُرْيان، وقال قتادة: ما فعل هذا إلا الخليفة، ولئن عاد قرَّب أحد من بغداد إلى ها هنا لأقتلن الجميع.

ويقال: إنه أخذ من المال والمتاع وغيره ما قيمته ألفا ألف دينار، وأَذِنَ للنَّاس في الدخول إلى مكة، فدخل الأصحاء والأقوياء، فطافوا وأيّ طواف! ومعظمُ النَّاس ما دخل، ورحلوا إلى المدينة، ودخلوا بغداد على غايةٍ من الفقر والذُّلِّ والهَوَان، ولم ينتطح فيها عَنْزان.

وفيها توفي

الحسن بن محمد بن الحسن[٢]

أبو سَعْد، تاج الدين ابن حَمْدُون، مصنف كتاب «التذكرة»[٣].

قرأ اللغة على ابن العَصَّار، وولي المارَسْتان العَضُدي، وأُغري بجَمْعِ الكُتُب والخطوط المَنْسُوبة، وتوفي بمدائن كِسْرى، وحُمِلَ إلى مقابر قريش، فدفن بها، وكان فاضلاً، بارعاً.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ٩/ ١٨٤ـ١٨٩، و«الكامل»: ١٢/ ٢٩٩، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٢٠ـ٢٢١، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٣١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) كذا قال، وقد وهم في ذلك، والصحيح أن مصنف «التذكرة» هو والده محمد بن الحسن المتوفى سنة (٥٦٢هـ)، وقد حقق الكتاب الدكتور إحسان عباس، ونشرته دار صادر في بيروت سنة ١٩٩٦م.

شركس بن عبد الله الصَّلاحي(١)

ويقال [أياز شركس، ويقال:](٢) أيازجهاركس؛ يعني أنه اشتُري بأربع مئة دينار.

وكان من أُمراء صلاح الدين، شهد معه الغزوات كلها، كان منحرفاً عن الأفضل، وكان العادل قد أعطاه بانياس، وتبنين، وشقيف، وهُونين، وقلعة أبي الحسن، وتلك البلاد، فأقام بها، وكان يتردَّد إلى دمشق، فمرض، وتوفي في صفر، ودفن بقاسيون، وخلف ولداً، فأقرَّه العادل على ما كان لأبيه، وقام بأمره الأمير صارم الدين خُطْلُبا التِّبْنيني أحسنَ قيام، وسدَّ تلك الثغور، وقوَّم الأمور على أحسن نظام، واشترى [صارم الدين](٢) الكَفْر بوادي بردى، ووقَفَها على تُرْبة فخر الدين شركس، وعَمر له قُبة عظيمة على الجادة، [وقابل إحسانه إليه بالحسنى وزيادة](٢) وأقام صارم الدين [بالحصون](٢) إلى سنة خمس عشرة، وانتزعت منه.

عبد الواحد بن عبد الوهاب(٣)

ابن علي بن سُكَيْنة، ويلقب بالمعين.

ولد سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة، وسافر إلى الشَّام في أيام الأفضل، وبسط لسانه في الدَّوْلة، فأُرسل إليه من بغداد ابنُ التكريتي ليقتله، فوثَبَ عليه مراراً بدمشق، فلم يقدر عليه، فكتب إلى الخليفة كتاباً يتنصَّل فيه مما قيل عنه، ويعتذر، ويسأله العفو، فعفا عنه، وكتب له كتابَ أمانٍ، فقَدِمَ بغداد، فولاه مشيخة الشيوخ، وأُعطيَ رباط المشرعة، ثم بعثه بعد ذلك في رسالة إلى جزيرة كيش، ومعه جماعةٌ من الصُّوفية، فغَرِقَ في البحر ومَنْ معه.

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٣٧-٢٣٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٣١-٢٣٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري ٢/ ٢٢٧-٢٢٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٣٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

سمع جدَّه لأُمّه شيخ الشيوخ عبد الرَّحيم وغيره، وأنشد لجدِّه عبد الرَّحيم: [من الوافر]

ولم أَخْضِبْ مشيبي وهو زَيْنٌ لإيثاري جهالاتِ التَّصابي
ولكن كي يراني مَنْ أُعادي فأُرْهِبُهُ بوَثْباتِ الشَّبابِ

الشيخ عمر بن مسعود البزَّاز(١)

صحب سيدنا الشيخ عبد القادر الجِيْلي، وجماعةً من المشايخ، وبنى رباطاً عند جامع بلهيقا، وكان يتكلَّم في الحقيقة والطَّريقة كلاماً حسناً، سمع سعيد ابن البَنَّاء وغيره.

محمد بن النَّاعم كمال الدين(٢)

حاجب الباب.

كان حسنَ الصُّورة، قبيحَ الفِعال، صادَرَ جماعةً، وماتوا تحت الضَّرْب، فلما قُبِضَ عليه ضُرِبَ ضَرْباً مُبَرِّحاً، فلم يُقِرَّ بشيء، فمات تحت الضَّرب، فظهر له بعد ذلك أموالٌ عظيمة ودفائنُ كثيرة، ورُمِيَ به في دِجْلة كما كان يفعلُ بالنَّاس.

محمد بن يونُس(٣)

الملقَّب بالعماد، الفقيه المَوْصلي.

ولد سنة خمس وثلاثين وخمس مئة، وتفقَّه [على مذهب الشافعي](٤)، وانتهت إليه رياسة أصحاب الشَّافعي بالمَوْصل، وبُعث رسولاً إلى بغداد لما توفي نور الدين أتابك

(١) له ترجمة في «الكامل» ١٢/ ٢٩٩، و«التكملة» للمنذري ٢/ ٢٣١_٢٣٢، و«مشيخة النعال»: ١٤٥_١٤٦، و«المختصر المحتاج إليه» ٣/ ١١٠، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (وفيات سنة ٦٠٨هـ).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٣٦، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٣٣.

(٣) له ترجمة في «الكامل» لابن الأثير: ١٢/ ٢٥٨، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٢٦_٢٢٧، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٣٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٩٨، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

رسلان شاه، وكان به وُسْواسٌ في الطَّهارة، يبعث كلَّ يومٍ غلامه إلى الجسر، فيقف وَسْط الشَّطِّ، ويملأُ الأباريق، فيتوضأ بها، وكان على ما قيل: يعامل الناس(١)، فالتقاه قضيبُ البان المولَّه يوماً، فقال له العماد: سلامٌ عليك يا أخي، كيف أنتَ يا أخي؟ فقال: أما أنا فبخير، بلى قد بلغني عنك أنَّك تغسل أعضاءَك بأباريقِ ماءٍ كلَّ يوم، فلم لا تشطف اللُّقْمة التي تأكلها! ففهم العمادُ قوله، فرجع عن ذلك، وكانت وفاته في رجب بالمَوْصِل.

مظفر التماشكي البغدادي(٢)

كان يقول «كان وكان»، [وهو أكثر أشعاره](٣)، ومن قوله في امرأةٍ عجوز:

مع الكبر ما يقلع ضرس الصبي من ضرسها وكل ضرس فيها من الكبر مقلوع
[وقد عزل ناظرها وقد غلقنا بابها وصار ذاك الراتب من جانبي مقطوع](٣)
قولوا لها لا تسألي الطبيب عن مرض الكبر ذي علة ضاع فيها علاج بختيشوع

وقال [في أخرى](٣):

ذي زوجها ماشطها وكل من جاحفها قصده يرى النفس عنده في كفها ألوان
إن شندرت فلوجهه نصيب قبل كفوفها ما صح ذاك النشادر إلا من الدخان

وقال:

لها على الخد كوكب يسوى السماء بنجومها أنفع لها من أبوها وهي تسميه خال
ذا من خطاط الحاجب نقط فسمي خال ما كيف ألحقه بنسبها وهو من البغال

السنة التاسعة وست مئة

فيها خلع الخليفة على أَيْدُغْمُش الفَرَجية والعِمامة، وخِلَعاً تقارب خِلَع السَّلْطنة، وأعطاه مالاً، وأمره أن يبرز خيامه ليسير إلى هَمَذَان، وأعطاه الكوسات والأعلام.

---

(١) كأنه كان يتاجر بمال الناس، يوضح ذلك المعنى ما ورد ص٢٢٤ ، ٢٧١ من هذا الجزء.

(٢) لم أهتد إلى مظان ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[وفيها صُرِف خالي أبو محمد يوسف من الحِسْبة والنظر في الوقف العام، وَرُدَّ ذلك إلى شرف الدين ابن البخاري، فولى أبا البركات يوسف بن المبارك بن هبة الله الحِسْبة والوقف العام][(١)].

[وفيها كانت نوبة سامة الجِبْلي][(١)]، اجتمع العادل وأولاده: الكامل والفائز والمُعَظَّم بدمياط، وكان سامة بالقاهرة قد استوحش منهم، واتهموه بمكاتبه الظاهر صاحب حلب، [وحكى لي المعظم أنه][(١)] وَجَدَ له كُتُباً إليه وأجوبة، فخرج سامة من القاهرة كأنَّه يتصيَّد [واغتنم اجتماع الملوك بدمياط،][(١)] وساق إلى الشَّام في مماليكه يطلب قِلاعه: كوكب وعجلون، وكان ذلك يوم الاثنين سَلْخ جُمادى الآخرة، فأرسل والي بِلْبيس الحَمَامَ إلى دِمْياط يخبرهم بذلك، فقال العادل: مَنْ ساق خَلْفه فله أموالُه وقلاعه، فقال المعظم: أنا. وركب من دمياط يوم الثلاثاء غُرَّة رجب.

قال المصنف رحمه الله: وكنتُ معه، فقال لي: أنا أُريد أَنْ أسوق، فَسُقْ أنتَ مع قُماشي. ودفع لي بغلة، وساقَ ومعه نفرٌ يسير، وعلى يده حصان، فكان صباح يوم الجمعة بغزَّة، [ساق مسيرة ثمانية أيام في ثلاثة أيام][(١)]، فسبق سامة، وأما سامة فتقطَّع عنه مماليكه، وبقي وَحدَه، وبه نِقْرِسٌ، فجاء إلى بلد الدَّاروم، وكان المُعَظَّم قد مسك عليه من البحر إلى الزَّرْقاء، فرآه بعضُ الصَّيَّادين في برية الدَّاروم، فعرفه، فقال له: انزل، فقال: هذه ألفُ دينار وأوصلني إلى الشَّام. فأخذها الصَّيَّاد وجاء رفاقه، فعرفوه، فأخذوه على طريق الخليل عليه السلام ليحملوه إلى عجلون، فدخلوا به القُدْس يوم الأحد سادس رجب، جاء بعد المعظم بثلاثة أيام. [[(٢)]فقال لي المعظم رحمه الله: ما كنتُ خائفاً إلا من غلمانه يصادفوني في الطَّريق، فيقتلوني، لو رماني إيدكين بسهم قتلني]، فملَّكه الله إيدكين والجميع.

فأنزل سامة في صِهْيَوْن، وبعث إليه بثياب وطعام، ولاطفه وراسله، وقال: أنتَ شيخٌ كبير، وبك نِقْرِس، وما يَصْلُح لك قلعة، سَلِّمْ إليَّ كوكب وعجلون، [وأنا][(١)] أحلف لك

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): قال المصنف رحمه الله: قال لي المعظم رحمه الله: كنت خائفاً أن يصادفني في الطريق غلمانه فيقتلوني بسهم قتلني...، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

على مالك وملكك، وجميع أسبابك، وتعيش بيننا مثل الوالد. فامتنع، وشَتَمَ المعظَّم، [وذكر كلاماً قبيحاً،][(١)] فلما أيس منه [المعظم][(١)] بعث به إلى الكَرَك، فاعتقله، واستولى على قلاعه وأمواله وذخائره وخَيْله، فكان قيمة ما أخذ منه ألف ألف دينار.

وحجَّ بالنَّاس من العراق حسام الدين ابن أبي فراس نيابةً عن محمد بن ياقوت، وكان معه مال وخِلَعٌ لقتادة حتى سكت عنهم، ومن الشَّام شجاع الدين ابن محارب على أَيْلَة.

[فصل: وفيها توفي

إبراهيم بن محمد بن أبي بكر[(٢)]

أبو إسحاق، القَفْصي، المحدِّث.

سمع الكثير بدمشق وغيرها من مشايخنا، وكانت وفاته في ربيع الأول، ودفن عند المُنَيْبع بمقابر الصُّوفية][(١)] .

وفيها توفي

أيوب بن أبي بكر بن أيوب[(٣)]

الملك الأوحد، نجم الدين صاحب خِلاط.

[قد ذكرنا سفكه لدماء المقدَّمين من أهل خِلاط، فلم يطل عمره، و][(١)] ابتلي بأمراضٍ مُزْمنة كان يتمنَّى الموت معها، وكان قد استزار أخاه الأشرف من حَرَّان، فأقام عنده أياماً، واشتدَّ مرضه، فطلب الأشرف الرجوع لئلا يتخيَّل منه الأوحد، فقال له الأوحد: يا أخي كم تَلِجّ، والله إني مَيِّت، وأنتَ تأخذُ البلاد.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٤٧، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٣٨، و«توضيح المشتبه»: ٧/ ٢٤١، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٣) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٣٧-٢٣٨، و«تاريخ الإسلام» للذهبي: (وفيات سنة ٦٠٩هـ)، و«الوافي بالوفيات»: ١٠/ ٣٦-٣٨، وقد وهم من ذكر وفاته سنة (٦٠٧هـ) كابن واصل في «مفرّج الكروب»: ٣/ ٢٠٨، والمقريزي في «السلوك»: ج ١/ ق ١/ ٢٠٥.

وكان الأوحد قد صاغ للأشرف طلعة من ذهب من خمس مئة دينار للسَّنْجق، وبقيت في الخزانة، [واشتغلوا بمرض الأوحد،](١) فتوفي، ومَلَك الأشرف، وأول ركوبه في خلاط [بالسَّنْجَق كان](١) بتلك الطلعة، وكانت وفاةُ الأوحد بملازكرد، فَدُفِنَ بها، وجاء الأشرف، فدخل خِلاط، فأحسنَ إلى أهلها، وخَلَعَ عليهم، وعَدَلَ فيهم، فأحبُّوه، وأطاعوه، وقدموا من البلاد، وسُرُّوا بموت الأوحد، فكانت مُدَّةُ ملكه خِلاط أقلَّ من خمس سنين، [لأنه ملكها في سنة أربع وست مئة](١).

محمود بن عثمان بن مكارم(٢)

أبو الثَّناء، النَّعَّال الحَنْبَلي، الشيخ الزَّاهد.

ولد سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة ببغداد بالبَدْرية، وقرأ القرآن، وسَمِعَ الحديث، وكان آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، وكانت له رياضاتٌ ومجاهدات، وساح في بلاد الشَّام وغيرها، وبنى رباطاً بباب الأَزَج، يأوي إليه أهلُ العِلْم من المقادسة وغيرهم، وكان يُؤثرهم، وانتفعَ به خَلْقٌ كثير، [وقد رأيت هذا الرباط، وزرت الشيخ فيه](١)، وكان شيخاً مهيباً، لطيفاً [كيساً، باشًا،](١) مبتسماً، يصوم الدَّهر، ويختم القرآن كلَّ يومٍ وليلة، ولا يأكل إلا من غَزْل عمته [(٣)وكان يزور جدي، ويحبه ويحترمه.

وحكى لنا أنه كان ببغداد رجل عواني يقال له شروين، وكان فاتكاً ذا شر، إذا رأى امرأة أو صبيًّا مستحسناً في طريق تبعهما، فإذا صادف رجلاً من أولاد الناس لزمه، وقال: كانت هذه عندك. ومقصوده يأخذ منه شيئاً، ويقول: امشِ إلى الحبس، فيأخذ ما معه. قال محمود: وكنت إذ ذاك صبياً، وضيء الوجه، فسألني جماعة من الأخيار أن نمضي إلى زيارة معروف الكرخي، واشتروا مأكولاً، وعبرنا دجلة، وقد تبعنا شروين، ولم نعلم، فدخلنا بستاناً، وقعدنا نأكل، وإذا به قد هجم علينا، وقعد بيننا، فخاف الجماعة منه، ومد يده، فأخذ لقمة، فصحت عليه صيحة عظيمة، وقلت له: ويلك، قم فنحن ما يأكل معنا إلا

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٤٠ـ٢٤١، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٣٩-٢٤٠، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٦٣ـ٦٤، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ح): ولا يأكل إلا من غزل عمته، وتوفي في صفر، ودفن برباطة، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

مَنْ هو وليٌّ لله تعالى. قال: فتغيَّر لونه، ورمى باللقمة من يده، وولى منصرفاً، وما عاد إلى مثلها، وكانت وفاته في صفر، ودفن برباطه، رحمه الله.

وكان له ولد صغير يعظ في الرباط، فلما كان في أربع وأربعين وست مئة قدمت بغداد، فجاء إلى عندي، وقد ساح، وحصل له فضل من فنون العلم، وسألته أن يعظ، فقال: إنه يعظ في الأحايين.

فصل: وفيها توفي

علي بن يحيى بن بركة القطان[1]

أبو الحسن، ابن أُخت جدتي فاطمة، المدعوة ست الأعز، وكان يحيى يدعى بالأعز.

سمع الحديث مع جدي على معظم شيوخه، مثل الأرموي وابن ناصر، وكانت له إجازة من قاضي المارَسْتان، وكانت وفاته في رمضان، ودفن بباب حرب، وسمعنا منه، وكان متكبراً جداً، فكان جدي يقول: يا ليت شعري، من أين جاء بهذا التكبر، إنما يتميزوا بي، وأنا فما أنا متكبر!

وكان يقال له المورق، وتوفي في هذه السنة].

السنة العاشرة وست مئة

فيها ورد شمسُ الدِّين عبد المجيد ابن التِّنَّبي[2] رسولاً من العادل إلى بغداد، وكان قد أحسن إلى العادل لما حوصر بدمشق، واقترضَ له أموالَ التُّجَّار، وضمنها، فرأى العادل له ذلك، وأحبه وقرَّبه، فحسده الصَّفي بن شُكْر، فأبعده عنه، وكان شمسُ الدِّين سيدَ الأجواد، [وسند الأمجاد، والأَوْلى عند ذكرِهِ طيّ ذِكْرِ حاتم طي][3].

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٥٨-٢٥٩، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ١٤٨.

(٢) في (ح): عبد الحميد، وهو تحريف، والمثبت من ترجمته في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٣٧٣، و«تكملة ابن الصابوني»: ص ٦٣، و«توضيح المشتبه»: ٢/ ٦٦، والتنبي: نسبة إلى تِنَّب؛ قرية بقرب قِنَّسرين من حلب.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وحجَّ بالنَّاس أبو فراس(١) نيابةً عن ابنِ ياقوت، ومن الشام الغرز صديق ابن تمرداش التُّرْكماني على أَيْلة بحاج الكَرَك والقُدْس.

وحجَّ الملك الظَّافر خضر بن صلاح الدين على تَيْماء، ومعه حج الشَّام ويعقوب الخياط المغاري، كان مقيماً بخلوة الجوع بقاسيون، وكان صديق الظَّافر، [فلما وَصَلَ الظَّافر](٢) إلى بدر وجَدَ عسكر الكامل صاحب مِصْر قد سبقه خوفاً على اليمن منه، فقالوا: ترجع، قال: قد بقي بيني وبين مكة مسافة يسيرة، ووالله ما قَصْدِي اليمن، وإنما أريد الحج، فَقَيِّدوني واحتاطوا بي حتى أقضيَ المناسك، وأعودَ إلى الشَّام. فلم يلتفتوا إليه، فأراد أن يقاتلهم، فلم يكن له بهم طاقة، فرجع إلى الشَّام، وعاد يعقوب الخياط معه، ولم يحجَّ.

وفيها توفي

أحمد بن محمد بن عمر(٣)

[الأَزَجي، ويعرف بالموفَّق.](٢)

نشأ بباب الأَزَجّ، [وسمع معنا الحديث من ابن كُلَيْب، وابن بَوْش، وابن طَبَرْزَد، وغيرهم، وكانوا ينبزونه بشمس كلي عينه،](٢) وكان فقيراً، خَرَجَ إلى الشَّام، واجتمع بالظَّاهر صاحب حلب وقال له: قد بعث لك الخليفة معي إجازة [وتقوَّل على الخليفة](٢)، فَخَلَعَ عليه، وأعطاه خمسين ديناراً، ودار على ملوك البلاد، فحصل له منهم ثلاث مئة دينار.

قال المصنِّف رحمه الله: اجتمعتُ به في دمشق وقد رَجَعَ من زيارة القُدْس، فقلت له: إلى أين انتهت زيارتك؟ فقال: إلى لوط، وكان مطبوعاً، وبلغني حديثه، فقلت له: قد فعلتَ ما فعلت، فلا تَقْرَبْ بغداد. فقال: أتتك بحائنٍ رِجْلاه. فقلت: ما أخوفني أن يصحَّ المَثَلُ فيك. فكان كما قلتُ؛ نَزَلَ إلى بغداد في سفينة من المَوْصل، وصَعِدَ بباب

---

(١) في «المذيل»: ١/ ٢٤١ ابن أبي فراس.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٧٤، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٤٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

الأزج إلى بيت أُخته وقت المغرب، فلما كان بعد العشاء الآخرة طَرَقَ البابَ طارِقٌ، فقال: مَنْ هذا؟ فقال: كلِّمْ [من يطلبك][(١)]. فخرج، وإذا برَجُلٍ، فسحبه [عن الباب][(١)]، وضربه بسكِّين حتى قتله، ثم صاحَ على الباب: اخرجي خُذِي أخاك وما معه. فخرجتْ أُخته، وإذا به مقتولٌ، فأخذتِ المال، ودفنته في اللَّيل.

[وفيها توفي

إسماعيل بن علي بن الحسين[(٢)]

أبو محمد، الملقب بالفخر غلام ابن المني، ويعرف بابن الرَّفَّاء، وبابن الماشطة، الحنبلي.

ولد سنة تسع وأربعين وخمس مئة، وقرأ المذهب والخلاف على أبي الفتح بن المني، وقرأ طريقة الشريف، وصنف له تعليقة، وكان فصيحاً، وله عبارة جيدة، وصوت رفيع، وكان له حلقة بجامع الخليفة يجتمع إليه الفقهاء فيها ويناظرهم، وولاه الخليفة ضياع الخاص، فظلم الرعية، وجبى الأموال من غير حِلِّها، فشكوه إلى الخليفة، فسخط عليه وعزله، فأقام في بيته خاملاً فقيراً يعيش من صدقات الناس إلى أن توفي في ربيع الأول، ودفن في داره بدرب الجب، ثم نقل بعد مدة إلى باب حرب، وبيعت الدار.

وولده محمد بن إسماعيل الملقب بالشمس، قدم الشام بعد سنة عشرين وست مئة، وتعانى الوعظ، وكان فاسقاً مجاهراً، هجّاءً، خبيث اللسان، وكان معه جماعة من المُرْدان من أبناء الناس ويقول: إنهم مماليكه، وسمى نفسه ابن المني، وإنما هو ابن غلام ابن المني، وبدت منه بدمشق ومصر والشام هَنَاتٌ قبيحة، وكان يضرب الزَّغَل مع هذه الهَنَات.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٧٢-٢٧٣، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٤٤-٢٤٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٢٨-٣٠، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

وورد خالي أبو محمد يوسف رسولاً إلى الكامل، فكتب في حقه إلى بغداد أشياء، وشنَّع عليه، وكان الخليفة هو المستنصر، فلم يسمع منه، ونفاه الكامل من مصر، فجاء إلى دمشق، فهجا قاضيها شمس الدين بن الخويي، ومحتسبها، وشيخ شيوخها الصدر البكري، وأعيان الدماشقة، هجاهم بقصيدة يقول فيها: [من المنسرح]

شيخُ شيوخ الشآمِ مسخرةٌ هذا وقاضي قضاتهم نَرْدِي

وكان نازلاً في مدرسة الحنابلة عند الناصح ابن الحنبلي، فهجا الناصح والمقادسة، وشكاه الناصح إليَّ، واتفق أنه مسك غلامه في السوق ومعه دراهم زغل، ووصل الخبر إلى المعظم، فأراد قطع يده، ثم نفاه، ومات المعظم وهو بدمشق، وأقام بالشام مدة، ثم خطر له الرحلة إلى بغداد، فقدمها في أيام المستنصر بالله، وتوصّل حتى جلس بباب بدر، ثم شرع في السِّعايات بالناس، وكان خالي ببغداد، وهو بها، واتفق أن غلاماً له تعرّض لبعض خدم الناس من السطح، فجاء زوجها إلى الباب، وشنع عليه، فمضى إلى أستاذ الدار ولبَّس عليه، وقال: أمرك الوزير أن تضرب زوجها مئة خشبة، وتحلق رأسه، ففعل بالرجل ذلك، وبلغ المستنصر، فقامت عليه القيامة، وبعث إلى الوزير شهاب الدين أحمد بن الناقد، وأنكر عليه، فأحضر أستاذ الدار، وسأله عن القضية، فأحاله على غلام ابن المني، فأمر الخليفة أن يخرج إلى باب النوبي، ويضرب مئة خشبة، ويقطع لسانه. ففعلوا به ذلك، وأعطوه لسانه في مداسه، ونادوا عليه: هذا جزاء من يكثر كلامه. وحمل إلى المارستان العضدي، فتكلم، وكان قد قطع لسانه من أصله، وبرأ، فأخرج من المارَسْتان، فعاد إلى السعاية بالناس، فقال المستنصر: لا يجيء من هذا خيرٌ أبداً، يُحمل إلى واسط. فنفي إلى واسط، وألقي في مطمورة، فمات بها في أيام المستنصر، وكان ما فعل به المستنصر من أكبر حسناته وأجمل صفاته][1].

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

أَيْدُغْمُش صاحب هَمَذَان[1]

ذكرنا أن الخليفة [خلع عليه، و][2] أمره بالتقدُّم إلى هَمَذَان، فسار، وأقام [عند بني ترجم][2] ينتظر عساكر الخليفة، فطال عليه الأمر، فرحل نحو هَمَذَان، فالتقاه عسكر منكلي، فقاتلوه وقتلوه، وحملوا رأسه إلى منكلي، وتفرَّق أصحابه.

وكان صالحاً، كثيرَ الصَّدقات، دَيِّناً، صائماً، قائماً، عادلاً.

حكى لي الظَّهير غازي بن سُنْقُر الحلبي رحمه الله، قال: لما كسره منكلي اجتاز ببعض قلاع الإسماعيلية، فنزل تحتها، فبعث إليه مقدَّمها بالضِّيافات والإقامات، وقال له: أنا أنجدك بالأموال والرِّجال، فقال لرسوله: قل له: إنْ كنتَ مسلمان فأريد، وإن كنتَ كافران فمالك عندي إلا شمشير. فأرسل إليه يقول: أنا مسلمان. فقال: الآن فنعم.

شمشير: السَّيْف.

وقيل: إنما اجتاز ببلاد جلال الدِّين، [وهو الذي بعث إليه الرسالة][2].

سعيد بن علي بن أحمد[3]

أبو المعالي، ابنُ حديدة، [ولقبه معز الدين][2]، من ولد قُطْبة [بن عامر][2] بن حديدة الأنصاري الصَّحابي.

ولد بكَرْخ سامَرَّاء سنةَ ستٍّ وثلاثين وخمس مئة، ونشأ ببغداد، وكان [أحد الموسرين][2]، له مالٌ كثير، وجاه عريض، واستوزره الإمام النَّاصر سنة أربعٍ وثمانين وخمس مئة، وخَلَعَ عليه خِلْعة الوِزارة الكاملة: القميص الأطلس، والفَرَجية الممزج، والعمامة القَصَب الكحلية بأعلام الذَّهب، وقلَّده سيفاً محلًّى، وقدَّم له فرساً من خيل

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٣٠١، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٩١، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (وفيات سنة ٦١٠هـ) و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٢٠٩، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٤١-٤٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٧٥-٢٧٦، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٤٦-٢٤٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

الخليفة، فركبه، وخرج أربابُ الدولة يمشون بين يديه من باب حُجْرة الخليفة إلى دار الوزارة، [وهو الذي كان جدي يجلس في داره، ويمدحه، وقد ذكرناه](١)، ولم يَزُل [عن الوزارة](١) حتى ولي ابنُ مهدي نقابةَ العلويين، فشرع فيه حتى عزله الخليفة، واعتقله، وطالبه بمال، [فالتجأ إلى التربة الإخلاطية، فلم ينفعه،](١) فأداه، وأقام في بيته حتى ولي ابن مهدي الوزارة، فَسُلِّم إليه، فاعتقله في داره بدرب المطبخ، وعَزَمَ على تعذيبه، فواطأ الموكلين به، وحَلَقَ رأسه ولحيته، وخرج في زِيِّ النِّساء، فما أخطأ مراغة، فأقام بها حتى عُزِلَ ابنُ مهدي، وعاد إلى بغداد، فنزل داره بالقيوئين، وأقام بها حتى توفي في جُمادى الأولى، وحمل إلى الكوفة، فدفن بها بمشهد أمير المؤمنين رضوان الله عليه. وكان جَوَاداً، سَمْحاً، كثيرَ الصَّدقات والمعروف، ومتواضعاً، سمع الحديث [من جدي، وأبي الخير القزويني، وغيرهما](١).

سِنْجر بن عبد الله النَّاصري(٢)

صهر طاشْتِكِين. [وقد ذكرنا عصيانه على الخليفة وعفوه عنه(٣)، و](١) كان ذليلاً، بخيلاً، ساقِطَ النَّفْس مع كثرة البلاد والأموال، تولَّى إمارة الحاجّ سنة تسعٍ وثمانين وخمس مئة، [وعاد في صفر سنة تسعين](١)، فاعترض الحاجَّ رجلٌ بدوي [من غَزِيَّة، يقال له دهمش](١) في نفرٍ يسير، ومع سنجر خمس مئة فارس، فلم يَلْقَه، وذل، وطلب منه البدوي خمسين ألف دينار، فجمعها سنجر من الحاج، وضيَّق عليهم، ولمَّا وَرَدَ بغداد وكل عليه الخليفة بذلك المال، وأخذه منه، ورَدَّه إلى أصحابه، وعزله عن إمرة الحاج، وولاها طاشْتِكِين.

وكانت وفاته في شوَّال، ففتح له جامع القصر، [وصلَّى عليه قاضي القضاة ابن الدَّامَغاني](١)، ومشى أربابُ الدَّولة في جنازته، ودفن بالشُّونيزيَّة.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٢٨٩ـ٢٩٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٤٧، و«الوافي بالوفيات»: ١٥/ ٤٧٥.

(٣) في حوادث سنة ٦٠٧هـ.

السنة الحادية عشرة وست مئة

[وفيها عزل الخليفة عماد الدين ابن الدَّامغاني، وولى الزنجاري القضاء][(١)].

وفيها ملك أقسيس بن الكامل اليمن، ولقب بالملك المسعود، وكان جَبَّاراً فاتكاً، قيل: إنه قتل باليمن ثماني مئة شريف، وخَلْقاً من الأكابر والعظماء، ولو لم يحجَّ المعظم، وظَنَّ أهلُ اليمن أَنَّه وصل إليهم لَمَا قَدَرَ أقسيس على اليمن.

وفيها أخذ المعظم قلعة صَرْخد من ابنِ قَرَاجا، وعوَّضه عنها مالاً وإقطاعاً.

وحج بالنَّاس من العراق أبو فراس بن ورَّام نائباً عن محمد بن ياقوت، [ومن الشام العلم الفقيه نصر الله الجَعْبَري، إمامُ المعظم][(١)].

وحج المعظم [في هذه السنة][(١)] ومعه [جماعة من خواصِّه][(١)]: عز الدين أيبك، وعماد الدين موسك، والظَّهير بن سُنْقُر الحلبي، وغيرهم، وسلكوا طريق العُلا وتبوك، وجدَّد المعظم البِرَك والمصانع، وأحسن إلى النَّاس، وتلقَّاه سالم أمير المدينة، وخَدَمه، وقدَّم له الخيل والهدايا، وسلَّم إليه مفاتيح المدينة، وأنزله في داره وفتح الأهراء، وخدمه خدمةً عظيمة، وسار إلى مكة، فالتقاه قتادة أمير مكة، وحَضَرَ في خدمته.

قال المصنف رحمه الله: حكى لي المعظم رحمه الله، قال: قلتُ له ـ يعني أمير مكة ـ: أين ننزل؟ فأشار إلى الأبطح بسوطه، وقال: هناك. فنزلنا، وبعث له هدايا يسيرة.

وحجَّ المعظم على مذهب أبي حنيفة، وأتى بجميع المناسك، وأحرم قارناً، وبات بمِنى ليلة عرفة، وصلَّى بها الصَّلوات الخمس، وسار إلى عرفة، وقضى نُسْكَه كما أمر الله تعالى، ولقد رأيتُ كتفه بعدما عاد وقد أكلته الشمس وانقشط، وقيَّح، فقلتُ: ما هذا؟!، فقال: ما غطَّيْتُ رأسي ولا كتفي مُدَّة ثلاثة عشر يوماً.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وتصدَّق على فقراء الحرمين بمالٍ عظيم، وحَمَلَ المُنْقَطعين، وزوَّدهم، وأحسن إليهم، ولما عاد إلى المدينة شكا إليه سالمٌ من جَوْر قتادة، فوعده أن ينجده عليه.

ولما عاد [كنتُ مقيماً بالكرك، فخرجتُ إلى لقائه مع جماعة من الأعيان والأمراء والفقراء والفقهاء، فما التفت إلى أحدٍ منهم، ولما رآني ترجَّل عن ناقته، وعانقني، وسقنا إلى زيزا، وكان لقاؤنا له على غدير الطرفاء في البرية، وشرع يحكي لي صفة حجه وما فعل، و][١] كان والده على خربة اللَّصوص، فقال: أريد أبغته حتى لا يلتقيني أحد. وسار إليه، [واجتمع به][١]، وحكى له خدمة سالم وتقصير قتادة، فجهَّزَ جيشاً مع النَّاهض بن الجرخي إلى المدينة، والتقاهم سالم وأكرمهم، وقصدوا مكة، فانهزم [قتادة عنهم][١] إلى البرية، [ولم يقف بين أيديهم][١].

وفيها توفي

إبراهيم بن علي[٢]

ابن محمد بن بَكْروس، الفقيه الحنبلي.

ولد سنة سَبْعٍ وخمسين وخمس مئة، وكان أبوه من الصَّالحين [وهو الذي زوَّجه جدي ابنته ست العلماء، وقد ذكرناه فيما تقدم، وإبراهيم هذا ليس من ست العلماء، بل من امرأة أخرى][١]، وقرأ [إبراهيم][١] القرآن، وتفقَّه على مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه [وسمع الحديث على أبيه وغيره، وشهد عند القاضي ضياء الدين بن الشهرزوري،][١] وناظر وأفتى، ثم إنَّ الله مَكَرَ به، فصار صاحبَ خَبَرٍ بباب النوبي، ورمى الثَّوْب الواسع، ولبس المزند، وتقلَّد السيف، وفتك في المال والحريم، وضَرَبَ جماعةً بالخشب [ورماهم بدجلة، وما كانت تأخذه في أذى مسلم لومةُ لائم، وولي نيابة الباب، فكان مآله إلى أن ضرب بالخشب][١] حتى مات تحت الضَّرْب، فكان يقول

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٩٦، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٥٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وهو يضرب ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[يس: ٤٩] فكان ذلك آخرَ كلامه، ورمي في دِجْلة ليلاً، وسُرَّ الناس بموته؛ [لأنه فتك بالمال والحريم](١).

[فصل: وفيها توفي

عبد السلام بن عبد الوهَّاب بن عبد القادر(٢)

الذي أحرقت كتبه بالرحبة. كان الخليفة استأصله حتى طلب من الناس، ثم توصل حتى ولي وكالة الأمير الصغير علي ابن الخليفة.

وكان خالي أبو القاسم صديقه، وقد كانت عادته يوالي مَنْ يعادي أباه. قال لي خالي أبو القاسم يوماً بعدما مات جدي بيسير: لي صديقٌ يشتهي أن يراك. ولم يعرِّفْني مَنْ هو، فمشيت معه، فأدخلني إلى دار شممت من دِهْليزها رائحة الخمر، ودخلنا، فإذا الركن عبد السَّلام جالسٌ وعنده صبيان مُرْدان، وهو في حالةٍ قبيحة، فلم أقعد، فصاح خالي والركن فلم ألتفت، فتبعني خالي، وقال: خجَّلْتني من الرجل. فقلت: لا جزاك الله خيراً. وأسمعته غليظ الكلام.

ومرض عبد السَّلام بعِلَّة البطن، فَرمى كبده قِطَعاً، ومات في هذه السنة](١).

عبد العزيز بن محمود بن المبارك(٣)

أبو محمد، البَزَّاز.

ولد سنة ست وعشرين وخمس مئة، وقيل: سنة أربع وعشرين، سمع الحديث الكثير، وصنَّف، وكانت وفاته في شوَّال، ودُفِنَ بباب حَرْب، وكان فاضلاً، صالحاً، دَيِّناً، عفيفاً، لطيفاً، أنشد لغيره: [من الطويل]

ألا هل لأيام الصِّبا مَنْ يعيدُها فيطرب صَبٌّ بالغضا يستعيدُها

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٣٠٣-٣٠٤، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٥٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٥٥-٥٦، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٣١٧-٣١٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٥٣-٢٥٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٣١-٣٢، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

وهل عذباتُ الرَّمْلِ من أيمنِ النَّقا تميلُ إلى نحوي مع الوُرْقِ عُودُها
سقى الله أيَّامي بها كلَّ مُزْنَةٍ يصوبُ ثراها بالحيا ويجودُها
ورَدَّ ليالينا بجرعاءِ مالك فقد طالما ابيضَّتْ من العَيْشِ سودُها
أرى الأرضَ والأوطانَ فيها فسيحةً وما يستميلُ القَلْبَ إلا زرودُها

السنة الثانية عشرة وست مئة

فيها خرج وجه السَّبع من بغداد بالعسكر إلى هَمَذَان للقاء منكلي، مملوك السُّلْطان أزبك، وكان قد عصى على مولاه وعلى الخليفة، وقطع الطَّريق، وسَفَكَ الدِّماء، وأخذ المال. وكَتَبَ الخليفةُ إلى ابن زين الدين، والظَّاهر، والعادل، وغيرهم، يطلب العساكر، فجاءته من كلِّ مكان، وجعل ابنَ زين الدين مقدَّمها، وجاء أزبك وجلال الدين مقدَّم الإسماعيلية، وجمع منكلي جموعاً كثيرة، والتقوا قريباً من هَمَذَان، فكانت الدَّبْرة على منكلي، قُتِلَ من أصحابه ستة آلاف، ونهبوا أثقالهم، وحال الليل بينهم، فَصَعِدَ منكلي على جبل وابن زين الدين والعساكر في السهل، وأوقد منكلي ناراً عظيمة، وهرب في الليل، فأصبح النَّاس وليس له أثر، وقتل بعد ذلك.

وفيها أخذ خوارزم شاه محمد غَزْنة من تاج الدين مملوك شهاب الدين الغوري بغير قتال.

وفيها قدم مسعودي الجوادي رسولاً من الأشرف إلى الخليفة، فالتقاه الموكب، وكان معه نَسْرٌ رباه الملك الأشرف للخليفة، فعُلِّق النَّسْر بباب البَدْرية، ونُثِرَ عليه دنانير.

وفيها أخذ ابن لاوين أَنْطاكية من الفرنج في يوم الأحد رابع عشرين شوال [وكنت في ذلك اليوم قد جلست عند الملك بحلب في دار العدل، فلما انقضى المجلس نزلت من المنبر، فقام الظاهر والتقاني، وأجلسني إلى جانبه، ودفع إلي بطاقة جاءته من حارم تخبره بذلك][1]، ثم عاد إبرنس طرابُلُس بعد ذلك أَخَذَها منه.

وحجَّ بالنَّاس ابن أبي فراس.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها توفي

عبد المنعم بن محمد بن الحسين(١)

ولد بباجِسْرى(٢) سنة تسع وأربعين وخمس مئة، وتفقَّه على ابن المَنِّي، وتوفي في جُمادى الأُولى، وحُمِلَ إلى النِّظامية ليصلَّى عليه، فثار عوام الحنابلة، وقالوا: لا تركناه يدخل إلى أماكن الأشاعرة. وحملوه إلى جامع السُّلْطان، فصلُّوا عليه فيه، ودفن بمقابر الإمام أحمد رضي الله عنه، وكان صالحاً وَرِعاً.

عبد الوهَّاب بن بُزْغُش بن عبد الله، أبو الفتح(٣)

قرأ القرآن بالرِّوايات، وبَرَعَ فيها، وسمع الحديث الكثير، وكان حَسَنَ الصَّوت، وله تصانيف في الخُطَب وأشعار ومواعظ ورسائل وغير ذلك، وفلج في آخر عمره، ودفن بباب حرب، وتوفي في ذي القَعْدة، سمع أبا الوقت وغيره، وكان دَيِّناً، صالحاً، ثِقَةً.

قال المصنف رحمه الله: أنشدني لنفسه: [من الخفيف]

حَلَّ إحسانُه عِقالَ لساني(٤) فانظروا الآن كيف نَظْمي ونَثْري
فسأُثْني عليه سِرًّا وجَهْراً وسأوليه شُكْرَ رَوْضٍ لِقَطْرِ
أيُّ عُذْرٍ إنْ صام عنه بياني وأنا الدَّهْرَ منه في يوم فِطْرِ
وأَتَمُّ الأشياءِ حُسْناً ونوراً بِكْرُ شُكْرٍ زُفَّتْ إلى صهر بِرِّ

---

(١) له ترجمة في «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ١/ ١٧٦، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٣٣٥، و«تاريخ الإسلام» للذهبي: (وفيات سنة ٦١٢هـ)، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٨٦ـ٨٧، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٥١، و«المقصد الأرشد»: ٢/ ١٨٣، و«المنهج الأحمد»: ٤/ ١١٢ـ١١٣.

(٢) بليدة كانت شرقي بغداد: «معجم البلدان» ١/ ٣١٣.

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ١/ ٣٢٩، ٣٣١، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٣٥٢، ٣٥٣، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ٥٩، و«معرفة القراء الكبار» ٣/ ١١٦٦ـ١١٦٧، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٨٨ـ٨٩، و«غاية النهاية»: ١/ ٤٧٨، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٥١ـ٥٢، و«المقصد الأرشد»: ٢/ ١٢٢، و«المنهج الأحمد»: ٤/ ١١٣ـ١١٤.

(٤) لفظ: «لساني» ليس في (ح)، وقد استدركتها من عندي تخميناً لاستقامة الوزن والمعنى، والله أعلم بالصواب. وبعض هذه الأبيات نسبت إلى أبي الفتح البستي، وهي في «ديوانه»: ٢٥٣.

عليُّ ابنُ الخليفة

أبو الحسن، الملك المعظم(١).

كان جَوَاداً، كثير الصَّدقات، وافرَ المعروف، كريمَ الأخلاق، حسن العِشْرة، مرض أياماً، وتوفي في ذي القَعْدة، وصُلِّي عليه بتاج الخليفة، وأخرج التَّابوت، وبين يديه أربابُ الدَّولة، ولم يتخلَّف سوى الخليفة، وحُمِلَ إلى تُرْبة أم الخليفة، فدفن معها في القبة.

ومن العجائب أنَّه يوم الجمعة دخل رأس منكلي على خشبة وقد زُيِّنت بغداد، وأظهر السُّرور والفرح، فلما وَصَلَ الرأس إلى باب دَرْب حبيب وافق في تلك السَّاعة وفاة ابنِ الخليفة، ووقع صراخٌ عظيم من دار الخليفة، فَرُدَّ الرأس إلى عقد اللكافين، ورُمي في بيتٍ في خان، وكوسات منكلي مشققة، وأعلامه منكسة، وانقلب ذلك السرور حُزْناً، وأمر الخليفة بالنِّياحة عليه في أقطار بغداد، ففرشوا البواري والرَّماد، وخرج العواتق من خدورهن، ونَشَرْنَ شعورهُنَّ، ولَطَمْنَ، وقام النَّوائح في كلِّ ناحية، وعَظُمَ حُزْنُ الخليفة بحيث امتنع من الطَّعام والشَّراب، وغُلِّقَتِ الأسواق، وعُطِّلَتِ الحمامات، وبَطَلَ البيع والشراء، وجرى ما لم يجر في بلد آخر.

وكان الخليفةُ قد رَشَّحه للخِلافة، وشدَّ جميع فِتْيان بغداد إليه [من العلماء والأعيان والأجناد،](٢) ففعل الله في مُلْكه ما أراد. وخلَّف ولدين: أبا عبد الله الحسين، ولقبه المُؤَيَّد، ويحيى، ولقبه الموفَّق.

[وفيها توفي

الوجيه النحوي(٣)

واسمه](٢) المبارك بن المبارك، أبو بكر، الواسطي، النحوي.

---

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٣٠٨-٣٠٩، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٣٥٤-٣٥٥، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٦١-٢٦٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٣٤٢-٣٤٣، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٥٩-٢٦٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

ولد سنة أربع وثلاثين وخمس مئة، وكان حنبلياً، ثم صار حنفياً، ثم صار شافعياً لأسبابٍ عَرَضَتْ له، وكان يقول: ما انتقلتُ عن مذهبي.

قرأ الأدب على ابنِ الخَشَّاب وغيره [(١)وبرع فيه، وكان يدرسه في النظامية، وله مقدمة قرأتها عليه، وأنشدني]، من شعره: [من السريع]

لا خيرَ في الخَمْرِ فمِنْ شأنها إفقادُها العَقْلَ وجَلْبُ الجنونْ
أَوْ أَنْ ترى الأقبحَ مُسْتَحْسناً وتُظْهِرَ السِّرَّ الخَفِيَّ المَصُونْ

وكانت وفاته في شعبان، وصلي عليه بالنِّظامية، [ودفن بالوردية عند ابن فَضْلان](٢).

منكلي بن عبد الله

[الخارج بهَمَذان](٢): قد ذكرنا أنه هَرَبَ في الليل فضَلَّ عن أصحابه، وجاء إلى بيت صديقٍ له في بعض القرى، وكان رئيسها، فنزل عليه، وكان تحته فرسٌ سابق، وعليه سلاحٌ له قيمة، فأطعمه وسقاه، ونام، فقام الرَّجل فقتله، وأخذ رأسه، وقيل: قَيَّده، ثم قتله، وحمل رأسه إلى أزبك، فبعث به إلى زين الدين، فبعث به إلى الخليفة.

السنة الثالثة عشرة وست مئة

فيها جَهَّز الخليفةُ ولَدَيْ ولده إلى ششتر، وضمهما إلى بدر الدين محمد سبط العقاب، وخرج أربابُ الدَّولة بين أيديهما، وضُربت لهما خيمةٌ أطلس تغطى بأطناب خُضْر إبْرَيْسم، ومثل ذلك السُّرادق، وعلى رؤوسهما الشَّمْسة، والمهود والأعلام خلفهما والكوسات، ومضى معهما نجاح الشَّرابي والمكين القُمِّي بالعساكر، وذلك في سابع المحرَّم، فأقاما بششتر، فلم تطب لهما، فعادا في ربيع الآخر، ولم يكن لهما هِمَّة الخلفاء، وكانَ قَصْدُ الخليفة أن يستولي على خوزستان ويستمر الحال، ويخرجا من تحت حكم الغير.

---

(١) في (ح): «وغيره ومن شعره»، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

قال المصنف رحمه الله: وفيها سافرتُ إلى خِلاط، وشرحت كتاب «روح العارفين» والنسخة بدار الحديث الأشرفية بدمشق.

وفيها توفي الملك الظَّاهر بحلب، ووَصَلَ أبو العَبَّاس عبد السَّلام ابن أبي عَصْرون رسولاً من الملك العزيز محمد إلى الخليفة يطلب تقريره على ما كان عليه أبوه.

[فصل[1]: وفيها نزل الأشرف من خلاط إلى حَرَّان في شعبان، وسألني الجلوس بجامع حران، وقال: إلى الآن ما دخلت حران. فضربت له خركاة في الجامع، وحضر وكان يوماً مشهوداً، وجلس في الخركاة، وجاء الفخر ابن تيمية الخطيب، فقعد عنده، وكتبوا إلي رقاعاً كثيرة، فجمعتُها وقلت: اتركوا هذه إلى يوم مجلس شيخكم يجيب عنها، فهو يطول روحه عليكم، أما هذا اليوم فالوقت ما يحتمل. فأعجب الأشرف، وانقضى المجلس، فقلت للأشرف: لا بد لي في هذه السنة من شيئين: الحج على بغداد، والثاني الاعتكاف بالرَّقَّة، فقال: مبارك.

وخرجت من حران في آخر شعبان أريد الرقة، وبينما أنا بين مسلة والرقة، وإذا بنجابين بينهم رجل عليه بغلطاق أحمر، فقلت لأصحابي: هذه شمائل الملك المعظم. فقالوا: المعظم في دمشق، أيش جابه إلى ها هنا! فلما قربوا منا إذا به المعظم وقد أعيت ناقته، فنزل، وتحدثنا، وأكلنا شيئاً كان معنا، وأعطانا ناقته، وأخذ فرسي، وقال: أين أخي؟ قلت: في الزَّرَّاعة. وساق][2]، واجتمعا في نواحي الرقة بالزَّرَّاعة، وفاوضه المُعَظَّم في أمر حلب، وكان الأشرف قد حلف لشهاب الدين طُغرُيل الخادم، وأَنَّه أتابك العزيز محمد ولد الظَّاهر، فَشَقَّ على المعظم، ولم يقل شيئاً، [وجاءا إلى الرقة وأنا معتكف بالخانكاة، وحضرا عندي، وسار المعظم إلى دمشق، وجهزني الأشرف إلى الحج، وعمل لي سبيلاً مثل سبيله، وتوجهت إلى بغداد][2].

وحجَّ بالنَّاس من العراق ابنُ أبي فراس، ومن الشَّام الفقيه علم الدين الجَعْبَرِي.

---

(١) في (ح): وفيها قصد المعظم الاجتماع بالأشرف، واجتمعا في نواحي الرقة بالزراعة...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[وعدت من الحج على تبوك والعلا، وجمعت بين زيارة النبي ﷺ وبين زيارة الخليل في المحرَّم، ولله المِنَّة، وفي الحديث: «من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة»[1]. وإن لم يتفق على نقل هذا الحديث الثقات، فالأعمال بالنيات][2].

وفيها توفي

أحمد بن علي بن مسعود الورّاق[3].

صنَّف كتاباً سماه «فاكهة المَجَالس وفاكهة المُجَالس» في عدة مجلدات، واختصر منه كتاباً سماه «سُلافة العنقود» ذكر فيه طُرَفاً، وكانت وفاته في رجب، ودفن بباب حَرْب.

قال المصنف رحمه الله: أنشدني في سنة خمس وست مئة: [من الطويل]

لئن قَرَّب الله النَّوى بَعْدَ بُعْدِهِ وقَرَّتْ لنا بعد العيونِ عيونُ
غَفَرْتُ لهذا الدَّهْرِ كلَّ عظيمةٍ وما كان من زَلَّاتِهِ ويكونُ

زيد بن الحسن[4]

ابن زيد بن سعيد بن عصمة بن حِمْيَر بن الحارث بن ذي رُعَيْن، أبو اليُمْن، تاج الدِّين الكِنْدي، البغدادي المولد والمنشأ، الدِّمَشْقي الدَّار.

ولد في شعبان سنة عشرين وخمس مئة، وقرأ القرآن بالرِّوايات وله عشر سنين على الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي سِبْط الشيخ أبي منصور الخَيَّاط، وهو الذي رَبَّاه، وكان خصيصاً به، وقرأ عليه كتاب «المبهج» و«الكامل» تأليف أبي محمد، وكتاب

(١) حديث باطل موضوع وانظر «تنزيه الشريعة»: ٢/ ١٧٦.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» لابن الصابوني: ص ١٢٩-١٣١، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٣٦٨-٣٦٩، و«تاريخ الإسلام» للذهبي: (وفيات سنة ٦١٣هـ)، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ٢٠٠، و«الوافي بالوفيات»: ٧/ ٢١٠-٢١١، و«بغية الوعاة»: ١/ ٣٤٧.

(٤) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٣٨٣-٣٨٥، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٦٩-٢٧٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

«الحُجَّة في القراءات» لأبي علي الفارسي، وقرأ على أبي محمد من كُتُبِ العربية «كتاب سيبويه» و«المقتضب» و«الإيضاح» و«التكملة»، وقرأ العربية أيضاً على أبي السَّعادات ابن الشَّجَري، واللغة على أبي منصور ابن الجواليقي، وسمع الحديث الكثير [من شيوخ جدي وغيرهم،][1] وفارق بغداد في سنة ثلاثٍ وستين وخمس مئة، وأقام بدمشق، واختص بعِزِّ الدين فَرُّخْشاه ابن أخي صلاح الدين، وبولده الملك الأمجد صاحب بَعْلَبَك، وانتهت إليه القراءات والرِّوايات، وعلم النحو واللغة.

قال المصنف رحمه الله: [وقرأت عليه كتاب «الصّحاح» للجوهري][1]، وكان يحضُرُ مجالسي بجامع دمشق وقاسيون، ويقول: أنا قد صِرْتُ من زبون المجلس.

وكان حسن العقيدة، [طيب الخُلُق،][1] ظريفاً، لا يسأم الإنسان من مجالسته، وله النَّوادر العجيبة.

ولما خرجتُ في سنة سبعٍ وست مئة إلى الغَزَاة كَتَبَ إليَّ كتاباً بخطِّه إلى نابُلُس، [وكان يكتب مثل الدُّرِّ][1] وفيه: [من الطويل]

جَزَى الله بالحُسْنى لياليَ أحسنَتْ ... إلينا بإيناسِ الحبيبِ المُسَافِرِ
لياليَ كانتْ بالسُّرورِ قصيرةً ... ولم تكُ لولا طِيْبُهَا بالقصائر
[فيالك وَصْلاً كان وَشْكُ انقضائه ... كزورةِ طيف أو كنغمة طائرِ][1]

وكتب إلي أيضاً: [من الطويل]

أيا ساكني قلبي على بُعْدِ دارهِمْ ... لقد عِيْلَ صَبْري منذُ شَطَّتْ نَوَاكُمُ
سرى معكمْ نومي فأصبحتُ بعدكُمْ ... ألومُ السُّرى منه وأبكي سُرَاكُمُ
رَضِيْتُمْ بعادِي عنكُمُ فَرَضِيْتُهُ ... لأنيَ أهواكُمْ وأهوى هَوَاكُمُ
شجاني غَرَامٌ لو وَفَيْتُمْ ببعضه ... لقلبِ المُعَنَّى فيكُمُ لشجاكُمُ
أعيدوا لنا عِيْدَ الوِصَالِ على اللِّوى ... سقى اللهُ أَيَّامَ اللِّوى وسَقَاكُمُ
وداووا بلُقياكم فؤادي من الضَّنى ... فهيهاتِ أَنْ يَلْقى طبيباً سواكُمُ
دَهَاني اشتياقٌ لم تُصِبْكُمْ سهامُهُ ... فيا لَيْتَهُ لما دَهَاني دهاكُمُ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وإني لأخشى أَنْ أموتَ بغُصَّتي ... عليكُمْ ولا أبقى إلى أن أراكُمُ
ولو كان قلبي كالقلوب لغيركُمْ ... لقد كانَ لَمَّا أَنْ سَلَوْتُمْ سلاكُمُ

[(١)وله ديوان شعر.

وحكى لي قال: كتبتُ] إلى الملك الأمجد إلى بَعْلَبَكَّ: [من البسيط]

لا تضجِرَنَّكُمُ كُتْبي إذا كَثُرَتْ ... فإنَّ شوقيَ أضعافُ الذي فيها
واللهِ لو مَلَكَتْ كَفِّي مهادنةً ... من اللَّيالي التي بَخْتي يعاديها
لَمَا تصرَّمَ لي في غيرِ دارِكُمُ ... عُمْرٌ ولا مِتُّ إلا في نواحيها
عُدُّوا احتمالكُمُ لي حين أُضْجركُمْ ... من الصِّلات التي منكم أُرجِّيها

[قال: فكتب إليَّ بخطه، وهي له](٢): [من البسيط]

إنَّا لَتُتْحِفُنا بالشَّوْقِ كُتْبُكُمُ ... وإنْ بَعُدْتُمْ فإنَّ الشَّوْقَ يُدْنيها
وكيف نَضْجَرُ منها وَهْيَ مُذْهِبَةٌ ... مِنْ وَحْشةِ الشَّوْقِ لوعاتٍ نُعانيها
وإنْ ذكَرْتُمْ لنا فيها اشتياقَكُمُ ... فعندنا مِنْكُمُ أضعافُ ما فيها
سَلُوا نسيمَ الصَّبا يُهْدي تحيَّتَنا ... إليكُمُ فَهْيَ تَدْري كيف تُهْدِيها

وكان الملك المعظم عيسى رحمه الله [(٣)يقرأ عليه دائماً «كتاب سيبويه» نصاً وشرحاً، و«الإيضاح» و«الحماسة»، وشيئاً كثيراً، وكان يمشي راجلاً من القلعة إلى دار تاج الدين والكتاب تحت إبطه، وكنا نجتمع، وقد ذكرنا مآخذه على الخطيب ابن نباتة في سنة أربع وسبعين وثلاث مئة.

ذكر وفاته:

توفي يوم الاثنين سادس شوال، وأنا يومئذ متوجه إلى الحج إلى بغداد،] وصُلِّي عليه بجامع دمشق، وحُمِلَ إلى قاسيون، فدُفِنَ به، ولم يتخلَّف عن جِنازته أحدٌ، وعمره ثلاث وتسعون سنة وشهر وستة عشر يوماً.

---

(١) في (ح): وكتب إلى الملك الأمجد...، و ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): وكتب إليه الملك الأمجد، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ح): وكان الملك المعظم عيسى رحمه الله يمشي من القلعة راجلاً إلى داره والكتاب تحت إبطه يقرأ فيه، وتوفي الكندي يوم الاثنين سادس شوال، وصلي عليه بجامع دمشق...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

سمع أبا منصور القَزَّاز، وروى عنه «تاريخ الخطيب»، وروى «طبقات ابن سعد» بالإجازة عن قاضي المارَسْتان.

وسمع ابن ناصر، وابنَ السمرقندي، والأنماطي، ومحمد بن عبد الباقي الأنصاري، وأبا القاسم الحريري، وسعد الخَيْر الأندلسي، وخَلْقاً كثيراً، وكان صدوقاً، ثِقَةً.

سعيد بن حمزة بن أحمد[1]

أبو الغنائم، [ويقال له][2] ابن ساروخ، الكاتب [النِّيْلي][2] العراقي.

ولد بالنِّيْل سنة ثماني عشرة وخمس مئة، [وسمع شيوخ ذلك العَصْر، وسافر إلى الشام والروم، ومدح الملوك والأمراء، وذكره العماد في «الخريدة»[3]، وعاد إلى بغداد، فكبر وأسنّ، وانقطع في بيته إلى آخر عمره، وقد سمع ببغداد من أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحَرَّاني الشاهد، وغيره، و][2] كان بارعاً، وله رسائلُ ومكاتباتٌ، وأشعارٌ [رائقة، وألفاظ فائقة شائقة، فمن شعره ما هو أرقّ من نسائم الأسحار إذا هزَّت أفنان الأشجار][2]، فمن شعره: [من البسيط]

يا شائمَ البَرْقِ من نجديٍّ كاظمةٍ ... يَبْدُو مراراً وتُخْفيه الدَّياجِيْرُ
إذا سُقِيْتَ الحيا مِنْ كلِّ مُعْصِرَةٍ ... وعاد مَغْناكَ خِصْباً وهو ممطورُ
سَلِّمْ على الدَّوْحة الغَنَّاء من سَلَمٍ ... وعَفِّرِ الخَدَّ إنْ لاح اليعافِيْرُ
أَحِنُّ شَوْقاً إلى تلك الرِّياض وقد ... ضاها بنفسجَها وَرْدٌ ومَنْثُورُ
ومالتِ السَّرْوُ في خُضْر الثِّيابِ كما ... تمايلتْ في الحرير الأَخْضرِ الحُوْرُ
والغُصْنُ سكرانُ من طلِّ النَّدى فإذا ... دعا ابنُ وَرْقاءَ أضحى وهو مخمورُ
وهاتفاتٍ على الأغصانِ قد رَقَدَتْ ... عنهنَّ في غَسَقِ الدَّاجي النَّواطيرُ
فَظَلْنَ يَسْجَعْنَ حتى كِدْتُ مِنْ وَلَهي ... أقضي ولكنَّما في العُمْرِ تأخيرُ
لكنَّ وَجْدِي بترجيع الهَدِيْل وما ... غَرَّدْنَ باقٍ إلى أن يُنفخ الصُّوْرُ

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٣٨٢-٣٨٣، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٧٦-٢٧٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) لم أقف على ترجمته في الأجزاء المطبوعة من «الخريدة».

وكانت وفاته ببغداد في رمضان، [ولم يذكر العماد وفاته، لأن وفاة العماد تقدمت عليه.

وفيها توفي

عبد الله بن أبي بكر بن أحمد(١)

ويعرف بابن السِّنْدان، الحَرْبي.

خدمني في الحربية مُدَّة، وسمعت منه الحديث، وهو آخر من روى عن أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن يوسف، وسمع ابن الطلاية وغيره، وعاش تسعين سنة، وبلغني أنه توفي في ذي الحجة، ودفن بباب حرب، وكان شيخاً، صالحاً، ثقة](٢).

غازي بن يوسف الملك الظاهر صاحب حلب(٣)

ولد بالقاهرة سنة ثمانٍ وستين وخمس مئة، وكان قعدداً بالملك، مهيباً، له سياسةٌ وفِطْنة، ودولتُه معمورةٌ بالعلماء والفُضَلاء، مزينةٌ بالملوك والأُمراء، وكان مُحْسناً إلى الرَّعية والوافدين عليه، وحَضَرَ معظم غزوات والده.

ولما استقرَّ العادل بدمشق ضَمَّ إليه الأُمراءَ الصَّلاحية كميمون القَصْرِي، والمبارز ابن يوسف بن خُطْلخ الحلبي، وسرا سُنْقُر الحلبي، وأيبك فُطَيْس، وغيرهم.

وكان في دولته من أرباب العمائم: القاضي بهاء الدين بن شَدَّاد، والشريف الافتخار الهاشمي، والشريف النَّسَّابة، وبنو العَجَمي، والقَيْسراني، وبنو الخَشَّاب وغيرهم.

وكان ملجأ للغُرَباء وكهفاً للفقراء، يزور الصَّالحين ويعتقدهم، ويغيث الملهوفين ويرفدهم، وكان يتوقَّد ذكاء وفِطْنة، سريعَ الإدراك.

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٣٥٥-٣٥٦ ، و«المختصر المحتاج إليه»: ٢/ ١٧٩ ، و«تاريخ الإسلام»: (وفيات سنة ٦١٢هـ)، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٥٠ ، وقد ذكروا وفاته في ذي الحجة سنة (٦١٢هـ).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٣١٣-٣١٤ ، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٣٦٨ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٦٧-٢٦٩ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٢٩٦-٢٩٩ ، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

[(١)جلستُ عنده في سنة اثنتي عشرة وست مئة، وكان الأشرف قد أرسلني إليه في قضايا لا يطلع عليها كاتب، وكتب كتاباً بيده إلى الظاهر، وكان جلوسي في يوم أَخْذِ ابن لاون أنطاكية، وقد ذكرته.

وكان بحلب فقير يحضر مجالسي قبل ذلك في سنة ثلاث وست مئة وأربع وخمس، وكان ذلك الفقير يقوم في المجلس ويصيح: واه، واه، فيزعج الحاضرين، وكان صالحاً، والظاهر أنه تغيَّر حاله فيما بعد ذلك، فلما جلست في سنة اثنتي عشرة عند الظّاهر، بقي ذلك الفقير يحترق، ويقول: كيف أعمل. ويردِّدها. فقال الظاهر: قدموه إلى عندي. فقدموه، فقال له: هذا الذي يقوله الشيخ ما هو مليح؟ قال: بلى. قال: فإن أردت أن تصيح صيح. فعجب الحاضرون.

وحضر في ذلك المجلس رجل عجمي، يُقال له أبو بكر النصبة، وكان صالحاً، وكان يحمل عصا أبنوس، فطابت قلوب الجماعة في ذلك اليوم، وبكوا، فقام النصبة، وجاء إلى الظاهر، وقال له: أنت فرعون، ما تتحرك؟ وثار في وجه النصبة مثل التفاحتين، وخرج من المجلس، فمات بعد ثلاث.

وحضرنا] عنده يوم الخميس في دار العَدْل، فجيء بامرأةٍ قد كَذَبَتْ على شخص، واعترفت بالكذب، فقال لابنِ شداد القاضي: ما يجب عليها؟ قال: التأديب. قال: تضرب بالدِّرَّة شريعةً، ويُقطَع لسانها سياسةً، فقلت له: الشَّريعة هي السياسة الكاملة، وما عداها يكون تعاطياً عليها. فأطرق، فأُدِّبَتِ المرأةُ، وسَلِمَتْ من قَطْع اللِّسان، [وله من هذا الجنس نوادر في الموارد والمصادر](٢).

وتوفي ليلة الثلاثاء العشرين من جُمادى الآخرة بعِلَّة الذَّرَب، ودُفِنَ بقلعة حلب، ثم نُقِلَ بعد ذلك إلى مدرسته التي أنشأها، وقام بعده ولده الملك العزيز محمد، وشهاب الدين طُغْريل الخادم أتابكه، وقد اطَّرد هذا في قلعة حلب، قَلَّ أن يموت سُلْطان ويخلِّف ولداً صغيراً إلا ويكون أتابكه والقيِّم بأمره خادماً، [وقد ذكرناه فيما تقدَّم](٢)، وعزل وزيره

(١) في (ح): وكان يتوقد ذكاءً وفطنة، سريع الإدراك. قال المصنّف رحمه الله: حضرت عنده يوم الخميس...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

شمس الدين بن أبي يعلى المَوْصلي، ومضى إلى الرُّوم، وقام طغريل بأمر الملك العزيز أحسن قيام [وأجمل نظام](١)، واستمال الملكَ الأشرفَ، يُدنيه متى شاء، [ويقصيه متى شاء](١)، فحفظ الممالك بحسن تدبيره، [ورَدَّ كيدَ الأعداء في نحورهم بتحريره](١).

محمد بن عبد الغني الحافظ(٢)

المَقْدِسي، عِزُّ الدِّين.

ولد سنة ستٍّ وستين وخمس مئة، وسمع الحديث، ورحل إلى أَصْبهان، ثم عاد إلى بغداد، [وقرأ «مسند» الإمام أحمد ببغداد، وسمع أبا الفرج ابن الجوزي وغيره،](٣) وعاد إلى دمشق، وكانت له حَلْقَةٌ بجامع دمشق، وصحب الملك المعظَّم عيسى، وسمع بقراءته الكثير، وكان حافظاً، دَيِّناً، زاهداً، وَرِعاً، وتوفي بقاسيون.

محمد بن علي بن المبارك(٤)

أبو الفتوح، الجَلاجلي، البغدادي، التَّاجر، ويلقَّب بالكمال.

ولد سنة إحدى وأربعين وخمس مئة، وقرأ القرآن، وسافر إلى الأقطار، وسمع الشُّيوخ، وكان يتردَّدُ من الخليفة إلى الأشرف في رسائل مخفية، وتوفي بالقُدْس، ودفن بماملَّه(٥)، وكان عاقلاً دَيِّناً، صالحاً، ثِقَةً، صدوقاً، متواضعاً، بَسَّاماً.

محمد بنُ يحيى بن هبة الله(٦)

أبو نَصْر، ابن النَّخَّاس، الواسطي، وبها توفي، ومن شعره [من الطويل]:

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٣٨٥ـ٣٨٦، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٧٧-٢٧٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٤٢ـ٤٤، و«طبقات علماء الحديث»: ٤/ ١٨٣ـ١٨٥، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من «المذيل على الروضتين».

(٤) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٣٤٤ـ٣٤٥، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٧٨، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وقد ذكره المنذري في وفيات سنة (٦١٢هـ)، وهذا الصواب.

(٥) ماملَّه: وهي المقبرة التي تزار بالقدس الشريف، انظر «المذيل»: ١/ ٢٩٧.

(٦) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٣٧١، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٧٨-٢٧٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وقـائـلـةٍ لـمَّـا عَـمِـرْتُ وصـار لـي ثـمـانـون عـامـاً عِـشْ كـذا وابْـقَ واسْـلَـمِ
ودُمْ وانـتَـشِـقْ روحَ الـحـيـاةِ فـإنَّـه لأَطْـيَـبُ مِـنْ بـيـتٍ بـصَـعْـدَةَ مُـظْـلِـمِ
فـقـلـتُ لـهـا عُـذْري لـديـك مُـمَـهَّـدٌ بـبـيـتِ زهـيـرٍ فـاعْـلَـمـي وتَـعَـلَّـمـي
سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومَنْ يعشْ ثـمـانـيـنَ حَـوْلاً لا مـحـالـةَ يَـسْـأَمِ

يحيى بن محمد(١)

ابن محمد بن محمد بن محمد [أربع مرات](٢)، أبو جعفر، العَلَوي، الحسني البَصْري [ويعرف بابن أبي زيد](٢)، ولي نقابة الطَّالبيين بالبَصْرة بعد أبيه مُدَّة، وقرأ الأدب [على أبي عليّ بن الأحمر الحِمَّاني بالبَصْرة، وسمع الحديث من أبيه وغيره](٢).

ومولده سنة ثمانٍ وأربعين وخمس مئة، وقدم بغداد، ومدح الإمام النَّاصر بقصائد [وكان رقيق الشِّعْر، مليحَ النَّظْم، وأجاز لي شعره](٢)، وتوفي ببغداد في رمضان، ودفن بمقابر قريش، ومن شعره: [من البسيط]

هـذا الـعـقـيـقُ وهـذا الـجَـزْعُ والـبـانُ فـاحـبـسْ فـلـي فـيـه أوطـارٌ وأوطـانُ
آلـيـتُ والـحُـرُّ لا يـلـوي أَلِـيَّـتَـه أنْ لا يَـلَـذَّ بـطِـيْـبِ الـنَّـوْمِ أجـفـانُ
حـتـى تـعـودَ لـيـالـيَّ الـتـي سَـلَـفَـتْ بـالأَجْـرَعَـيْـنِ وجـيـرانـي كـمـا كـانـوا
أيَّـام أغـصـانِ وَصْـلـي غـيـر ذاويـةٍ ورَوْضُـهـا خَـضِـلٌ والـعُـمْـرُ ريـعـانُ
يـا حـبَّـذا شـجـرُ الـجَـرْعـاءِ مـن شَـجَـرٍ وحـبَّـذا رَوْضُـهُ الـمُـخْـضَـلُّ والـبـانُ
إذا الـنـسـيـمُ سـرى مـالـتْ ذوائِـبُـهُ كـأنَّـمـا الـغُـصُـنُ الـمـمـطـورُ سَـكْـرَانُ
فـلـلـنَّـسـيـمِ عـلـى الأغـصـانِ هَـيْـنَـمَـةٌ ولـلـحَـمَـامِ عـلـى الأَفْـنـانِ أَلْـحـانُ
وبـارقٍ لاحَ والـظَّـلْـمـاءُ داجـيـةٌ والـنَّـجْـمُ فـي الأُفُـقِ الـغَـرْبـيِّ حَـيْـرانُ
هـفـا فـذكَّـرَنـي هـيـفـاءَ ضـاحـكـةً فـلـم أَنَـمْ وعـرى هَـمٌّ وأحـزانُ
كـتـمـتُ حُـبَّـكِ والأجـفـانُ تُـظْـهِـرُهُ ولـيـس لـلـحُـبِّ عـنـد الـعـيـن كِـتْـمـانُ
غادرتِ بالغَدْرِ في الأحشاءِ نار جَوًى ومُـذْ هـجـرتِ فـفـيـضُ الـدَّمْـعِ غُـدْرانُ

(١) له ترجمة «التكملة» للمنذري: ٢/ ٣٧٩، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٧٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[وكانت وفاته ببغداد، ودفن بمقابر قريش، وكان صدوقاً ثقة][(١)].

السَّنة الرّابعة عشرة وستّ مئة

فيها قدم شيخ الشيوخ صدر الدين بن حَمُّويه إلى بغداد رسولاً من العادل، و[قدم بعده][(١)] ولده فخر الدين رسولاً من الكامل، وخَلَعَ عليه خِلْعةً بطَيْلَسان.

وذكر محيي الدِّين محمد بن يحيى بن فَضْلان الدَّرْس في النِّظامية.

وفيها زادت دِجْلة زيادةً عظيمة، وركب الخليفة في شَبَّارة، وخاطب النَّاس وتأوَّه لهم، وقال: لو كان هذا الماء يُرَدُّ بمالٍ أو حَرْبٍ دفعتُهُ عنكم، ولكنَّ أمرَ الله، ما لأحدٍ فيه حِيْلة. وانهدمت بغدادُ بأَسْرها والمحالّ، ووصل الماء إلى رأس السُّور، وبقي مقدار أصبعين ويَطْفَحُ عليه[(٢)]، وأيقنَ النَّاسُ بالهلاك، ودام سبعَ ليالٍ وثمانية أيامٍ حسوماً، ثم نَقَصَ الماء، وبقيت بغداد [من الجانبين][(١)]، تلولاً لا أثر لها[(٣)].

وفيها قدم محمد خوارزم شاه إلى هَمَذَان على قَصْدِ بغداد في أربع مئة ألف [على ما قيل][(١)] وقيل: ست مئة ألف، واستعدَّ له الخليفة، وفرَّق الأموال والسِّلاح، وأرسل إليه الشِّهاب السُّهْرَوَرْدِي في رسالةٍ فأهانه، واستدعاه، وأوقفه إلى جانب تخته، ولم يأذن له في القعود، فحكى الشِّهاب قال: استدعاني، فأتيتُ إلى خيمةٍ عظيمة لها دِهْليز لم أر في الدُّنيا مِثْلَه، والدِّهْليز والشُّقَّة أطلس، والأطناب حرير، وفي الدِّهْليز ملوكُ العجم على اختلاف طبقاتهم، [منهم][(١)] صاحب هَمَذَان وأصبهان والرَّي وغيرها،

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) عدّ الذهبي هذا الخبر من مجازفات سبط ابن الجوزي، انظر «السير»: ٢٢/ ٢٣٠-٢٣١.

(٣) إلى هنا ينتهي الجزء الثاني من نسخة (م) وجاء في آخرها: تمّ الجزء الرّابع عشر من «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان»: لابن الجوزي قدس الله روحه، ونور ضريحه، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

يتلوه إن شاء الله تعالى في الجزء الخامس عشر السنة الرابعة عشرة وست مئة، وافق الفراغ من نسخه في الحادي عشر من شهر شوال سنة خمس وثلاثين وسبع مئة، أحسن الله عاقبتها.

قلت: وسيكون اعتمادي من هنا وحتى آخر الكتاب في إثبات زيادات هذا المختصر من «مرآة الزمان» على النسخة (ش).

فدخلنا إلى خيمةٍ أُخرى إبْرَيْسَم وفي دِهْليزها ملوك خُرَاسان: مرو ونَيْسابور وبَلْخ وغيرهم، ثم دخلنا خيمةً أخرى وملوك ما وراء النَّهر في دِهْليزها كذلك ثلاث خيام، ثم دخلنا عليه وهو في خركاة عظيمة من ذهب، وعليها سجافٌ مُرَصَّع بالجواهر وهو صبيٌّ له شعراتٌ قاعدٌ على تخت ساذج، وعليه قَبَاء بخاريٌّ يساوي خمسة دراهم، وعلى رأسه قطعةٌ من جلد تساوي دِرْهماً، فَسَلَّمْتُ عليه، فلم يَرُدَّ، ولا أمرني بالجلوس، فشرعتُ، فخطبتُ خُطْبةً بليغة ذكرتُ فيها فَضْلَ بني العَبَّاس، ووصفتُ الخليفةَ بالزُّهْد والورع والتُّقى والدِّين، والتّرجمان يعيد عليه قولي، فلما فرغتُ قال للترجمان: قُلْ له هذا الذي تصفه ما هو في بغداد. قلتُ: نعم. قال: [أنا][1] أجيء وأُقيم خليفةً يكون بهذه الأوصاف. ثم ردَّنا بغير جواب، ونزل الثَّلْج عليهم، فهلكت دوابُّهم، وركب خوارزم شاه يوماً، فعثرت به فرسه، فتطيَّر، ووقع الفساد في عَسْكره، وقلَّتِ الميرةُ، وكان معه سبعون ألفاً من الخطا، فردَّه الله، ونكب تلك النكبة العظيمة، وسنذكرها إنْ شاء الله تعالى.

وفيها انفسختِ الهُدْنة بين المُسْلمين والفرنج، وجاء العادل [من مصر بالعساكر فنزل على بيسان، والمعظم عنده في العساكر الشامية، وخرج الفرنج][1] من عكا، ومقدَّمهم ملك الهنكر في خمسة عشر ألفاً، وكان شجاعاً مقداماً، فنزلوا عين الجالوت، ومعه جميع ملوك السَّاحل، فلما أصبحوا ركب الهنكر في أوائلهم، وقَصَدَ العادل، [وكان العادل على تل بَيْسان][1]، فنظر، فرأى أَنَّه لا قِبَلَ له بهم، فتأخَّر، فقال له المُعَظَّم: إلى أين؟ فشتمه بالعجمية، وقال: بمن أقاتل؟ أقطعتَ الشَّام مماليكك، وتركتَ أولادَ النَّاسِ الذين يرجعون إلى الأُصول! [وذكر كلاماً في هذا المعنى][1]، وساق، فعبر الشَّريعة عند برفا، وجاء الهنكر إلى بَيْسان، وبها من الأسواق والغلال والمواشي شيء لا يعلمه إلا الله تعالى، فأخذ الجميع، وارتفع العادل إلى عَجْلُون، ومضى المعظم، فنزل بين نابُلُس والقُدْس على عقبة اللبن خوفاً على القُدْس، وأقام الفرنج على بَيْسان ثلاثة أيام، ورحلوا طالبين قَصْرَ ابن معين

(١) ما بين حاصرتين من (ش)، وانظر «المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٨٤ .

الدِّين، وسار العادل، فنزل رأس الماء، وصَعِدَ الفرنج عقبة الكرسي إلى خربة اللصوص والجولان، وأقاموا ثلاثة أيام ينهبون ويقتلون ويأسرون، ثم عادوا، فنزلوا الغَوْر، وبَعَثَ العادل أثقاله ونساءَه إلى بُصْرى، وأقام على رأس الماء جريدةً، ولما نزل الفرنج الغَوْر جاء العادل، فنزل عالقين.

حديث صعودهم إلى الطُّور:

لما رجعوا من خربة اللصوص، ووصلوا إلى تَلِّ الفرس قريباً من نوى، رجعوا نزلوا تحت الطُّور يوم الأربعاء ثامن عشرين شعبان، وأقاموا إلى يوم الأحد ثاني رمضان، وكان يوماً كثير الضَّباب، فما أحسَّ بهم أهلُ الطُّور إلا وهم عند الباب قد ألصقوا رماحهم بالسُّور، ففتح المسلمون الباب، وخَرَجَ إليهم الفارس والرَّاجل، وقاتلوهم حتى رَمَوْهُمْ إلى أسفل الطُّور، فلما كان [يوم الثلاثاء][1] رابع رمضان طلعوا بأَسْرهم، ومعهم سُلَّمٌ عظيم، فزحفوا من ناحية باب دمشق، وألصقوا السُّلَّم بالسُّور، فقاتلهم المسلمون قتالاً لم يجر في الإسلام مثله، ودخلتْ رماحُ الفرنج من المرامي من كلِّ ناحية، فضرب بعض الزَّرَّاقين السُّلَّم بالنِّفْط، فأحرقه، وقتل عنده جماعة من أعيان الفرنج منهم كند كبير، فلما رأوه مقتولاً صاحوا وبكوا، وكسروا عليه رماحهم. واستشهد في ذلك اليوم من أبطال المسلمين بدر الدين محمد بن أبي القاسم، وسيف الدين بن المَرْزُبان، وكانا من الصَّالحين الأجواد، وأغلق المسلمون بابَ الطُّور، وجبن جماعة منهم عن القتال، ونسبوا معن الحداثي إلى ذلك، ولم يكن كما قالوا، وإنما غُلب النَّاس لما رأوا ابن أبي القاسم وابن المَرْزُبان مقتولين، وبات النَّاس عشية الأربعاء يداوون جراحاتهم، وضربوا مشورة، واتفقوا على أنَّهم يقاتلون قتالَ الموت ولا يُسَلِّمون أنفسهم لئلا يجري عليهم ما جرى على أهل عكا. وكان في الطُّور أبطال المسلمين، وخيار عسكر الشام، فقال الأمين الحلبي[2] في ذلك: [من البسيط]

قُلْ للخليفةِ لازالتْ عساكِرُهُ ... لها إلى النَّصْرِ إصْدارٌ وإيرادُ

إنَّ الفرنج بحِصْنِ الطُّور قد نزلوا ... لا تَغْفُلَنَّ فحِصْنُ الطُّورِ بغدادُ

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ستأتي ترجمته ص٣٩٢ من هذا الجزء.

[وأنشدني إياها الأمين الحلبي][١] وبات النَّاس على عَزْمِ القتال، وأوقد الفرنج حول الطور النِّيران، فلما كان وقتُ السَّحَر يوم الخميس سادس رمضان رحلوا طالبين عكا، وجاء المُعَظَّم، فصَعِدَ الطُّور، وبكى على بدر الدين بن أبي القاسم وابن المَرْزُبان، ومَنْ قُتِلَ، وأطلقَ المالَ والخِلَعَ، وطيَّب قلوبَ النَّاس، ثم اتَّفق العادلُ والمعظم على خراب الطُّور في السنة الآتية، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها وصل الفرنج جزِّين؛ ضيعة قريبة من مَشْغَرى، ولما عادوا من الطُّور، فقصد ابن أُخت الهنكر صيدا وقال: لابُدَّ لي من أهل هذا الجبل. فنهاه صاحبُ صيدا، وقال: هؤلاء رماة، وبلدهم وَعْرٌ. فلم يقبل، وصَعِدَ في خمس مئة من أبطال الفرنج إلى جزِّين ضيعة الميادنة، فأخلاها أهلُها، وجاء الفرنج، فنزلوا بها، وترجَّلوا عن خيولهم ليستريحوا، فتحدَّرَتْ عليهم الميادنة من الجبال، فأخذوا خيلهم، وقتلوا عامَّتهم، وأسروا ابنَ أُخت الهنكر، وهرب مَنْ بقي منهم نحو صيدا، وكان معهم رجلٌ يقال له الجاموس من المُسْلمين قد أسروه، فقال لهم: أنا أعرف إلى صيدا طريقاً سهلاً أوصلكم إليها. قالوا: إنْ فعلتَ أغنيناك. فسَلَكَ بهم أوديةً وعرة، والمسلمون خلفهم يقتلون ويأسرون، ففهموا أَنَّ الجاموس غَرَّهم فقتلوه، ولم يُفْلت إلى صيدا سوى ثلاثة أنفس بعد أن كانوا خمس مئة، وجاؤوا إلى دمشق بالأسارى، وكان يوماً عظيماً.

وحجَّ بالنَّاسِ من العراق ابنُ أبي فراس[٢].

وفيها توفي

إبراهيم بن عبد الواحد[٣]

ابن علي بن سرور، أبو إسحاق، الشيخ العماد المقدسي، [أخو الحافظ عبد الغني، الزاهد العابد الورع][١] الحَنْبَلي.

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) عقب هذا ستأتي في (ش) ترجمة بهاء الدين أحمد بن أبي الفضائل الميهني، وستأتي في (ح) عقب ترجمة العماد المقدسي.

(٣) له ترجمة «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤١٣ـ٤١٤ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٨٧-٢٩١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

ولد بجمَّاعيل سنة ثلاثٍ وأربعين وخمس مئة [وكان الحافظ أسن منه بسنتين][(١)]، وهاجر [من جمَّاعيل][(١)] إلى دمشق سنة إحدى وخمسين وخمس مئة، ثم سافر إلى بغداد، وقرأ القرآن علي أبي الحسن علي بن عساكر بن المرحب البطائحي وغيره، وسمع الحديث الكثير [ببغداد ودمشق][(١)] وكان معتدل القامة، شعره إلى أُذُنيه، مليحَ الوَجْه، بَسَّاماً، عابداً، مجتهداً، لا يدَّخر من الدُّنيا شيئاً، حَسَنَ الصَّلاة، كثيرَ السجود والدُّعاء، يُقْرِىء القرآن والفِقْه دائماً في الحَلْقة بجامع دمشق، ويجتمع إليه الطلبة كلَّ ليلة بعد العِشاء الآخرة، فيحملهم إلى بيته، ويُحْضر لهم من الطَّعام ما تيسَّر، وما تعرف إلى أحدٍ من أبناء الدُّنيا قَطُّ لا إلى سُلْطان ولا غيره.

ولا تحرَّك حركةً، ولا مشى خطوةً، ولا تكلَّم كلمةً إلا لله تعالى، وكان يتعبَّد بالإخلاص، [(٢)ولقد رأيته مراراً في الحَلْقة بجامع دمشق، والخطيب يوم الجمعة على المنبر، فيقوم عماد الدين، ويأخذ الإبريق] ، ويضع بلبلته في فِيْه على رؤوس الأشهاد يوهم النَّاس أنَّه يشرب، وهو صائم.

[(٣)**ذكر ثناء الشيخ الموفق عليه، كان يقول**]: أعرفُ العماد من صِغَره، وما عرفتُ أنَّه عصى الله تعالى قَطُّ، وكان من خِيار أصحابنا، وأعظمهم نَفْعاً، وأشدِّهم عبادةً وورعاً، وأكثرهم صَبْراً على تعليم القُرْآن والفِقْه، داعيةً إلى السُّنَّة، أقام بدمشق يعلِّمُ الفقراء، ويُطْعِمُهُمْ، ويبذُلُ لهم ماله ونفسه [وطعامه][(١)]، وما رأيتُ أشدَّ خوفاً منه لله تعالى، وكان من أشدِّ النَّاس تواضعاً، واحتقاراً لنفسه، كثير الدُّعاء والسؤال، طويلَ الركوع والسجود، يصوم يوماً، ويُفطر يوماً، وكان إذا سُمِعَ عليه جزءٌ، وكتبوا [على ظهره][(١)]: سُمِعَ على العالم الورع، ينهاهم عن ذلك.

وسافر إلى بغداد مَرَّتين: الأُولى في سنة تسع وستين وخمس مئة صحبةَ الشيخ موفق الدِّين ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بعد أن حَفِظَ القرآن وغريب الحديث، والخِرَقي، وتفقَّه ببغداد على أبي

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح): وكان يقوم يوم الجمعة في حلقة الحنابلة بجامع دمشق، والخطيب على المنبر، فيأخذ الإبريق...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في (ح): وقال الشيخ موفق الدين رَحِمَهُ اللَّهُ، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

الفَتْح ابن المَنِّي، وأفتى وناظر. والسفرة الثانية سنة إحدى وثمانين صحبة عز الدين ابن أخيه، وصنَّف كتاب «الفروق بين المسائل الفقهية» وكتاب «الأحكام»، ولم يتمَّه.

[وكان يحضر مجالسي دائماً بجامع دمشق وقاسيون، ولا ينقطع إلا من عذر، ويقول: صلاح الدين يوسف فتح الساحل وأظهر الإسلام، وأنت يوسف أحييت السُّنَّة بالشام. وكان يزورني، ويتبسَّط إليَّ، ويحب مجالسي][(١)].

ذِكْرُ وفاته:

لما كان عَشِيَّة الأربعاء سادس عشر ذي القَعْدة صَلَّى المغرب بجامع دمشق، وكان صائماً، وأفطر في داره على شيء يسير، فجاءه الموتُ في الليل، فجعل يقول: يا حيُّ يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام. وتوفي، فَغُسِّل وقتَ السَّحَر، وأُخرجت جنازته إلى جامع دمشق، فما وسع النَّاسَ الجامعُ، وصلى عليه شيخنا موفق الدين بعد جهد [جهيد][(١)]، وكان يوماً لم يُرَ في الإسلام مِثْلُه؛ كان أَوَّلُ النَّاس عند مغارة الدَّم ورأس الجبل إلى الكهف، وآخرهم بباب الفراديس، ولولا [المبارز][(١)] المعتمد ـ رحمه الله ـ وأصحابه لقطعوا أكفانه، وما وصل إلى الجبل إلى آخر النَّهار.

قال المصنف رحمه الله: وتأمَّلْتُ النَّاس من أعلى قاسيون إلى الكهف إلى قريب الميطور لو رمى الإنسانُ عليهم إبرةً لما ضاعت، فلما كان في الليل نمتُ وأنا مفكِّر في جنازته، وذكرتُ أبيات سفيان الثَّوْري التي أنشدها في المنام [الذي من جملتها هذا البيت النفيس][(١)]: [من الطويل]

نظرتُ إلى ربي كِفاحاً وقال لي ... هنيئاً رضائي عنكَ يا ابنَ سعيد

وقد ذكرتُ الأبيات في ترجمة سُفْيان، وقلت: أرجو أَنَّ العماد يرى رَبَّه كما رآه سُفْيان عند نزول حُفْرته، ونمتُ، فرأيتُ العماد في النوم، وعليه حُلَّةٌ خضراء، وعِمامة خضراء، وهو في مكانٍ متَّسع كأنَّه رَوْضة، وهو يرقى في دَرَج مرتفعة، فقلتُ: يا عمادَ الدِّين، كيف بِتَّ، فإني والله مفكِّرٌ فيك؟ فنظر إليَّ، وتبسَّم على عادته، وقال: [من الطويل]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

رأيتُ إلهي حين أُنْزِلْتُ حُفْرتي وفارقتُ أصحابي وأَهْلي وجِيْرَتي
فقال جُزِيْتَ الخيرَ عنِّي فإنَّني رضيتُ فما عَفْوي لديك ورَحْمتي
دأبتَ زماناً تأمُلُ الفوز والرِّضى فَوُقِّيْتَ نيراني ولُقِّيْتَ جَنَّتي

فانتبهتُ مرعوباً، وكتبتُ الأبيات.

(١)[سمع ببغداد أبا محمد بن الخشَّاب النَّحوي، وشُهْدة الكاتبة، وعبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن يوسف، وغيرهم، وبالشام أبا المكارم عبد الواحد بن محمد ابن المُسَلَّم، وسلمان بن علي الدمشقي، وعبد الله بن صابر وغيرهم، وروى لنا عنهم]، ورثاه جماعةٌ؛ منهم الصَّلاح موسى بن الشِّهاب، [وكان الصَّلاح عارفاً، أديباً، ذا معرفة بالشِّعْر والأدب، فاضلاً، عاقلاً، ظريفاً، حلو الشعر والمنطق](٢)، فقال: [من البسيط]

الحمدُ لله في كلِّ الأمورِ فما يقضي الإله علينا فَهْوَ مَقْبولُ
نرضى بما جاءنا منه ونشكره على الرُّؤوسِ قضاءُ الله محمولُ
أُسائِلُ القَلْبَ عن صبري فنفقده وأسألُ النَّوْمَ عَيْني وهو تعليلُ
يا شيخنا يا عمادَ الدِّين قد قَرِحَتْ عيني وقلبي منك اليوم مَتْبُولُ
أصبحتُ بعدك في هَمٍّ وفي حَزَنٍ وإنَّني بسيوف الغَمِّ مقتولُ
أوحشتَ والله رَبْعاً كنتَ تسكنه لكنَّه الآن بالأحزانِ مأهولُ
كم ليلةٍ بتَّ تُحييها وتَسْهَرُها والدَّمْعُ من خشيةٍ لله مَسْبولُ
وسجدةٍ طالما طالَ القنوتُ بها قد زانَها منكَ تكبيرٌ وتهليلُ
فاليومَ بعدك ركنُ الدِّين منهدمٌ وطالبُ العِلْم حيرانٌ ومخذولُ
قد كنتَ للسُّنَّةِ الغَرَّاء تنصرها إذْ أنتَ سيفٌ على الأعداءِ مسلولُ
يا ذا الذي كان للدُّنيا يزيِّنُها كأنَّه في جبينِ الدَّهْرِ إكليلُ
وما يدومُ سوى وجه الإله وقد جاءتْ بذلك آثارٌ وتنزيلُ

(١) في (ح): سمع من خلق كثير، وروى عنهم...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).
(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

أحمد بن أبي الفَضَائل بهاء الدِّين المِيْهَني[١]

شيخ رباط الخِلاطية، [من بيت التصوف][٢]، كان أبوه أبو الفضائل عبد المنعم شيخ المشايخ، وسيِّدَ الصُّوفية، وسَلَّم الخليفة إلى بهاء الدين رباط الخلاطية [وأوقافها][٢] ثقةً به [من غير مُشْرف ولا عَمَل حساب، فأقام مدة، فقصده الناس من البلاد وأطراف بغداد وأرباب البيوت والفقراء والفقهاء والأعيان،][٢] فما رَدَّ قاصداً، ولا منع سائلاً، وكان له الجاه العظيم [والذكر الجميل][٢].

وكان له عبدٌ أسود اسمه ريحان، فخان في المال، وبلغ الخليفة، فأخذه، فأَقَرَّ، وقال: المال عند أُخت بهاء الدين، فعزل [بهاء الدين عما كان عليه][٢]، ورأى الذُّلَّ [والهوان بعد العز والإمكان][٢] ومرض [بهاء الدين في تلك الحالة، فولى الخليفة القاضي الزنجاني أمر الرباط،][٢] وحُمل [بهاء الدين][٢] إلى بيت أخته [على نهر عيسى][٢]، فتوفي ثامن رحب، ودفن في الشُّونيزية في صُفَّة الجنيد عند أبيه.

[سمع شهدة الكاتبة وابن البطي وغيرهما، وصحب أباه، وأخذ عنه طريقة التصوف][٢].

عبد الصمد بن محمد[٣]

ابن أبي الفَضْل بن علي بن عبد الواحد، أبو القاسم، القاضي جمال الدين، الحَرَسْتاني الأنصاري، شيخ القضاة.

ولد بدمشق سنة عشرين وخمس مئة، ونشأ بها، وسمع من مشايخها، ورحل إلى حلب، فسمع من الحافظ المُرَادي وغيره، وعاد إلى دمشق، وولي القضاء في زمن

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٣٣٢ ، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٠٥ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٨٦-٢٨٧ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤١٥-٤١٦ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٩١-٢٩٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

العادل، وكان زاهداً عابداً ورعاً عفيفاً [نَزِهاً][١]، لا تأخذه في الله لومةُ لائم، [واتفق أهل دمشق على أنه][٢] ما فاتته صلاةٌ بجامع دمشق في جماعة إلا إذا كان مريضاً، وكان ينزل من بيته في الحُوَيرة في سُلَّم طويل، فيصلِّي ويعود إلى داره، ومصلاه بيده، وكان مقتصداً في ثيابه وفي عَيْشه، وما كان يمكِّن أحداً من غِلْمان القضاة يمشي معه. [بل كأنَّه بعضُ الناس.

وحكى ولده عماد الدين قال][١]: كان أحد بني قوام يعاملُ الملكَ المُعَظَّم عيسى في السُّكَّر، ويتَّجر له[٣]، فمات [ابن قوام][١]، فطرح ديوان المعظَّم يده على تركته، وبعث المعظَّم إلى القاضي يقول: هذا الرجل كان يتاجر لي بمالي والتركة لي، وأريد تسلُّمها. فأرسلَ إليه القاضي يقول: لا أُسَلِّم إليك تركته حتى تحلف أنك تستحقها. فقال المعظم: والله ما أحقق مالي عنده. فقال القاضي: وأنا والله ما أسلم إليك حتى تحلف، فما حلف، ولا أثبت له القاضي شيئاً.

[وحكى لي جماعة من الدماشقة أن العادل سيف الدين كتب لبعض خواصِّه كتاباً بالوصية في حكومة بينه وبين][٤] رجل، فجاء إليه، ودفع إليه الكتاب، فقال: أيش فيه؟ قال: وصيةٌ بي. فقال: أحضرْ خَصْمك. فأحضره والكتاب بيده لم يفتحه، وادَّعى على الرجل، فظَهَرَ الرَّجلُ على حامل الكتاب، فقضى عليه، ثم فتح الكتاب وقرأه، ورمى به إلى حامله، وقال: كتاب الله قد حكم على هذا الكتاب. فمضى الرجلُ إلى العادل، وبكى بين يديه، وأخبره بما قال، فقال: صَدَقَ، كتابُ الله أَوْلى من كتابي.

وكان يقول للعادل: ما أحكم إلا بالكتاب والسُّنَّة، وأنا فما سألتك القضاء، فإن شئت وإلا فأبصر غيري.

---

(١) ما بين حاصرتين من(ش).

(٢) في (ح): وما فاتته...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) انظر حاشيتنا رقم ١ ص ١٩٠ من هذا الجزء.

(٤) في (ح): وكتب إليه العادل كتاباً يوصيه ببعض خواصه في حكومة بينه وبين رجل...، والمثبت ما بين حاصرتين من(ش).

و[حكى لي الشمس بن خلدون قال][1]: أحضر له ولدهُ عماد الدِّين صحن حلوى سخنة، وقال: يا سيدي، كُلْ منه. فَغَضِبَ وقال: من أين هذا؟ أتريد أن تدخلني النَّار؟ ولم يأكل منه.

وكانت وفاته يوم السبت رابع ذي الحجة عن نيف وتسعين سنة، ودفن بقاسيون.

[نقلت من خط ولده القاضي عماد الدين قال: سمع والدي أبو القاسم عبد الصمد ابن محمد بن أبي الفضل بن علي الأنصاري كتاب «المعجم» لابن جُمَيْع الغَسَّاني الصيداوي [من جمال الإسلام علي بن المُسَلَّم بن محمد السُّلَمي الدمشقي][2] وهو يعرف بابن الشهرزوري، عن أبي نصر الحسين بن محمد بن أحمد بن طلاب، عن أبي الحسين محمد بن أحمد بن محمد بن جُمَيْع بصيدا قراءةً عليه في سنة أربع وتسعين وثلاث مئة.

قال: وسمع عليه أجزاء كثيرة فيما بين سنة خمس وعشرين وخمس مئة إلى سنة ثلاثين.

وسمع أيضاً كتاب «مكارم الأخلاق» لأبي بكر الخرائطي، عن عبد الكريم بن حمزة ابن الخضر السلمي، عن أبي الحسين أحمد بن عبد الواحد بن أبي الحديد، عن جده محمد بن أحمد، عن الخرائطي.

قال: وسمع كتاب «الموطأ» لمالك بن أنس رواية يحيى بن بكير، عن أبي الحسن علي بن أحمد بن قبيس المالكي.

قال: ودخل حلب في سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة، فسمع على الحافظ المرادي «صحيح مسلم» عن الفراوي، عن الجُلُودي، عن [أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن][3] مسلم.

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ش) لابن جُميع الغساني الصيداوي بصيدا، قراءة عليه في سنة أربع وتسعين وثلاث مئة، ويعرف هو بابن الشهرزوري، عن أبي نصر الحسين بن محمد بن أحمد بن طلاب، عن أبي الحسين محمد بن أحمد بن جُميع. والعبارة غير مستقيمة، صححناها على هدي إسناده لابن جميع كما أورده الذهبي في «السير»: ١٧/ ١٥٥ .

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا ليصح الإسناد.

قلت: وقد سمع خلقاً كثيراً، وأجاز له جماعة من المشايخ بنيسابور، منهم أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي، وابن عبد الكريم صاحب «الرسالة»، ومن أهل بغداد قاضي المارستان، وابن السمرقندي وابن الأنماطي وغيرهم، وسمع من الحافظ ابن عساكر، ومن عامة شيوخ الحافظ، وقد سمعت منه أجزاء في مقصورة الخضر عليه السلام][١].

محمد بن أبي القاسم بن محمد[٢]

أبو عبد الله الهَكَّاري، الأمير بدر الدين.

استُشْهِدَ على الطُّور، وأبلى في ذلك اليوم بلاء حسناً، وكان من المجاهدين، له المواقفُ المشهورة في قتال الفرنج، وكان من أكابر أمراء المُعَظَّم، كان يستشيره، ويصدر عن رأيه، ويثق به لصلاحه ودينه، وكان سَمْحاً، لطيفاً، دَيِّناً، وَرِعاً، بارّاً بأهله وبالفقراء والمساكين، كثيرَ الصَّدقات، دائم الصِّلات، بنى بالقُدْس مدرسةً للشَّافعية، ووَقَفَ عليها الأوقاف، وبنى مسجداً قريباً من الخليل عليه السَّلام عند قبر يونس عليه السَّلام على قارعة الطَّريق، [وكان ملازماً لمجالسي بالقدس][١]، وكان يتمنَّى الشَّهادة دائماً، ويقول: ما أحسنَ وَقْعَ سيوفِ الكُفَّار على أَنْفي وَوَجْهي. فاستجابَ الله له دعاءه، ورزقه الشهادة، ونُقِلَ من الطُّور إلى القُدْس، فدفن بتربته بمامَلَّه، رَحِمَهُ اللهُ.

يحيى بنُ عبد الملك ابن إبراهيم[٣]

ابن إلْكِيَا الهَرَّاسي. كان فاضلاً، ومن شِعْره: [من المتقارب]

أتيتُ الوزيرَ فألفيتُهُ ... عزيزَ اللِّقاءِ منيعَ الحجابِ
وحاولتُ أنِّي أرى لوصولٍ ... إليه سبيلاً فأعيا طِلابي
فعدتُ وقد وقعَ اليأسُ لي ... عسى فرجٌ لم يكن في حسابي

ومات في ذي القَعْدة، ودفن بالشُّونِيْزِيَّة.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٩٦-٢٩٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤١٤-٤١٥، و«تاريخ الإسلام»: للذهبي (وفيات سنة ٦١٤هـ).

السَّنة الخامسة عشرة وست مئة

[وفيها أعيد خالي أبو محمد يوسف إلى الحسبة][١].

وفيها أفرج الخليفة عن ولده أبي نَصْر محمد، وأَذِنَ له في الركوب حيث شاء.

وفيها نزلتِ الفرنج على دِمْياط في ربيع الأول، وكان العادل بمرج الصُّفَّر، فبعث بالعساكر التي كانت عنده إلى مِصْر إلى الكامل، وأقام المعظَّم بالسَّاحل بعسكر الشَّام في مقابلة الفرنج.

وفيها استدعى العادل ولده المعظم عيسى، وقال له: قد بنيتَ هذا الطور، وهو يكون سبباً لخراب الشَّام، وقد سَلَّم الله مَنْ كان فيه من أبطال المسلمين وسلاح الدنيا والذخائر، وأرى من المصلحة خرابه ليتوفَّر مَنْ فيه من المسلمين والعُدَد على حِفْظ دمياط، وأنا أعوِّضُك. فتوقَّف المعظم، وبقي أياماً لا يدخل إلى العادل، فبعث إليه فأرضاه بمالٍ، ووعده في مِصْر ببلادٍ، فأجاب، وبعث فنقل ما كان فيه من العُدَد والذَّخائر إلى القُدْس وعَجْلون والكَرَك ودمشق.

وفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر كسر الملكُ الأشرفُ ملكَ الرُّوم كيكاووس وسببه أَنَّ الأشرف جمع عساكر الشَّرْق وعسكر حلب، ودخل بلدَ الفرنج لِيَشْغَلَهُمْ عن دمياط، ونزل على صافيتا وحِصْن الأكراد، وكان العادل بمرج صُفَّر، وتقدم إلى عالقين، فخرج ملكُ الرُّوم، ووصل إلى رَعْبان يريد أن يُلِمَّ بحلب، ونزل [إليه الأفضل من سميساط، وأخذوا رَعْبان وتل باشر وبلغ الأشرف،][١] فعاد من صافيتا إلى حلب، وقد سَبَقَه ملكُ الرُّوم إلى مَنْبج، وتقدَّم بعضُ عسكرهم إلى بزاغة، [فرحل][١] الأشرف [فنزل][٢] بظاهر حلب، فقدَّم بين يديه المبارِزَيْن: ابن خُطْلخ وسُنْقُر الحلبي، وجماعةً معروفين، ورحل بعدهم فنزل باب بزاغة، وقدَّم العرب بين يديه، وجاء عسكر الرُّوم إلى السَّاجور، ووقع اليَزَك على اليزك، والعرب بين أيديهم، فكسروا الرُّوم، ورجع صاحبُ الروم إلى بلاده، والأفضل إلى سُمَيْساط، وأكثر ما أنكى فيهم العرب. واستردَّ

---

(١) ما بين حاصرتين من «المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٩٨.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

الأشرفُ رَعْبان وتل باشر، وأعطاهما لطُغْريل أتابَك، وبعث الأشرف سيف الدين بن كهدان والمبارز بن خُطْلخ إلى دمياط نجدةً للكامل.

وخطب الصَّالح محمود بن أُرْتُق صاحبُ آمِد للرُّومي، وقَطَعَ خُطْبة العادل.

وفي آخر جمادى الأُولى أخذ الفرنج بُرْج السِّلْسلة، وأرسل الكامل شيخَ الشيوخ صدر الدين إلى العادل يخبره، ويستصرخ به، فلما اجتمع بالعادل وأخبره، دَقَّ بيده على صَدْره، ومَرِضَ مَرَضَ الموت.

وفي جُمادى الآخرة التقى المُعَظَّم بالفرنج على القيمون فَنُصِرَ عليهم، وقَتَلَ منهم مقتلةً عظيمة، وأَسَرَ من الدَّاوية مئة فارس، وأدخلهم القدس منكَّسةً أعلامُهم.

وفيها وصل رسول خوارَزْم شاه إلى العادل وهو بمرج الصُّفَّر، فبعث في الجواب الخطيبَ الدَّوْلعي والنجم خليل قاضي العسكر، فوصلا هَمَذَان، فوجدا الخوارزمي قد اندفع بين يدي الخَطَا، وقد خامر عليه عسكره، فسار إلى حَدِّ بخارى، فاجتمعا بولده جلال الدِّين، فأخبرهما بوفاة العادل، فرجعا إلى دمشق.

وحجَّ بالنَّاس من بغداد أقباش النَّاصري.

وفيها توفي

داود بن أبي الغنائم(١)

أبو سليمان المُلْهَمي، [من بني مُلْهَم](٢)، الضَّرير.

كان على رأي الأوائل، ويتستَّر بمذهب الظَّاهرية، ويسكن رباط المأمونية، وكان فاضلاً إلا أنه يُسقِّف ويهذي [(٣)من جنس ابن الرَّاوندي. قال لي يوماً: قد بلغني أنك جميل الصورة، فصيح اللسان، واشتغل بعلوم الأوائل قال: فقلتُ له: أنشدني من فصاحتك، فأنشدني لنفسه: [من الوافر]

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٢٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٠٠-٣٠١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في (ح): إلّا أنه يسقف ويهذي، توفي في المحرّم، ودفن بالشونيزية، وقد جاوز سبعين سنة، ومن شعره...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

إلـى الـرحـمـن أشـكـو مـا ألاقـي غـداةَ غَـدَوا عـلـى هُـوج الـنِّـيـاقِ
نـشـدتُـكُـم بـمـنْ زمَّ الـمـطـايـا أمـرَّ بـكُـمْ أمـرّ مـن الـفِـراقِ
وهـل داءٌ أشـدُّ مـن الـتـنـائـي وهـل عـيـشٌ ألـذُّ مـن الـتـلاقـي

وكانت وفاته في المحرم، ودفن بالشونيزية، وقد جاوز سبعين سنة].

عبد الله بن الحسين(١)

أبو القاسم، عماد الدين الدَّامَغَاني، الحنفي، قاضي القضاة.

ولد في رجب سنة أربعٍ وستين وخمس مئة، وكان له سمتٌ ووَقَار، ودينٌ وعِفَّة، وتوفي في ذي القَعْدة، ودُفِنَ بالشُّونيزية.

عبد الله بن عبد الرحمن بن سُلْطان(٢)

أبو طالب القرشي، القاضي شرف الدين.

ولي القضاء بدمشق نيابةً عن ابن الزكي، وكان فقيهاً فاضلاً، نَزِهاً لطيفاً عفيفاً، وتوفي في شعبان، وصُلِّيَ عليه بجامع دمشق، ودُفِنَ عند مشهد القدم.

علي بن أحمد بن روح(٣)

أبو الحسن.

كان نائباً عن القضاة ببغداد، توفي في رمضان، وقد جاوز السبعين، ودُفِنَ في الشُّونِيْزِيَّة، ومن شعره: [من الطويل]

وقـد كـنـتُ أشـكـوك الـحـوادثَ بُـرْهـةً وأسـتـمـرضُ الأيَّـامَ وَهْـيَ صـحـائـحُ
إلـى أن تَـغَـشَّـتْـنـي وُقِـيْـتَ حـوادثٌ تُـحـقِّـقُ أَنَّ الـسَّـالـفـاتِ مـنـائـحُ

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٤٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٠٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٣٧ـ٤٣٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٠١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٤٣ـ٤٤٤، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٠١-٣٠٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته، واسمه في المصادر: علي بن روح بن أحمد.

كِيْكَاووس، عِزُّ الدين، صاحب الروم[(١)]

كان جَبَّاراً، ظالماً، سفَّاكاً للدِّماء، ولما عاد إلى بلده من كَسْرة حلب اتَّهم أقواماً من أُمراء دولته أنهم قَصَّروا في قتال الحلبيين، فَسَلَقَ بعضَهم في القُدور، وجعل آخرين في بيتٍ وأحرقهم، فأخذه الله بغتةً؛ مات سكران فجأة، وقيل: بل ابتلي في بدنه، فتقطَّع.

وكان أخوه علاء الدِّين كَيْقُباذ محبوساً في قلعةٍ وقد أَمَرَ بقتله، فبادَرَ الأمراءُ فأخرجوه، وأقاموه في المُلْك، وكانت وفاة كِيْكَاووس في شوال، وهو الذي أطمع الفرنج في دِمْياط.

محمد بن أيوب[(٢)]

ابن شاذي بن مروان[(٣)]، أبو بكر، الملك العادل سيف الدين، وكنيته أشهرُ مِنْ اسمه.

قال المصنف رحمه الله: سأَلْتُه عن مولده، فقال: فتوح الرُّها، يعني سنة تسعٍ وثلاثين وخمس مئة. قد ذكرنا أحواله [[(٤)]مع أخيه صلاح الدين في إعطائه إياه مصر، ثم حلب، ثم الشرق والكرك والشوبك، وما يتعلق بذلك، وما جرى بينه وبين أولاد أخيه في ممر] السِّنين إلى أن استقرَّ له المُلْك، وامتدَّ من بلاد الكُرْج إلى هَمَذَان والجزيرة والشَّام ومِصْر والحجاز ومكَّة والمدينة إلى حَضْرموت، وكان ثَبْتاً، خليقاً بالملك، قُعْدُداً، حسن التَّدْبير، حليماً صَفُوحاً، مدبراً للممالك على الوَجْه المرضي، عادلاً، مجاهداً، دَيِّناً، عفيفاً، متصدِّقاً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، طَهَّر جميع ولاياته من الخمور والخواطىء والقمار والمخانيث والمكوس والمظالم، وكان الحاصل من هذه الجهات بدمشق على الخصوص مئة ألف دينار، فأبطل الجميع لله تعالى، وكان واليه المبارز المعتمد قد أعانه على ذلك؛ أقام رجالاً على عِقاب قاسيون وجبل الثلج، وحوالي دمشق بالجامكية والجراية يحرمون أحداً يدخل دمشق بمنكر

---

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٣٤٧_٣٥٠ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٠٨-٣٠٩ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) سلفت أخباره مفرّقة على السنين في هذا الكتاب، وله ترجمة في «المذيل على الروضتين» ١/ ٣٠٣-٣٠٧ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) الصحيح أنه لا يُعرف في نسبه جد فوق شاذي، انظر «كتاب الروضتين»: ٢/ ٢٥٠-٢٥١ .

(٤) في (ح): وقد ذكرنا أحواله في السنين إلى أن...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

[فكان أهل الفساد يتحيَّلون ويجعلون زقاق الخمر في الطبول، ويدخلون بها إلى دمشق، فمنع من ذلك][(١)].

قال المصنِّف: بلغني أَنَّ بعضَ المغاني دخلت على العادل في عُرْس، فقال لها: أين كنتِ؟ قالت: ما قدرت آجي حتى وفيت ما عليّ للضَّامن. فقال: وأيّ ضامن؟ قالت: ضامن القيان. فقامتْ عليه القيامة، وطلب المعتمد، [وعمل به ما لا يليق][(١)] وقال: والله لئن عاد بلغني مثل هذا لأفعلن وأصنعنَّ.

ولقد فعل العادل في غلاء مِصْر عقيب موت العزيز ما لم يفعله غيره، كان يخرج في اللَّيل بنفسه ومعه الأموال يفرِّقها في أرباب البيوت والمساكين، [ولولاه لمات الناس كلهم][(١)] وكفَّن تلك الأيام من ماله ثلاث مئة ألف من الغرباء[(٢)].

وكان إذا مَرِضَ أو تشوَّش مزاجُه خَلَعَ جميع ما عليه وباعه حتى فرسه، وتصدَّق به، وثَبَتَ له على زكي الدِّين قاضي دمشق [لبيت المال][(١)] عشرين ألف دينار، وشَرَعَ القاضي يستدينها من النَّاس، فقالت له بعضُ حظاياه: رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام وهو يوصيك بالقاضي. فأسقطها عنه، ورَدَّه إلى القضاء[(٣)].

[وقد ذكرنا مواقفه مع أخيه وغزواته وتدبيره مع الانكتار، ولولاه ما انتظم الصُّلْح][(١)].

ذِكْرُ وفاته:

قد ذكرنا وصول شيخ الشيوخ إليه بخبر بُرْج دِمْياط، وأنه انزعج، [ودَقَّ بيده على صدره][(١)]، وأقام مريضاً إلى يوم الجُمُعة إلى سابع أو ثامن جُمادى الآخرة، فتوفي بعالقين، وكان المُعَظَّم قد كسر الفرنج على القيمون يوم الخميس خامس جمادى الآخرة، وقيل يوم الأربعاء.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) تعقبه الذهبي في «تاريخ الإسلام» بقوله: هذا خسف من لا يتقي الله فيما يقوله.

(٣) انظر القصة مفصلة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٠٤-٣٠٥، وقد ذكر نحوها ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء»: ٧٢٩-٧٣٠، وجعلها مع محيي الدين والد زكي الدين الطاهر، والصواب ما ذكره السبط وأبو شامة.

ولما توفي العادل لم يعلم بموته غير كريم الدِّين الخِلاطي، فأرسل الطَّيْرَ إلى نابُلُس إلى المعظَّم، فجاء [المعظم][١] يوم السبت إلى عالقين، فاحتاط على الخزائن، وصَبَّر العادل، وجعله في مِحَفَّة، وعنده خادم يروِّحُ عليه، وقد رَفَعَ طَرَفَ سِجافها، وأظهر أنَّه مريض، ودخلوا به دمشق يوم الأحد، والنَّاس يسلِّمون على الخادم، وهو يومئ إلى ناحية العادل، ودخلوا به إلى القلعة، وكتموا موته، [ومن العجائب أنهم طلبوا له][٢] كفناً، فلم يقدروا عليه، فأخذوا عمامة الفقيه ابن فارس، فكفَّنوه بها، وأخرجوا قُطْناً من مِخَدَّة، فلفُّوه به، ولم يقدروا على فأس، فَسَرَقَ كريمُ الدِّين فأساً من الخندق، فحفروا له به في القلعة، وصلَّى عليه ابنُ فارس، ودفنوه في القلعة.

قال المصنف: وكنتُ قاعداً إلى جانب المعظَّم عند باب الدَّار التي فيها الإيوان، وهو واجمٌ، ولم أعلم بحاله، فلما دُفِنَ أبوه قام قائماً، وشَقَّ ثيابه، ولَطَمَ على رأسه ووَجْهه، وكان يوماً عظيماً، وعَمِلَ له العزاء ثلاثة أيام بالإيوان الشمالي، [ولما رأيت المعظم بلغ به الحال تكلمت في أول يوم، فلما انقضى العزاء عتبني المعظم، وقال: يا سبحان الله، أنت صاحب العزاء، أيش كان حاجة إلى كلامك مع ابن الحنبلي! وكان الناصح قد تكلم في ذلك اليوم، فقلت: لابد من الكلام، فقال: إذا كان ولا بد فليكن في اليوم الثالث، ولا يتكلم معك أحد. فامتثلت ما أمر،][١] وعمل له العزاء في الدنيا كلِّها، ونودي ببغداد: مَنْ أراد الصَّلاة على الملك العادل الغازي المجاهد في سبيل الله فليحضرْ إلى جامع القَصْر. فَحَضَرَ النَّاس، ولم يتخلَّف سوى الخليفة، وصَلُّوا عليه صلاة الغائب، وترحَّموا عليه، وتقدَّموا إلى خطباء الجوامع بأَسْرهم، ففعلوا ذلك بعد صلاة الجمعة.

[وفوَّض إليَّ الملك المعظم تربة بدر الدين حسن في اليوم الثالث، وكتب بها منشوراً، وبعث به إليَّ][١].

وكان الصَّالح إسماعيل وأخوه قطب الدين أحمد بدمشق، فأمر الصَّالح، فتوجَّه إلى بُصْرى، وأحمد فتوجَّه إلى مِصْر.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح): وكتموا موته وطلبوا كفناً...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

وبقي العادل بالقلعة إلى سنة تسع عشرة وست مئة، ثم نقل إلى تُرْبته التي أنشأها عند دار العقيقي ومدرسته.

ذِكْرُ أولاده: كان له عِدَّة أولاد، منهم: شمس الدين ممدود والد الجواد [يونس](١)، والكامل محمد، والأشرف موسى، والمعظَّم عيسى، والأوحد أيوب، والفائز إبراهيم، وشهاب الدِّين غازي، والعزيز عثمان [شقيق المعظم](١)، والأمجد حسن [شقيقهما أيضاً](١)، والحافظ رسلان، والصَّالح إسماعيل، والمغيث محمود، ومجير الدِّين يعقوب، وتقي الدين عَبَّاس، وقُطْب الدين أحمد، والقاهر إسحاق، وخليل أصغرهم، وكان له عِدَّةُ بنات أفضلهن ضيفة خاتون صاحبة حلب أم العزيز، [وسنذكرها](١).

ذِكْرُ ما تجدَّد بعد وفاته:

لما دَخَلَ رجب رَدَّ المعظم المكوس والخمور، وما كان أبوه أبطله.

قال المصنف رحمه الله: فقلتُ له: قد خلفت سيف الدين غازي ابن أخي نور الدين، فإنَّه كذا فعل لما مات نور الدين. فاعتذر بقِلَّة المال والفرنج.

وسار المعظَّم إلى بانياس، وأرسل الصَّارم التِّبْنيني وهو بتِبْنين في تسليم الحصون، فأجابه، فأخرب بانياس، وسار إلى تبنين، فأخربها وهَدَمها، وكانت قُفْل البلاد [وملجأ العباد](١)، وأعطى بلاد شركس لأخيه العزيز، وزوَّجه بنت شركس، وبعث إليه الكامل بالخِلَع، وقال: أدركني. وجاءتِ الفرنج، فنزلوا على شِرْمَسَاح، وأخلى لهم المسلمون الخيام، فطمعوا، ثم رجع عليهم الكامل، فكسرهم، وقَتَلَ منهم خَلْقاً كثيراً، وعادوا إلى دِمْياط.

ونزل الصَّارم وولده ناصر الدين وأصحابه من الحصون، فأكرمهم المعظَّم، وخلع عليهم وأحسن إليهم، وأظهر أنه ما أخرب بانياس وتبنين إلا خوفاً من استيلاء الفرنج عليهما.

وقدم الصَّفي ابن شُكْر وزير العادل دمشق من الشرق، وكان العادل قد نقم عليه ونفاه إلى الشرق، فمضى إلى آمد، فأقام بها، فلما مات العادل كتب الكامل إليه يطلبه، فَقَدِمَ دمشق، ونَزَل بظاهرها ببيت رانس على المُؤَيَّد العقرباني، فخدمه المؤيَّد، وكان قد قَلَّ نظره، فأقام أياماً، ثم توجَّه إلى مِصْر.

---

(١) ا بين حاصرتين من (ش).

محمد بن تُكُش خوارَزْم شاه(١)

قصد العراق في أربع مئة ألف، ووصل هَمَذَان يريد بغداد، وقيل: كان معه ست مئة ألف تحت كل جتر ألف، وكان قد أفنى ملوك خراسان وما وراء النهر، وقَتَلَ صاحب سمرقند، وكان حسنَ الصُّورة، أخلى البلاد من الملوك، واستقلَّ بها، وكان ذلك سبباً لهلاكه.

ولما نزل هَمَذَان كان في عساكره سبعون ألفاً من الخطا، فكاتَبَ القُمِّيُّ عساكِرَه، ووعدَهم بالبلاد، فاتفقوا مع الخطا على قَتْله، وبعث القمي](٢) إليهم بالأموال والخيول والخِلَع سِرًّا، فكان ذلك سبباً لوَهْنه. ولما علم [خوارزم شاه](٢) بذلك سار من هَمَذان طالباً خُراسان، فنزل مرو، والتقى في طريقه الخيل والخِلَع والكُتُبَ المنفَّذة إلى الخطا، فلم يمكنه الرجوع لفساد عسكره، وكان خاله من الخطا وقد حلَّفوه أن لا يطلعه على ما دَبَّروا عليه، فجاء إليه في الليل، وكَتَبَ في يده صورةَ الحال، ووقف بإزائه، فنظر إلى السطور وفهمها، وهو يقول: خُذْ لنفسك فالسَّاعة تقتل. فقام وخَرَجَ من تحت ذيل الشُّقَّة، ومعه ولداه جلال الدِّين وآخر، فركب، وسار بهما، ولما خرج من الخيمة دَخَلَ الخطا والعساكر من بابها ظَنًّا منهم أَنَّه فيها، فلم يجدوه، فنهبوا الخزائن والخيول والخيام والجواري، فيقال: إنه كان في خزائنه عشرة آلاف ألف دينار، وألفُ حِمْل قُماش أطلس وغيره، وعشرون ألف فرس وبغل، وكان له عشرة آلاف مملوك مثل الملوك، فتمزَّق الجميع ونهب، وأما خوارزم شاه فهرب إلى البحر، وركب في مركب صغير إلى جزيرة، وهرب ولده جلالُ الدِّين إلى الهند ومعه أخوه، وصَعِدَ خوارزم شاه إلى الجزيرة وبها قلعة، فتحصَّن بها، فأدركه الموت دون صعود القلعة، فدفنوه على ساحل البحر، وجاء الخطا، فدلوا عليه، فنبشوه، وقطعوا رأسه،

---

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٣٥٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ١٣٩-١٤٣، ووفاته على الصحيح سنة (٦١٧هـ)، وقد وهم سبط ابن الجوزي في ذكره في وفيات هذه السنة، نبه على ذلك أبو شامة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٢٨، وقد تابع سبط ابن الجوزي في وهمه ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٦/ ٢٢٤-٢٢٥.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

وأخذوه وعادوا، وتفرقتِ الممالك بعده، وظهر التتر على الخطا بعد سنتين، وصار الخطا تبعاً لهم، وأخذوا البلاد.

نجاح بنُ عبد الله الشَّرابي[١]

نجم الدَّوْلة، مملوك الإمام النَّاصر.

كان جَوَاداً، سَمْحاً، عاقلاً، دَيِّناً، كثيرَ الصَّدقات، حسنَ المحضر، مُحْسناً إلى العالم، يحبُّ المساكين، ويعظِّمُ أهل الدِّين، ويأخذ للضَّعيف من القويِّ، وكان يسمَّى سَلْمان دار الخلافة، وكان ملازماً للخليفة؛ لا يغيبُ عنه ساعةً واحدة، وكان أسمرَ اللون، جميلَ الصُّورة، فَحْلاً.

ولما توفي [في هذه السنة][٢] أمر الخليفةُ أَنْ لا يتخلَّفَ عن جنازته لا وزير ولا غيره، وصلَّى الخليفةُ عليه تحت التَّاج، وحَزِنَ عليه حُزْناً كثيراً، وأُخرج تابوتُه من باب البَدْرية، ومشى العالم بين يديه إلى جامع القَصْر، وكان بين يدي جنازته مئةُ بقرة، وألفُ شاةٍ، ومئةُ قوصرة تمر، ومئة حَمَّال على رؤوسهم الخبز، وعشرون حَمَّالاً على رؤوسهم ماء الورد، ومماليكه قد جَزُّوا شعورهم، ولبسوا المسوح، والضَّجيج والبكاء قد ملأ بغداد، [ولم يُر في الإسلام مثل ذلك اليوم][٢] وعبروا به إلى تربة أم الخليفة بالجانب الغربي، فدفن بين يدي القُبَّة التي فيها أُمُّ الخليفة، وتصدَّق عنه الخليفة من مالِ نجاح بعشرة آلاف دينار على [المشاهد][٢]: مشهد علي عليه السَّلام، ومشهد الحسين، ومشهد موسى بن جعفر، وبعث بمثلها إلى مكة والمدينة، وأعتق الخليفةُ مماليكه، وكانت له خمس مئة مجلَّدة، فأوقفها في تُرْبة أُمِّ الخليفة، وكتب عليها اسم الشرابي.

[ومن العجائب أنه توفي في هذه السنة من الملوك الأكابر: العادل والخوارزمي[٣] وصاحب الروم.

---

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٣٥٣، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٤٠-٤٤١، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٠٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) ذكرنا أن الخوارزمي توفي سنة (٦١٧هـ) على الصحيح.

وتوفي أيضاً ببغداد من نواب القضاء نزل بهم القضاء المحتوم: ابن الرُّطَبي المحتسب، وابن البَنْدنيجي العَدْل، وابن الغُبَيْري، والكل في شهرٍ واحد، فابن الرُّطَبي مات يوم الاثنين ثالث عشر رمضان، وابن البَنْدنيجي في رابع عشره، وابن الغبيري في خامس عشره][1].

وفيها توفي

القاهر، صاحب الموصل[2]

وترك ولداً صغيراً طفلاً اسمه محمود، فأخرج بدر الدين لؤلؤ زَنْكي أخا القاهر من المَوْصل، واستولى عليها.

السنة السادسة عشرة وست مئة

في أول المحرَّم أخرب المُعَظَّم القُدْس؛ كان قد توجَّه إلى أخيه الكامل إلى دِمْياط، وبلغه أَنَّ طائفةً من الفرنج على عَزْمِ القُدْس، فاتَّفق الأُمراء على خرابه، وقالوا: قد خلا الشَّام من العساكر، فلو أخذه الفرنج حكموا على الشَّام. وكان بالقُدْس العزيز عثمان، وعِزُّ الدِّين أيبك أستاذ الدَّار، فكتب إليهما المعظم بخرابه، فتوقَّفا، وقالا: نحن نحفظه. فكتبَ إليهما المعظم: لو أخذوه لقتلوا كلَّ مَنْ فيه، وحكموا على دمشق وبلاد الإسلام، فألجأتِ الضرورة إلى خَرَابه، فشرعوا في السُّور أَوَّل يوم من المحرَّم، ووقع في البلد ضَجَّةٌ عظيمة [مثل يوم القيامة][1]، وخرج النِّساء المخدَّرات والبنات، والشُّيوخ والعجائز، والشُّبان والصِّبْيان إلى الصَّخْرة والأقصى، فقطَّعوا شعورهم، ومزَّقوا ثيابهم بحيث امتلأتِ الصخرة ومحراب الأقصى من الشُّعور، وخرجوا هاربين، وتركوا أموالهم وأثقالهم، وما شكُّوا أَنَّ الفرنج تُصَبِّحُهُمْ، وامتلأت بهم الطُّرقات، فبعضهم إلى مِصْر، وبعضهم إلى الكَرَك، وبعضهم إلى دمشق، وكانت البنات المخدَّرات يمزقن ثيابهن، ويربطنها على أرجلهن من الحفا، ومات خَلْقٌ كثير

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٣٣٣، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٢٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣١٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

من الجوع والعطش، [وكانت نوبة لم يكن في الإسلام مثلها][(١)] ونُهبتِ الأموالُ التي كانت لهم في القُدْس، وبلغ القنطار الزيت عشرة دراهم، والرطل النحاس نصف دِرْهم، وذم النَّاس المعظم، فقال بعضُ أهل العلم: [من مخلع البسيط]

فـي رَجَـبٍ حَـلَّـلَ الـحُـمَـيَّـا[(٢)] وأَخْـرَبَ الـقُـدْس فـي الـمُـحَـرَّمْ

[من أبيات، ولم يعذره أحد][(١)].

وقال مجدُ الدِّين محمدُ بنُ عبد الله الحنفي؛ قاضي الطُّور: [من الطويل]

مررتُ على القُدْس الشَّريف مُسَلِّماً على ما تبقَّى مِنْ رُبوعٍ كأَنْجُمِ

ففاضَتْ دموعُ العينِ منِّي صبابةً على ما مضى من عَصْرِنا المتقدِّمِ

وقد رام عِلْجٌ أَنْ يعفِّي رسومَهُ وشَمَّرَ عن كَفَّيْ لئيمٍ مُذَمَّمِ

فقلتُ له شَلَّتْ يمينُك خَلِّها لمعتبرٍ أو سائلٍ أو مُسَلِّمِ

فلو كان يُفْدَى بالنُّفوس فَدَيْتُهُ بنفسي وهذا الظَّنُّ في كلِّ مُسْلِمِ

وفيها نفى المعظم ابنَ المَشْطُوب من مِصْر؛ كان قد اتَّفق مع الفائز بن العادل على الكامل، واستحلف العساكر، وعَرَفَ الكاملُ، فرحل إلى أشمون، وعَزَمَ على التوجُّه إلى اليمن، ويئس من البلاد، وعَلِمَ المعظم، فقال له: لابأس عليك. وركب آخر النهار، وجاء إلى خيمة ابنِ المَشْطوب، وقال: قولوا لعماد الدين يركب حتى نسير. فأخبروه، فخرج من الخيمة بغير صباغات، ولحق المعظم، فأبعدَ به عن العساكر، وقال له: الملكُ الأشرف قد طلبك، وهو محتاجٌ إليك، فتسير إليه السَّاعة. فقال: ما في رجليَّ صباغات، ولا معي أحدٌ من غِلْماني، ولا قُماشي، فَوَكَل به جماعةً، وأعطاه خمس مئة دينار، وقال: كلُّ مالك يلحقك، والله ما يضيع لك خيطٌ واحد. وسار به الموكَّلون، ورجع المعظم إلى خيمته، فوقف حتى جَهَّز خيله وغِلْمانه وثَقَلَه، ولم يُبْق له خيطاً واحداً، وساروا خلفه، وعاد المعظم إلى خيمته، فجاء إليه الكامل، فقَبَّل الأرضَ بين يديه، وخاف الفائز خوفاً عظيماً.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) الحميا: الخمر.

وأما ابنُ المشطوب، فاجتازَ بظاهر دمشق، ومضى إلى حماة، فأقام بها، فبعث إليه الأشرف منشوراً بأَرْجيش وزيادة، وبعث إليه بالخِلَع، فسار إلى الأشرف، فأكرمه وأحسن إليه، فصار يركب بالشَّبابة، ويعمل له سلطنة أعظم من الأشرف، وتجبَّر وطغى وبغى، وخامر على الأشرف، وطلع إلى ماردين، ثم قصد ناحية سِنْجار، [وجرى عليه ما سنذكره][١].

وفيها في شعبان أخذ الفرنج دمياط، وكان المعظم قد جهَّز إليها النَّاهض ابنَ الجرخي [[٢] في خمس مئة راجل، فهجموا على الخنادق، فَقُتِلَ ابن الجرخي] ومَنْ كان معه، وصفُّوا رؤوس القتلى على الخنادق، وكان قد طَمُّوها، وضَعُفَ أهلُ دِمْياط، وأكلوا الميتات، وعَجَزَ الكاملُ عن نُصْرتهم، ووقع فيهم الوباء والفَنَاء، فراسلوا الفرنج على أن يُسَلِّموا إليهم البلد، ويخرجوا منه بأهليهم وأموالهم، واجتمع الأقساء، وحلَّفوهم على ذلك، فركبوا في المراكب، وزحفوا في البحر والبر، وفتح لهم أهلُ دِمْياط الأبواب، فدخلوا، ورفعوا أعلامهم على السُّور، وغدروا بأهل دمياط، ووضعوا فيهم السَّيف قَتْلاً وأَسْراً، وباتوا تلك الليلة في الجامع يَفْجُرون بالنِّساء، ويفضحون البنات، وأخذوا المنبر، والمصاحف ورؤوس القتلى، وبعثوا بها إلى الجزائر، وجعلوا الجامعَ كنيسةً.

وكان أبو الحسن بن قُفْل بدمياط، فسألوا عنه، فقيل: هذا رجلٌ صالح، من مشايخ المسلمين، يأوي إليه الفقراء، فما تعرَّضوا له. ووقع على الإسلام كآبةٌ عظيمة، وبكى الكاملُ والمعظَّم بكاءً شديداً، ثم تأخَّرتِ العساكر عن تلك المنزلة، [فكان المعظم يقول لي بعد ذلك: لو كان الدعاء الآن يسمع لسمع دعاء أهل دمياط، فإن الله تعالى أخبرنا أنه يستجيب دعاءنا في عدة مواضع من كتابه، وإنما أهل دمياط لما كثر فسقهم وفجورهم سلَّط الله عليهم من انتقم منهم ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية...﴾][١] [الإسراء: ١٦].

ثم قال الكاملُ للمعظَّم [وقد سُقِطَ في يده][١] : قد فاتَ ما ذُبح، وجرى المقدور بما هو كائنٌ، وما في مقامك ها هنا فائدة، والمصلحة أن تنزل إلى الشَّام تَشْغَل خواطر الفرنج، وتستجلب العساكر من الشرق.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ما بين حاصرتين من «المذيل على الروضتين».

قال المصنف رحمه الله: فكَتَبَ المعظم إليَّ وأنا بدمشق كتاباً بخَطِّه يقول في أوله: أخوه عيسى الكاملي، قد علم الأخ العزيز [ـ وذكر ألقاباً كثيرة ـ][(١)] بأنْ قد جرى على دِمْياط ما جرى، وأريد أن تحرِّض النَّاسَ على الجهاد، وتعرِّفهم ما جرى على إخوانهم أهل دِمْياط من الكَفَرة أهل العِناد، وإني كشفتُ ضياع الشَّام فوجدتها ألفي قرية، منها ألف وست مئة أملاك لأهلها، وأربع مئة سُلْطانية، وكم مقدار ما تقوم هذه الأربع مئة من العساكر! وأريد أن يخرج الدَّماشقة ليذبُّوا عن أملاكهم الأصاغر منهم والأكابر، ويكون لقاؤنا وهم بصحبتك إلى نابُلُس في وقت سَمَّاه. فجلستُ بجامعِ دمشق، وقرأتُ كتابه عليهم، فأجابوا بالسَّمْع والطَّاعة، [وقالوا: نمتثل أمره بحسب الاستطاعة][(١)]، وتجهَّزوا، فلما حَلَّ رِكابُه بالسَّاحل وقع التقاعد [من الأماثل، لأن لكل مقامٍ مقالاً، وللحرب رجالاً،][(١)] وكان تقاعدهم سبباً لأخذه الثُّمْن والخُمْس منهم، وكَتب إلي يقول: إذا لم يخرجوا فَسِرْ أنتَ إلينا. فخرجتُ إلى السَّاحل، وهو نازلٌ على قيسارية، فأقمنا حتى فتحها عَنْوَةً، ثم سرنا إلى الثَّغر، ففتحه، وهدمه، وعاد إلى دمشق بعد أنْ أخربَ بلاد الفرنج.

وفيها أَلْبَسَ [المعظمُ][(٢)] زكيَّ الدِّين القاضي القَبَاء والكلوتة، وكان في قلبه منه حزازاتٌ، يمنعه من إظهارها حياؤه من العادل [وخوفه من الشناعات،][(١)] وكان يشكوه [إليَّ مراراً][(١)] ويقول: إنه لا ينفذ [(٣) الأحكام ولا يقيم معالم الإسلام]، وكنتُ أقول له: يا قاضي، أما قد ثبت عندك هذا الأمر؟ فيقول: بلى. فأقول: فَلِمَ لا تحكم به؟ فيقول: ما أحكم.

واتَّفق موتُ [العادل، ومرضُ][(١)] ستِّ الشَّام عَمَّةِ المعظم، وكانت [قد أوصت][(١)] بدارها مدرسةً، وأحضرت زكيَّ الدين والشهود، وأشهدتهم عليها، وأوصت إلى القاضي، وبَلَغَ المعظم، فعزَّ عليه، فقال: يحضر إلى دار عمتي من غير إِذْني، ويسمعُ كلامها هو والشهود!

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ما بين حاصرتين من «المذيل على الروضتين».

(٣) في (ح): أنه لا ينفذ أحكامه، وكنت أقول له، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

ثم اتَّفق أَنَّ القاضي أحضر جابي المدرسة العزيزية، وطلب منه حسابَها، فأغلظ له في القَوْل، فأمر بضَرْبه، فَضُرِبَ بين يديه كما يفعل الولاة، فوَجَدَ المعظَّمُ سبيلاً إلى إظهار ما كان في نفسه، وكان الجمالُ المِصْري وكيلُ بيت المال عدواً للقاضي، فجاء، فجلس عند القاضي في مجلس الحكم، والشهود حاضرون والنَّاس، فبعث المعظَّم مع صديقٍ غلام عماد الدين بن موسك بقجةً فيها قَبَاء وكلوتة، وأمره أن يحكم بين النَّاس وهما عليه، فقام من خوفه فلبسهما، وحكم بين اثنين، وكان أضرَّ ما عليه حضور الجمال المِصْري عنده، [وكان هذا القاضي قد سلب التوفيق، وإلا فلو قال اشهدوا عليَّ أنني قد عزلت نفسي عن الحكم، وما ألبس هذه، لتخلص، والقتل أهون مما جرى عليه،][(١)] ثم إنَّ القاضي مرض، ورمى كبدَه قِطَعاً، وكانت [(٢)]حركة شنيعة وواقعة قبيحة لم يجر في الإسلام أقبح منها، وكانت من غلطات المعظم، ولقد قلت له: ما فعلت إلا بصاحب الشرع، ولقد وجبت عليك دية القاضي. فقال: هو الذي أحوجني، ولقد ندمت. قلت: بعد أن سارت بفعلك الركبان، وتحدث الناس في البلدان].

وقال ابنُ عُنَيْن في ذلك: [من الكامل]

يا أَيُّها الملك المعظَّم سُنَّةٌ أَحْدَثْتَها تبقى على الآبادِ
تجري الملوكُ على طريقِكَ بعدها خِلَعُ القُضَاة وتُحْفَةُ الزُّهَّادِ[(٣)]

وكان ابنُ عُنَيْن قد تزهَّد، فبعث له المعظم قنينة خمر ونَرْد، وقال: سَبِّح بهذا.

وحج بالناس من العراق أقباش النَّاصري، ومن الشَّام مملوك المعظم، ويقال له: شقيفات، [وكنت في الحج، ومعنا عز الدين بن القَيْسراني جاء من حلب، والصفي بن مرزوق][(١)].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح): وكانت واقعة قبيحة من غلطات المعظم، وندم على ذلك، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) «ديوان ابن عنين» ص٩٣، وكنت في «المذيل»: ١/ ٣١٩ قد ضبطت خِلَعُ بفتح الخاء وسكون اللام، وهو خطأ، يستدرك من هنا.

وفيها توفي

ريحان بن تِيْكان بن موسك[(١)]

أبو الخير، المقرىء، الحَرْبي.

كان صالحاً، سليمَ الصَّدْر، أقام بالحَرْبية سبعين سنة يُقْرِىء النَّاس القرآن، فختَّم ألوفاً، وكان من الأبدال، [وقرأت عليه القرآن، وسمعت الحديث][(٢)]، وأضر في آخر عمره، وكانت وفاته في صفر، ودفن بمقابر الإمام أحمد رحمة الله عليه، [وروى عن أبي الوقت وغيره][(٢)].

ستُّ الشَّام بنت أيوب[(٣)]

[أخت صلاح الدين والعادل، وشقيقة الملك المعظم شمس الدولة][(٢)]، سيدة الخواتين، كانت عاقلة، كثيرة البرِّ والصِّلات، [[(٤)]والإحسان والصدقات، وكان] يُعْمل في دارها من الأشربة والمعاجين والعقاقير في كلِّ سنةٍ بألوف دنانير تفرِّقها على النَّاس، و[كان][(٢)] بابها ملجأً للقاصدين، ومفزعاً للمكروبين، وهي أُمُّ حسام الدين لاجين، وتزوَّجها ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حِمْص، وَبَنَتْ لها مدرسةً وتُرْبة بالعُوَيْنة على الشَّرف الشمالي من دمشق، ثم أوقفت دارها قبيل وفاتها بدمشق مدرسةً، وأوقفت على التُّرْبة والمدرسة الجوانية أوقافاً كبيرة، وكانت وفاتها في ذي القَعْدة، ودفنت بتربتها في العوينة، وكانت لها جِنازةٌ عظيمة، وكان شِبْلُ الدولة كافور الحسامي خادِمَها، فتولى أمرها.

[قلت][(٢)]: وقد اجتمع لها ولأُختها ربيعة خاتون ما لم يجتمع لأحد، [لأنا ذكرنا فيما تقدم أن فاطمة بنت عبد الملك بن مروان كان لها ثلاثة عشر محرماً، كل واحد منهم خليفة، وأمها عاتكة بنت يزيد بن معاوية حرمت على عشر من الخلفاء، وذكرناهم، وبنت صاحب ماردين

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٥٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٩٥، و«توضيح المشتبه»: ١/ ٣٧٩.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) لها ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٨٥، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٢٠-٣٢٢، وفيه تتمة مصادر ترجمتها.

(٤) في (ح): والصلات وتعمل في دارها...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

كان لها عدة محارم، وست الشام وأختها][1]، كان لهما نيف وثلاثون محرماً من الملوك سوى أولادهم وأولاد أولادهم، فأخوتها صلاحُ الدين، والعادل، وسيف الإسلام، وولده الذي ادَّعى الخلافة، وشمس الدولة، فمن أولاد صلاح الدين: العزيز وولده محمد، والأفضل، والظَّاهر وولده محمد العزيز، وابنه النَّاصر يوسف، والزاهر أخو الظَّاهر، ومن أولاد العادل: الكامل محمد وأولاده [الثلاثة][1] أقسيس صاحب اليمن، والعادل صاحب مِصْر وولده المغيث صاحب الكَرَك، والصَّالح أيوب وولده تورانشاه، والمعظم عيسى وولده النَّاصر داود، والأشرف بن العادل، والصَّالح إسماعيل، والأوحد صاحب خلاط، وشهاب الدين غازي، وولده العزيز عثمان، وولده الحافظ صاحب قلعة جعبر، وفُرُّخْشاه، وولده الأمجد، وغيرهم.

عبد الله بن الحسين بن عبد الله[2]

المحب، أبو البقاء، العكبراوي، الضَّرير، النحوي، الحَنْبلي.

ولد سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة، وقرأ القرآن، والأدب، والأصولين، والفِقْه، وفنون العلم، وصنَّف ستين مصنفاً في فنون، منها: «إعراب القرآن» و«شرح المقامات» و«المتنبي»[3] ومقدِّمة في النحو، و«الحساب»، وسمع الحديث الكثير، وكانت وفاته في ربيع الآخر، ودفن بباب حَرْب، وكان دَيِّناً صالحاً.

عبد المطلب بن الفَضْل[4]

افتخار الدِّين، الهاشمي، البَلْخي، نزيل حلب.

كان عارفاً بمذهب أبي حنيفة، وشرح «الجامع الكبير» وغيره، وتوفي بحلب، وكان سَيِّداً، عارفاً، فاضلاً، ورعاً، دَيِّناً.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٦١، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٢٢-٣٢٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) ذكر العلامة مصطفى جواد في حاشيته على «المختصر المحتاج إليه»: ٢/ ١٤١ أن شرح ديوان المتنبي نسب إليه، وهو في الحقيقة لعفيف الدين علي بن عدلان الموصلي المتوفى سنة (٦٦٦هـ).

(٤) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٢٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

عثمان بن مُقْبل بن قاسم(١)

أبو عمر، من الياسرية؛ قرية ببغداد.

تفقَّه، وسَمِعَ الحديث، وكان سليم الصَّدْر، وكان يعظ في بعض المساجد، ذكر يوماً قصة موسى عليه السلام، وقال: أي موسى جئتني بخرقة تأخذ فيها ناراً، ليت شعري كناسة البيت(٢)، من أين لك هذه الجسارة حتى تقول: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟ وتوفي في ذي الحِجَّة، ودُفِنَ بباب حَرْب.

عليُّ بن القاسم(٣)

ابن علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، ابن(٤) صاحب «تاريخ دمشق».

قدم بغداد، ثم توجَّه إلى خراسان، وسَمِعَ بها، وعاد إلى بغداد، فوقع عليه قُطَّاع الطريق، فأخذوا ما كان معه وجرحوه، فأقام ببغداد يداوي جراحاته، فمات بها يوم السبت ثالث جُمادى الآخرة، ودفن بالشُّونيزية.

محمد بن جميل(٥)

صاحب مخزن الخليفة.

ولد سنة ستٍّ وستين وخمس مئة بهِيْت، وقرأ النحو، وسمع الحديث، وكان فاضلاً بارعاً، ومن شعره: [من الوافر]

(١) له ترجمة في «معجم البلدان»: ٥/ ٤٢٥، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٨٦-٤٨٧، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ١١٣، و«تاريخ الإسلام» للذهبي: (وفيات سنة ٦١٦هـ)، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ١٢٢، و«توضيح المشتبه»: ١/ ٣٢٥.

(٢) كذا في (ح)، ولم تستقم لي قراءة هذه العبارة.

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٦٣-٤٦٤، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٢٣-٣٢٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) القاسم هو ابن صاحب التاريخ، وعلي هذا هو حفيده.

(٥) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٧٣، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٢٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

إذا طُبِعَ الزَّمانُ على اعْوِجاجٍ فلا تَطْمَعْ لنفسكَ في اعتلالِ
فلولا أنْ يكون الزَّيغُ طبعاً لما مال الفؤادُ إلى الشمال

محمد بن زَنْكي(١)

المنصور بن عماد الدين، صاحب سنجار، كان ملكاً عادلاً عاقلاً جواداً(٢)، [قدم [العادل عليه](٣) سنجار في سنة ست وست مئة(٤)، وجلس بالمدرسة العمادية ظاهر سنجار [ثم رحل عنه](٥) بشفاعة الخليفة، وقد ذكرناه، وكانت وفاته في هذه السنة، وهي سنة ست عشرة وست مئة، وخلف عدة أولاد: سلطان شاه](٦)، وزنكي، ومُظَفَّر الدِّين، وعِدَّة بنات.

محمد بن بدر الدين سِبْط العقاب

[وهو الذي](٦) ضَمَّ الخليفةُ ولدي ولده إليه [لما](٦) أُخرجا إلى ششتر، وأرسله [الخليفة](٦) إلى الأشرف مراراً، وكان فقيراً، فحصل له مالٌ عظيم، فبعثه [الخليفة](٦) إليه في هذه السنة، فبدا منه عند الأشرف دناءة نفس وسقوط هِمَّة، وبلغ الخليفة، وكان قد حظي عنده، [وبلغ](٦) أعلى المراتب، فلما عاد من الرِّسالة اعتقله في داره، وقال له: بعثناك إلى ششتر، فخنتَ في المال، فاعملْ حسابك. فأصبح في داره مصلوباً، فقيل: إنه صَلَبَ نفسه، وقيل: بل غِلْمانُه صلبوه، وقيل: بل الموكلون به، ولم يُغَسَّل، ولم يكفن، ولم يُصَلَّ عليه، وحمل إلى مقابر المُقَتَّلين، فدفن بها، [وقال الناس: إن في ذلك لعبرة](٦).

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٥٧ـ٤٥٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٢٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.
(٢) في (ح): جواداً، خلف شاه....، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).
(٣) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا، وقد استأنست بما ورد في «المذيل على الروضتين».
(٤) في (ش): سنة ثلاث وست مئة، والمثبت من الكامل ١٢/ ٢٨٤.
(٥) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا، وقد استأنست بما ورد في «المذيل على الروضتين».
(٦) ما بين حاصرتين من (ش).

محمد بن محمد بن محمود الكُشْمِيْهني(١)

كان صالحاً، صاحبَ مجاهدات ورياضات، وأوصى أن يكتب على كفنه: [من الطويل]

يـــكـــون أجـــاجـــاً دونـــكـــم

البيت(٢).

يحيى بن القاسم بن المفرّج(٣)

أبو زكريا، التكريتي.

ولي قضاء تكريت، وقَدِمَ بغداد، وولي تدريس النِّظامية، وتوفي في رمضان، ودُفِن بالشُّونيْزِيَّة، وكان فاضلاً، [ولي منه إجازة،](٤) ومن شعره: [من البسيط]

كـم يـأمُـلُ الـمَـرْءُ آمـالاً وتُـخْـلِـفُـهُ   وكـم يُـرى آمـنـاً والـمـوت يُـرْدِفُـهُ
وطـالـمـا سَـلَـكَ الإنـسـان شـاكـلـةً   يـظـنُّ فـيـهـا نـجـاةً وهـي تُـتْـلِـفُـهُ

السنة السابعة عشرة وست مئة

فيها نافق ابنُ المشطوب على الأشرف، وعاث في أرض سِنْجار، وساعده صاحب ماردين، وكان نجمُ الدِّين بن أبي عَصْرون مع ابنِ المشطوب وقد وَزَرَ له، فسار الأشرف، ونزل على دُنَيْسر، وجاء [الملك](٤) الصَّالح، فأصلح بين صاحب ماردين والأشرف، ودخل ابن المَشْطوب تل أَعْفر، وسار إليه فارسُ الدِّين بن صبرة من نَصِيْبين وبدر الدين لؤلؤ من المَوْصل، وحصراه في تل أعفر، فأنزله بدر الدين لؤلؤ بالأمان، وحمله معه إلى المَوْصِل، ثم قيَّده، وبعث به إلى الأشرف، فألقاه الحاجب عليّ في الجُبِّ، فمات بالقَمْل والجوع.

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٧٥-٤٧٦، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٢٤-٣٢٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) البيت للعباس بن الأحنف، وهو في ديوانه: ص ٤٥ (طبعة دار صادر)، وهو في وصف ماء سيل:

يـكـون أجـاجـاً دونـكـم فـإذا انـتـهـى   إلـيـكـم تـلـقـى طـيـبـكـم فـيـطـيـبُ

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٧٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٢٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) ما بين حاصرتين من (ش).

وكان نورُ الدين بن عماد الدين صاحب قرقيسيا مع الأشرف، وقد كاتَبَ عليه، واتَّفق مع ابن المشطوب، فاعتقله [الأشرف، وبعث به مع العلم تعاسيف إلى قرقيسيا وعانة، وعلَّق نورُ الدين](١) بِرجْليه تحت القلعتين وعُذِّب، فَسُلِّمت إلى تعاسيف جميعُ بلاده، وأراد الأشرف أن يرميه في الجُبِّ، فشفع فيه المعظَّم، فأطلق، وسار [نور الدين](١) إلى دمشق، فأحسن إليه المعظم، واشترى نور الدين بُسْتان ابن حَيُّوس في العُقَيْبة، وأقام به.

وفيها قَتَلَ صاحبُ سنجار أخاه، فسار الأشرف إليها، فأخذها، وعوَّض صاحبها الرَّقَّة.

وفيها قصد زين الدين المَوْصل، فخرج إليه بدر الدين لؤلؤ، فهزمه ابن زين الدين، فأُفْلت لؤلؤ وحده.

وفي رجب كانت وقعة البرلس بين الكامل والفرنج، قتل الكامل منهم عشرة آلاف، وغنم خيولهم وسلاحهم، ورجعوا إلى دِمْياط مهزومين.

وفيها نَزَلَ الأشرفُ على المَوْصل نجدةً لبدر الدين على ابن زين الدين، وعَزَمَ على قَصْدِ إربل، فبعث الخليفةُ بهتام الأمير وابن عَطَّاف وسعد الدين الحاجب، فردُّوه عن إربل، وأصلحوا بينهما.

وفيها عزل المعظم المبارز المعتمد عن ولاية دمشق، وولَّى الغرزَ خليلاً.

وفيها كان أَوَّلُ ظهور التَّتر وعبورهم جَيْحون، وكان أول ظهورهم من وراء النهر سنة خمس عشرة وست مئة، وقبل عبورهم جيحون قصدوا بخارى وسَمَرْقند، فقتلوا أهلها وسبوهم، وحصروا خوارزم شاه، وعبروا النهر، فوجدوا الخطا قد كسروا خوارزم شاه، فانضمَّ إليهم الخطا، وصاروا تبعاً لهم، وكان خوارزم شاه قد أخلى البلاد من الملوك، فلم يجدوا أحداً يردُّهم، ووصل [التتر إلى](١) الري وقزوين وهَمَذَان في هذه السنة، فقتلوا أهلها، وأحرقوا مساجدها، وسبوا، ثم توجهوا إلى بلاد أذربيجان ففعلوا كذلك.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وحج بالناس من بغداد أقباش النَّاصري، وقُتِلَ بمكة، ولم يحجَّ أحدٌ من العجم بسبب التتر.

وحج من الشام المبارز المعتمد، وعاد حاجُّ العراق على الشَّام.

وفيها توفي

الملك الفائز إبراهيم بن العادل(١)

كان قد حالف ابنَ المشطوب والأُمراء بمصر على الكامل، ولولا المعظم لتمَّ لهم ما أرادوا، ولما كانت وقعة البرلس قال له الكامل: هؤلاء الفرنج قد استولوا على البلاد، وقد أبطأ علينا الملك المُعَظَّم، وما لملوك الشرق غيرك، فتوجَّه إلى الأشرف، وعَرِّفْه ما نحن فيه من الضَّائقة. فسار إلى الشرق، وكان الأشرف على المَوْصل، فمرض الفائز بين سِنْجار والمَوْصل، وقيل: إنه سُمَّ، فمات، فردُّوه إلى سِنْجار، فدفن عند تُرْبة عماد الدين زنكي.

أقباش بن عبد الله النَّاصري(٢)

اشتراه الخليفة وهو ابنُ خمس عشرة سنة بخمسةِ آلاف دينار، ولم يكن بالعراق أجمل صورةً منه، ثم قرَّبه الخليفةُ إليه ولم يكن يفارقه، فلما ترعرع ولَّاه إمرة الحج والحرمين، وكان [عاقلاً](٣)، متواضعاً، محبوباً إلى القلوب، حَجَّ ومعه خِلَعٌ وتقليدٌ لحسن بن قتادة، وكان قتادة قد مات، فلما وصل أقباش إلى عرفات جاءه راجح بن قتادة [أخو حسن](٣)، وسأله أن يوليه إمارة مكة، وقال: أنا أكبرُ ولد قتادة. فلم يجبه، وظَنَّ حسن أَنَّ أقباش قد ولاه، فأغلق أبوابَ مكة، وجاء أقباش، فنزل بالشبيكة بعد أيام مِنى، ووقعتِ الفتنةُ بين حسن وأخيه، ومنع حسنٌ النَّاس من الدخول إلى مكة، فركب أقباش ليسكِّن الفِتْنة، ويُصْلح بين الأخوين، فخرج عبيد [مكة](٣) وأصحابُ حسن من باب المُعَلَّى يقاتلونه، فقال: ما قَصْدي القتال. فلم يلتفتوا [إليه](٣)، وانهزم

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٢٩-٣٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣١-٣٣٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (ش).

أصحابه، وبقي وحده، وجاء عبدٌ، فَعَرْقَبَ فرسه، فوقع إلى الأرض، فقتلوه، وحملوا رأسه إلى حسن [بن قتادة][(١)] على رُمْح، فنصبه بالمسعى عند دار العَبَّاس، ثم رُدَّ إلى جسده، ودُفِنَ بالمُعَلَّى، وأراد حسن نَهْبَ الحاجِّ العراقي، فمنعه [المبارز][(١)] المعتمد، وخوَّفه الكاملَ والمعظم، فأجابه، ووصل الخبر إلى الخليفة، فحزن حُزْناً عظيماً، ولم يخرج الموكب للقاء الحاجّ، وأدخل الكوس والعلم في اللَّيل، ولم تنتطح فيه عنزان [وقد كان أَوْلى أن تتناطح الكباش][(١)]، وكان قَتْلُه سادس عشر ذي الحِجَّة.

الحسين بن أحمد بن الحسين[(٢)]

أبو عبد الله، الخِيَاري، من أهل باب البَصْرة.

ولد سنة خمسٍ وثلاثين وخمس مئة، وسمع الحديث، وكان حُفَظَةً للحكايات والأشعار والمُلَح، [وكان يتردَّد إلى جدِّي، ويعجبه كلامه، وسمعته يوماً يحكي له][(١)]، قال: سُئِلَ ابنُ عقيل، فقيل له: إنَّ الحمارَ يبرد له[(٣)] في السنة في ليلة واحدة، فإنما هي هذه الليلة، فقال ابنُ عقيل: ما يعرف هذه الليلة إلا مَنْ قد كان حماراً.

قال: ودخل رجلٌ إلى الكَرْخ، فلقيته امرأةٌ، فقالت له: أبو بكر، كيف أنتَ؟ فقال: أهلاً يا عيشة. قالت: فأنا اسمي عيشة! فقال: أفأقتل أنا وَحْدي؟

وكانت وفاته في رمضان، سمع شُهْدَة وطبقتها، كان ثِقَةً.

عبد الله اليونيني أسد الشَّام[(٤)]

أصله من قريةٍ من قرى بَعْلَبَكَّ يقال لها: يونين، كان صاحبَ رياضاتٍ ومجاهدات، وكرامات وإشارات، لم يَقُمْ لأحدٍ من النَّاس تعظيماً لله تعالى، ويقول: لا ينبغي القيام لغير الله، [صحبته مدة،][(١)] وما كان يدَّخر شيئاً، ولا يَمَسُّ بيده ديناراً ولا دِرْهماً،

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٢٤-٢٥، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣٤-٣٣٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) يبرد له: تعبير عامي، أي يصيبه البرد.

(٤) هو عبد الله بن عثمان بن جعفر بن محمّد اليونيني، وله ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣٦-٣٤٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وكان زاهداً ورعاً عفيفاً، وما لبس طول عمره سوى الثَّوْب الخام وقَلَنْسُوة من جلد الغنم تساوي نصف دِرْهم، وفي الشتاء يبعثُ له بعضُ أصحابه فروةَ قرظ يَلْبَسُها، ثم يُؤثر بها في البَرْد، وكان إذا لَبِسَ الثَّوْب [يقول:](١) هذا لفلان، وهذا لفلانة.

قال المصنِّف رحمه الله: قال لي يوماً: يا سيد، أنا أبقى أياماً في هذه الزَّاوية ـ وكنا ببعلبك ـ ما آكل شيئاً، فقلتُ له: فأنتَ صاحب القَبُول، كيف تجوع؟ فقال: يا سيد، لأنَّ أهل بَعْلَبَكّ يتَّكل بعضُهم على بعض، فأجوعُ أنا.

قال: وحدثني عبد الصمد خادمه، قال: كان يأخذ ورق اللَّوْز فَيَفْرُكُه ويستفُّه، وكان الملك الأمجد يزوره ويحبه، وكان الشيخ يُهينه، فما قام له يوماً قط، وكان يقول: يا مجيد، أنت تظلم وتفعل وتصنع، وهو يعتذر إليه.

وأظهر العادل قراطيس سود، فقال الشيخ عبد الله: يا مُسْلمين، انظروا إلى هذا الشيخ الفاعل الصَّانع يُفْسِدُ على النَّاس معاملاتهم، وبلغ العادل، فأبطلها.

[ذِكْرُ طرف من أخباره وكراماته](٢):

كنتُ قد اجتمعت به في الشَّام من سنة ست مئة إلى سنة ثلاث وست مئة، وكان له تلميذٌ اسمه توبة، وكان من الصَّالحين الأجواد، وسافرتُ إلى العراق سنة أربع وست مئة، وحججتُ، فلما كان يوم عرفة صَعِدْتُ جبل عرفات، وإذا بالشيخ عبد الله قاعدٌ على الجبل مستقبلٌ الكعبة، وعليه الثَّوب الخام، وعلى رأسه القَلَنْسُوة السَّوْداء، فسلَّمْتُ عليه، فرحَّب بي، وسألني عن طريقي، وقعدت عنده إلى قريب الغياب، ثم قلتُ له: ما تقوم نروح إلى المزدلفة؟ فقال: اسبقني أنتَ، فلي رفاقٌ. فنزلتُ من الجبل، وأتيت المزدلفة، ووقفتُ بها، وجئت إلى منى، فدخلت مسجد الخَيْف، وإذا بالشيخ توبة خارجٌ من المسجد، فسلَّم عليَّ، فقلتُ له: أين نزل الشيخ؟ ظنًّا مني أنه قد حَجَّ معه، فقال: أيما شيخ؟ قلتُ: عبد الله. قال: خَلَّفْتُه ببَعْلَبَكّ. فَفَطِنْتُ، فقلتُ: مبارك. [ففهم](١)، فلزم بيدي وبكى، وقال: بالله حَدِّثْني أيش معنى هذا؟ فقلتُ: رأيته البارحة على عرفات. وحدَّثْتُه الحديث، ثم رجعتُ أنا على بغداد، وجاء توبة إلى

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح): وقال المصنف رحمه الله، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

دمشق، وحدَّث الشيخ عبد الله الحديث، فحدَّثني توبة قال: قال لي الشيخ: ما هو صحيح منك، فلان فتى، والفتى ما يكون غَمَّازاً. فلما عدتُ إلى الشَّام عَتَبني الشيخ، فقلت: توبة تلميذُك، فقال: لا تَعُدْ إلى مِثْلها [(١) كأنه كره أن يُتحدَّث له بكرامة في حال حياته.

وحدثني القاضي جمال الدين بن يعقوب، قاضي كرك البقاع، قال:] كنتُ يوماً عند الجسر الأبيض في مسجدٍ هناك وقت الحَرِّ، وإذا بالشَّيخ عبد الله قد جاء، فنزل ثورا يتوضأ، وإذا بنَصْراني عابر على الجسر، ومعه بغلٌ عليه حِمْلُ خَمْرٍ، فعَثَرَ البغل عند الجسر، [ووقع حِمْلُ الخمر](٢)، وليس في الطريق أحدٌ، فَصَعِدَ الشيخ من النَّهر، وصاح بي: يا فقيه، تعال. قال: فجئتُ فقال: عاوني. فعاونته حتى رَفَعْنا الحِمْلَ على البغل، وراح النَّصْراني، فقلتُ في نفسي: مثل الشيخ يفعل كذا! ثم مشيت خلف البغل إلى العُقَيْبة، فجاء إلى دُكَّان الخَمَّار، فَحَطَّ الحِمْلَ، وفتح الزُّقاق، وقلب ليكيله، فإذا به قد صار خَلًّا، فقال له الخَمَّار: وَيْحك هذا خَلٌّ. فبكى، وقال: والله ما كان إلا خمراً من ساعة، وإنما أنا أعرف العِلَّة، ثم ربط البغل في الخان، وعاد إلى الجبل، وكان الشيخ قد صَلَّى الظهر في المسجد الذي عند الجسر، وقعد يسبِّح، فدخل عليه النَّصْراني وقال: يا سيدي، أنا أشهد أَنْ لا إله إلا الله، وأَسْلَمَ، وصار فقيراً.

[وحكى لي جماعة من أهل بعلبك قالوا: كان جالساً يوماً في زاويته، وإذا بامرأة طالعة، وبين يديها دابة تسوقها، عليها نحاس وثياب، فربطتها، وجاءت إليه، فسلمت عليه، فقال لها: من أين أنت؟ فقالت: نصرانية من جبة المنيطرة. قال: وما الذي جاء بك إلى عندي؟ قالت: رأيت السيدة مريم في المنام فقالت: اذهبي فاخدمي الشيخ عبد الله اليوناني إلى أن تموتي. قالت: فقلت لها: يا سيدتي، فذاك مسلم. فقالت: صحيح أنه مسلم، ولكن قلبه [نصراني](٢)، فقال لها الشيخ: أجادت مريم، ما عرفني غيرها. فأعطاها بيتاً في الزاوية، فأقامت تخدمه ثمانية أشهر، فمرضت، فقال لها الشيخ: أيش تشتهين؟

---

(١) في (ح): ولا تعد إلى مثلها، وقال القاضي كمال الدين يعقوب قاضي البقاع، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش)، وكذلك هو في «المذيل على الروضتين» نقلاً عن سبط ابن الجوزي.

(٢) ما بين حاصرتين من «المذيل على الروضتين».

قالت: أموت على دين السيدة مريم. فقال: صيحوا بالقسيس، فجاء فقال: خذ هذه إليك، وخذ قماشها، وكان [يساوي][1] خمس مئة درهم، فماتت عند القسيس.

وحكى بعضُ أهل بَعْلَبَكّ أنها ما ماتت إلا مسلمة، وتصدَّق بما خلفت][2].

وكان يأتي في الشِّتاء إلى عيون الفاسريا؛ ظاهر دمشق لأجل سخونة الماء والوضوء، وبنى له على رأس العين مسجداً صغيراً يأوي إليه، [وكان الدماشقة يخرجون من دمشق إلى زيارته][2]، قال المصنف رحمه الله: فحكت لي امرأةٌ صالحة، قالت: خرجتُ من دمشق بعد العَصْر، فوصلتُ إلى العيون بعد العِشاء الآخرة، فتوضَّأْتُ وطلعت إلى باب الزَّاوية، وكانت ليلةً مُقْمرة، وإذا بالسَّبُع نائمٌ على باب الزَّاوية، ورأسه على عتبتها، فَيَبِسْتُ، ولم أقدر أتحرَّك، فسَحَبْتُ رُكَبي نحو القرية، فلما كان وقت السَّحر هرول السَّبُع ومضى، وخرج الشيخ، فرآني، فقال: ويلك، وأيش كان عليك منه؟! [ومن هذا كثير][2].

وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ شجاعاً لا يبالي بالرِّجال قَلُّوا أو كثروا، وكان قوسه ثمانين رطلاً، وما فاتته غزاةٌ بالشَّام قط، وكان يتمنَّى الشَّهادة، ويُلْقي نفسه في المهالك، [[3]وحكى لي عنه خادمه عبد الصَّمد قال:] لما دَخَلَ العادل إلى بلد الفرنج، ووصل إلى صافيتا والعُرَيْمة كان الشيخ في الزَّاوية ببعلبك، فقال لي: انزل إلى الثّقة عبد الله اطلب بغلته، فأحضرتُها، فركبها وخرجتُ معه، فبتنا في يُونين، وقمنا نصف الليل، فجئنا إلى المحدثة قبل الفجر فقلتُ له: لا تتكلَّم ها هنا، فهذا مكمن الفرنج، [قال:][2] فرفع صوته، وقال: الله أكبر، فجاوبته الجبال، [فمتُّ من الفزع][2]، ونزل، فصلَّى الفجر، وركب، وطلعتِ الشمس، والطَّيْر لا يطير في تلك الأرض، وإذا قد لاح من ناحية حصن الأكراد طُلْبٌ أبيض، فظنَّهم الاسبتار، فقال: الله أكبر، ما أبركك من يوم، وساق إليهم وقد شَهَرَ سيفه، فقلتُ في نفسي: شيخٌ وتحته بَغْلة، وبيده سيفٌ يسوق إلى طُلْب إفرنج! فلما كان بعد بساعة، وإذا بهم قد قربوا إلينا، وهم عانة حمير وحش، [قال:][2] فانكسر،

(١) ما بين حاصرتين من «المذيل على الروضتين».

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في (ح): وقال عبد الصَّمد، وما بين حاصرتين من (ش).

وفترتْ هِمَّتُه، فقلتُ له: احمد رَبَّك، فإنَّ الله قد نظر إليك، أنت وحدك تريد تلاقي مئة على بَغْلة! [قال:][(١)] وجئنا إلى حِمْص، فجاءنا الملك المجاهد أسد الدِّين، وقَدَّم له حصاناً من خيله، فركبه، ودخل [معهم،][(١)] فعمل العجائب.

[وكان يقول لصاحبه الفقيه محمد[(٢)]: فيَّ وفيك نزل ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾[التوبة: ٣٤] أنا من الرهبان، وأنت من الأحبار.

ذكر أخلاقه:

قد ذكرنا أن الملك الأمجد كان يزوره ويحبه. وكان الشيخ يهينه، فما قام له قط، وكان يقول له: يا مجيد، أنت تظلم وتفعل وتصنع، وهو يعتذر إليه.

وقد ذكرنا أن العادل أظهر قراطيس سود، فقال الشيخ عبد الله: انظروا يا مسلمين إلى هذا الشيخ الفاعل الصانع يفسد على الناس معاملاتهم، وبلغ العادل، فأبطلها.

وقد ذكرنا أخباره وكراماته وحكاياته، وقد ذكرنا حكايته مع النصراني، ومع المرأة التي كان معها الدابة وعليها النحاس والثياب][(١)].

ذِكْرُ وفاته:

قال عبدُ الصَّمد: لما كان يوم الجمعة نزل، فصلَّى الجُمُعة بجامع بَعْلَبَك، وهو صحيحٌ ليس به شيءٌ، ودخل الحَمَّام قبل الصَّلاة واغتسل، وكان عليه ثوبان: ثوب قد سماه لأُمِّ أيدمر، والآخر لأُمِّ مهجة، وجاءه داود المؤذن، وكان يُغَسِّل الموتى، فقال له: ويحك يا داود، انظر كيف تكون غداً. فما فهم داود، وقال: يا سيِّدي، كلُّنا غداً في خِفارتك. ثم صَعِدَ الشيخ إلى المغارة، وكان قد أمر الفقراء أن يقطعوا صخرةً عند اللَّوْزة التي كان ينام تحتها، ويقعد عندها، وعندها قُبِرَ، وكان في نهار الجمعة قد نَجِزَتِ الصَّخرة، وبقي منها مقدار نصف ذراع، فقال لهم: لا تطلُعُ الشَّمْس إلا وقد فَرَغْتُمْ منها، [قال:][(١)] وبات طول الليل يذكُرُ أصحابه ومعارفه، ويدعو لهم، ويقول:

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) هو محمد بن أحمد بن عبدالله الحنبلي، توفي سنة (٦٥٨هـ)، وهو والد قطب الدين اليونيني، مختصر «مرآة الزمان»، انظر ترجمته في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ١٤٨ .

يا سيِّدي، فلانة اجتزتُ بها في الموضع الفلاني أعطتني شَرْبَةَ ماء فشرِبْتُها، وقليل ماء فتوضأتُ به، اغفرْ لها، وفلان أحسن إليَّ فأحسِنْ إليه. وطَلَعَ الصُّبْح، فصلَّى بي، وخرج إلى صخرة كان يجلس عليها، فجلس وبيده سُبْحته، وقام الفقراء يتمِّمون الصخرة، وطلعتِ الشمس وقد فرغوا منها، والشيخ قاعدٌ نائم والسُّبْحة بيده، وجاء خادمٌ من القلعة إليه في شُغْل، فرآه نائماً قاعداً بحاله، فما تجاسر أن يوقظَه، فقعد ساعة، فطال عليه، فقال: يا عبد الصَّمد، ما أقدر أقعد أكثر من هذا. فتقدمتُ إليه وقلت: يا سيدي، سيدي، فما تكلَّم، فحركتُهُ، فإذا به ميتٌ، وقد فرغوا من الصخرة، وعملوا فيها ساعة وهو ميت، وارتفع الصِّياح، وكان صاحبُ بَعْلَبَكّ في الصَّيد، فأرسلوا وراءه، فجاء، فرآه على تلك الحال، لا وَقَعَ ولا وقعت السُّبْحة من يده، [وهو كأنه نائم، فقال: دعونا نبني عليه بنياناً، وهو على حاله ليكون أعجوبة الدنيا أن الإنسان يموت وهو قاعد ولا يتغير][1]، فقالوا: اتِّباعُ السُّنَّة أَوْلى. وطلع داود، فغسله، ودفع الثَّوبين إلى المرأتين، ولما ألحدوه قال له الحَفَّار: يا شيخ عبد الله، اذكر ما عاهدتنا عليه. قال: فَفَتَحَ عينيه، ونظر إلي شَزْراً، ودفن عند اللَّوْزة يوم السبت في العشر الأول من ذي الحِجَّة، وقد جاوز ثمانين سنة، رحمه الله، ونفعنا به.

قال المصنف رحمه الله: اقتصرنا على هذه اللُّمْعة من فضائله، وكان يستوحش من النَّاس، لما حصل له من الإيناس، فتارةً يكون بجبل لبنان، هاجراً للأوطان، وتارةً بالغسولة وثنية العقاب، يفر من الأسباب، وتارة بضمير، يستنشق روائح الغوير، ولسان حاله يقول: [من الكامل]

وإذا رجعتَ إلى الصَّحيح فَنَجْدُها ... قلبي وبين جوانحي أغوارُها

قَتَادة بنُ إدريس[2]

أبو عزيز، الحسني الزَّيْدي، أمير مكة.

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ١٧، وفيه: وقيل كانت وفاته سنة (٦١٨هـ)، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣٠-٣٣١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

كان شيخاً، مهيباً، طُوالاً، عادلاً، منصفاً، نِقْمةً على عبيد مكة والمُفْسدين، والحاجُّ في أيامه مطمئنون آمنون على أموالهم ونفوسهم، [ولقد رأيتُهُ لما حججنا][(١)]، وكان يُؤذَّن في الحرم بحي على خير العمل، وما كان يلتفت إلى أحدٍ من خلق الله، ولا وطئ بساط الخليفة ولا غيره، ويُحمل إليه في كلِّ سنة من بغداد الخِلَع والذَّهب، وهو في داره بمكة، وكان يقول: أنا أَحقُّ بالخلافة. ولم يرتكب كبيرةً على ما قيل، وكَتَبَ إليه الخليفة يستدعيه، ويقول: أنتَ ابنُ العَمِّ والصَّاحب، وقد بلغني شهامتُك وحِفْظُك للحاجِّ، وعَدْلُك، وشَرَفُ نفسك، وعِفَّتُك، ونزاهتُك، وقد أحببتُ أَنْ أراك وأشاهِدَك، وأحسنَ إليك، [وأتبرك بقدومك عليَّ،][(١)] فكتب إليه: [من الطويل]

ولي كَفُّ ضِرْغامٍ أُدِلُّ ببطشها ... وأَشْري بها بين الورى وأبيعُ
تَظَلُّ ملوكُ الأرضِ تلثمُ ظَهْرَها ... وفي وَسْطها للمُجْدبين ربيعُ
أأجعلها تحت الرَّحى ثم أبتغي ... خلاصاً لها إني إذاً لرقيعُ
وما أنا إلا المسْكُ في كلِّ بقعةٍ ... يَضُوعُ وأما عندكم فيضيعُ

وكانت وفاته في جُمادى الأولى بمكَّة.

محمد بن عمر بن حَمُّوية[(٢)]

أبو الحسن، صَدْر الدِّين، شيخ الشيوخ.

كان صلاح الدِّين ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قد ولَّاه المشيخة مكان أبيه عند وفاة أبيه سنة سبعٍ وسبعين وخمس مئة، ولما ولي العادل مصر ولاه تدريس الشَّافعي ومشهد الحسين والنظر في الخانكاة.

وكان فاضلاً، فقيهاً، سِكِّيتاً، لا يتكلم فيما لا يعنيه، وكانت له الحُرْمة الوافرة عند العادل وأولاده، وكان كثيرَ الخير، ولما استولى الفرنج على دِمْياط بعثه الكامل إلى

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ١٥-١٦، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣٥-٣٣٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

الخليفة يستنجده، فمرض بين حَرَّان والمَوْصِل، ووصل الموصل في منتصف جُمادى الآخرة، فتوفي بها يوم الاثنين رابع عشرين منه بعِلَّة الذَّرَب، وعمره ثلاثٌ وسبعون سنة، ودُفِنَ إلى جانب قضيب البان.

وكان له من الأولاد: عماد الدين عمر، وفخر الدين يوسف، وكمال الدين أحمد، ومعين الدِّين حسن، وأمهم بنت شهاب الدِّين ابن أبي عصرون.

محمد بن عمر[١]

ابن شاهنشاه بن أيوب، الملك المنصور، صاحب حماة.

كان شجاعاً، محبّاً للعلماء والفُضَلاء، وكان عنده جماعةٌ من المُعَمَّمين لهم الرَّواتب مثل السيف الآمِدِي، ومن يجري مجراه، وصنَّف كتاباً سماه «المضمار»[٢]، فيه جملةٌ من التَّواريخ، وأسامي مَنْ وَرَدَ عليه في عشر مجلدات، وكانت وفاته في شوال بحماة، ودفن عند أبيه.

وقام بعده ولده الأكبر الملك النَّاصر قليج رسلان، وجرى له مع الكامل بعد ذلك عجائب، وأخذ منه حماة، وأعطاها لأخيه الملك المُظَفَّر، واعتقل قليج رسلان في الجُبِّ بمِصْر، ومات على أقبح حال.

محمود بن محمد[٣]

ابن قرا رسلان بن أُرْتُق، الملك الصَّالح، ناصر الدِّين، صاحب آمد.

كان شجاعاً، عاقلاً، جَوَاداً، محبًّا للعلماء، وكان الأشرف يحبه، وجاء غير مرة إلى خدمة الأشرف إلى دُنَيْسر وغيرها، ومات بآمد في صفر.

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) هو «مضمار الحقائق وسر الخلائق»، وقد طبعت منه قطعة، فيها حوادث سنوات ٥٧٥ـ٥٨٢، بالقاهرة سنة ١٩٦٨ بتحقيق الدكتور حسن حبشي.

(٣) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وقد اختلف في سنة وفاته ما بين سنة ٦١٧هـ أو ٦١٨هـ أو ٦١٩هـ.

وقام بعده ولده المسعود، وكان ضد اسمه بخيلاً فاسقاً، حَصَره الكامل بعد ذلك في آمِد، ووجد في قصره خمس مئة امرأة من الحرائر من بنات الناس بغير كتاب، وأخذه الكامل إلى مِصْر وأحسن إليه، فكاتَبَ الرُّوم، وسعى في هلاك الكامل، فحبسه في الجُبِّ مُدَّة، ثم أطلق، ومضى إلى التتر، وكان معه الجواهرُ العظيمة والأموال، وأخت مستحسنة، فقتلوه، وأخذوا الجميع.

ناصر بن مهدي[1]

وزير الخليفة.

وقد طعنوا في نسبه[2]، ولما عُزِلَ أمر الخليفةُ الشُّعراءَ أن يغمزوه في أشعارهم، وكان جَبّاراً قاسياً، وكانت وفاته بدار طاشْتِكِين في جُمادى الأولى، وفُتِحَ له جامع القَصْر، ومشى بين يديه أربابُ الدَّولة بأَسْرهم والحاشية، ودفن بمقابر موسى بن جعفر.

السنة الثامنة عشرة وست مئة

فيها توجه المعظَّم عيسى إلى أخيه الأشرف، واجتمعا على حَرَّان، وكتب صاحبُ ماردين ناصر الدِّين إلى الأشرف يسأله أن يُصْعِدَ المعظم إليه، فسأله، فسار إلى ماردين، فتلقَّاه صاحب ماردين في دُنَيْسر، وأصعده إلى القلعة، وخدمه خدمةً عظيمة، وقدَّم له التُّحف والجواهر، واتَّفقا وتحالفا على ما أرادا، وزوَّج المعظم إحدى بناته ناصرَ الدِّين، وزوَّج ابنه بابنته الأخرى، وخَلَعَ على جميعِ أصحابه، وأعطاهم أموالاً، ورجع المعظَّم إلى حَرَّان.

ووصلت الأخبار بوصول التَّتر إلى [كرماشاهان][3] قريب بغداد، فانزعج الخليفة، وأمر النَّاس بالقنوت في الصَّلاة، وحَصَّن بغداد، واستخدم العساكر.

وفي جُمادى الآخرة فتحت دمياط.

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ١٢، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.
(٢) كان يدّعي أنّه شريف علوي.
(٣) ما بين حاصرتين من (ش).

ذِكْرُ السبب:

كان المعظم من أحرص النَّاس على خلاص دِمْياط و[على][(١)] الغَزَاة، وكان مصافياً لأخيه الكامل، وكان الأشرف مقصِّراً في حَقّ الكامل، مبايناً له في الباطن، فلما اجتمعتِ العساكرُ على حَرَّان، قطع بهم المعظَّم الفرات، وسار الأشرف في آثاره، ونزل المعظم حمص، والأشرف سَلَمِيَّة.

قال المصنف رحمه الله: وكنتُ قد خرجتُ من دمشق إلى حِمْص لطلب الغَزَاة، فإنَّهم كانوا على عَزْمِ الدُّخول إلى طرابُلُس، فاجتمعتُ بالمُعَظَّم على حِمْص في ربيع الآخر، فقال لي: قد سحبتُ الأشرف إلى ها هنا بأسناني وهو كاره، وكل يوم أعتبه في تأخُّره، وهو يكاشر، وأخاف من الفرنج أن يستولوا على مِصْر، وهو صديقك، فأشتهي تقوم تروح إليه، فقد سألني عنك [مراراً][(٢)]، ثم كَتَبَ إليه كتاباً بخطِّه نحو ثمانين سطراً، فأخذته، ومضيتُ إلى سَلَمِيَّة، وبلغ الأشرف وصولي، فخرج من الخيمة، والتقاني، وعاتبني على انقطاعي عنه، وجرى بيني وبينه فصول، وقلتُ له: المسلمون في ضائقة، وإذا أخذ الفرنج الدِّيار المِصْرية ملكوا إلى حَضْرَموت، وعَفَّوا آثار مكة والمدينة والشَّام [وأنت تلعب!][(٢)]، قم السَّاعة وارحل، فقال: ارموا الخيام [والدِّهليز][(٢)]، وسبقته إلى حِمْص [[(٣)]والمعظم عينه إلى الطريق، فلما قيل له: وصل فلان، ركب، والتقاني] وقال: ما نمتُ البارحة، ولا أكلتُ اليوم شيئاً. فقلتُ: غداً يصبح أخوك على حِمْص. فلما كان من الغد أقبلتِ الأطلاب، وجاء طُلْبُ الأشرف، والله ما رأيتُ أجملَ منه ولا أحسنَ رجالاً، ولا أكمل عُدَّة، وسُرَّ المعظم سروراً عظيماً، وجلسوا تلك الليلة يتشاورون، فاتَّفقوا على الدُّخول في السَّحَر إلى طرابُلُس [يشوشون على الفرنج][(١)]، وكانوا على حالٍ، فأنطق الله الأشرف من غير قَصْد، وقال للمعظَّم: يا خوند، عِوَض ما ندخل السَّاحل ونضعف خيلنا وعساكرنا ونضيع الزَّمان ما نروح إلى دمياط ونستريح؟ فقال له المعظم: قولَ رُماة البُنْدُق؟ قال: نعم، فقبَّل المعظَّم قدمه، ونام الأشرف، فخرج المعظم من الخيمة كالأسد الضَّاري يصيح: الرَّحيلَ الرَّحيل إلى

---

(١) ما بين حاصرتين من «المذيل على الروضتين».

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في (ح): فتلقاني المعظم وقال: ...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

دِمْياط. وما كان يظن أَنَّ الأشرف يسمح بذلك، وساق المعظَّم إلى دمشق وتبعته العساكر، ونام الأشرف في خيمته إلى قريب الظُّهْر [وانتبه، فدخل الحَمَّام، فلم يَرَ حول خيمته أحداً، فقال: وأين العساكر؟][(١)]، فأخبروه الخبر، فسكت، وساق إلى دمشق، فنزل القُصَيْر يوم الثلاثاء رابع جمادى الأُولى، فأقام إلى سَلْخه، وعَرَضَ العساكر تحت قلعة دمشق، وكان هو وأخوه المعظم في الطَّيَّارة بالقلعة، وساروا إلى مِصْر غُرَّة جمادى الآخرة.

وأما الفرنج فإنَّهم خرجوا بالفارس والرَّاجل، وكان البحر زائداً جداً، فجاؤوا إلى تُرْعة، فأرسوا إليها، وفتح المسلمون عليهم التُّرع من كلِّ مكان، وأحدقتْ بهم عساكرُ الكامل، فلم يبق لهم وصولٌ إلى دمياط، وجاء أُسطول المُسْلمين، فأخذوا مراكبهم، ومنعوهم أن تصل إليهم ميرةٌ من دِمْياط، وكانوا خَلْقاً عظيماً، وانقطعت أخبارُهم عن دمياط، وكان فيهم مئة كند، وثماني مئة من الخَيَّالة المعروفين، وملك عكا، والدوك، واللوكات نائب البابا، ومن الرَّجَّالة ما لا يحصى، فلما عاينوا الهلاك أرسلوا إلى الكامل يطلبون الصُّلْح والرهائن، ويسلِّمون دمياط، فمن حِرْصِ الكامل على خلاص دمياط أجابهم، ولو أقاموا يومين أُخذوا برقابهم، فبعث إليهم الكامل ابنه الصَّالح أيوب، وابن أُخته شمس الملوك، وجاء ملوكهم إلى الكامل ممن سمينا، فالتقاهم، وأَنْعَمَ عليهم، وضَرَبَ لهم الخيام، ووَصَلَ المعظَّم والأشرف في تلك الحال إلى المنصورة في ثالث رجب، فجلس الكامل مجلساً عظيماً في خيمةٍ كبيرةٍ عالية، ومدَّ سماطاً عظيماً، وأحضر ملوك الفرنج، ووقف المعظم والأشرف والملوك في خدمته، وقام الحِلِّي الشَّاعر، وأنشد: [من الطويل]

هـنـيـئـاً فـإنَّ الـسَّـعْـدَ راحَ مُـخَـلَّـدا ... وقد أنجز الرحمن بالنَّصْر مَوْعدا
حبانا إلهُ الخَلْقِ فتحاً بدا لنا ... مبيناً وإنعاماً وعزاً مؤبَّدا
تهلَّل وَجْهُ الدَّهْرِ بعد قطوبه ... وأصبحَ وَجْهُ الشِّرْكِ بالظُّلْمِ أسودا
ولما طغى البحرُ الخِضَمُّ بأَهْله الـ ... طغاةِ وأضحى بالمراكب مُزْبدا
أقام لهذا الدِّين مَنْ سَلَّ عزمه ... صقيلاً كما سُلَّ الحسامُ مجرَّدا
فلم ينجُ إلا كلُّ شِلْوٍ مجدَّلٍ ... ثوى منهمُ أو مَنْ تراه مقيَّدا

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وَنادى لسان الكون في الأرض رافعاً عقيرتَهُ في الخافِقَيْنِ ومُنْشدا
أَعُبَّاد عيسى إنَّ عيسى وحزْبه وموسى جميعاً يخدمون محمَّدا(١)

من أبيات.

ووقع الصُّلْح بين الكامل والفرنج يوم الأربعاء تاسع عشر رجب، وسار بعضُ الفرنج في البر، وبعضهم في البحر إلى عكا، وتَسَلَّم الكامل دمياط، ووصلتِ العساكرُ الشَّرقية والشَّامية، وقد أخذ الكامل دمياط.

وحَجَّ بالنَّاس ابنُ أبي فراس، ومعه كتابٌ إلى مكَّة والمدينة بإعادة وليِّ العَهْد أبي نَصْر إلى العهد، وكَتَبَ إلى الآفاق بذلك.

وعاد المعظم إلى الشَّام، وأقام الأشرف بمِصْر عند الكامل، فغيَّر الله القلوب، وصارا متصافيين، واتَّفقا على المعظم.

وولى المعظم الجمال المِصْري قضاء دمشق، وقرأ منشوره بهاءُ الدِّين بنُ أبي اليُسْر [في شهر رجب](٢).

وفيها توفي

إسماعيل بن عبد الله(٣)

أبو طاهر، الأنماطي المحدِّث.

سمع الكثير، ولقي الشيوخ، وتوفي بدمشق ثالث عشر رجب، ودُفِنَ بمقابر الصُّوفية عند المُنَيْبع، وصلَّى عليه شيخنا موفق الدِّين ـ رحمه الله ـ بجامع دمشق، والفخر ابن عساكر بباب النَّصْر، والجمال المصري عند قبره. [سمع الأنماطي بمصر البوصيري، وابن المقدسي شيخنا، وبدمشق من بركات بن إبراهيم الخشوعي، ورحل إلى العراق، فسمع بواسط أبا الفتح بن المندائي، وابن عبد السميع الهاشمي وغيره، وقرأ على

(١) قال أبو شامة: وبلغني أن وقت الإنشاد أشار عند قوله عيسى إلى المعظم، وعند قوله موسى إلى الأشرف، وعند قوله محمداً إلى الكامل، وهذا من أحسن شيء اتفق. «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٤٦.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٧٩ـ٨٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٤٨، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

شيخنا الشيخ تاج الدين الكندي «تاريخ الخطيب»، و«طبقات» ابن سعد، وشيئاً كثيراً،][1] وكان ثقة. وقيل: مات سنة تسع عشرة [وست مئة][1].

محمد بن خَلَف بن راجح[2]

المَقْدِسي، ويلقب بالشِّهاب، والد القاضي نجم الدين، [وموسى الصلاح][1].

كان زاهداً، عابداً، ورعاً، فاضلاً في فنون العلوم، سافر إلى بغداد، وسمع الكثير، وحفظ «مقامات» الحريري في خمسين ليلة، [فتشوَّش خاطره][1]، وكان يغسل باطن عينيه فقلَّ نظره، وكان سليم الصَّدْر، من الأبدال، ما خالف أحداً قط.

قال المصنِّف رحمه الله: رأيتُه يوماً وقد خَرَجَ من جامع الجبل، فقال له إنسانٌ: ما تروح إلى بَعْلَبَكّ؟ فقال: بلى، ومشى من ساعته إلى بعلبك بالقَبْقاب.

وكانت وفاته سَلْخ صفر، ودفن بقاسيون عند أهله، [سمع شهدة وابن البطي ومشايخ الشام وغيرهم، وروى لنا الحديث][1].

محمد بن محمد، النَّحْوي التكريتي[3]

أقام ببغداد، وقرأ الأدب، وبرع فيه [وأجاد][1]، ومن شعره: [من مخلع البسيط]

من كان ذَمَّ الرقيبَ يوماً … فإنَّني للرَّقيبِ شاكِرْ

لم أر وَجْهَ الرَّقيبِ وَقْتاً … إلا ووَجْه الحبيبِ حاضِرْ

السنة التاسعة عشرة وست مئة

فيها ظهر جَرَادٌ بالشَّام لم يُرَ مثله، فأكل الزَّرْع والشجر والثَّمر، فأظهر المُعَظَّمُ أَنَّ ببلادِ العجم طيراً يقال له السمرمر يأكلُ الجراد، فأرسل الصَّدْر البكري محتسب دمشق، ورتَّب معه صوفية، وقال: تمضي إلى العجم، فهناك عينٌ يجتمع فيها السمرمر، فتأخذ من مائها في

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ٣٦-٣٧، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٤٦-٣٤٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) لم أقف على مصادر ترجمته.

قوارير، وتعلِّقه على رؤوس الرِّماح، وكلما رآه السمرمر تَبِعَك، وكان مقصوده أن يبعث البكري إلى [جلال الدين](١) خوارزم شاه، فيتفق معه لما بلغه اتِّفاق الكامل والأشرف عليه، فاجتمع البكري بالخوارزمي، وقرَّر معه الأمور، وجعله سنداً له، وكان الجراد قد قَلَّ، فلما عاد البكري كَثُرَ [الجراد](١)، فقال النَّاس في ذلك الأشعار، وظهر فِعْلُ المعظَّم للنَّاس، وعلم الكاملُ والأشرف، [وجرى هذا الحديث وشاع، فقيل للمعظم: لو كنت أرسلت رسالة مع بعض التجار الذين يسافرون إلى خراسان كان أَوْلى،](١) ولما عاد البكري [من الرسالة](١) ولاه المعظم مشيخة الشيوخ مضافةً إلى الحِسْبة.

وحجَّ من العراق ابنُ أبي فراس مستقلاً، ومن الشَّام الركن الفلكي وكريم الدِّين الخِلاطي، [(٢)وكنت على عزم الحج، فخرجت على هجين إلى مشهد القدم، فجاء حوراني عليه فروة ليصافحني، فنفر بي الهجين، فرماني، فأقمت شهرين أداوي ظهري.

وحج بالناس] من اليمن أقسيس بن الكامل [ولقبه الملك المسعود](١) في عسكرٍ عظيم، فجاء إلى الجبل [وقد لبس أصحابه السلاح، ومنع علم الخليفة أن يُصعد به إلى الجبل](١)، وأَصْعَدَ علم الكامل وعلمه، وقال لأصحابه: إنْ أَطْلَعَ البغاددة علم الخليفة فاكسروه، وانهبوهم. ووقفوا تحت الجبل من الظُّهْر إلى غروب الشمس يضربون الكوسات، ويتعرَّضون للحاجِّ العراقي، وينادون: يا ثارات ابن المقدم. فأرسل ابنُ أبي فراس أباه، وكان شيخاً كبيراً إلى أقسيس، وأخبره بما يجب من طاعة الخليفة، وما يلزمه من ذلك من الشَّناعة، فيقال إنه أَذِنَ في صعود العلم قبيل الغروب، وقيل: لم يأذن، وبدا من أقسيس في تلك السنة جبروتٌ عظيم.

[(٣)وحكى لي شيخنا جمال الدين الحَصِيْري، قال: رأيت أقسيس] قد صَعِدَ على قُبَّة زمزم، وهو يرمي حمام مكَّة بالبُنْدُق، ورأيت غِلْمانه في المسعى يضربون النَّاس بالسيوف في أرجلهم، ويقولون: اسعوا قليلاً قليلاً، فإنَّ السُّلْطان نائمٌ سكران في دار

(١) ما بين حاصرتين من (ش).
(٢) في (ح): وكريم الدين الخلاطي، ومن اليمن...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).
(٣) في (ح): قال الشيخ جمال الدّين الحصري: رأيته قد صعد...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

السَّلْطنة التي في المسعى. والدَّم يجري من ساقات النَّاس.

وفيها نُقِلَ العادل من قلعة دمشق إلى مدرسته التي عند دار العقيقي.

وفيها توفي

مسمار بن عمر بن محمد[1]

أبو بكر ابن العُوَيْس، البغدادي، في شعبان بالمَوْصل، وكان ثِقَةً.

نصر بن أبي الفرج[2]

إمام الحنابلة بمكة، أقام بمكَّة مجاوراً مُدَّة، ثم خرج إلى اليمن، فمات بالمَهْجَم، ودفن به[3]، وكان متعبِّداً لا يفتر من الطَّواف، صالحاً، ثقة.

وتوفي

قطب الدين بن العادل[4]

بالفيوم، ونُقِلَ إلى القاهرة.

السنة العشرون وست مئة

فيها عاد الأشرف من مِصْر إلى الشَّام [قاصداً إلى الشرق][5]، والتقاه المعظَّم، وعرض عليه النزول بالقلعة، فامتنع، ونزل بجوسق أبيه، وبدت الوحشة بين [الأخوة][5] الأشرف والكامل والمُعَظَّم، وأصبح الأشرف في وقت السَّحَر، فساق،

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٨٣ـ٨٤، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (وفيات سنة ٦١٩هـ)، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ١٥٤، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ٢٠٥ـ٢٠٦، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٢٥٣.

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٦٩ـ٧٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٥٢-٣٥٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) نقل أبو شامة في «المذيل»: ١/ ٣٥٣ عن سبط ابن الجوزي قوله: سمعت منه الحديث بمكة في سنة أربع وست مئة.

قلت: وهذا من جملة الأدلة على أن مابين أيدينا هو مختصر «مرآة الزمان».

(٤) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٨٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٥٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٥) ما بين حاصرتين من (ش).

ونزل ضُمَيْر، ولم يعلم المعظم برحيله، وسار يطوي البلاد إلى حَرَّان.

وكان [الأشرف][(١)] قد استناب أخاه شهاب الدِّين غازي صاحب مَيَّافارقين على خِلاط لما سافر إلى مِصْر، وجعله وليَّ عهده [بعد عينه][(١)]، ومكَّنه في جميع البلاد، فسوَّلت له نفسه العِصْيان، وأعانه عليه قومٌ آخرون، [وهم][(١)]: ابنُ زين الدين والمشارقة والمُعَظَّم، وقالوا: نحن من ورائك.

قال المصنِّف رحمه الله: ولما وصل الأشرف إلى حَرَّان، قال لي المعظم: أما عندك خبر ما قد شنَّع عليَّ أخي أنني أردتُ أن أمسكه، فقد كان في الجوسق، لو أردت أن أمسكه أمسكته، والله ما خَطَرَ هذا أبداً.

ولما وصل الأشرف حَرَّان سار إلى سِنْجار، وكَتَبَ إلى أخيه غازي يطلبه، فامتنع من المجيء إليه، فكتب إليه: يا أخي لا تفعل، أنت وليُّ عهدي، والبلاد والخزائن بحكمك، فلا تخرب بيتك بيدك، وتسمع كلام الأعداء، فوالله ما ينفعونك. فأظهر العِصْيان، فجمع الأشرف عساكر الشَّرْق وحلب، وتجهَّز للمسير إلى خِلاط، وكان صاحب حمص قد مال إلى الأشرف، فسار المعظَّم إلى حِمْص، ووصل حماة، ونزل على نقيرين ـ ضيعة على بابها ـ باتِّفاقٍ كان بينه وبين صاحبها، فلم ينزل إليه، ولا فَتَحَ له الباب، فأَقْطَعَ بلاد حماة، وعاد إلى حِمْص، وخرج إليه العسكر، فظهروا عليه، ونهبوا أصحابه، فعاد إلى دمشق، ولم يظفر بطائل.

وحجَ [بالنَّاس][(١)] من العراق ابنُ أبي فراس، ومن الشَّام الشَّرف يعقوب صاحب شركس.

وفيها توفي

أحمد بن ظَفَر[(٢)]

ابن الوزير يحيى بن محمد بن هبيرة، كمال الدين.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٩٥ ، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ١٨٦ـ١٨٧ ، و«تاريخ الإسلام» (وفيات سنة ٦٢٠هـ).

صاحب باب الخليفة، كان كاتباً، مترسِّلاً، مليحَ الخَطِّ، فاضلاً، ولد سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة، ومات في المحرَّم

سُنْقُر الحلبي الصَّلاحي(١)

الأمير مبارز الدين، [والد الظهير](٢).

كان مقيماً بحلب، ثم انتقل إلى مارِدِين، فخاف الأشرف منه، فبعث إلى المعظم، وقال: ما دام المبارز في الشَّرق ما آمن على نفسي. فأرسل المعظم الظَّهير غازي بن المبارز إلى أبيه، وقال: أنا أعطيه نابُلُس وأيش أراد، [فجاء الظهير إلى ماردين، وعرَّف المبارز رغبة المعظم فيه، وأنه يقطعه من الشام أيش أراد](٢)، فقال له صاحب ماردين: لا تفعل، فهذه خديعة، وأنا والقلعة والخزائن لك. [فأبى](٢)، فسار إلى الشَّام سنة ثماني عشرة، ووصل إلى دمشق، وخَرَجَ المعظَّم للقائه ولم يُنْصِفْه، وجاء، فنزل في دار شِبْل الدَّوْلة الحُسامي بقاسيون التي انتقلت إلى الصُّوفية، [وأقام بها](٢)، والمعظَّم مُعْرِضٌ عنه، ويماطله [باليوم وغداً](٢) حتى تفرَّق عنه أصحابه، وكان معه [جملة](٢) من المال والخيل المنسوبة العربية، والجمال، والبغال، والسِّلاح والمماليك شيء كثير، ففرَّق الجميعَ في الأُمراء والأكابر.

قال المصنِّف رحمه الله: وكان جاري؛ لأني كنتُ مقيماً بتربة بدر الدين حسن على ثورا، وكان يزورني وأزوره، ويشكو إليَّ إعراض المعظَّم عنه، وما فعل به ولده الظَّهير، وكيف خدعه، وأنا أُسليه وأهوِّن عليه، [(٣)وأقول كل الأشياء فضلتك، ولقد وقع لي كتاب فيه حديث ملوك اليمن، وبينما أنا قاعد اقرأه، فدخل] فقال: أيش تقرأ؟ قلتُ: أخبار ملوك اليمن. فقال: اقرأ عليَّ، فقرأتُ: فلان [الملك](٢) عاش ألف سنة وماتَ بالغَمِّ، وفلان عاش سبع مئة سنة ومات بالغَمِّ، وذكرتُ من هذا الجِنْس، فقال: وأنا أموت بالغم. وكان طول النهار يجلس مغموماً مهموماً، وما يفيد فيه العَذْل حتى

---

(١) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٥٥-٣٥٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في (ح): وأسليه وأهون عليه، وبينا أنا قاعد أقرأ كتاباً فيه حديث ملوك اليمن دخل فقال...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

انقطع أكله، فأقام عشرين يوماً لا يدخل في فِيْه إلا الماء، ومات كمداً في شعبان في دار شِبْل الدولة، فقام [شبل الدولة][(١)] بأمره أحسنَ قيام، وجهَّزه أجمل جهاز ـ وكان صديقَه من أيام شمس الدَّولة أخي ستِّ الشَّام، ويقال: إن المبارز كان مملوك شمس الدولة ـ واشترى له كافور تربةً على رأس زقاق شبل الدولة بألف دِرْهم عند المصنع، وحضر جنازتَه خَلْقٌ عظيم لأنَّه كان مُحْسناً إلى النَّاس، ولم يكن في زمانه من الصَّلاحية وغيرهم أكرم ولا أشجع منه، وكانت له المواقف المشهورة مع صلاح الدِّين وغيره، وما كانت الدنيا تساوي عنده قليلاً ولا كثيراً، ولما مات وجدوا في صندوقه دُسْتوراً فيه جملة ما أنفق في نعال الخيال [وذلك][(١)] ثمانية عشر ألف دِرْهم، فسألتُ كاتبه عن ذلك فقال: ما يتعلق هذا بنعال دوابِّه، وإنما كان يستعرض الفرس الثمين [بخمس مئة دينار فأكثر، فينعله أولاً قبل أن يركبه][(٢)]، فإن صَلُحَ أعطى صاحبه ثمنه وخلع عليه، وإن لم يصلح أعطى صاحبه مئتي دِرْهم، واعتذر إليه.

ولقد اعترض بعضُ الأمراء فرساً وأنعله ثم ركبه، فلم يصلح، وجاء صاحبه يطلبه فقال الأمير لغلامه: اقلع نعاله، وأَعْطه لصاحبه.

ولقد حكى لي الظهير [ولده][(١)] قال: وصل مع أبي إلى الشَّام ذَهَبٌ وجمال وخيلٌ وغيرها ما قيمته مئة ألف دينار، ومات وليس له كفن، ما كفَّنه إلا شِبْلُ الدولة.

عبد الله بن أحمد[(٣)]

ابن محمد بن قدامة، أبو محمد، شيخنا موفق الدين، المقدسي.

ولد بجمَّاعيل في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمس مئة، وقرأ القرآن [[(٤)]وقد ذكرنا أنه قدم مع الحافظ عبد الغني إلى] بغداد سنة إحدى وستين، وسنة سبع وستين، وحج سنة ثلاثٍ وسبعين، وسمع خَلْقاً كثيراً، وتفقَّه على مذهب الإمام أحمد رحمة الله عليه، وعاد إلى دمشق، وصنَّف المصنفات الحسان، منها: كتاب «البرهان في علوم

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح): وإنما كان يستعرض الفرس الثمين، فينعله ويركبه...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ١٠٧، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٦٧-٣٧٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) في (ح): وقرأ القرآن، وقدم بغداد...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

القرآن»، وكتاب «المغني» في شرح الخِرَقي سبع مجلدات، و«الكافي» مجلَّدان، و«المقنع» مجلد، و«مختصر الهداية» مجلد، و«العمدة»، و«أصول الفقه»، و«الفرائض»، و«أنساب القرشيين»، و«التَّوَّابين»، و«الرقة»، و«الاعتقاد»، و«فضائل الصَّحابة»، و«القدر»، و«ذم التأويل»، و«فضائل عاشوراء»، و«ذم الوسواس»، و«قنعة الأريب» في اللغة، و«إثبات جهة العلو»، وغير ذلك.

وكان إماماً في التَّفاسير والفِقْه والحديث والفنون، ولم يكن في زمانه مثله بعد أخيه أبي عمر، والعماد أزهد منه ولا أورع منه، وكان كثيرَ الحياء، عَزُوفاً عن الدُّنيا وأهلها، هَيِّناً ليناً متواضعاً، محباً للمساكين، حَسَنَ الأخلاق، جَوَاداً، سخيًّا، مَنْ رآه كأنَّما رأى بعضَ الصَّحابة، كأَنَّ النور يخرجُ مِنْ وَجْهه، كثيرَ العبادة، يقرأُ كلَّ يوم وليلة سُبْعاً من القرآن، ولا يصلِّي ركعتي السُّنَّة في الغالب إلا في بيته اتِّباعاً للسُّنَّة، وكان صحيح الاعتقاد، مبغضاً للمُشَبِّهة، وقال: من شَرْط التَّشْبيه أن يرى الشيء ثم يشبهه، مَنْ رأى الله تعالى حتى يشبِّهَه لنا!

قال المصنف رحمه الله: قوله: مَنْ رأى الله تعالى حتى يشبهه لنا؛ كلامٌ حسن في غاية الجودة، لأَنَّ الذي رآه بعيني رأسه ﷺ قال: «رأيت ربي»(١) وسكت عن التشبيه، فيسعنا ما وسعه.

وكان يحضر مجالسي [دائماً](٢) في جامع دمشق وقاسيون، ويفرح بي ويقول: قد أحيا الله بك السُّنَّة، وقَمَعَ البِدْعة، [وهذه البلاد فتوحك كما فتح القدسَ يوسف سميُّك.

ذِكْرُ نبذة من كراماته:

حكى](٣) أبو عبد الله بن فَضْل الأعناكي [قال:](٢) قلتُ في نفسي: لو كان لي قُدْرة لبنيت للموفق مدرسةً، وأعطيته كلَّ يوم ألف دِرْهم، [قال:](٢) ثم جئت بعد أيام، فسلَّمْتُ عليه، فنظر إلي وتبسَّم، وقال: إذا نوى الشَّخص نيةً كُتِبَ له أَجْرُها.

---

(١) وهو عند أحمد في «المسند» (٢٥٨٠) من حديث ابن عباس.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في (ح): وقمع البدعة، وقال أبو عبد الله...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

[وحكى أبو الحسن علي بن حمدان الجرائحي، قال:][1] كنتُ أبغض الحنابلة لما شاع عنهم من سوء الاعتقاد، فمرضت مرضاً شنَّج أعضائي، وأقمتُ سبعة عشر يوماً لا أتحرَّك، وتمنيتُ الموت، فلمَّا كان وقت العشاء جاءني الموفق، وقرأ عليَّ آياتٍ ورقاني، وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] ومَسَحَ على ظهري، فأحسستُ بالعافية، وقام، فقلت: يا جارية، افتحي له الباب. فقال: أنا أروح من حيثُ جئت. وغاب عن عيني، وقمتُ من ساعتي إلى بيت الوضوء، فلما أصبحتُ دخلتُ الجامع، فصلَّيْتُ الفجر خلفَ الموفق وصافحته، فعصر يدي، وقال: احذر أن تقول شيئاً، فقلتُ: أقول وأقول.

وقال قوَّام جامع دمشق: كان ليلة يبيت بالجامع تُفتح له الأبواب، فيخرج، ويعود فَتُغْلق على حالها.

ذِكْرُ وفاته: [وحكى][2] إسماعيل بن حماد الكاتب البغدادي [قال:][3] رأيتُ ليلة عيد الفطر كأَنَّ مُصْحَف عثمان قُد رُفِعَ من جامع دمشق إلى السَّماء، فلحقني غَمٌّ شديد، فتوفي الموفق يوم العيد.

ورأى أحمد بن سَعْد [أخو محمد بن سَعْد الكاتب][3] المقدسي، وكان من الصَّالحين، قال: رأيتُ ليلة العيد ملائكة ينزلون من السماء جُمْلة، وقائل يقول: انزلوا بالنوبة. فقلتُ: ما هذا؟ قال: يتلقون روح الموفق الطَّيِّبة في الجسد الطَّيِّب.

وقال عبد الرحمن بن محمد العلوي: رأيتُ كأَنَّ النبيَّ ﷺ مات وقُبِرَ بقاسيون يوم عيد الفِطْر، [قال][3]: وكنا بجبل بني هلال، فرأينا على قاسيون ليلة العيد ضوءًا عظيماً، فظننَّا أَنَّ دمشق قد احترقت، وخَرَجَ أهلُ القرية ينظرون إليه، فوصل الخبر بوفاة الموفق، ودفن بقاسيون.

وكانت وفاته بدمشق، وحُمِلَ إلى قاسيون، وكان له جَمْعٌ عظيم.

---

(١) في (ح): وقال أبو الحسن بن حمدان الجرائحي...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح): ذكر وفاته، قال إسماعيل...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (ش).

سمع الشيخ عبد القادر، [وأبا الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سَلْمان، وأبا زرعة][1] طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وابن النَّقور، وغيرهم خلقاً كثيراً.

قال المصنف رحمه الله: وقرأتُ عليه كتاب «التوابين» و«الاعتقاد»، وغير ذلك، وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

أبعدَ بياضِ الشَّعْر أَعْمُرُ مَسْكناً ... سوى القبر إني إنْ فَعَلْتُ لأحمقُ
يخبِّرني شَيْبي بأنيَ مَيِّتٌ ... وشيكاً وينعاني إليَّ فَيَصْدُقُ
تخرَّق عُمْري كلَّ يومٍ وليلةٍ ... فهل مستطيعٌ رَفْوَ ما يتخرَّقُ
[كأني بنفسي فوق نعشي ممدداً ... فمن ساكتٍ أو مُعْولٍ يتحرَّقُ][1]
إذا سألوا عنِّي أجابوا وأعْوَلُوا ... وأَدْمُعُهُمْ تنهلُّ هذا الموفَّقُ
وغُيِّبْتُ في صَدْعٍ من الأرض ضَيِّقٍ ... وأُوْدِعْت لحداً فوقه التُّرْب مُطْبِقُ
فيا رَبِّ كُنْ لي مُؤْنساً يوم وَحْشتي ... فإني بما أَنْزَلْتَهُ لمصدِّقُ
وما ضَرَّني أنِّي إلى الله صائرٌ ... ومَنْ هو مِنْ أَهْلي أَبَرُّ وأَشْفَقُ

وكان له أولاد: أبو الفَضْل محمد، وأبو العز يحيى، وأبو المجد عيسى، ماتوا كلهم في حياته، ولم أُدرك منهم غير عيسى - فرضي الله عنه رضى الأبرار، فلقد كان قُرَّة عين الصَّالحين الأخيار - وأُمُّ الجميع مريم بنت أبي بكر بن عبد الله بن سَعْد المقدسي، وكان له منها بنات: صفية وفاطمة، ولم يُعْقِبْ من ولد شيخنا الموفق رحمة الله عليه سوى عيسى، خَلَّف ولدين صالحين ماتا، وانقطع عَقِبُه.

عبد الرحمن بن محمد[2]

ابن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين، أبو منصور، فخر الدين ابن عساكر، ابن أخي الحافظ [ابن عساكر][1] صاحب «التَّاريخ».

ولد فخر الدين في سنة خمسين وخمس مئة، وتفقَّه على مذهب الشَّافعي - رحمة الله عليه - وبَرَعَ فيه، ودرَّس بالجاروخية بدمشق، وبالصَّلاحية بالقُدْس، وسمع الحديث، وكان

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة»: للمنذري ٣/ ١٠٢-١٠٣، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٦٠-٣٦٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

زاهداً، عابداً، ورعاً، منقطعاً إلى العلم والعبادة، سخيًّا، حَسَنَ الأخلاق، قليلَ الرَّغْبة في الدُّنيا، وكانت وفاتُه يوم الأربعاء عاشر رجب، ودُفِنَ على الشَّرف القِبْلي عند مقابر الصُّوفية، [وكانت له جنازة عظيمة](١)، وقبره ظاهر يُزَار، وصلَّى عليه العزيز بن العادل، ولم يتخلَّف عن جنازته إلا القليل، سمع عمَّيْه [أبا القاسم الحافظ، والصائن أبا الحسين هبة الله](١)، والقُطْب النَّيْسابوري، وعليه تفقَّه، وزوَّجه القُطْبُ ابنته.

عبد الرحمن اليمني(٢)

كان مقيماً في المنارة الشَّرقية بجامع دمشق، وكان زاهداً [عابداً](١)، ورعاً، فاضلاً، منقطعاً عن النَّاس، وكان العادل يبعث إليه المال فلا يقبله، توفي في المحرَّم، ودفن بالمنيبع [عند مقابر الصوفية](١).

مظفر بن المجد(٣)

عزُّ الدِّين بن القلانسي.

مِنْ رؤساء دمشق، وجدُّه أبو يعلى حمزة صاحب «الذَّيْل» [إليه ينتهي نسبه](١) صحب مظفر [شيخنا](١) تاج الدين الكندي ولازمه، وانتفع به، وتوفي في رمضان، ودفن بقاسيون، سمع [الحافظ](١) أبا القاسم بن عساكر وغيره، [وكان يحضر السماع معنا في دار تاج الدين](١). وكان كَيِّساً متواضعاً.

محمد بن سَلْمان(٤)

ابن قُتُلْمِش بن تركانشاه، أبو منصور السَّمَرْقَنْدِي.

ولد سنة ثلاثٍ وأربعين وخمس مئة، وبَرَعَ في علم الأدب، وولي حِجْبة الباب للخليفة، وتوفي في ربيع الآخر، ودفن في الشُّونيزية، ومن شعره: [من المتقارب]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٥٩-٣٦٠، ٣٧٧، والصحيح في وفاته أنها كانت سنة (٦٢١هـ)، كما ذكر أبو شامة في وفياتها.

(٣) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٥٧، و«تاريخ الإسلام»: (وفيات سنة ٦٢٠هـ).

(٤) له ترجمة في «التكملة»: للمنذري ٣/ ٩٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٥٧-٣٥٨، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

سَئِمْتُ تكاليفَ هذي الحياةِ وكَرَّ الصَّباحِ بها والمساءِ
وقد صِرْتُ كالطِّفْلِ في عَقْلِهِ قليلَ الصَّواب كثيرَ الهُرَاءِ
أنام إذا كنتُ في مجلسٍ وأَسْهَرُ عند دخول الفِناءِ
وقَصَّرَ خَطْويَ قَيْدُ المشيبِ وطالَ على ما عَنَاني عَنَائي
وما جَرَّ ذلك غيرُ البقاءِ فكيفَ ترى سوءَ فِعْلِ البقاءِ

الضِّياء بن الزَّرَّاد[(١)]

الدِّمَشْقي، المقرىء.

كان عالماً بالقراءات السَّبْع، صَيِّتاً، طَيِّب النَّغمة، وكان فقيراً، سافر من دمشق إلى مَيَّافارقين، واتَّصل بشهاب الدين غازي [ابن الملك العادل][(٢)]، وأقام عنده، ثم اتصل بالملك الأشرف [موسى بن العادل][(٢)].

قال المصنِّف رحمه الله: اجتمعنا بخِلاط سنة ثلاث عشرة [وست مئة][(٢)]، وكان يتردَّد إلينا، ويقرأ طيباً صحيحاً، ثم خَلَّط، ودخل معهم فيما هم فيه.

جاءني يوماً وهو نادمٌ حزين [يبكي][(٢)]، فسألته عن حاله، فقال: البارحة حضرتُ عند الأشرف، وناولني قدحاً من الخَمْر، فامتنعتُ من شُرْبه، والأشرفُ ساكتٌ ينظر إليَّ، ومازالوا بي حتى شربته، فلما حصل في جوفي عَضَّ الأشرف على يده [بحيث كاد أن يقطع أصابعه][(٢)]، وقال لي: والك، فَعَلْتَها! حطَّيتَ الخمر على مئة وأربع عشرة سورة! والله لو خُيِّرْتُ بين أن أحفظ القرآن كما تحفظه وأدع مُلْكي لاخترت حِفْظ القرآن. ثم تُرِكَتْ حُرْمتُه بعد ذلك، فكان يدور البلاد على أصحاب القلاع لرسوم كانت له عليهم، فخرج من حَرَّان في هذه السنة قاصداً إلى السُّويداء، ومعه غِلْمان مُرْدان ثلاثة، فنام في وادٍ وقت الظهر، فقتلوه، وأخذوا خَيْلَه وقُماشه وماله، وبلغ الحاجب علياً، فأرسل خلفهم، [فجيء بهم][(٣)]، فقتلهم.

(١) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٥٨-٣٥٩، و«تاريخ الإسلام»: للذهبي (وفيات سنة ٦٢٠هـ).
(٢) ما بين حاصرتين من (ش).
(٣) في (ح): فجاؤوا، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

الشَّرف محمد بن عروة المَوْصِلي[١]

كان مقيماً بالقُدْس، ويداخل المعظم وغلمانه ويعاملهم[٢]، ويؤذي الفقراء والمشايخ خصوصاً الشيخ عبد الله الأرمني، فإنه انتقل عن القُدْس بسببه، ولما خُرِّب القدس نزل ابنُ عروة دمشق، فأقام بها يسيراً، ومات، فدفن عند قِباب أتابك طُغْتِكِين، وأوقف كُتُبَه بجامع دمشق.

السنة الحادية والعشرون وست مئة

فيها قصد الأشرف خِلاط لينتزعها من أخيه غازي، وكان غازي قد حَشَدَ، فخرج، وقاتل قتالاً شديداً، وكان أهل خلاط يحبُّون الأشرف، فكان غازي يقاتل من باب، وأطلع أهل خِلاط سناجق الأشرف: يا منصور، فصَعِدَ غازي القلعة، وأقام يومين، ثم نزل إلى أخيه، فقال له: أنت مالك ذنب، أنا أعرف من حَمَلك على هذا، وأعطاه ميَّافارِقِين وديار بكر، وأقام الأشرف بخلاط ثلاثة أيام، ثم أعطاها لمملوكه أيبك والحاجب علي، ورجع إلى رأس عين، ونَزَلَ غازي إلى ميَّافارقين مريضاً من جراحاتٍ كانت فيه، فأقام يداويها، وكان المعظَّم قد خرج من دمشق، فنزل العطنة لينجد غازي، وبعث إليه في السر عيسى الدماهي، فوصل وقد مات الأمير[٣]، ورجع المعظَّم إلى دمشق.

وفيها ظهر جلال الدين خوارزم شاه في أَذْربيجان، واستولى عليها، فبعث المعظم إليه [رجلاً صوفياً يقال له][٤] الملق الصوفي في رسالةٍ، واتَّفق المعظم وابن زين الدين معه على الأشرف، وبعث المعظم ولده [الناصر داود إلى ابن زين الدين رهينة، وعبر الفرات عند الحديثة، ومضى][٤] إلى إربل.

واستولى بدر الدين لؤلؤ على المَوْصِل، وأظهر أَنَّ محمود بن القاهر قد مات.

وحجَّ بالنَّاس من بغداد ابنُ أبي فراس، ومن الشَّام الشجاع عليّ بنُ السَّلَّار.

---

(١) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٥٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) انظر حاشيتنا رقم١ ص١٩٠ من هذا الجزء.

(٣) كذا في (ح)، ولم يستقم لي فهم الخبر، ولعل فيه سقطاً، والله أعلم. وقد امتدت حياة غازي حتى وفاته سنة (٦٤٥هـ) كما سيأتي في وفياتها.

(٤) ما بين حاصرتين من (ش).

[وجرت بالعراق واقعة عجيبة ببغداد بقرية يقال لها بعقوبا، فيها نخل كثير، تولاها ناظر يتشيَّع، وكان بها رجل من أهلها له نخل، فصادره الناظر][1]، وأخذ منه ألفي نخلة، فجعل يسبُّ النَّاظر، ويدعو عليه، وبلغ النَّاظر فأحضره، وأمر بضَرْبه، فقال له: بالله عليك، أنصفني. فقال: قُلْ. فقال: أنتم تسبُّون أبا بكر وتقولون: أخذ فَدَك من فاطمة، وإنما في فدك نخلاتٌ يسيرة، تأخذ مني أنت ألفي نخلة وأسكت! فضحك النَّاظر، ورد عليه نخله.

وفيها قدم المسعود أقسيس من اليمن على أبيه الكامل بالقاهرة، طامعاً في أَخْذ دمشق والشَّام، وكان معه من الهدايا شيءٌ عظيم، من جُمْلة ذلك ثلاثة أفيلة، أحدهم كبير يدعى الملك، وعليه مِحَفَّة ودرابزين يقعد فيها عشرة أنفس، وفيَّاله راكبٌ على رقبته، وبيده كُلَّاب حديد يضربه به، ويصرفه كيف أراد، وخَرَجَ الكامل للقاءِ ولده، فلما قربوا من الكامل أمرهم سُوَّاسهم، فوضعوا رؤوسهم على الأرض بين يدي الكامل خدمةً له، وكان في الهدية مئتا خادم، وأحمال عود، ونَدّ ومِسْك، وعنبر، وتُحَف اليمن.

وفيها بنى الكامل دار الحديث التي بين القَصْرين.

وفيها توفي

أحمد بن محمد بن علي[2]

أبو العَبَّاس، القادسي الضَّرير، الحَنْبلي، والد صاحب «الذَّيْل»[3].

قرأ القرآن وسمع، وكان حنبلياً خشناً؛ طلب المستضيء من يصلِّي به التراويح في رمضان، فأحضروه، وقالوا: أي شيء مذهبك؟ قال: حنبلي، قالوا: ما يمكن أَنْ يصلي

---

(١) في (ح): وفيها كان ببعقوبا رجل له نخل كثير، ووليها ناظر متشيع، فصادره، وأخذ منه ألفي نخلة...، وما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة»: للمنذري ٣/ ١٣٠-١٣١، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٧٦-٢٧٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) ابنه هو محمد، كان له اعتناء بالتواريخ، وله «ذيل المنتظم»، و«أخبار الوزراء»، وكلا الكتابين لم يصل إلينا، وتوفي سنة(٦٣٢هـ) ببغداد، انظر ترجمته في «التكملة» للمنذري: ٣/ ١٣١، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٣٢٩، و«الوافي بالوفيات»: ٢/ ١١٧.

بدار الخلافة حنبلي، فقال القادسي: أنا حنبلي، وما أريد أن أصلِّيَ بكم. وسمعه الخليفة، فصاح: صلِّ على مذهبك. وكانت وفاته في شوَّال، ودُفِنَ بباب حَرْب.

المُظَفَّر بن المبارك بن أحمد[1]

أبو الكرم، البغدادي، الفقيه الحنفي.

ولد سنة ستٍّ وأربعين وخمس مئة، وتفقَّه، ودرَّس بمشهد أبي حنيفة، وولي حِسْبة بغداد، وكان فاضلاً، أميناً، ثِقَةً.

السنة الثّانية والعشرون وست مئة

في ربيع الأول وَصَلَ خوارزم شاه جلال الدِّين إلى دقوقا، ففتحها عَنْوَةً، وأوقع السَّيْف في أهلها، ونَهَبَ أموالهم، وسبى حريمهم، وهتك نساءهم، وأحرق البلد، وهَدَمَ سوره، وكانوا قد عَصَوْا عليه، وسبُّوه من الأسوار، وبالغوا في شَتْمه، وعَزَمَ على قَصْد بغداد، فانزعج الخليفةُ، وأخرج المال، وفَرَّق في العساكر ألف ألف دينار، ونَصَبَ المجانيق على الأسوار، وفرَّق السِّلاح، وفتح الأهراء، [وحكى لي المعظم قال: كتب إليَّ يقول:][2] تحضر أنت ومن عاهدني، واتَّفِقْ معي حتى نقصد الخليفة، فإنَّه كان السبب في هلاك أبي، ومجيء [الكفار][3] إلى البلاد، وجدنا كُتُبه إلى الخطا، وتواقيعه لهم بالبلاد والخيل والخِلَع. قال المعظم: فكتبتُ إليه: أنا معك على كلِّ أحدٍ إلا على الخليفة، فإنَّه إمامُ المُسْلمين.

[قال][3]: وبينا هو على عَزْم بغداد، وكان قد جهَّز جيشاً إلى الكُرْج إلى تِفْليس [فكتبوا إليه: أدركنا، فما لنا بالكُرْج طاقة، وبغداد ما تفوت. فسار إلى تفليس،][3] فخرج إليه الكُرْج، فضرب معهم مصافَّ، فَقَتَلَ منهم سبعين ألفاً، وفتح تفليس عَنْوَةً، وقتل منها ثلاثين ألفاً، [فصاروا مئة ألف، وذلك][3] في سَلْخ ذي الحِجَّة.

---

(١) له ترجمة في «التكملة»: للمنذري ٣/ ١٢١، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (وفيات سنة ٦٢١هـ)، و«البداية والنهاية»: (وفيات سنة ٦٢١هـ)، و«الجواهر المضية»: ٣/ ٤٨٨-٤٨٩.

(٢) في (ح): وفتح الأهراء. وكتب جلال الدين إلى المعظم، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (ش).

وفيها صَلَبَ المعظَّم ابنَ الكعكي ورفيقاً له منكَّسين على رؤوسهما، وكان ابنُ الكعكي رأسَ حزب وخَلْفه جماعةٌ، كانوا ينزلون على النَّاس في البساتين، ويقتلون وينهبون، والمعظَّم في الكَرَك، وبلغه أَنَّ ابنَ الكعكي قال للصَّالح إسماعيل وكان ببُصْرى: أنا آخذ لك دمشق. فَكَتَبَ المعظَّم إلى والي دمشق بأن يصلب ابن الكعكي ورفيقه منكَّسين، فصلبهما في العَشْر الأواخر من رمضان، فأقاما أياماً لا يتجاسر أحدٌ أن يُطْعمهما ولا يسقيهما، فماتا، وكان رفيقُ ابنِ الكعكي رجلاً خيّاطاً، شهد له أهلُ دمشق بالصَّلاح والبراءة مما كان فيه ابن الكعكي، وقدم المعظم دمشق بعدما ماتا، فمرض مرضاً عظيماً أشفى منه، ثم أَبَلَّ، ولم يزل ينتفض عليه حتى مات.

وحجَّ بالنَّاس من العراق ابنُ أبي فراس، ومن الشَّام علي بن السَّلَّار.

وفيها توفي

الإمام النَّاصر لدين الله(١)

أبو العَبَّاس أحمد بن الإمام المستضيء بالله.

قد ذكرنا سيرته مفرَّقة في السنين، وأَنَّه ولد عاشر رجب سنة ثلاثٍ وخمسين وخمس مئة، وبويع بالخِلافة غُرَّة ذي القَعْدة سنة خمس وسبعين، وكانت وفاته ليلة الأحد سَلْخ رمضان عن تسعٍ وستين سنة، وكانت خلافته سبعاً وأربعين سنة إلا شهراً وأياماً، ولم يبلغ أحدٌ من بني أمية ولا من بني العَبَّاس هذا العدد إلا المستنصر من المِصْريين [فإنه](٢) ولي ستين سنة، ومن الملوك سنجر، وكان للنَّاصر خادم اسمه رشيق قد استولى على الخلافة، وأقام مُدَّة يوقع عن الخليفة، وكان [قد](٢) قَلَّ بصره وقيل: ذَهَبَ [مرة](٢)، وكانت به أمراضٌ مختلفة، منها عسر البول والحصى، ولقي منه شِدَّة، وشَقَّ ذَكَرَه مراراً، ومازال يعتريه حتى قتله، وغَسَّله [خالي](٢) أبو محمد يوسف بن الجوزي، وكان قد عَمِلَ له ضريحاً عند موسى بن جعفر، فأمر الظَّاهر بحمله إلى

---

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٤٣٨ ـ ٤٤٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٧٩-٣٨٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

الرُّصافة، فَحُمِلَ في تابوت، ودُفِنَ عند أهله، وقيل: توفي في سابع وعشرين رمضان، وبويع أبو نَصْر محمد.

الباب الخامس والثّلاثون

في بيعة الإمام الظَّاهر بأمر الله.

[(١)قد ذكرنا أن أباه خطب له بولاية العهد في سنة خمس وثمانين وخمس مئة، وعمره إذ ذاك أربع عشرة سنة، لأنه ولد في المحرم سنة سبعين وخمس مئة، وخطب له على المنابر]، وعزل في سنة إحدى وست مئة، ثُمَّ أُعيد إلى العهد في سنة ثماني عشرة وست مئة، ولما مات أبوه استدعى المكينَ القُمِّي وقشتمر والأنباري والأعيانَ إلى البَدْرية، فشاهدوا النَّاصر ميتاً مسجّى، فبايعوا أبا نَصْر محمداً، ولقَّبوه بالظَّاهر بأمر الله، وهذه البيعة الخاصَّة، ثم بويع البيعة العامة؛ حَضَرَ القضاةُ مع الأعيان فبايعوه.

وكان جميلَ الصُّورة، أبيضَ مُشْرباً حُمْرةً، حلو الشمائل، شديد القُوَى، أفضت الخلافةُ إليه وله اثنتان وخمسون سنة إلا شهوراً، فقيل له: ألا تتفسَّح؟ فقال: قد قاش الزَّرْع، فقيل له: يبارك الله في عُمُرك، فقال: مَنْ فَتَحَ دُكَّاناً بعد العَصْر أَيْش يكسب؟ ولما بُويع أحسنَ إلى النَّاس، ولم يؤاخذ أحداً ممن سعى في خَلْعه، وكان النَّاس يظنُّون خِلافَ ذلك، وخاف الخونة واستعدُّوا للمهالك، وكتبوا وصاياهم، فقابل الإساءة بالإحسان [والتجاوز بالامتنان](٢)، وصلَّى على أبيه بالتَّاج، وعمل العزاء ثلاثة أيام، وفَرَّق الأموال، وأَبْطَلَ المكوس، وأزال المظالم.

ذِكْرُ وزراء النَّاصر، ونحو ذلك:

وَزَرَ له عبد الله بن يونس، وابن حديدة، وابن القَصَّاب، وابن مهدي، وكَتَبَ له محمد بن الأنباري، وولده علي، ثم اسفنديار، ثم ابن القَصَّاب، ثم يحيى بن زبادة، ثم القُمِّي.

---

(١) في (ح): ولد في المحرم سنة سبعين وخمس مئة، وخطب له على المنابر بولاية العهد سنة خمس وثلاثين (كذا) وعزل...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

[ذِكْرُ فتوحاته][(١)]:

وفتح خوزستان وششتر، وتشتمل على أربعين قلعة، وهَمَذَان، وأصبهان ـ وحُمِلَ إليه خَرَاجُها ـ وتكريت، ودقوقا، والحديثة.

[ذِكْرُ عماراته][(١)]:

وعمر رباط الأخلاطية والتربة، ورباط الحريم، ومشهد عبد الله، وتربة عون ومعين، وتربة والدته التي إلى جانبها، والرباط المقابل لها الذي كان دار والدته، ومسجد سوق السُّلْطان، ورباط المَرْزُبانية، ودور المضيف في جميع المحالّ، ودار ضيافة الحاجِّ [ودار المسناة، ودار الملك وجعلها رباطاً، والدار البيضاء التي كان يسكنها عند التاج][(١)]، وغَرِمَ على هذه الأماكن أموالاً جليلة، ونقل الكُتُبَ النفيسة بالخطوط المنسوبة والمصاحف الشَّريفة إلى النِّظامية، ورباط الخلاطية، والرباط الذي إلى جانب تربة والدته، ورباط الحريم، وغير ذلك.

عليُّ بنُ سليمان بن جَنْدَر[(٢)]

سيف الدين بن علم الدين.

كان من أكابر أمراء حلب، كثيرَ الخير والصَّدقات الدَّارَّة، والبِرّ الوافر، وبنى بحلب مدرسةً للشَّافعية، وبظاهرها مدرسة للحنفية، ووَقَفَ عليهما الأوقاف، وبنى الخاناتِ في الطُّرقات، وكان حنفيَّ المذهب، وله الغَزَوات المشهورة، والمواقف المذكورة، [وكان صديقي، خدمني مدة إقامتي بحلب][(١)]، وكانت وفاته بحلب في العَشْر الأواخر من جُمادى الأولى.

عليُّ بنُ صلاح الدين، الملك الأفضل[(٣)]

ولد بمِصْر سنة خمس وستين وخمس مئة، وكان فاضلاً، شاعراً، حسنَ الخَطِّ، تقلَّبتْ به الأحوالُ حتى ألقاه الدَّهْر بسُمَيْساط، وكانت وفاتُه يوم الجمعة في ربيع الأول، ونُقِلَ إلى حلب، فدفن بظاهرها.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٨١.

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ١٤٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٨١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

ومما يُعْزى إليه من الشِّعْر أَنَّه كَتَبَ إلى الخليفة لما أُخرج من دمشق، واتَّفق عليه العادلُ والعزيز: [من البسيط]

مــولايَ إنَّ أبــا بــكــر وصــاحِــبَــه عثمان قد غصبا بالسَّيْفِ حَقَّ علي
فانْظُرْ إلى حَظِّ هذا الاسم كيف لقي مــن الأواخــر مــا لاقــى مــن الأُوَلِ

[وبلغني أنه كان ينكر هذا الشعر أنه له، وقد ذكرنا من شعره لما قصده العزيز من مصر](١).

عليّ الكُرْدِي المولَّه(٢)

[(٣)الذي كان بباب الجابية، واختلفوا فيه، فبعض الدماشقة يزعم] أَنَّه كان صاحب كرامات، وأنكر ذلك آخرون، وقالوا: ما رآه أحدٌ يصلي [ولا لبس مداساً](١)، وكان يدوس النَّجاسات، ويدخل المسجد على حاله، وقيل: كان له تابعٌ من الجن [يتحدَّث على لسانه](١).

قال المصنف رحمه الله: حكت لي امرأةٌ صادقة، قالت: ماتت [أمي باللاذقية، ولم أُصدِّق](١)، وجاء قوم فقالوا: ماتت، وجاء آخرون فقالوا: ما ماتت. فخرجتُ إلى باب الجابية وهو قاعدٌ عند المقابر، فوقفتُ عنده، فرفع رأسه، وقال: ماتت ماتت، أيش تعملي؟ وكان كما قال.

وحكى لي عبد الله صاحبي، قال: جعتُ يوماً وما كان معي شيء، فاجتزتُ به، فدفع إليَّ نِصْفَ دِرْهم، وقال: يكفي هذا للخبز والقَنْبَرِيس.

ودخل يوماً على [محمد](١) الدَّوْلعي ـ خطيب دمشق ـ المقصورة، وكان يغشاه، فقال له الدَّوْلعي: يا شيخ علي، قد أكلتُ اليوم كسيراتٍ يابسةً، وشربتُ عليها الماء، وكفتني. فقال له: وما تطلب نفسك شيئاً آخر؟ قال: لا، فقال: يا مسكين! مَنْ يقنع بكِسَرٍ يابسة يحبسُ نفسه في هذه المقصورة، ولا يقضي ما فرضه الله عليه من الحج، وخلفه مئة ألف دينار، وكل هذا لأجلِ المحراب لا يزاحمك عليه أحد، والله لا كَلَّمْتُك أبداً.

(١) ما بين حاصرتين من (ش).
(٢) ترجم له أبو شامة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٨١-٣٨٢ نقلاً عن سبط ابن الجوزي.
(٣) في (ح): يزعم بعض الدماشقة أنه...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

محمد بن أبي القاسم بن محمد، الفخر(١)

أبو عبد الله ابن تيمية، الحَرَّاني.

خطيب حَرَّان وفقيهها، وبها ولد، وقدم بغداد، وتفقه، ووعظ، وسَمِعَ الحديث الكثير، وصنَّف الخُطَب والتَّفْسير وغير ذلك، وكان فاضلاً، فصيحاً، أنشد على المنبر: [من السريع]

أحبابَنا قد نَذَرَتْ مُقْلَتي ما تلتقي بالنَّوْم أو نلتقي
رِفْقا بقَلْبٍ مُغْرَمٍ واعطِفوا على سَقَامِ الجَسَدِ المُغْرَقِ
كم تَمْطُلوني بليالي اللِّقا قد ذَهَبَ العُمْرُ ولم نلتقِ

وقال الجمال بن دبوقة، كاتب الملك الأشرف: كنت بحرَّان سنة مات ابنُ تيمية، فجلس يوم عاشوراء ومدح معاوية بنَ أبي سفيان على المنبر، وبالغ وأطنب، فاختلط على المنبر، ونزل مريضاً، فأقام إلى يوم الخميس خامس صفر يعاني أمراضاً صعبة، ومات فيه، وكان يقول: ما قتلني إلا يومُ عاشوراء.

السنة الثالثة والعشرون وست مئة

فيها قدم محيي الدِّين بن الجوزي دمشق رسولاً إلى المعظم، ومعه الخِلَعُ لأولاد العادل من الخليفة الظَّاهر، ومضمون رسالته رجوع المعظم عن الخوارزمي.

قال المصنف رحمه الله: قال لي المعظم: قال خالك: المصلحة رجوعك عن هذا الخارجي إلى إخوتك، ونُصْلح بينكم. وكان المعظَّم قد بَعَثَ الرَّكين مملوكه إلى الخوارزمي، فرحَّله من تفليس، وأنزله على خِلاط، والأشرف بحرَّان. قال: فقلتُ لخالك: إذا رجعتُ عن الخوارزمي وقَصَدني إخوتي، تنجدوني؟ قال: نَعَمْ، فقلتُ: ما لكم عادة تنجدون أحداً، هذه كُتُبُ الخليفة الناصر عندنا، ونحن على دِمْياط، ونحن نكتب نستصرخ به، فيجيء الجواب بأَنْ قد كتبنا إلى ملوك الجزيرة، ولم يفعلوا. قال:

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ١٣٨-١٣٩ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٨٢-٣٨٣ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

قلتُ له: مثلي معكم كمثل رجل كان يخرج من وقت السَّحَر من داره يصلِّي في المسجد، وبيده عُكَّازٌ خوفاً من الكلاب التي للمحلَّة، فقال له بعضُ أصدقائه: أنتَ شيخٌ كبير، وهذا العكاز يثقلك، وأنا أُعَلِّمك شيئاً يغنيك عن حمله، قال: وما هو؟ قال: تقرأ سورة يس عند خروجك من الدَّار، وما يقربك كلب. وأقام مُدَّة، فرأى الشيخ في بعض اللَّيالي حاملَ العكاز، فقال له: ما قد علمتك ما يُغْنيك عن حمله؟! فقال: هذا العكاز لكلبٍ لا يعرف القرآن. وقد اتَّفق إخوتي عليَّ، وقد أنزلتُ الخوارزمي على خِلاط، إنْ قصدني الأشرفُ مَنَعَه، وإنْ قصدني الكامل فيَّ له.

وفيها قَدِمَ الأشرفُ [دمشق][(١)]، وأطاع المُعَظَّم، وسأله أن يسأل الخوارزمي أن يرحل عن خِلاط، وقال: نحن مماليكك، وما أنبت الشَّعَرَ على رؤوسنا إلا أنتَ. فبعث المعظَّم، فرحل الخوارزمي عن خلاط، وكان قد أقام عليها أربعين يوماً، ونزل الثلج، وأقام الأشرف عند المعظم بدمشق، وكان المعظَّم يَلْبَس خِلْعة الخوارزمي، ويركب فرسه، وإذا جلسوا على تلك الحال يحلف المعظَّم برأس خوارزم شاه، وعند الأشرف من هذا المُقْعد المقيم، وهو ساكت.

[[(٢)]وفيها توجه خالي إلى مصر إلى الكامل، وهذه أول سفرة سافرها خالي إلى الشام ومصر].

وفيها توفي الجمال المِصْري القاضي، وولَّى المعظَّمُ الخُوَيِّي، واسمه أحمد بن خليل بن سعادة، [وكنيته أبو العباس][(١)]، استدعاه، وعَرَضَ عليه القضاء، فامتنع، وقال: أنا رجلٌ غريب، والدَّماشقة فيهم كَثْرة، فقال: لا بُدَّ. فولاه قضاء القضاة في ربيع الآخر، وخَلَعَ عليه.

قال المصنف رحمه الله: وفيها فَوَّض إليَّ المعظم التدريس بمدرسة شِبْل الدولة بقاسيون، وحضر أعيان دمشق، [ولم يتخلف منهم أحد][(١)].

وحج بالنَّاس من العراق ابنُ أبي فراس، ومن الشام عليّ بن السَّلَّار.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح): وتوجه محيي الدين بن الجوزي إلى مصر إلى الكامل...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

وفيها توفي

إبراهيم بن موسى المبارز المعتمد[(١)]

ولد بالمَوْصِل، وقدم الشَّام، وخَدَمَ فَرُّخْشاه بن شاهنشاه [ابن أخي صلاح الدين][(٢)]، وتقلبتْ به الأحوال، واستنابه بدر الدين الشحنة بدمشق، ثم ولاه العادل مستقلاً، فأحسن السِّياسة، ولَطَفَ بالرَّعية، [فكان للكبير منهم ولداً، وللصغير والداً، وللمتوسط أخاً، وله واقعات عجيبة.

ذكر طرف من أخباره:][(٢)]

وكان دَيِّناً، ورعاً، عفيفاً، نَزِهاً، اصطنع عالَماً عظيماً من النِّساء والرجال، [[(٣)]وسَتَرَ عليهم كبائر الأحوال، وكانت دمشق في أيام ولايته حُرَّة طاهرة، ودلائل الخيرات بها ظاهرة، ومما جرى له أنه كان في دمشق] رجلٌ فاتك، وإلى جانب بيته قومٌ لهم ولدٌ صغير، في آذانه حَلَقٌ من ذهب، فاغتاله الرجل يوماً، فخنقه، وأخذ الحَلَق من أذنيه، وأخرجه في قُفَّة، ودفنه بالباب الصَّغير، وفقدته أمه، فاتهمتِ الرَّجلَ به، فعذَّبه المبارز عذاباً أليماً، فلم يُقِرَّ بشيء، فأطلق، وفي قلب المرأة النَّار [من فقد ولدها][(٢)]، فطلَّقَتْ زوجَها، وتزوَّجتِ القاتل، وأقامت معه مُدَّة، فقالت له يوماً وهي تداعبه: قد مضى الابنُ وأبوه، وكان منهما ما كان، ـ [وكان الزوج قد مات][(٢)] ـ أنتَ قتلتَ الصَّغير؟ فقال: نَعَمْ، وأخذت الحلق، ودفنته بالباب الصَّغير. فقالت: قُمْ، فأرني قبره. فخرج بها إلى المقابر، وحفر القبر، فرأت ولدها، فلم تتمالك أَنْ ضربتِ القاتلَ بسكِّين أَعَدَّتْها له، فشقَّتْ بطنه، ودفعته، فألقته في القبر، وجاءت إلى المبارز، فحكت له الحكاية، فقام، وخرج معها إلى القبر، فكشفته له، فقال: أحسنتِ والله، ينبغي لنا أن نَشْرب لكِ فُتوَّةً[(٤)].

---

(١) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٩٣-٣٩٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في (ح): وكانت دمشق في أيام ولايته طاهرة، وكان في أيامه بدمشق رجل فاتك إلى جانب...، وما بين حاصرتين من (ش).

(٤) كان من تقاليد الفتوة شرب كأس الفتوة، وهو يحتوي على الماء والملح، انظر «مفرج الكروب»: ٣/ ٢٠٦ حاشية رقم (٢).

[(١)وحكى لي قال: لما حَرَّم العادل الخمر] ، ركبتُ يوماً، وخرجتُ من باب الفرج، وإذا برجل في رقبته طَبْلٌ، وهو يتمايل تحته، فقلتُ: أمسكوه، وشقُّوا الطبل. فَشَقُّوه، وإذا فيه زُكْرةُ خَمْر، فبدَّدْتُها، وضرَبْتُه الحَدَّ، فقلتُ له(٢): من أين علمتَ؟ قال: رأيتُ رِجْلَيه وهي تلعب، فعلمت أنه قد حَمَلَ شيئاً ثقيلاً.

وكان لداره بابان: الباب الكبير عليه الغِلْمان والنُّواب، وباب السِّرِّ في زُقاقٍ آخر، فكان النواب إذا أمسكوا في الليل امرأةً من بيت معروف، وحملوها إليه يقول: انزلوا حتى أقرِّرها، ثم يقول لها: [يا بنتي](٣)، أنتِ من بيتٍ كبير، ورجالك معروفين(٤)، فما الذي حملك على هذا؟ فتعتذر بما يتفق، فيقول لها: سَتَرَ الله عليك. ويبعث معها الخدم من باب السِّرِّ إلى بيتها. فأقام على هذا نحواً من أربعين سنة.

وكان في قلب المعظم له شحناء، لأَنَّه كان يُشْفِقُ عليه، ويحفظه في أماكن يدخل إليها بدمشق في الليل، وهو شابٌّ، فيأمر غِلْمانه أن يتبعوه من بعيد، وكان العادل من مِصْر يكتب إليه بذلك، فلما مات العادل [أظهر ما كان في قلبه منه، و](٣) اعتقله مُدَّة في القلعة، فلم يظهر عليه ولا على أحدٍ من أولاده وحاشيته أَنَّه أخذ من الرَّعية ما مقداره مِثْقال حبة خَرْدل، [ولا غيَّر ما كان عليه من العفة والأمانة والصلاح والديانة، ولا غيَّر ولا بدَّل](٣) فأنزله من القلعة إلى داره، وحَجَرَ عليه، وبالغ في التَّشديد [والعجب من الحجر على الحر البالغ العاقل الرشيد](٣)، وكانت وفاته في حادي عشرين ذي القَعْدة يوم السبت، ودفن بقاسيون في التربة التي أنشأها بالجبل عن ثمانين سنة.

وحكى أنه ولي دمشق نيابةً عن بدر الدين الشحنة أول ولاية صلاح الدين، ثم استقلَّ بالولاية إلى أن عُزِلَ سنة سبع عشرة وست مئة، [وصلاح الدين فتح دمشق سنة سبعين أو إحدى وسبعين](٣) فكانت ولايته نيابةً واستقلالاً قريباً من خمسين سنة، ولم يُؤْخذ عليه شيءٌ إلا أَنَّه كان يحبس وينسى، فعُوقب بمثلِ ذلك؛ أقام محبوساً خمس سنين إلا أياماً.

(١) في (ح): وقال: ركبت يوماً...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).
(٢) في (ح): فقيل له، والمثبت من (ش).
(٣) ما بين حاصرتين من (ش).
(٤) كذا، على اللفظ العامي.

قال المصنف رحمه الله: [وجرت لي معه واقعة عجيبة][1]، كنتُ ليلةَ كلِّ جُمُعة أزوره، وانقطعتُ عنه مُدَّة [بسبب غلق داره في بعض الأوقات][1]، فرأيتُ في المنام كأَنَّ قبره في رَوْضةٍ خضراء، وهو معمول بالفَصِّ الأخضر، وليس هو من جنس فصوص الدُّنْيا، فطربتُ لحُسْنه ورونق المكان، فَهَتَفَ بي هاتفٌ، وقال: لو رأيتَ ما في باطن القَبْر. قلتُ: وما في باطنه؟ قال: الدُّرُّ والياقوت والمَرْجان، وما يستغني عن قراءة كتاب الله تعالى، فانتبهتُ وفهمتُ الإشارة، فأنا في كلِّ ليلة أقرأ ما تيسَّر من القرآن، وأهديه إليه، وإلى أَهْلي وأصحابي ومعارفي. فرضي الله عنه رضى الأبرار، وجمعني وإياه في دار القرار، فقد كان محسناً إليَّ، [ومتفضلاً عليَّ، خدمني بنفسه وجاهه وماله، وجمع لي بين خيري الدنيا بتفضله وإفضاله][1].

[فصل: وفيها توفي

البدر الجَعْبري[2]

والي قلعة دمشق، أقام والياً لها مدة، وكان ذا مروءة، خدم الظاهر بحلب وغيره، وحمل إلى بالس، فدفن عند أهله].

كافور بن عبد الله[3]

شِبْل الدَّوْلة، الحسامي، خادم سِتّ الشَّام.

كان عاقلاً، دَيِّناً، صالحاً، له حرمة وافرة في الدَّوْلة، ومنزلة عالية عند الملوك، بنى مدرسة على نهر ثورا لأصحابِ أبي حنيفة وتُرْبة، ووَقَفَ عليهما الأوقاف، ونقل إليهما الكُتُبَ الكثيرة، وفَتَحَ للنَّاس طريقاً من الجبل إلى دمشق قريبة عند العقارات على طريق عين الكرش، وبنى المصنع الذي على باب الزُّقاق وخانكاه الصُّوفية إلى جانب مدرسته، ومصنعاً آخر عند المدرسة، وله صدقاتٌ دارَّة، وإحسان كثير، وتوفي في

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٩٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) له ترجمة في «المذيل على الروضتين» ١/ ٣٩٢-٣٩٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

رجب، ودفن بتربته [إلى جانب مدرسته][١]، وقد سمع الحديث [على شيخنا تاج الدين الكندي، وروى «اعتقاد الطحاوي»[٢] وغيره][١].

محمد بن أحمد الإمام الظاهر، أمير المؤمنين[٣]

قد ذكرنا ما جرى عليه من الشَّدائد والتعصُّب [الوافر الزائد][١]، وما تجرَّع من الغُصَص [في أوقاته، وما وفت ولايته مدة يسيرة بوفاته][١]، فكانت ولايته تسعة أشهر وأياماً، فيا ليتها دامتْ أعواماً، ولي سَلْخ رمضان، وتوفي في رجب، ومع هذا فإنه قام بأوامر الله بما وجب عليه، وغسله محمد الخَيَّاط الشَّاعر، [وحصل له مال وافر، وحُكي لي أنه][١] دخل يوماً إلى الخزائن، فقال له خادمٌ: في أيامك تمتلىء. فقال: ما جعلتِ الخزائنُ لتمتلىء بل لتفرغ، وتنفق في سبيل الله، فإنَّ الجمع شُغْلُ التُّجَّار.

الباب السَّادس والثَّلاثون

في خلافة ولده أبي جعفر [منصور بن محمد، ولقبه][١] المستنصر بالله.

بويع يوم ماتَ أبوه البيعة العامة، واستبشر النَّاس بطلعته، وسَعِدُوا بولايته، فإنَّه ظهرت منه مخايل الكرم والإحسان، والعَدْل [والامتنان][١]، وتوفي سنة أربعين وست مئة، وسنذكره [هناك][١] إنْ شاء الله تعالى.

يونس بن بَدْران، ويلقب بالجمال المِصْري[٤]

كان وكيل بيت المال في أيام العادل، فلما مات العادل وألبس المعظَّمُ القاضي زكي الدين الكلوتة والقَبَاء ولَّى الجمالَ المِصْري قضاءَ القُضاة بدمشق، وكان فاضلاً، عفيفاً، مهيباً، ورعاً نَزِهاً، ودُفِنَ بداره.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) يعني «العقيدة الطحاوية»، وشرحها لابن أبي العز مشهور متداول.

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ١٨٢ـ١٨٣، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٩٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ١٧٣ـ١٧٤، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٨٧-٣٨٨، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

هبة الله أبو القاسم ابن رواحة، أحد العدول(١)

بنى المدرسة الشَّافعية المجاورة لمدرسة الحنابلة بباب الفراديس، وأوقف عليها الأوقاف، وتوفي في رجب، ودفن بمقابر الصُّوفية.

السنة الرابعة والعشرون وست مئة

فيها عاد الأشرفُ إلى بلاده، وقَدِمَ رسول الإنبرور على المعظَّم بعد اجتماعه بالكامل، فطلب الفتوح، فأغلظ له المعظم، وقال: قُلْ لصاحبك: ما أنا مثل الغير، ما له عندي سوى السَّيْف.

وفي شعبان أمر المعظم الجمال عبد الله بن الحافظ عبد الغني أن يرتِّب «مسند الإمام أحمد» ـ رحمة الله عليه ـ على أبواب الفِقْه، فقعد في الكلَّاسة، ومعه جماعةٌ من المحدِّثين، منهم الشرف الإربلي، فرتَّبوه، فمات المعظم وهم على ذلك.

وحجَّ بالنَّاس من الشَّام الشجاع ابن السَّلار، ومن مَيَّافارقين الشِّهاب غازي بن العادل، وكان ثَقَلُه على ستّ مئة جمل، ومعه خمسون هجيناً، كلُّ هجين عليه مملوك، وجهَّزه الملك الأشرف جَهازاً عظيماً، وسار غربيّ الفُرَات على قرقيسيا وعانة والكبيسات والغمر والعين وشفاثا، وكلُّها قرى فيها عيونٌ جارية ونخل كثير، ومنها يجلب التَّمْر إلى الشَّام، وعلى كربلاء، فزار المشهد، ثم دخل الكوفة، وزار مشهد أمير المؤمنين علي، رضوان الله عليه.

وحجَّ بالنَّاس من العراق شمس الدين قيران مملوك الخليفة، وبَعَثَ الخليفة لشهاب الدِّين فرسين وبغلة وألفي دينار، وقال: هذه من مِلْكي، أَنْفِقْها في طريق الحج، وأوصى أمير الحاج بخِدْمته، وتصدَّق في مكة والمدينة، وعاد إلى العراق، ولم يَصِلِ الكوفة، بل سار غربيَّ الطريق التي سلكها، فكاد يَهْلِك ومن معه عطشاً حتى وصل إلى حَرَّان.

---

(١) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٩٠-٣٩١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وفيها توفي

البهاء عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، أبو محمد المقدسي(١)

كان إماماً بمسجد الحنابلة بنابُلُس، ثم انتقل إلى دمشق، قرأ القرآن، وسَمِعَ الحديث الكثير، وسافر إلى بغداد والعراق، وكان صالحاً ورعاً، زاهداً، غازياً، مجاهداً، جواداً، سَمْحاً، وتوفي ليلة الجمعة ثامن ذي الحجة، ودفن بقاسيون عند أهله.

عيسى بن [العادل](٢) أبي بكر بن أيوب(٣)

الملك المعظم، العالم الفقيه، الفاضل المجاهد في سبيل الله، الغازي، النحوي، اللغوي.

[ذِكْرُ طرف من أخباره](٢):

ولد بالقاهرة سنة ستٍّ وسبعين وخمس مئة، ونشأ بالشَّام، وقرأ القرآن، وتفقَّه على مذهب أبي حنيفة على جمال الدين الحَصِيْري(٤)، وحَفِظَ المَسْعودي، واعتنى بـ «الجامع الكبير»، وقرأ الأدب على تاج الدِّين الكندي، فأخذ عنه «كتاب» سيبويه، وشَرْحَه للسِّيرافي، و«الحُجَّة في القراءات» لأبي علي الفارسي، و«الحماسة»، وقرأ عليه «الإيضاح» لأبي علي حِفْظاً، وسمع «مسند الإمام أحمد» ـ رحمة الله عليه ـ بدمشق، وعلى ابن طَبَرْزَد أشياء من مسموعاته، وسمع «السِّيرة» لابن هِشام على ابن المُجْلي بمِصْر، وغير ذلك، وشَرَحَ «الجامع الكبير»، والرَّد على الخطيب، والعَرُوض، وله ديوان شعر، ومع تصنيفه العروض ما كان يقيم وزن الشِّعْر في بعض الأوقات، [فكنت أقول له: فيك ضرب من النبوة ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾](٢) [يس: ٦٩]، وكان شجاعاً، مقداماً، كثير الحياء، متواضعاً، مليحَ الصُّورة،

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٢١٢ـ٢١٣ ، و«تاريخ الإسلام»: (وفيات سنة ٦٢٤هـ)، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٢٦٩ ، و«العبر»: ٥/ ٩٩ ، و«المختصر المحتاج إليه»: ٢/ ١٩٤ ، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ١٧٠ـ١٧١ ، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٢٦٩ ، و«المقصد الأرشد»: ٢/ ٧٨ ، و«تاريخ الصالحية»: ٢/ ٤٧٥ ، و«شذرات الذهب»: ٥/ ١١٤ ، و«المنهج الأحمد»: ٤/ ١٨٦ـ١٨٧ .

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «الكامل»: ٢/ ٤٧١ـ٤٧٢ ، و«التكملة» للمنذري: ٣/ ٢١٢ـ٢١٣ ، و«المذيل على الروضتين»: : ١/ ٣٩٧-٣٩٩ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) في (ح): فخر الدين الرازي، وهو وهم، والصواب من مصادر ترجمته، وانظر ترجمته في «تاريخ الإسلام»: للذهبي (وفيات سنة ٦٢٤هـ)، فقد قال: وكان شيخه في الفقه جمال الدين الحصيري .

ضحوكاً، غيوراً، جواداً، حَسَنَ السيرة والعِشْرة، محافظاً على الصحبة والمودة، [وكان بالبلقاء رجل من بني مهدي يقال له نُضار، يشعر على عادة العرب، مدح المعظم بقصيدة يقول: [من الطويل]

حمى من اوهام الزمان علامه[١] عزيز إذا ما الدهر كر جفاه

فكان يتعجب من قوله: كرَّ جفاه][٢].

وكان قد توجَّه إلى أخيه الكامل في سنة سبع أو تسع وست مئة، والكامل في الإسكندرية، فركب فرساً واحداً، ووصل من دمشق إلى الإسكندرية في ثمانية أيام، فخرج الكامل، فالتقاه، وترجَّلا، واعتنقا، وركب الكامل وبقي المعظم واقفاً، فقال له الكامل: بسم الله، اركب. فأشار إلى الفرس الذي كان تحته، وأنشد: [من الكامل]

وإذا المَطِيُّ بنا بَلَغْنَ محمدا[٣]

فطرب الكامل.

وكان البهاءُ بن التقي على دار الزَّكاة، فقدم البَدْر بن المسجِّف الشَّاعر من الشَّرْق، ومعه قُماش، فعسفه ابن التِّنِّبي، فكَتَبَ إلى المعظم [يقول][٢]: [من الوافر]

أيا ملكاً أبادَ عِداه قهراً وأحيا كلَّ منقبةٍ وفَضْلِ
ومن هو كالمسيحِ اسْماً وفِعْلاً ونصباً للحياة وجَزْمَ فِعْلِ
يكلِّفُني البهاءُ زكاةَ مال حرامٌ كلُّه من غيرِ حِلِّ
وكيف يجودُ بالزَّكوات من لا يحجُّ ولا يصومُ ولا يصلِّي
فَجُدْ بهباتِ ذلكُمُ فإني أجِلُّ زكاتكمْ عن مال مِثْلي

فكتب المعظم على رأسها: يؤخذ منه العُشْر، جعله بمنزلة الحَرْبي.

---

(١) لم أتبين معنى البيت.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) هذا صدر بيت، وعجزه:

فظهورهن على الرجال حرامُ

وهو لأبي نواس قاله في الأمين محمد بن هارون الرشيد. انظر «وفيات الأعيان»: ٤/ ١٤، وهو في «ديوانه»: ص٥٧٥ ط. دار صادر.

وكان إذا خرج إلى الغَزَاة لا ينام إلا على جل الطرح، وزرديته مخدته، ولا يقطع الاشتغال بالقرآن والجامع الكبير وسيبويه، وكان دائماً يركب، فإذا نزل مَدَّ السِّماط، فإذا أكل النَّاس قضى الحوائج إلى الظهر، وكان في أيام الفَسْخ مع الفرنج يرتِّب النِّيران على الجبال من باب نابُلُس إلى عكا، وعلى عكا جبلٌ قريب منها يقال له الكرمل، كان عليه المنوِّرون، وبينهم وبين الجواسيس علاماتٌ، وكان له في عكا أصحاب أخبار، وأكثرهم نساء الخيالة، وكانت طاقاتهن في قبالة الكرمل، فإذا عَزَمَ الفرنج على الغارة فتحت المرأة الطاقة، فإن كان يخرج مئة فارس أوقدتِ المرأةُ شمعةً واحدة، وإن كانوا مئتين شمعتين، وإن كانوا يريدون قَصْدَ حوران وناحية دمشق أشارت إلى تلك النَّاحية، وكذا إلى نابُلُس، فكان قد ضيَّق على الفرنج الطرق إذا قصدوا جهة سَبَقَ إليها بعسكره، وكان يعطي النِّساء والجواسيس في كل فسخ جملةً كبيرة.

قال المصنِّف رحمه الله: فقلتُ له في بعض الأيام: هذا إسرافٌ في بيوت الأموال. فقال: أنا استفتيك، لما عَزَمَ الإنبرور على الخروج إلى الشَّام أراد أن ينزل عكا بغتةً، ويسير إلى باب دمشق، فبعث فارساً عظيماً وقال له: اخفِ مجيئنا إلى البلاد لنغير بغتةً، وكان بعكا امرأة مستحسنة، فكتبتْ إليَّ تخبرني، فبعثت لها ثياباً ملونة وعنبر ومقانع حرير، فلبستها، واجتمعتْ بالفارس، فدهش، وقال: من أين هذا؟ فقالت: من عند صديقٍ لنا من المُسْلمين، فقال: مَنْ هو؟ فقالت: الكريدي، فصلَّب على وجهه، وقام، فخرج من عندها، فما زالت تلك المرأة تتلطَّف بالفارس وأهاديه حتى صارت كتب الإنبرور تجيء إليه مختومةً، فيبعثها إليَّ، وأقول له يكتب ما أُريد، فلو لم أدارِ عن المسلمين جاء الإنبرور بغتةً، وساق من أهل الشام ومواشيهم وأموالهم ما لا يُعَدُّ ولا يحصى، فأنا أفدي المسلمين بالشيء اليسير، وأحفظ الخطير بالحقير.

وكان المعظم قد أمر الفقهاء أن يجرِّدوا له مذهب أبي حنيفة دون صاحبيه، فجرَّدوا له المذهب في عشر مجلَّدات، وسماه «التذكرة»، فكان لا يفارقه سَفَراً ولا حضراً، يطالعه دائماً، فكتب على ظهر كل مجلدة: أنهاه حِفْظاً عيسى بن أبي بكر بن أيوب، فقلتُ له: ربما يؤخذ هذا عليك، لأن أكبر مدرِّس في الشَّام يحفظ القدوري مع تفرُّغه،

وأنتَ مشغولٌ بتدبير الممالك تكتب خطك على عشر مجلَّدات أنك قد حفظتها! فقال: ليس الاعتبار بالألفاظ، وإنما الاعتبار بالمعاني، سلوني عن جميع مسائلها، فإن قصرت كان الصحيح معكم، وإلا فسلموا لي ما قلت.

[وحكى لي][(١)] سعد الدِّين مسعود والي الجولان [قال][(٢)]: كنت والياً بالشَّوْبك، وكان بها راهبٌ منفرد في بعض الجبال، فجاءني كتابُ المعظَّم بنفيه، فنفيته، فغاب سنة، وجاءني بكتاب المعظم يقول: أعده إلى مكانه، وتوصَّى به. فبحثتُ عن قِصَّته وإذا به قد بَعَثَ به إلى البحر كشف له أخبار الإنبرور على وَجْهها، وإنما نفاه لئلا يتَّهم فيتأذَّى، وأطلق له أرضاً يعيش منها، وأعطاه مئة دينار.

وقال المصنّف رحمه الله: لما قدم خالي أبو محمد يوسف إلى دمشق سنة ثلاثٍ وعشرين بخِلْعة الخليفة كان رسول الخوارزمي قد سبقه بيومين، ومعه خِلْعة الخوارزمي وفرسه وحربتان، وبلغ خالي، فقال لي: أبصر أيش يعمل، إنْ لبس خلعة الخوارزمي قبل خِلْعة الخليفة كان وَهْناً علينا. فكتبتُ إليه ورقة أعرِّفه ما يجب من طاعة الإمام، وفي جملة ما قلت: إن خالي قد سألني في هذه القضية، فَبَيِّضْ وَجْه هذه الشَّفاعة، وكلاماً هذا معناه، فكتب إليَّ: السمع والطَّاعة، مهما أمرت ما أخالف.

وأصبح فَلَبِسَ خِلْعة الخليفة ساعةً، وأعطاها للملك الجواد، فركبتُ بعد يومين لأشكره، فوجدته عند مشهد القدم، وقد رجع التسيير، فبينا هو يحدِّثني لاحت غبرة من ميدان الحصى، فقال: فلان الدِّين تقدم، فلي إليك شغل، وهذا خالك أريد أن أضيفه. وكان إلى جانبي جماعةٌ من الأعيان، فساقوا بين يديه، وشَرَعَ يحدِّثني، ووصل خالي، فَسَلَّم عليه، وسقنا إلى تحت القلعة فقال: لي شغل، فبالله ادخل معنا، واقعد ساعة. فدخلتُ، وعمل سماطاً عظيماً، فلما أكل خالي وخرج، وتفرَّق النَّاس، وأذن الظهر. فقلتُ: أيش قعودي؟ فقال: وأيش تَمَّ من الحوائج؟ قلتُ: فأنت من مشهد القدم تقول: تقدَّم، وتقول السَّاعة: وأيش تمَّ من الحوائج؟ فقال: هذا وأنتَ بغدادي! ما أردتُ إلا أن يرى خالك منزلتك عندي، فيحكي للخليفة ذلك. فدمعت عيني، وقلت: حرامٌ عليَّ صحبة غيرك.

(١) في (ح): وقال سعد الدين...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).
(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

ولما عاد خالي من مصر وقد جاءت كُتُبُ الخوارزمي يعتبه على لبس خِلْعة الخليفة، فخاف، وقال: غداً يدخل خالك من مِصْر. قلتُ: وأين ينزل؟ فقال: أين أراد. فقلتُ: الله، الله لا تغتر بالخوارزمي فما يدوم، والخلافة في بني العَبَّاس باقية، ومعاداة الخلفاء ما هي هيِّنة. فأنزلهم، وأكرمهم، وخَلَعَ عليهم، وخرج جاء إلى حماة، فجاءته وفاةُ الظَّاهر بها.

ولما توقف النَّاس عن الخروج إلى الغَزَاة كَتَبَ إليَّ بخطه كتاباً يقول فيه: قد عرفتُ عزيمةَ الأخ التي جَرَّدها في سبيل الله ابتغاءً لرضاه، وشكرتُ ما يقصد من المساعي في ذات الله ويتوخَّاه، فليقدِّم حضوره إلى أخيه، ومحبِّه المشار إليه، ليقوم من خدمته بما يجب عليه.

وكان يحبُّ الفقهاء، ويحرِّضهم على الاشتغال [بالعلم][١]، فيقول: مَنْ حفظ نصَّ «الجامع الكبير» للكرماني أعطيته مئة دينار، ومن حفظ «الإيضاح» لأبي عليٍّ في النحو أعطيته ثلاثين ديناراً، فحفظ الكتابين جماعة، ووفى لهم بما شرط.

ذِكْرُ وفاته:

كان قد جهَّز العساكر إلى نابُلُس خوفاً من اتِّفاق الكامل مع الإنبرور، ومرض في نصف شَوَّال، وكان عنده رُسُل الخوارزمي، [فحكى لي نجم الدين بن سلَّام[٢] قال][١]: وقد غَرِمَ عليهم في تسعة أشهر تسع مئة ألف دِرْهم، واشتدَّ مرضه، وأصابه ذَرَبٌ عظيم بحيث إنَّه رمى قطعةً من كبده ومصراناً، وكَثُرَتِ الأقوالُ أنَّه سُقي السُّمَّ، واتُّهم به جماعة، وربك الخبير.

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وآخر عهدي [به][١] ليلة الجمعة تاسع [عشرين][١] ذي القَعْدة دخلت عليه آخر النَّهار، وعنده ولده الملك النَّاصر داود، وكريم الدين الخِلاطي، ويعقوب الحكيم وقد تغيرت أحواله، وطلع الموتُ في محاسن وجهه المليح، فبكيتُ، فقال: حاشاك حاشاك. وتحته طراحة خفيفة بندقي ومخدة ولحاف من جنسها، وعلى رأسه كوفية، وعند رأسه صينية اسباذروه فيها تراب، فقلتُ لكريم الدين: ما هذه؟ قال: يتيمَّم لكلِّ صلاة، وكان المعظم يقول: والله ما فاتتني صلاةٌ قط. قال كريم الدين بعد ذلك: باتَ الليلة التي مات في صبيحتها ساهراً، فغفت عينه قبل الفجر، وكان قد قام قياماً عظيماً، ففتح عينيه وقد كادتِ الشمس أن تطلع، فلم يقدر على التيمُّم، فصلَّى

(١) ما بين حاصرتين من (ش).
(٢) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٦٤٢هـ)، وستأتي بعض أخباره في حوادث سنة (٦٣٦هـ).

بالإيماء، وكان [دائماً يقول: ما أظن يدخل ملك إلى الجنة، و][١] يقول: الموتُ خيرٌ من الحاجة إلى النَّاس، ويقول: قد صَحَّ عن النَّبي ﷺ أنه قال: «لا يجتمع غُبارٌ في سبيل الله ودخانُ جهنم في منخري عبد أبداً»[٢]. وكم في منخري من ترابٍ في سبيل الله.

وتوفي ثالث ساعة من نهار الجُمُعة أَوَّل يوم من ذي الحِجَّة، وغَسَّله النَّجْم خليل، وكريم الدِّين يَصُبُّ عليه، وكان قد أوصى أن لا يدفن في القلعة، ويخرج إلى الميدان، ويظهر تابوته، ويصلِّي عليه المُسْلمون، ويحمل إلى قاسيون، فيدفن على باب تُرْبة والدته تحت الشجرة، فلم تنفذ وصيته، ودُفِنَ في القلعة، ثم أُخرج بعد ذلك بمدَّة[٣] لما ملك الأشرف دمشق على حال غير مرضي، بين يديه نصف شمعة، والغرز خليل معه، [[٤]وبلغني أَنَّ الحمالين طلبوا ما يربطوه به على النعش، فقيل لأحدهم]: اربطه بعمامتك. ودُفِنَ مع والدته في القُبَّة عند الباب، وفيها أخوه المغيث، وعمل له العزاء ثلاثة أيام في جامع دمشق.

وجرى على الرَّعية [في وفاته][١] ما لم يجرِ عليهم عند موت أحد من الملوك، [رأيت بنات البيوت اللواتي لم يخرجن قط من خدورهن من أوائل الليل يأتين إلى تحت القلعة، وقد شققن ثيابهن، ونشرن شعورهن، ومعهن الدرادكه فيلطمن عليه، ثم يمشين في الأسواق، ويلطمن إلى الصباح، أقمن على ذلك شهراً، وكذا في الميادين طول النهار، وتكلمت أول يوم في عزائه، فغلبني البكاء،][١] وكان محسناً إلى الرَّعية، ذاباً عن حريمهم، رفيقاً بهم، يعرف صغيرهم وكبيرهم.

قال المصنف رحمه الله: وكان يحضر مجالسي بالقُدْس وبجامع دمشق، فيبكر، ويقعد عند المنبر الذي عند باب المشهد بين العامة، ولما رَجَعَ من الحجِّ في سنة إحدى عشرة وست مئة

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) بنحوه عند أحمد في «المسند» (٧٤٨٠)، وهو صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) كان ذلك في ليلة الثلاثاء، مستهل محرم سنة (٦٢٧هـ)، انظر «وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٩٥ .

(٤) في (ح): وطلب بعض الحمالين ما يربطه به على النعش، فقيل له: اربطه بعمامتك، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

حضر مجلسي بجامع دمشق، فأنشدتُ قصيداً لجدِّي، أوَّلها: [من الطويل]

سلامٌ على الدَّار التي لا نزورُها ... على أَنَّ هذا القلب فيها أسيرُها
إذا ما ذكرنا طِيْبَ أيامنا بها ... تَوَقَّدَ في نَفْسِ المشوقِ سعيرُها
رحلْتُمْ وفي سِرِّ الفؤادِ ضمائرٌ ... إذا هَبَّ علويُّ الصَّبا يستثيرُها
أتنسى رياضَ الغَوْرِ بعد فِراقِها ... وقد أخذ الميثاقَ منكَ غديرُها
مَحَتْ بعدكُمْ تلك العيونُ دموعَها ... فهل من دُموعٍ بعدها نستعيرُها
تجعِّدُهُ مرُّ الشمالِ وتارةً ... تغازله كَرُّ الصَّبا ومرورُها
ألا أيُّها الرَّكْبُ الحجازيُّ بَلِّغوا ... رسالةَ محزونٍ جَوَاهُ سطورُها
إذا كَتَبَتْ أنفاسُهُ بعضَ وَجْدِهِ ... على صَفْحة الذِّكْرى محاه زفيرُها

إلى هنا لجدِّي. قلتُ: [من الطويل]

سقى الله أياماً مَضَتْ ولياليا ... تَضَوَّع رَيَّاها وفاحَ عبيرُها
لياليَ بِتْنا نَجْتلي للمُنَى بها ... عرائسَ حبَّاتُ القلوبِ مهورُها
فياحبَّذا جَنَّاتُها وهْيَ غضَّةٌ ... ويا حبَّذا من سائر النَّاس حُورُها
ويا حبَّذا للنَّفْس والعِيْس عَزْمةٌ ... يكون إلى عيسى المليكِ مصيرُها
هو الشَّمْسُ إنْ غابتْ ففي كلِّ ناظرٍ ... يقينٌ وعِلْمٌ أَنْ سيشرقُ نورُها
تجلَّتْ به الدُّنيا وطالت بفَضْلِهِ ... وإحسانِهِ أجيادُها وصدورُها
له حَقُّها إذْ كان عالمَ سِرِّها ... وللنَّاس منها زُورُها وغُرورُها
كريمٌ إذا ما جئتَ ترجو أياديا ... له فاضَ مِنْ قبلِ السُّؤالِ غزيرُها
فما تُدْركُ الأشعارُ بعضَ صفاتِهِ ... ولو حاكها بشَّارُها وجريرُها
لِيَهْنِك يا عيسى مساعٍ تضاعَفَتْ ... لديكَ بإجزاءِ الإلهِ أجورُها
سَبَقْتَ بها الزُّهَّاد إذ طُويتْ بها ... لك الأرضُ في شِبْرٍ وهانَ عَسِيْرُها
وقفتَ بها للحجِّ وِقْفَتَك التي ... وقفتَ ونارُ الحربِ بادٍ سعيرُها
وكنت إمامَ المَوْقِفَيْن عظيمةٌ ... مساعيك عند الله جَمٌّ غفيرُها
فلا زلتَ تكسو الدِّين حُسْناً ورَوْنَقاً ... وتُوضحُ مخفيَّاتِهِ وتنيرُها
ودانتْ لك الدُّنيا ودُمْتَ مليكَها ... ولا رجعتْ إلا إليكَ أمورُها

ولما قلتُ: وكنتَ إمام الموقفين عظيمة مساعيك، وعنيت موقف الجهاد والحج بكى، وقال: مَنْ أنا حتى يكون لي مساعٍ؟ وزاد بكاؤه، فخفتُ عليه لا يفتضح بين العامة، فقلتُ: لا ينسى الله لك مواقفك في رضائه، وسهرك الليالي في جهاد أعدائه.

ذِكْرُ ما بنى [من المدارس وغيرها](١):

بنى مدرسةً بقاسيون، ودفن فيها والدته، وأخاه المغيث، ومدرسةَ القُدْس، ودار المضيف، واعتنى بأرضِ الحجاز، فبنى حَمَّامين بمعان للرِّجال والنِّساء، وأقام لهم الضيافة عند رواحهم إلى مكة ومجيئهم، وأباحهم الحمامين، وذَرَعَ طريق الحجاز من باب الجابية إلى مكة، وحفر البرك والمصانع، وأوقف على ذلك ضياعاً من السَّاحل وعلى المدارس، ولو عاش لسار النَّاس إلى مكة بغير دليل، [وكان قد حجَّ في سنة إحدى عشرة على طريق تبوك والعُلا، ففعل ما ذكرناه في طريقه،](١) وكانت العُلا لبني صخر، وهي قلعة، فأخذها منهم، ورتَّب فيها جماعة، وعَمَرَ المساجد عند جعفر الطَّيَّار رضي الله عنه، وأقام الضِّيافات للزُّوَّار، وبنى سور دمشق، والطارمة التي على باب الحديد، والطَّيَّارة التي عند باب السِّرِّ المشرفة على دار الطُّعْم العتيقة، وبنى الخان على باب الجابية، وبنى الدَّار والقصر والقَيْسارية، وغير ذلك.

ذِكْرُ ثناء الخلفاءِ والملوكِ عليه:

لما قدم [خالي](١) محيي الدين بن الجوزي عليه سنة ثلاثٍ وعشرين وست مئة، قال [لي](١): قد أُمرت من الدِّيوان ألَّا أخاطبه إلَّا بشهريار الشَّام، وهو الملك.

[(٢)ولما اجتمعت بالملك الظاهر في سنة اثنتي عشرة وست مئة قال لي:] والله هو واسطة العقد، وعين القلادة، ولولا هِمَّتُه، وأَنَّه مشغولٌ بجهاد الأعداء لما قَرَّ لي بحلب قرار.

وكان الملك الكامل(٣) يقول: وهل أنبت الشَّعْر على رؤوسنا إلا الملك المعظم، [وقال لي الكامل في مصر:](١) ومن حفظ عليَّ البلاد، وأحياني بعد الموت غيره. يشير إلى نوبة ابنِ المَشْطوب.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح): وقال الملك الظاهر صاحب حلب عنه...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) سلف أن قائل ذلك هو الأشرف، انظر ص ٢٧٩ من هذا الجزء.

وكان الأشرف يقول: الله بيني وبين الساعة التي ولدت فيها. ومعناه أَنَّه ولد قبل المعظم بليلةٍ أو أكثر، فكان يقف في خدمة العادل فوق المعظم على ما جرت به عادتُهم في كبر السِّنِّ.

ذِكْرُ طَرَفٍ من شجاعته: قد ذكرنا أنه [التقى بالفرنج على القيمون، وقتل منهم مئة فارس، وأسر منهم مئة فارس، ودخل بهم القدس منكسة أعلامهم، و][1] كسر الفرنج غير مَرَّة، وأخرب قيسارية [والنقر ودعوق][1] وحصوناً كثيرة في السَّاحل، وكان بالغَوْر حرامي يقال له: قنديل، معه مئةُ رجل، فكان يقطع الطَّريق بين بَيْسان وأريحا.

قال المصنف: فحكى لي المعظم، قال: بلغني أَنَّ الفرنج قاصدين القُدْس، فخرجتُ من دمشق بعد الظُّهر، وما معي غير ركبدار وقلاوز مملوكي، وقلتُ للجماعة: اتبعوني، وسقتُ، فبتُ بالمطوق، وقمتُ في الليل، فأصبحت ببَيْسان، فتغديت، وساق معي والي بَيْسان، وأُنسيت قنديل، فسقتُ أريد أريحا، فبينا أنا في غدرة بَيْسان، وإذا بقنديل قد خرج، ومعه رجاله، ولم يكن معي عشرة خيالة، فوقفتُ وصحت فيه: والَكْ أنت قنديل؟ قال: نَعَمْ. وبيده قوس، لو ضرب سهمه في الجبل لنفذ فيه، فقلتُ لبعض المماليك: انزل إليه، فنزل، فقلتُ: اكتِفْهُ بوتر قوسه، فكتَّفَه، وانهزمَ أصحابه، وأخذتُ وتر القوس بيدي، وسقتُ إلى قراوى، وهو ساكتٌ، فالتقاني رؤساء قراوى وهو معي، فخافوا، ونزلتُ عندهم، وقلتُ لهم: هذا برؤوسكم، ما أعرفه إلا منكم في القُدْس. ونمتُ عندهم إلى السَّحَر، وركبتُ، فدخلتُ القُدْس، وكانت عادته أن يبيت من دمشق إلى القدس في الطريق ليلة واحدة وبعض أخرى، فلما كان من الغد جاؤوا وهو معهم، فقلتُ: [اخرجوا و][1] اشنقوه. وكان شاباً مليحاً شجاعاً، فقال: يا خوند، عوض ما تشنقني ما تستبقيني أحمي بلادك، وأجاهد الكُفَّار بين يديك؟ [قال:][1] فرقَّ له قلبي، وخلعتُ عليه، واستحلفته، وأطلقته، فنزل الغَوْر، فأقام فيه الخفراء، فأمنَتِ الطرق، وحُفظت الأموال، ولما نزلتِ الفرنجُ على الطّور جاهدهم جهاداً عظيماً، وحفظ الباب، فلما رأى الغلبة خرج إليهم، فقتل منهم جماعةً، ثم استشهد، [رحمه الله][1].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

ذِكْرُ أولاد المعظم:

[كان له ثلاثة أولاد من الذكور][١] النَّاصر داود، والمغيث عبد العزيز، والقاهر عبد الملك، ومن البنات تسع، وقيل: إحدى عشرة.

السنة الخامسة والعشرون وست مئة

فيها نزل جلال الدين الخوارزمي على خِلاط مرَّةً ثانية، وهَجَمَ عليه الشِّتاء، فرحل عنها إلى أذربيجان، وخرج الحاجب علي من خلاط بالعسكر، فاستولى على خُوَي وسَلَمَاس ونَقْجوان، وتلك النَّواحي، وأخذ خزائن الخوارزمي وعائلته، وعاد إلى خلاط، فقيل له: بئس ما فعلتَ، وهذا يكون سبباً لهلاك العباد والبلاد. فلم يلتفت.

وفيها نجزت مدرسة الركن الفلكي بقاسيون، وذكر فيها ملك شاه الدرس.

ووصل عماد الدين بن الشيخ من مِصْر، ومعه ابن جلدك بالخِلَع والتقليد إلى الملك الناصر داود، وأقام ابن الشيخ بدمشق.

وفي ربيع الأول كانت الوقعة على باب صور بين العزيز عثمان وصارم الدين التِّبْنيني والفرنج، كمنوا لهم قريباً من صور، فلما تعالى النهار خرج الفارس والرَّاجل بأغنامهم ومواشيهم، وخرج عليهم المسلمون، فقتلوا وأسروا منهم سبعين فارساً، وساقوا الجميع، ولم يسلم من الفرنج سوى ثلاثة أنفس، [وكانت وقعة عظيمة][١].

وحجَّ بالنَّاس من الشَّام علي بن السَّلاَّر.

وفيها توفي

عبد الرحيم بن علي[٢]

ابن إسحاق بن شِيْث القاضي، جمال الدين، القُرشي، العالم الفاضل.

كأنَّ الله تعالى قد جَمَعَ له بين الفَضْلِ والمروءة، والكرم [والفتوة][١]، والإحسان إلى الخَلْق، ما قصده أحدٌ في شفاعةٍ فردَّه خائباً، وكان يمشي بنفسه مع النَّاس في قضاء

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٢١٧، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

حوائجهم، وكان كثيرَ الصَّدقات، واسعَ المعروف، غزير الإحسان، وكان القاضي الفاضل يحتاج إليه في عِلْم الرَّسائل، وكان إماماً في فنون العلوم [من المنظوم والمنثور][1]، مات له ولدٌ صغير، فخرج في جنازته يبكي ويقول: [من مجزوء الرمل]

ما الذي أطمعُ في الدُّنـ ... ـيا وقد فارقتُ بعضي
هكذا تنفلتُ الدُّنـ ... ـيا من الأيدي وتمضي

قال المصنف رحمه الله: كتبتُ إليه كتاباً أتشوَّق إليه فيه، فكتب جواباً بخطِّه: [من البسيط]

وافى كتابُك وَهْوَ الرَّوْضُ مُبْتسماً ... عن ثَغْرِ دُرٍّ طفا مِنْ بحرك الطَّامي
وكان عنديَ كالماءِ الزُّلال وقد ... تناولَتْهُ يمينُ الحائمِ الظَّامي
لله نفحةُ فَضْلٍ منه رحتُ بها ... نشوانَ أسحبُ أذيالي وأكمامي
يا يوسفَ الفَضْلِ إني بعد فُرْقتنا ... يعقوبُ أرجو بشيراً لي بإلهامي
وما كتابُكَ لي إلا القميصُ إذا ... وافى نفى عن جفوني دَمْعَها الهامي

ورد الكتاب الفلاني لازال سحائب بركاته يحيي النفوس بعد موتها، وهِمَّته العالية تنيل بالهمم شوارد المطالب بعد فوتها، وأياديه تجيب الآمال قبل رفع صوتها، فتلقاه قائماً، وقام بحقِّه وكان عاجزاً لنفسه لائماً، وأكبَّ على عنوانه مقبِّلاً، وأطلق به خاطره الذي كان الوجد له مقيداً ومكبلاً، وافتتحه كما يفتتح عن الأزهار أكمامها، وشاهد منه الجواهر التي رقَّ نثارها وراق نظامها، وتمثل منه جنة على الله تحيتها وسلامها، فشكر الله لتلك الأنامل التي هي بحار الفَضْل، هذه الجواهر الشَّفَّافة الجامعة بين الجزالة واللَّطافة، وابتهج بما دَلَّ عليه من سلامة سيدنا أدامها الله وأكملها، واستأنف الأدعية التي ما أَخَّر وظائفها قَطُّ ولا أهملها. وذكر كلاماً آخر.

وله تصانيفُ كثيرة، ورسائل وأشعار [لطيفة][1]، وكانت وفاته بدمشق سابع المحرَّم، ودفن بقاسيون، وكان [سبب وفاته أنه كان][1] محترماً عند المعظم مُكَرَّماً، وقد جعل له راتباً يقوم بأَوَده، فلما مات المعظم قطع [ذلك][1] الرَّاتب، [الذي كان بصدده][1] ووقع التقصير في حَقِّه، وكانت له نفس شريفة، وهِمَّة عالية [منيفة][1]،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

فمرض أياماً، ثم أسكت، [فبلغني أنه][١]، سأل الله أن يريحه من الدنيا، فاستجاب دعاءه، [وسمع نداءه][١] رحمه الله.

وفيها توفي الشَّريف البهاء الكاتب، وشمس الدين القواس.

السنة السادسة والعشرون وست مئة

في صفر ولَّى الملكُ النَّاصر محيي الدِّين يحيى بن الزكي قضاء القضاة بدمشق، وقرأ عهده بهاء الدين بن أبي اليُسْر [بالكلاسة][١].

وفيها أعطى الكامل بيت القدس للإنبرور، ووصل [الإنبرور][١] إلى يافا، وخرج الكامل من مِصْر، فنزل تل العجول، وكان النَّاصر داود قد بعث الفخر بن بصاقة إلى الأشرف يستدعيه إلى دمشق، فوصل إلى النَّيْرب، ونزل ببُسْتانه، وكان عز الدين أيبك قد أشار على النَّاصر بمداراة الكامل، وقال [له: لا][١] تبعثْ إلى الأشرف وداوِ الأخطر. فخالفه، وقال الأشرف للنَّاصر: أنا أمضي إلى الكامل، وأصلح حالك معه. ومضى إليه، فوجده قد دفع القدس إلى الإنبرور، فشقَّ عليه، ولام الكامل، فقال: ما أحوجني إلى هذا إلا المعظم. أشار إلى أَنَّ المعظم أعطى الإنبرور من الأردن إلى البحر، وأعطاه الكامل الضِّياع التي من باب القُدْس إلى يافا وغيرها، ولما اجتمع الأشرف والكامل اتَّفقا على حصار دمشق، ووصلت الأخبار بتسليم القُدْس إلى الفرنج، فقامت القيامة في بلاد [الإسلام، واشتدت العظائم بحيث إنه][١] أقيمت المآتم.

قال المصنف: وأشار الملك النَّاصر داود بأن أجلس بجامع دمشق، وأذكر ما جرى [على البيت المقدس، فما أمكنني مخالفته، ورأيت من جملة الديانة والحمية للإسلام موافقته][١]، فجلستُ [بجامع دمشق][١] وحضر النَّاصر داود على باب مشهد عليٍّ، وكان يوماً مشهوداً، [لم يتخلف من أهل دمشق أحد][١] ومن جُمْلة الكلام: انقطعتْ عن بيت المقدس وفود الزَّائرين، يا وَحْشَة المجاورين، كم كان لهم في تلك الأماكن

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

من ركعة، كم جَرَتْ لهم على تلك المساكن من دمعة، تالله لو صارت عيونهم عيوناً لما وَفَتْ، ولو تقطَّعت قلوبُهم أسفاً لما شفت، أحسن الله عزاء المسلمين، يا خجلة ملوك المسلمين، لمثل هذه الحادثة تسكب العبرات، لمثلها تنقطع القلوب من الزَّفرات، لمثلها تعظم الحسرات، [وذكر كلاماً طويلاً، وأكثر الشعراء في حديث القدس،][(١)] وكان بعض أصدقائي نظم أبياتاً، فاقتضى الحال إنشادها، وهي هذه الأبيات[(٢)]: [من الطويل]

أَعَيْنَيَّ لا تَرْقَي من العَبَرَاتِ ... صِلِي بالبُكا الآصالَ بالبُكُراتِ
وأَذْرِي دموعاً كالشَّرار يطيره ... لهيبُ الحشا من عاصفِ الزَّفراتِ
لعلَّ سيولَ الدَّمْع يُطفىء فَيْضُها ... تَوَقُّدَ ما في القلب من جمراتِ
ويا فَمُ بُحْ بالشَّجْو منك لعلَّه ... يروِّحُ ما ألقى من الكُرُباتِ
على المسجدِ الأقصى الذي جَلَّ قَدْرُه ... على موطنِ الإخباتِ والصَّلواتِ
على منزل الأملاكِ والوحي والهُدَى ... على مَشْهَدِ الأبدال والبَدَلاتِ
على سُلَّمِ المعراجِ والصَّخْرة التي ... أنافَتْ بما في الأرضِ من صَخَراتِ
على عَرْشِ ملك الله في الأرض قبل أَنْ ... يرى العَرْشَ والكرسيَّ ذا الدَّرجاتِ
على القِبْلة الأُولى التي اتَّجهتْ لها ... صلاةُ البرايا في اختلافِ جهاتِ
على خيرِ معمورٍ لأكرمِ عامرٍ ... وأشرفِ مبنيٍّ لخيرِ بُناةِ
ومعمار داود ذو الأَيْد وابنه ... سليمان ربّ المُلْك والزّلفاتِ
عفا المسجدُ الأقصى المباركُ حَوْله الرَّ ... فيعُ العمادِ العالي الشُّرفاتِ
عفا بعدما قد كان للخير مَوْسماً ... وللبِرِّ والإحسانِ والقُرُباتِ
يوافي إليه كلُّ أشعثَ قانتٍ ... لمولاه بَرٌّ دائمُ السَّجداتِ
خلا من صلاةٍ لا يَمَلُّ مقيمُها ... تُوَشَّحُ بالآياتِ والسُّوَرَاتِ
خلا من جسومٍ بالعبادة نُحَّلٍ ... ومن أَوْجُهٍ بالخوفِ مُمْتَقِعاتِ
خلا من عيونٍ شُرَّهٍ ببكائها ... وأفئدةٍ من رَبِّها وَجِلاتِ

(١) ما بين حاصرتين من (ش).
(٢) وقد أورد معظم أبيات القصيدة كذلك أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ٤/ ٣٣٥-٣٣٦ بتحقيقي.

خلا من أنين النَّادمين على الذي ... بدا منهمُ من سالفِ الفرطاتِ
خلا من صلاة العارفين لربهم ... وتسبيحهمْ في حالك السُّدَفاتِ
لتبك على القدس البلادُ بأَسْرِها ... وتعلنُ بالأحزان والتَّرَحاتِ
ويلبسن أثوابَ الحِداد تأسُّفاً ... يرحن بها ما عشن متشحاتِ
فقد كُنَّ منه في خفارةِ رحمةٍ ... زماناً من الأسواء محتمياتِ
لِتَبْكِ عليه مكة فَهْي أُخته ... وتشكو الذي لاقت إلى عرفاتِ
لِتَبْكِ على ما حَلَّ بالقُدْس طيبة ... وساكنها المدفون في الحُجُراتِ
لعلَّ رسولَ الله يسألُ رَبَّه ... تداركها من هذه الهلكاتِ
لِتَبْك بلادُ الشَّام للقُدْس خاصَّة ... وتصبحُ من أمثالها حَذِراتِ
لقد طَرَقَ الإسلام يا حار بغتةً ... وشَرُّ البلايا طارقُ البغتاتِ
لقد هدموا مجدَ الصَّلاح بهدمه ... وقد كان مجداً باذخ الغُرُفاتِ
وقد أخمدوا صوتاً وصيتاً أثاره ... لهمْ عُظْمُ ما نالوا من الغَزَواتِ
أما عَلِمَتْ أبناءُ أيوبَ أَنَّهمْ ... بمَسْعاتِهِ عُدُّوا من السَّرَواتِ
وأنَّ افتتاحَ القُدْس زهرةُ مُلْكهمْ ... وهل ثمرٌ إلا من الزَّهَراتِ
فمن لي بنُوَّاحٍ يَنُحْنَ على الذي ... شَجانا بأصواتٍ لهنَّ شُجاةِ
يُرَدِّدْنَ بيتاً للخُزَاعيِّ قاله ... يُؤَبِّنَّ فيه خِيْرَةَ الخِيَرَاتِ
مدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تِلاوةٍ ... ومَنْزِلُ وَحْيٍ مُوْحِشُ العَرَصاتِ

من أبيات.

وأكثر الشعراء في ذلك، وحكي أَنَّ فقيراً بات بالقدس، فسمع قائلاً يقول في الليل:

[من الخفيف]

إنْ يكنْ بالشَّآمِ قَلَّ نصيري ... وتهدَّمْتُ ثُمَّ دامَ هلوكي
فلقد أصبح الغداةَ خرابي ... سمةَ العارِ في حياةِ الملوكِ

ومضى عز الدين أيدمر إلى الكامل من نابُلُس، وكان النَّاصر قد أهانه، فأعطاه عشرين ألف دينار، وغرَّقه بالإنعام، وكذا العزيز، وكان الكامل قد عَزَمَ على العَوْد إلى

مِصْر، فقال: قد جاءني مفتاح الشَّام. وسار إلى دمشق، [(١)ونمي(٢) إلى الأشرف والكامل أني قد أفتيت بقتالهما على المنبر، فأرعدا وأبرقا، وتواعدا عليَّ(٣) وتهدَّدا، ولذكر الله أكبر، فتوكلت على الله، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، واعتمدت عليه، ومن يعتمد عليه يصفو له شربه، وأحيط بدمشق من كل جانب]، وحَلَّ بها من الخراب والفساد والعجائب، وقبض النَّاصر على الفخر بن بصاقة، وابن عمه المكرم، وقيدهما ورماهما في الجُبِّ، واستأصلهما، وكان قد اتُّهم الفخر بالأشرف، وأنه لما مضى إليه في الرِّسالة واطأ على النَّاصر، وقال: هذا صبيٌّ لا يصلح للملك، وأنت أَوْلى، [(٤)فبلغني أنهما] تعاتبا في الجُبِّ، فقال الفخر للمكرم: بعد الأمر والنهي والجاه أصارنا الدَّهر إلى الحبوس والقيود، فسبحان مزيل النعم! فقال له المكرم: سبحانك! أي: أنت كنتَ السبب.

وفيها دخل الإنبرور إلى القُدْس، والحصار على دمشق، [وجرى له عجائب، منها أَنَّه](٥) لما دخل الصخرة رأى قسيساً قاعداً عند القدم، يأخذ من الفرنج القراطيس، فجاء إليه كأَنَّه يطلب [منه](٥) الدعاء ولكمه، فرماه إلى الأرض، وقال: يا خنزير، السُّلْطان تصدَّق علينا بزيارة هذا المكان تفعلوا فيه هذه الأفاعيل! لئن عاد دخل واحد منكم على هذا الوجه لأقتلنه. [وحكى صورة الحال قوام الصخرة، قالوا](٥)، ونظر إلى الكتابة التي في القُبَّة: وقد طَهَّر هذا البيت المقدَّس صلاحُ الدين من المُشْركين. فقال: ومَنْ هم المشركون!

وقال للقوام: هذه الشِّباك التي على أبواب الصَّخرة من أجل أيش؟ قالوا: لئلا تدخلها العصافير. فقال: قد أتى الله إليها بالخنازير.

(١) في (ح): وسار إلى دمشق، وأحدق العسكر بها، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).
(٢) ونمي، ساقطة من (ش)، وهي زيادة من عندنا لتستقيم العبارة.
(٣) في (ش): عليه، والمثبت يستقيم مع سياق العبارة.
(٤) في (ح): وتعاتبا...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).
(٥) ما بين حاصرتين من (ش).

[قالوا][(١)]: ولما دخل وقت الظهر، وأَذَّن المؤذن قام جميعُ مَنْ كان معه من الفَرَّاشين والغِلْمان ومعلمه ـ وكان من صِقِلِّية يقرأ عليه المنطق ـ فصلُّوا، وكانوا مسلمين.

[قالوا][(١)]: والظَّاهر من كلام الإنبرور أَنَّه كان دهرياً، وإنما كان يتلاعب بالنَّصْرانية.

[قالوا][(١)]: وكان الكامل قد تقدَّم إلى القاضي شمس الدين قاضي نابُلُس أن يأمر المؤذنين ما دام الإنبرور بالقُدْس لا يصعدوا المنابر، وإنما يؤذنوا في الحرم، فأنسي القاضي أن يُعْلم المؤذنين، فصعد عبدُ الكريم المؤذن في تلك الليلة وقت السَّحر، والإنبرور نازل في دار القاضي، فجعل يقرأ الآيات التي تختصُّ بالنصارى مثل قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾[المؤمنون: ٩١] ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[مريم: ٣٤] ونحو هذا، فلما طلع الفجر استدعى القاضي عبدَ الكريم وقال له: أيش عملت؟ السُّلْطان رسم كذا وكذا. قال: ما عَرَّفتني والتوبة. فلما كانت الليلة الثَّانية ما صعد [عبد الكريم المئذنة][(١)]، فلما طلع الفجر استدعى الإنبرور القاضي، وكان قد دخل القدس في خدمته، وهو الذي سلَّمه إليه، فقال له: يا قاضي، أين ذاك الرجل الذي طلع بارحة أمس المنارة وذكر ذاك الكلام؟ فعَرَّفه أَنَّ السلطان أوصاه. فقال الإنبرور: أخطأتم يا قاضي، تغيرون شعاركم وشرعكم ودينكم لأجلي! فلو كنتم عندي في بلادي هل كنت أبطل ضرب النَّاقوس لأجلكم؟ الله الله لا تفعلوا، هذا أول ما تنقصون عندنا. ثم فَرَّق في القوام والمؤذنين والمجاورين جملة، أعطى كلَّ واحد عشرة دنانير، ولم يقم بالقُدْس سوى ليلتين، وعاد إلى يافا، وخاف من الدَّاوية، فإنهم عزموا على قَتْله، وكان أشقر أمعط، في عينيه ضعف، لو كان عبداً ما ساوى مئتي دِرْهم.

وفيها اشتدَّ الحصار على دمشق، فألجأتِ الضرورة أَنَّ النَّاصر خرج إلى [عمه][(١)] الكامل، وأعطاه الكَرَك وعجلون والصَّلت ونابُلُس والقدس والخليل، وأخذ منه الشوبك، وسلَّم إليه دمشق، [وكان نزوله على دمشق][(١)] في ربيع الآخر من هذه السنة، وتسلمها غُرَّة شعبان، أقاموا عليها أربعة أشهر، وسَلَّم الكاملُ دمشق إلى الأشرف.

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

ونزل الخوارزمي على خِلاط، وضايقها، وأقام عليها إلى السنة الثانية، ونزل عليه الثلج، وحفروا سراباً له ولأصحابه، ولم يزل حتى أخذها عنوة في السنة الآتية.

وسار الكامل إلى حماة، فحصرها، وأخذها من النَّاصر قليج رسلان، وأعطاها لمحمود بن المنصور، ولقبه المُظَفَّر، وكلاهما ابنا أُخته.

وسار النَّاصر داود إلى الكَرَك، وكان قد بكى بين يدي الكامل على الشَّوْبك، فقال الكامل: أنا ما لي حصن يحمي رأسي، وَهَبْ أنك وهبتني إياه. فسكت.

وأقام الأشرف بدمشق، فدخل عليه ابنُ عُنَيْن، فلم ير منه ما كان يعهده من مجالس المعظم، [وما كان يجري فيها من الهنات، وقذف المحصنات، فإنَّ ابن عنين كان هجاءً، خبيث اللسان،][(١)] فَشَرَع فيما كان يفعله، فنهاه الأشرف، وقال: ما مجالسي كما عهدت، يكفيني ما أنا فيه حتى أضيف إليه ثلب [أعراض][(١)] المسلمين! فخرج من عنده، [وكان شاعراً لبيباً كثير الكلام، فأخذ يصنف هجاءه، وقد][(١)] عمل فيه: [من الطويل]

وكنا نرجِّي بعد عيسى محمداً ... لينقذنا من شِدَّة الضُّرِّ والبَلْوى
فأوقعنا في تِيْه موسى كما ترى ... حيارى فلا مَنٌّ لديه ولا سَلْوى[(٢)]

وبلغ الأشرف، فقال: هذا الملعون، إذا لم يكن عندي مَنٌّ ولا سلوى، فعند مَنْ! وأمر بقَطْعِ لسانه، فدخل على جماعة، وحلف أنه ما قال هذا. فقال الأشرف: هذا ما أفلت من لسانه أحد، ولا بُدَّ من قطعه. فهرب إلى بلاده ازرع وحوران، وسكت الأشرفُ عنه.

وفيها توفي

أقسيس[(٣)]

الملك المسعود بن الكامل، صاحب اليمن.

بلغه موت المعظم [في سنة خمس وعشرين وست مئة][(١)]، فطمع في الشَّام، فتجهَّز من اليمن بجهاز لم يسبقه إليه أحدٌ من الملوك، ونادى في بلاد [اليمن في][(١)] التُّجَّار:

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ديوانه: ١٣٢ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٢٤٤، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ١٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

من أراد صحبة السُّلْطان إلى الدِّيار المِصْرية، فليتجهز. فجاء التُّجَّار من الهند بأموال الدُّنيا والأقمشة والجواهر، فلما تكاملتِ المراكب بزبيد جَمَعَ التجار، وقال: اكتبوا لي بضائعكم وما معكم لأحميها من الزكاة والمؤن. فكتبوها له، فصار يكتب لكلِّ تاجرٍ برأس ماله إلى بعض بلاد اليمن، ويستولي على ماله، ففعل بالجميع كذا، فاجتمعوا، فاستغاثوا، وقالوا: نحن قد جئنا من بلدان شتى، وفينا مَنْ أهله بإسكندرية والقاهرة ومِصْر والشَّام والرُّوم، ولنا مُدَّة سنين [ونحن بعيدون](١) عن أهلنا، وقد اشتقنا إليهم، فخُذْ أموالنا، وأَطْلِقْنا نروح إلى أهلنا. فلم يلتفت إليهم، وأخذ الجميع [فبلغني أنه كان](٢) ثَقَلُه في خمس مئة مركب، ومعه ألفُ خادم، ومئة قنطار عنبر وعود ومسك، ومئة ألف ثوب، ومئة ألف صندوق أموال وجواهر، وركب الطريق إلى مكة، ولما وصل بعض الطريق مَرِضَ مرضاً مزمناً، فما دخل مكة إلا وقد فلج، ويبست يداه ورِجْلاه، ورأى في نفسه العِبر، فلما احْتُضر بعث إلى رجل مغربي بمكَّة، فقال: والله ما أرضى لنفسي مِنْ جميع ما معي كفناً [أتكفن به](٣)، فتصدَّق عليَّ بكفن، فبعث له بنصفيتين بغدادي، ومئتي دِرْهم، فكفنوه فيهما، ودفن بالمعلى. وقيل: إنَّ الهواء ضرب بعضَ المراكب، فرجعت إلى زبيد، فأخذها أصحابها. [وبلغني عن الكامل أنه سر بموته](٤)، ولما جاء خزنداره إليه ما سأله كيف مات، بل قال: كم معك من المال والتُّحف. [وقد ذكرنا ما فعل أقسيس وضربه الحرم بالبندق، فعوقب سريعاً، وضربه القدر ضرباً وجيعاً](٣).

الحسين بن هبة الله(٥)

ابن محفوظ بن صَصْرى، أبو القاسم، الدمشقي.

---

(١) زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٢) في (ح): وأخذ الجميع، فكان ثقله، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (ش).

(٤) في (ح): وسر الكامل بموته، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٥) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٢٤٠-٢٤١، و«تاريخ الإسلام»: (وفيات سنة ٦٢٦هـ)، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٢٨٢-٢٨٤، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

سمع الكثير، وروى الكثير، وتوفي في المحرَّم، ودفن بقاسيون، سمع الحافظ ابن عساكر، وروى عنه جميع ما عنده سوى «التاريخ»، فإنه ما سمع منه سوى ترجمة أبي سليمان الدَّاراني. وكان صالحاً، ثِقَةً.

السنة السَّابعة والعشرون وست مئة

فيها بعث الأشرف أخاه الصَّالح إسماعيل، فحصر بعلبك، وضربها بالمجانيق، وضايقها، وتوجَّه إليها الملك الأشرف، وكانوا قد ضربوا بيت الماء الذي للأشرف قريباً من الشيخ عبد الله اليونيني رحمه الله، فقامت قيامةُ الأشرف، وضرب الفَرَّاشين، وطَرَدهم، وضرب خيمته ناحية، ودخل الصَّفي بن مرزوق بين الأشرف والأمجد صاحبها واتفقوا، وأخذوها منه، وجاء، فأقام بدمشق بداره.

وفيها أخذ خوارزم شاه خِلاط بعد أن أكلوا الميتات والجيف، وبيعت قطعة من جلد بألف دِرْهم، فلما كان في جمادى الأُولى زحف عليها من كلِّ جانب، ونَصَبَ المجانيق، وطَمَّ الخنادق، وكان قد أقام عليها عشرة أشهر، فدخلها بالسَّيْف، فنهبها، وهَتَكَ نساءها، وأخذ مجير الدين وتقي الدين ابني العادل وكانا بها، وأخذ الكُرْجية زوجة الأشرف، ودخل بها من ليلته، وكان عز الدين أيبك قد خنق الحاجب علي ومماليكه مع الخوارزمي، فقالوا له: هذا قتل أستاذنا. فقال: اقتلوه. فقتلوه، وبلغ الأشرف وهو بدمشق والكامل بالرَّقَّة، فخرج من دمشق، وجاء إلى الرقة، وكَتَبَ صاحبُ الرُّوم كيقباذ إلى الأشرف، يقول: هذا يستولي على البلاد، والمصلحة أن تجيء إلى عندي، فعندي المالُ والرِّجال، فشاور الكامل، فقال: مصلحة. وقطع الكاملُ الفرات إلى ناحية مِصْر في سبعة آلاف مقاتل، وليس له عدو، وسار الأشرف إلى حَرَّان في سبع مئة فارس وعدوُّه الخوارزمي، فأقام بحرَّان، وكتب إلى حلب والمَوْصِل والجزيرة، فجاءته العساكر، فرحل يريد الروم، ومعه من المقدَّمين أخواه شهاب الدين غازي، والعزيز عثمان، والجواد، وشمس الدين صواب والأمراء، واجتمع [الأشرف][1] بصاحب الروم، وبلغ خوارزم شاه، فسار إليهم، فوقع في طريقه

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

بسبعة آلاف من الروم جاؤوا نجدةً لصاحب الروم، وقد نزلوا في مرج يستريحون، فقتلهم.

وحكى [لي الأمير][(١)] عماد الدِّين بن موسك صورة الحال، فقال: لما وصلنا إلى الروم خرج عسكر أَرْزَنكان نجدةً لنا، وكانوا في اثني عشر ألفاً، فنزلوا في مرج، ورموا سلاحهم، وسيَّبوا دوابهم ترعى، ولم يعلموا بمسير الخوارزمي، فمرَّ بهم في طريقه فقتلهم وأسرهم، ولم يفلت منهم إلا اليسير، وكان في خامس عشرين رمضان نهار الأربعاء، فضعفت قلوب العساكر، وخافوا، وأقمنا مكاننا إلى عشية الخميس، فوصل الجاسوس، وأخبر أَنَّ العدو يصبحنا يوم الجمعة، فرتبنا الأطلاب الجاليشية في الأول، ثم بعدهم العرب، وبعدهم الحلبيون، ثم صواب، ثم الجواد، ثم العزيز، ثم شهاب الدين، ثم تبعهم أطلاب الروم، وصاحب الروم في طُلْب الخاص، والأشرف في طُلْب الخاص أيضاً، وكنَّا في أرض وَعْرة، فخرجنا إلى وطأة، وإذا بطلائع خوارزم شاه، فأخذ العرب منهم مئة فارس، وقتلوا مئة، ولم يتقدَّموا إلينا، ونزلوا ونزلنا، [وبيننا][(١)]، وبينهم جبل، وإلى جانبه وادٍ عظيم، وخفنا خوفاً شديداً، وليس معنا زاد ولا ماء ولا علف لدوابنا، وقال الأشرف: ما نحشر إلا من تحت حوافر خيولنا، أين المفر؟ فلما كان وقت السحر قبيل طلوع الفجر أمر خوارزم شاه بمن بقي من عسكر أرزنكان، وكانوا خمس مئة، فضرب رقابهم، فلما كان بكرة السبت ثامن عشرين شهر رمضان قطعوا إلينا الوادي، ووقف الخوارزمي على رأس الجبل، وسنجقه في الوادي، ووقع القتال، وأرسل الله ضباباً، فلم يَرَ أحدٌ كفَّه، ونصرنا الله عليهم، فانكسروا، ووقع معظمهم في الوادي من الضباب، وانهزم الخوارزمي، ووقع العسكرُ في أصحابه قَتْلاً وأَسْراً، وتفرَّق معظمهم في الجبال والأودية، فقاتل الرُّوم قتالاً شديداً، وكان من وقع من رأس الجبل إلى الوادي أكثر، فأصبحوا بين قتيلٍ وأسير، وغَنِمَ النَّاس أموالهم وخيلهم وسلاحهم، وامتلأتِ الجبالُ والأودية منهم، وشبعت الطيور والوحوش من دمائهم ولحومهم، وقال الأشرف للرومي: لابُدَّ لي من خِلاط. فأعطاه ولأصحابه وإخوته وجميع الأعيان من الأموال والخِلَع والثِّياب والخيل

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

والتحف ما قيمته ألفا ألف دينار، ورجع الرُّومي إلى بلاده، وجَرَّد مع الأشرف بعض عسكره، وسار الأشرف فنزل أرزن الروم، وكان صاحبها قد صار مع الخوارزمي، فأخذها منه، وبعث به إلى صاحب الروم، وسَلَّم أرزن إلى نواب صاحب الروم، وسار إلى خلاط، [ولما وصل الخوارزمي إلى خلاط](١) أخذ جميع ما كان له فيها، والكُرْجية، ومجير الدين وتقي الدين، ونزل أَرْجيش، وجاء الأشرف، فنزل خِلاط، وسار خلف الخوارزمي، فأبعد عنه، وتراسلا، واصطلحا على أن يطلق الخوارزمي مَن عنده من الأسارى، فأطلق مجير الدين وتقي الدين، ولم يطلق الكرجية، وعاد الأشرف إلى دمشق مستهل ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وست مئة، فأقام شهراً، وطلع إلى أخيه الكامل بمصر.

[(٢)قلت: ومن العجائب أنه كان لي عادة أن أجلس الثلاثة أشهر بجامع دمشق، فلما كان يوم السبت ثامن عشرين رمضان اليوم الذي التقى فيه الخوارزمي نهار الضباب، وكان آخر مجالسي بجامع دمشق، وحضر الصالح إسماعيل، وكان نائب الأشرف بدمشق، فقال الصالح ـ وكان بالقبة ـ لنجم الدين بن سلام: قل للشيخ يدعو للسلطان بالنصر، فأشار إليَّ] فدعوت، وأمَّن الجماعة، فثار [في ساعة الدعاء](١) ضبابٌ عظيم، وغشي أهل المجلس ما غَيَّبهم، وغبتُ أنا [أيضاً](١)، فلما أفقت، قلتُ: نُصِرَ الأشرفُ اليوم، فتعجب الجماعة، فوصل الخبر بعد عشرة أيام بالواقعة على ما ذكرنا، وأَنَّ الضَّباب الذي كان عندنا كان عندهم، وأنهم نُصِروا في السَّاعة التي دعونا فيها.

وفيها استخدم شهاب الدين غازي صاحب مَيَّافارقين العز بن الجاموس، وقدمه على [ديوانه، وأعطاه الكوسات والأعلام، وقدمه على](١) جماعةٍ، ودُعي بالصَّاحب الأمير، ومكَّنه غازي من البلاد والعباد، فبدا منه من الكبر والجبروت، والظُّلْم

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح): قال المصنف رحمه الله: لما كان يوم ثامن وعشرين رمضان جلست بجامع دمشق، وحضر الصالح إسماعيل، وكان نائب الأشرف، فقال لنجم الدين بن سلام: قل للشيخ يدعو للسلطان بالنصر. فدعوت...، وما بين حاصرتين من (ش).

والعُدْوان [بحيث كان الجلندي الذي يأخذ كل سفينة غصباً عند كسرى أنوشروان](١)، وكان غازي قد اقترض من البَدْر بن المسجِّف الشَّاعر لما توجَّه إلى مكة عشرة آلاف دِرْهم، وكتب له بها توقيعاً على أنضِّ الجهات، فمطله ابن الجاموس، وأحاله على جهات منكسرة، [ولقي منه أموراً عسرة](٢)، فهجاه بأبياتٍ، وكتب بها إلى غازي، فمنها: [من الطويل]

أبوه الذي أفتى قديماً بسبِّكُمْ ... جهاراً وهذا الابنُ من ذلك الصُّلْبِ
فأَبْعِدْه وُقِّيْتَ الرَّدى عن دياركُمْ ... وقابِلْه بالإعراضِ والفَتْكِ والصَّلْبِ
فقد قيل بيتاً سائراً في مثاله ... وسارَ مسيرَ الشَّمْسِ في الشَّرْق والغَرْبِ
ومَنْ رَبَطَ الكلبَ العقورَ ببابه ... فَعَقْرُ جميعِ النَّاسِ مِنْ رابطِ الكَلْبِ

مات ابنُ الجاموس في هذه السنة، وهي سنة سبع وعشرين بميَّافارقين، فاستولى غازي على تركته [ودوابه وغلمانه](٢)، ولعنه، وقال: لقد ظلم الرَّعية، ووسخ أعراضنا، فدعوا علينا بسببه. وجاء عمه من دمشق يطلب تركته، فسبَّه غازي، وقال: بأيش جاءني، بيننا أكثر من جُبَّة وبرطوش؟ وأعطى عَمَّه ألف دِرْهم.

وفيها توفي

الحسن بن محمد(٣)

ابن الحسن بن هبة الله، أبو البركات زين الأمناء ابن عساكر، [أخو فخر الدين ابن عساكر.

سمع الكثير، وروى «التاريخ» عن الحافظ، ولي منه إجازة، وكانت وفاته](٢) ليلة الجمعة سابع عشر صفر، ودفن عند أخيه فخر الدين، قريباً من مقابر الصوفية.

---

(١) في (ح): والعدوان شيء كثير، وكان غازي... والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).
(٢) ما بين حاصرتين من (ش).
(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٢٥٨-٢٥٩، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ١٨-١٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

الحاجب علي المَوْصلي

كان خصَّاصاً أول [زمانه](١)، ثم خدم الطُّغْدكيني بدمشق، وكان فقيراً وأخوه عثمان، قال الزكي النَّحَّاس: كان الطغدكيني يقعد عندي على الدُّكَّان بسوق النَّحَّاسين بدمشق، والحاجب علي يحمل سرموزته وهو قائم، وكان أخوه عثمان يسوق على الدوابِّ من قاسيون إلى دمشق يبيع الحجارة، فكنتُ أقول له: بكم عملت اليوم؟ فيقول: بدرهمين، فتقلَّبَتْ به الأحوال حتى صار الحاجب نائب الملك الأشرف بالشرق وخِلاط، وكان شَهْماً مِقْداماً، جَوَاداً، بنى الخانات، ووقف عليها الأوقاف، وكان عادلاً، منصفاً، لا يحابي أحداً، فكان الأُمراء وأرباب الدولة يخافونه ويتقونه، وكان مهيباً، وساق خلف الخوارزمي، وأخذ البلاد منه، ونهب عياله، [وقد ذكرناه](١).

وكان سبب هلاكه أَنَّه لما جاء الأشرف إلى دمشق، واتَّفق مع أخيه الكامل على المقايضة بالشَّرْق بلغ الحاجب، فكتَبَ إلى الأشرف يقول له: الله الله، لا تفعل، وليس هذا مصلحة لوجوه: أحدها: لأَنَّك إنما قطعت الفرات لتنجد ابن أخيك النَّاصر، فإذا أخذتَ منه دمشق، فأيُّ حُرْمة تبقى لك عند الملوك؟ فإن كان قَصْدُك الماء والبساتين والفرجة، فهذه سنجار أصحُّ من دمشق وأطيب، وهي وسط البلاد، والثاني: أَنَّ الخوارزمي معاهد الملك المعظم، وما يتخلَّى عن ولده، وهو قريب منا، ومتى أخذ خِلاط أخذ جميع البلاد. والثالث: أَنَّك اليوم ملك الشَّرْق والشَّام، والخليفة والمواصلة والروم يخدمونك، تصبح مثل الأمراء، تصير تبعاً، وحكمك اليوم على عشرة آلاف فارس، ودمشق ما تقيم بأكثر من أربع مئة فارس. وذكر كلاماً في هذا المعنى، فوقع الكتاب في يد الكامل، فقال: ما كفى الخَصَّاص ما فعل، وأَخْذه لأهلِ الخوارزمي، وفتح علينا باباً لا نقدر على سدِّه حتى يكتب مثل هذا الكتاب! ثم أمر كاتبه أن يكتب كتاباً إلى خِلاط إلى عِزِّ الدين أيبك مملوك الأشرف بقَتْل الحاجب، وكان أيبك عدوَّه، وبعث بالكتاب إلى الأشرف وقال: عَلِّمْ عليه. فعلَّم عليه، وقال بعد أيام: مسكين الحاجب عليّ كَتَبَ الكامل كتاباً لهلاكه، وعلَّمْتُ عليه.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

[قلت: سبحان الله، كيف سمحت نفس الأشرف بهلاك رجل مسلم قد خدمه مدة سنين، وحفظ بلاده من السلاطين، وكسر جيوش المخالفين! وكان الأشرف يكون تارة بمصر وتارة بالشام، والحاجب علي يسوس الملك بتدبيره على أحسن نظام، وما خان الحاجب في درهم ولا دينار، ولا قصَّر في خدمة ربّه آناء الليل وأطراف النهار، ولكن حبه لدمشق هو الذي هون عليه هلاك الحاجب، وأنساه خدمة المشفق الصَّاحب](١).

ولما وصل الكتاب إلى أيبك رمى الحاجب في جُبّ، وأَخَذَ جميع ماله، وبَعَثَ إليه بجماعة من الأرمن، فخنقوه.

ولما فُتحت خِلاط عمد مماليك الحاجب إلى أيبك، فقطَّعوه، ثم اعتقل الأشرف أخا الحاجب في قلعة دمشق، واستأصله، ثم أطلقه، وسار الخوارزمي، فنزل في أعمال توريز.

وفيها مات الحِلِّي الشَّاعر(٢)، [وقد ذكرناه لما أخذ المسلمون دمياط](١).

السنة الثَّامنة والعشرون وست مئة

في جُمادى الأُولى ذَكَرَ التَّقيُّ بنُ الصَّلاح الدَّرْس في المدرسة الشَّامية [التي وقفتها بنت حسام الدين(٣) لاجين بن ست الشَّام على الشافعية بدمشق،] المجاورة لمارَسْتان نور الدين.

وفي رجب ذكر النَّاصح بن الحنبلي الدَّرْسَ في المدرسة التي أنشأتها ربيعة خاتون بنت أيوب بقاسيون، وحبس الأشرفُ [علياً](١) الحريريَّ بقلعة عَزَّتا.

وفي رمضان ساق التَّتر خلف [جلال الدين](١) خوارزم شاه من بلاد توريز، فانهزم بين أيديهم إلى دياربكر، وكان قد استحلف صاحب آمد متى قصده فَتَحَ له باب آمِد،

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) هو راجح بن إسماعيل بن أبي القاسم الأسدي، الحِلِّي الشاعر، أبو الوفاء، له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٢٦٨، و«تاريخ الإسلام»: (وفيات سنة ٦٢٧هـ)، و«العبر» للذهبي: ٥/ ١٠٨، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٢٧٥، و«شذرات الذهب»: ٥/ ١٢٣.

(٣) كذا قال، وهي الشامية الجوانية، والمشهور أن التي وقفتها ست الشام، انظر «الدارس»: ١/ ٣٠١، و«منادمة الأطلال»: ١٠٨. وانظر ص٢٤١ من هذا الجزء.

وكان ظهراً له، فجاء إلى آمِد، فلم يفتح له الباب، ورموه بالحجارة من السُّور، فأخذ على وَجْهه وحدَه في أطراف الجبال، فوصل إلى قرية من أعمال مَيَّافارقين، فَقُتِلَ فيها، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وجاء التتر إلى باب مَيَّافارقين، وطلبوه، فقال شهاب الدين [غازي](١): والله ما أعلم أين هو. فقاتلوا مَيَّافارِقِين أياماً، فلم يقدروا عليها، فعادوا إلى إسْعِرد، فقتلوا نيفاً وعشرين ألفاً، وأخذوا من البنات المُسْتحسنات ما أرادوا، وأحرقوها، وعادوا إلى خِلاط، وكانت بوادر الشِّتاء، ووصلت طائفة منهم إلى نَصِيْبين والجزيرة.

وحج بالنَّاس من دمشق شِبْلُ الدولة كافور العادلي.

وفيها قُتِلَ عِزُّ الدين أيبك الأشرفي بتوريز، وقيل: خنق في الجُبِّ كما فَعَلَ بالحاجب عليّ، رحمه الله تعالى.

بهرام شاه بن فَرُّخْشاه(٢)

ابن شاهنشاه بن أيوب، الملك الأمجد، صاحب بعلبك.

[قد ذكرنا أن صلاح الدين](١) أعطاه بعلبك عند وفاة أبيه سنة ثمان وسبعين وخمس مئة، فأقام بها إلى سنة سبع وعشرين وست مئة خمسين سنة حتى حصره الأشرف وأخرجه منها، وساعده عليه شيركوه صاحب حِمْص، وكان في قلبه عليه أحقاد قديمة [كما يكون بين الأهل](١)، وكان المعظَّم يحبُّ الأمجد ويحترمه ويعظِّمه.

قال المصنف رحمه الله: ولقد رأيته يقبِّلُ يده، وكان يتعزَّز على الكامل والأشرف والنَّاس بالمعظم، فلما مات المعظم ثارتِ الأحقاد (٣)[البدرية، والأضغان المخفية، وقد ذكرنا أنهم] أخرجوه من بَعْلَبَك، وجاء إلى دمشق.

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٢/ ٤٥٣، و«الحوادث الجامعة»: ١٩، و«العبر» للذهبي: ٥/ ١١٠، و«فوات الوفيات»: ١/ ٢٢٦-٢٢٨، و«الوافي بالوفيات»: ١٠/ ٣٠٤-٣٠٧، و«شذرات الذهب»: ٥/ ١٢٦-١٢٧.

(٣) في (ح): ثارت الأحقاد، فأخرجوه، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

[(١)ذكر وفاته:

ذكر لي جماعة أنه] سُرِقَتْ له حياصة، لها قيمة، ودواة تساوي مئتي دينار، فاتَّهم بها بعضَ مماليكه، فظهرت عليه وخبَّأها عند بعضِ المماليك، فأخذ [المملوك](٢) السَّارق، وحبسه في خزانةٍ في دار فَرُّخْشاه، وكانت الخزانة خلف الأمجد، وتهدَّد المملوك بقَطْع اليد والصَّلْب، فلما كانت ليلة الأربعاء ثاني عشر شَوَّال جلس على عادته بين يدي الخزانة التي فيها المملوك على الحال التي يجلس أمثاله عليها، وعنده عبَّاس ابن أخي الشَّريف البهاء الكاتب، وابن فهيد اليهودي المنجم، وبيده الإسطرلاب ليأخذ له الطَّالع، وكان يلعب مع عَبَّاس بما جرت عادتهم بلعبه، فقال له ابن فهيد: يا مولانا انظر إليَّ، فهذه ساعةٌ سعيدة، لو أردتَ أَخْذَ دمشق لأخذتَها، فقال له: لا تكلِّمْني، فقد تعين لي الغلب. وكان مع المملوك [الذي في الخزانة](٢) سكِّينٌ صغيرة، فعالج زردة باب الخزانة قليلاً قليلاً، فقلعها، وهجم، فأخذ سيف الأمجد، وجذبه، وضربه [به](٢)، فصاح: لا والكُ يا مأبون. والمملوك يضربه، فَحَلَّ كتفه، ونَزَلَ السَّيْف إلى بزِّه، ثم ضربه ضربة أُخرى، فقطع يده، وطعنه في خاصرته، وانهزم، فصَعِدَ إلى السَّطْح، فصَعِدُوا خلفه، فألقى نفسه إلى الدَّار، فماتَ، وقطَّعه الغِلْمان قِطَعاً، وغُسِّل الأمجد، وكُفِّن، وحُمل إلى تُرْبة أبيه التي على شرف الميدان الشّمالي، فدفن بها.

وكان فاضلاً، شاعراً، فصيحاً، كاتباً، وله ديوان كبير(٣) وكان جَوَاداً ممدَّحاً؛ مدحه خَلْقٌ كثير، وأجازهم الجوائز السَّنية، [وقد ذكرنا مدح النقاش الحلبي له، وكان صديقي، كنت إذا صعدت جبل لبنان للزيارة أجتاز ببعلبك، فيخدمني، ويحسن إليَّ، واجتمعت به عند الشيخ عبد الله اليونيني، وأنشد](٢) من شعره:

كم يذهبُ هذا العُمْرُ في الخُسْرانِ ... ما أغفلني فيه وما أنساني

ضيَّعْتُ زماني كلَّه في لَعِبٍ ... يا عُمُر فهل بعدك عمرٌ ثانِ

(١) في (ح): «وجاء إلى دمشق، وسرقت له حياصة...»، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) طبع في بغداد بتحقيق ناظم رشيد، ثم أعيد طبعه في مصر سنة ١٩٩١م، بتحقيق د. غريب محمد علي أحمد.

وقال:

يـا لـيـتـهـم عـادوا إلـى الأوطـان ... كـي تـجـتـمـع الأرواح بـالأبـدان
كـم رام لـي الـعـذول عـنـهـم بـدلاً ... هـذا غـلـط عـمـري قـصـيـر فـانـي

ورآه بعضُ أصحابه في المنام، فقال له: ما فَعَلَ الله بك؟ فقال: [من المديد]

كـنـتُ مِـنْ ذنـبـي عـلـى وَجَـلٍ ... زالَ عـنِّـي ذلـكَ الـوَجَـلُ
أَمِـنَـتْ نـفـسـي بـوائِـقَـهـا ... عِـشْـتُ لـمَّـا مِـتُّ يـا رَجُـلُ

[وكان الأمجد قد قتل ولداً له شاباً مليحاً، وقيل: خنقه، وقيل: بنى عليه بنياناً، وسنذكره في ترجمة العزيز عثمان بن العادل في سنة ثلاثين وست مئة][١]

خوارزم شاه جلال الدين[٢]

واسمه تُكُش، وقيل: محمود بن محمد بن تُكُش، [سمعت الملك المعظم يقول: ليس هو من بني سلجوق، وإنما][١] هو من نسل طاهر بن الحسين، وجدُّه تكش هو الذي أزال مملكة السَّلْجوقية، وملك محمد أبو جلال الدِّين البلاد، وكان مآله [إلى ما ذكرنا][١] أنَّه طلع إلى جزيرة، فمات بها، فقطع الخطا رأسه، وتمزَّقت ممالكه، وكان ابنُه جلالُ الدين هذا قد هَرَبَ إلى الهند، وعاد [منها][١]، فنزل على هَمَذَان، وقَصَدَ بغداد، وجعل طريقه على دقوقا، فقتل أهلها، [وقد ذكرناه][١]، ثم طلبه عسكره إلى تفليس، فسار على إربل، وعَزَمَ على حصارها، فصانعه ابنُ زين الدين، وعاهده أنَّه من أصحابه، فجاء إلى بلاد الكُرْج، فاستولى عليها، وراسله المعظَّم باطناً بالملق الصوفي، وظاهراً بالركين مملوكه، [وجاء به][١]، فأنزله على خِلاط، وزوجه ابنته الكبرى، ويقال لها: دار مرشد، وجهَّزها جهازاً لم يجهزه ملك [لابنته][١]، واتَّفق موت المعظم، وأخذ خوارزم شاه خِلاط، وفعل فيها [ما فعل][١] وآخر أمره مجيء التتر خلفه، وأنَّه انهزم إلى بلاد مَيَّافارقين، وتاه في الجبال، فوقع به فلاحٌ من قرية يقال

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) سبقت أخباره مفرّقة على السنين، وقد أفرد النسوي كتاباً في سيرته سمّاه «سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي» استوعب فيه أخباره حتى وفاته، وقد طبع بالقاهرة بتحقيق حافظ أحمد حمدي سنة ١٩٥٣م، ثمّ نشر في موسكو سنة ١٩٩٦م بتحقيق ضياء الدين موسى بونياروف. وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٣٢٦-٣٢٩.

لها عين دارا، فرآه راكباً على سرج مرصَّع باليواقيت، وعلى لجام فرسه الجواهر، وسلاحُهُ مجوهر، فقال له: مَنْ أنتَ؟ فقال: خوارزم شاه. وكان عسكره قد قتلوا لهذا الفلاح أخاً، وقيل: إنه شره إلى ما كان معه، فأنزله، وأطعمه، ونام [عنده][١] آمناً، فضربه بفأس، فقتله، وأخَذَ ما كان معه، وبلغ شهاب الدِّين غازي، فأرسل إلى الفلاح، فأنكر، فقرره فأقَرَّ، وأحضر القوس والسِّلاح وقال: دفنته إلى جانب القرية. وكان طَرْخان خال الخوارزمي قد وصل إلى شهاب الدِّين، فأنزله في قصره، وأمر بحملِ الخوارزمي ليلاً من القرية، وقال لخاله: أبصر، هل هو هذا؟ فلما رآه بكى، وقال: نَعَمْ. فدفنوه ليلاً، وأخفوا قبره مخافة أن يُنبش.

[[٢]وبلغني في مقتل خوارزم شاه وجه آخر] ،أنَّه لما كَبَسَه التتر خرج من الخيمة ليلاً، ومعه جماعةٌ من أصحابه، وقصد مَيَّافارقين، وكان معه جواهرُ نفيسة، فبات بقريةٍ عند أرمن، فقال: أنا خوارزم شاه. وأعطاهم جواهر، وقال: احملوني إلى شهاب الدِّين غازي. فحملوه إلى سفينة، وكان تحته فرسٌ سرجه ولجامه ذهب مجوهر، وأنزلوه في السفينة، وبها رجلٌ كُرْدي كان خوارزم شاه قد قتل أهله، فضربه في صدره بحربة، فأخرجها من ظهره، فقتلوا الكرديَّ، وأخذوا ما كان على خوارزم شاه، وفرسه وحياصته، وكان فيها جوهرٌ عظيم، وألقوه في بئر، وبلغ شهاب الدين، فأرسل إليهم، فأخذهم، وأخذ ما أخذوه، وسألهم عن خوارزم شاه، فأخرجوه من البئر، فقتلهم شهاب الدين، وغَسَّله، وكفنه، ودفنه خارج ميَّافارقين تحت بُرْج الملك في جانب الميدان، وبلغ التتر فقصدوا ميَّافارقين، فعفَّى شهابُ الدين قبره.

وقيل: قتل سنة تسعٍ وعشرين [وست مئة][١]، ثم تفرَّقت عساكره أيدي سبا، [وكم فتك وقتل من المسلمين وسبى][١]، وزالت أيامه [وبقيت آثامه][١]، وكان كثيرَ الفساد، أهلك عسكرُه البلادَ والعباد.

[وحكى خالي أبو محمد يوسف][١] محيي الدين ابن الجوزي [قال][١]: بعثني الخليفةُ إليه في رسالةٍ، وهو على خِلاط، فدخلتُ عليه، وبين يديه المُصْحف، وهو

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح): وقيل، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

يقرأ فيه، ويبكي، فقلتُ: تقرأ في المُصْحف وتبكي، وأنتَ تفعل بالمسلمين ما تفعل، وقد قتلت في دقوقا عشرين ألف مُسْلم، وسَبَيْت نساءهم، وفعلت وفعلت! فقال: هذا عسكرٌ عظيم، مسيرة خمسة أيام، مالي عليهم طاعة ولا حكم، [ولا يلتفتون إليَّ][(١)]، ومع هذا، فإنَّه كان سدًّا بين المسلمين والتتر، [وسنداً لأهل الإسلام من التجار، كان يدفع التتر عن المسلمين، فلما هلك انفتح السد.

ولقد حكى لي][(١)] الأمير عماد الدين بن موسك [قال][(١)]: لما كُسِرَ الخوارزمي دخل العزيز عثمان وغازي وجماعةُ الأعيان، فهنؤوا الأشرف بالكَسْرة، فقال: تهنئوني بهذا! سوف ترون غِبَّ هذا، والله لتكونَنَّ هذه الكسرة سبباً لدخول التتر إلى بلاد الإسلام، ما كان الخوارزمي إلا مثل السَّد الذي بيننا وبين يأجوج ومأجوج. فكان كما قال.

وكان الخوارزمي إذا لقي التتر اقتتلوا عشرة أيام بلياليها، يترجَّلون عن خيولهم، ويلتقون بالسيوف، واحدهم يأكل ويبول، وهو يقاتل.

وفيها توفي

المَجْد البَهْنَسي[(٢)]

وزير الملك الأشرف.

من بيت الفَضْل والعلم، وكان [أبوه فاضلاً، كتب «شرح الحماسة» بخطه في ست مجلدات للتبريزي، والنسخة في وقف خانكاه السُّمَيْساطي، ليس في الشَّام أصح منها، وكان][(١)] المجد فاضلاً، وَزَرَ للملك الأشرف مُدَّة، لم يقطع رِزْقَ أحد، وكان حسنَ المحضر، عاقلاً، لم يكن فيه ما يعاب إلا استهتاره، والله يعفو عنه، وكان الأشرف قد عزله عن الوزارة، واستأصله، وأخذ جميع ماله.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) هو الحارث بن المهلب بن الحسن المهلبي، له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٢٨٢ ، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٢٢ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

[(١)ولقد حكى لي المجد] في حران سنة ثلاث عشرة [وست مئة،](٢) قال: رأيتُ بين يدي القاضي علاء الدين الكردي قاضي قضاة الأشرف دواةً كانت لي أخذت مني في المصادرة، قيمتها ألف دِرْهم، وهي مكفتة بالذهب والفضَّة، فقلت له: أنت قاضي المُسْلمين، وتدَّعي الورع، كيف تستحلُّ تكتب في دواة غصب، وهي مكفتة بالذهب؟! فقال لي: السُّلْطان أعطاني إياها. فقلتُ: أعطاك مالي. فقال: ما يلزمني البحث عن هذا.

وكانت وفاة المجد بدمشق، ودفن بتربته التي أنشأها بقاسيون، ووقف عليها وقفاً، وأوصى بكتبه تكون بها.

المهذَّب بنُ الدَّخْوار، الطَّبيب(٣)

كان حاذقاً بعِلْم الطِّبّ، وما كان يرى في الدُّنيا غيره، وتقدَّم على الأطباء بدمشق، ومات بستة أمراض مختلفة، منها ريح اللقوة، ووقف داره وكتبه على الأطباء، ووقف عليها وقفاً، [وكان فاضلاً في علم الطب، وكان عاقلاً، يُقرَأ عليه الطب، وكان له بدمشق دار بظاهرها بستان، فوقف داره على من يقرأ فيها الطب، ووقف البستان عليها،](٢)، ودفن بقاسيون عند تربة بدر الدين الشحنة، [شرقي قاسيون](٢).

العماد المَحَلِّي، الفقيه الشَّافعي(٤)

كان مقيماً بالمدرسة الأمينية، وقيل: اسمه حسام بن غُزِّي بن يونس، [وإنما اشتهر بالعماد](٢).

وكان فاضلاً، حافظاً للحكايات والأشعار والنَّوادر، وكان لا يأكل لأحدٍ شيئاً، وإذا حضر وليمة كان زاده في كُمِّه ولو أنه عند السُّلْطان، وكان على وسطه ألفُ دينار لا تفارقه [أبداً](٢).

---

(١) في (ح): قال المصنف، فحكى لي في حران...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) هو عبد الرَّحيم بن علي بن حامد الدمشقي، له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٢١-٢٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٠٣، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٢٤ ـ وفيهما وفاته سنة (٦٢٩هـ) ـ وهو الصحيح ـ وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

[حكى لي][1] قال: دخلتُ ليلةً إلى العادل في قلعة دمشق، فخلع عليَّ خِلْعة بطَيْلَسان، فخرجت في الليل، وإذا بنفَّاط قائم، وبيده مشعل، فلما رأى طيلساني ظنَّ أنني القاضي، فمشى بين يدي بالمشعل، فمشيتُ إلى باب البريد أريد الأمينية، فلما وصلتُ إلى دار سيف أخذتُ الطَّيْلسان، فجعلته في كُمِّي، وقصَّرت في المشي، فالتفت النفَّاط، فما رأى الطَّيْلسان، فقال: يا سيدي أين مشى القاضي؟ فأشرتُ إلى ناحية مدرسة نور الدين، وقلتُ: داره عند المدرسة. فمضى عني، وخلصت منه [ودخلت الأمينية][1].

وكانت وفاته في ربيع الآخر، ودفن عند مقابر الصوفية.

وقيل: مات سنة تسع وعشرين.

شمس الدين بن اسفنديار الأمير

[كان خازناً في قاسيون، و][1] كان كيِّساً، متواضعاً، حَسَنَ العِشْرة، كريم الأخلاق، مليح الصورة، جَوَاداً، من بيت مشهور، وكانت داره مأوى الفضلاء والعلماء والفقراء والأعيان، ودفن بتربته بقاسيون المجاورة لتربة ابن تميرك.

جمال الدَّوْلة بن زويزان[2]

رئيس قصر حَجَّاج.

كان كيِّساً، متواضعاً، صاحب مروءة وعصبية، وله صدقاتٌ في السِّرِّ، ودُفِنَ بتربته عند مسجد فلوس.

السنة التَّاسعة والعشرون وست مئة

فيها عاد التتر إلى الجزيرة وحران، ووصلوا إلى جسر بدايا، فقتلوا وأسروا، وسبوا، وخرج إليهم عسكر حَرَّان، فما رجع منهم إلا القليل، وخرج الكامل

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) هو خليل بن إسماعيل بن علي بن علوان بن زويزان، له ترجمة في «تاريخ الإسلام» للذهبي (وفيات سنة ٦٢٨هـ).

والأشرف من مِصْر لدفع التتر عن البلاد، وقُتِلَ في هذه النوبة [صديقنا][(١)] عِزُّ الدِّين بن سَعْد بن كوجيا الحلبي، وكان شابًّا، حسناً، دَيِّناً، صالحاً، ورجع التتر إلى خِلاط، وعَبَرَ الكامل والأشرف الفرات، ونزلا على آمد في ذي الحِجَّة.

وولى الأشرفُ القاضي عماد الدين عبد الكريم بن الحَرَسْتاني في قضاء القضاة بدمشق، وقرأ عهده بهاء الدين ابن أبي اليُسْر.

وفيها فتح الكامل آمد، واستولى على قلاعها وذخائرها، وأخذ صاحبها معه إلى مِصْر، ثم خامر عليه، فاعتقله إلى أن مات الكامل، وقُتِلَ في السنة الآتية.

وفيها توفي

إسماعيل بن إبراهيم[(٢)]

الفقيه الحنفي، شرف الدِّين.

وهو ابن خالة شمس الدين بن الشِّيْرازي، وكانا ينوبان في القضاء عن ابن الزكي، وكان شرف الدين فاضلاً عارفاً [بمذهب أبي حنيفة، قرأت عليه «الجامع الصغير»، وسمع الحديث الكثير، وكان][(١)] زاهداً عابداً ورعاً، له تصانيف، منها «مقدِّمة في الفرائض» [[(٣)]قرأتُها عليه، وكان قد جرت له واقعة مع الملك المعظم، بعث إليه] يقول: أفتِ بإباحة الأنبذة، وما يعمل من الرُّمَّان ونحوه، فقال [شرف الدين][(١)]: لا أفتح هذا الباب على أبي حنيفة، وأنا على مذهب محمد في تحريمها، وإباحتها عند أبي حنيفة إنما هي رواية «النَّوادر»، وقد صح عن أبي حنيفة أنه ما شَرِبه قَطُّ، وحديث ابن مسعود لا يصح، وكذا ما يروى عن ابن عمر في إباحة شربه لا يثبت عنه. فغضب المعظم، وكان بيده مدرسة طَرْخان، وكان ساكناً بها، فأخرجه منها، وأعطاها للزين ابن العَتَّال، وكان تلميذَ شرف الدين، [وقد قرأ عليه، وأحسن إليه][(١)]، فلم يتأثَّر شرف

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٠٩، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٢٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ح): وبعث المعظم إليه، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

الدين، وأقام في بيته يتردَّد إليه للقراءة الصَّغيرُ والكبير، ولا يغشى أحداً من خَلْق الله، مقتنعاً باليسير، وتوفي في جُمادى الأُولى، ودفن بقاسيون، [سمع «غريب الحديث» لأبي عبيد القاسم بن سلام، وغيره][(١)].

الجمال عبد الله ابن الحافظ عبد الغني[(٢)]

كان فاضلاً كريماً حسناً، سمع الحديث الكثير، [وسمع ببغداد «مسند الإمام أحمد ابن حنبل» بالحربية في سنة ست وتسعين وخمس مئة بقراءة أخيه عز الدين، وكانت][(١)] أحواله حسنة حتى خالط الصَّالح إسماعيل وأبناء الدُّنْيا، فتغيَّرت أحواله، وآل أمره إلى أَنْ مَرِضَ في بُسْتان ابنِ شُكْر على ثورا، وكان للصَّالح إسماعيل، ومات فيه، فكفَّنه الصَّالح، وصلَّى عليه، ودُفِنَ بقاسيون [عند أهله][(١)]، وقيل: توفي سنة ثمانٍ وعشرين [وست مئة][(١)].

محمد بن عبد الوهَّاب بن عبد الله[(٣)]

الفخر، أبو بكر ابن الشِّيْرجي، الأنصاري.

ولد سنة تسعٍ وأربعين وخمس مئة، وسمع الحديث، وشهد عند القضاة، وكان متعلِّقاً بستِّ الشَّام بنت أيوب، يتولى أمر ديوانها، وفوَّضت إليه السِّتُ أمرَ أوقافها، وكان ثِقَةً أميناً، كَيِّساً، متواضعاً، [وقد سمع الحديث من شيخنا تاج الدين، والحافظ ابن عساكر، وغيرهما، وكانت وفاته][(١)] يوم السبت عاشر ذي الحِجَّة، ودُفِنَ بالباب الصَّغير.

وولده شرف الدين وَزَرَ للنَّاصر داود مُدَّةً يسيرة، وعاد إلى دمشق، وتوفي فجأة في شعبان بقاسيون في سنة خمسٍ وثلاثين وست مئة.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣١٩، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٢٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٢٧٣، و«تاريخ الإسلام»: للذهبي (وفيات سنة ٦٢٧هـ)، و«العبر»: ٥/ ١٠٩، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٢٧٥، و«شذرات الذهب»: ٥/ ١٢٥ـ١٢٦، ووفاته عندهم سنة (٦٢٧هـ)، وتابع ابنُ كثير في «البداية والنهاية»: سبط ابن الجوزي فذكره في وفيات سنة (٦٢٩هـ).

السنة الثَّلاثون والست مئة

فيها فتح الكامل آمد، وكان قد ضربها بالمجانيق، وأنذر صاحبها [الملك][(١)] المسعود مودود بن الصالح، وأعطاه إقطاعات كثيرة، فلم يلتفت، فلما رأى الغَلَبة خرج إلى الكامل، وفي رقبته منديلٌ، فوكل عليه، ودخل البلد، وتسلَّمه، واستولى على أمواله وذخائره، وطلب منه تسليم القِلاع، فَسَلَّم الجميع، وبقي حِصْن كيفا عاصياً، فبعث الكاملُ الأشرفَ وشهابَ الدِّين غازي، ومعهما صاحبُ آمد تحت الحوطة، فلم يُسَلِّموا، فعذَّبه الأشرفُ عذاباً عظيماً، وكان يبغضه. قال [لي][(١)] الأشرف: وجدنا في قصره خمس مئة حُرَّة من بنات النَّاس للفراش. ثم سُلِّمت القلعة في صفر.

وعاد الأشرفُ إلى دمشق، وسمع «البخاري» على الحسين بن المبارك بن الزَّبيدي، وتوفِّيت للأشرف ابنة، فدفنها في بُسْتان العلاء بن القلانسي بقاسيون عند دير الحنابلة ظَنًّا منه أن ابن القلانسي لا يتوقف في مثل هذا، [ولو دفنها في داره][(١)] لأنَّ الأشرف كان مُحسناً إليه، فَشَقَّ على العلاء، وقال: هذا المكان وقفٌ. وشنَّع، وبلغ الأشرف، فاشترى تُرْبة الشَّرف يعقوب، ونقلها إليها، واشترى لها ملكاً، ووقفه عليها، وسأله المقادسة أن يكون وقفاً عليهم دون غيرهم، فأجابهم، [ثم اجتمعنا عنده بعد ذلك في النَّيرب، فقال][(١)] له بعضُ أصحابه: قد خصصتَ بهذه الدار المقادسة، ولهم الضِّياع والأوقاف، فالغريب إذا وَرَدَ أين ينزل؟

قال المصنِّف رحمه الله: وكنتُ عنده بالنَّيْرب، فالتفتَ إليَّ، وقال: قال هذا الصحيح، فهل يمكن أن يضاف إلى الوقف ما قال في حَقِّ الغرباء؟ فقلتُ: بعد أن حكم الحاكم لا يجوز تغييره بإجماع الفقهاء، أما قبل حكم الحاكم ففيه خلاف. وكان الكامل بدمشق، فأمر باستئصال ابنِ القلانسي وهلاكه، فقال الأشرف: لا حاجة إلى هذا، بلى لا يدخل عليَّ بعدها.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وفيها فُتحت دارُ الحديث الأشرفية المجاورة لقلعة دمشق ليلة النِّصف من شعبان، وأملى بها ابنُ الصَّلاح الحديث، ووقف عليها الأشرف الأوقاف، وبها نعل النَّبي ﷺ.

وفيها نزل ناصر الدين صاحب مارِدِين من قلعته، وجاءته عساكر الرُّوم، فحصروا حرَّان والرُّها والرَّقَّة، واستولوا على الجزيرة، وفعل الرُّوم في الجزيرة ما لا يفعله التتر، وكان القاضي علاء الدين الكردي في المستخدم يتوضأ، فجاءه حجر المنجنيق، فقتله، وكان بالرها.

وفيها توفي

عبد الله بن علي(١)

صفي الدِّين، ابن شُكْر، وزير العادل.

وأصله من الدَّمِيْرة، قرية من أعمال مِصْر، كان وزيراً، مهيباً، عالماً، فاضلاً، له معرفة بقوانين الوزارة، وعلى دولة العادل به جلالة، وعنايته مصروفة إلى العلماء والفقهاء والفضلاء والأدباء، والمدارس في أيامه عامرة، وآلاؤه عليها ظاهرة، والعِلْم نافق السُّوق، ومتجر الاشتغال يانع الأسوق، وأحواله جارية على النِّظام.

ثم انقضتْ تلك السنون وأهلها(٢)

وكان مالكيَّ المذهب، محباً لمن في العلم يرغب، وصنَّف كتاباً سماه «البصائر» بَرَّز فيه على الأوائل والأواخر، ومن جُمْلة ما ذكر فيه من فضائل دمشق: قال الصَّادق الذي استحال القول بمَيْنه: «قد وكل الله تعالى بكلِّ بلد ملكاً يحفظه إلا دمشق، فإنَّه يحرسها بعينه»(٣).

---

(١) وهم سبط ابن الجوزي في ذكره في وفيات هذه السنة، وتابعه على ذلك ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٦/ ٢٨٠، والصحيح في وفاته أنها سنة (٦٢٢هـ)، وقد ترجم له فيها أبو شامة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣١١، ٣٨٤-٣٨٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) هذا صدر بيت، عجزه: فكأنها وكأنهم أحلامُ، وهو لأبي تمام في «ديوانه»: ٣/ ١٥٢.

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ في دواوين السنة، والله أعلم.

وكان العادل قد انحرف عنه في آخر عمره، ونفاه إلى آمد، فأقام بها حتى توفي العادل، فأرسل الكامل وراءه، فجاء إلى دمشق، ولم يدخلها[١]، ونزل في بيت رانس عند المؤيَّد العقرباني، [وكان في أيام العادل يسير إليه ويجتمع عنده في درب الشَّعارين،][٢] وكان قد قَلَّ نظره، ثم سار إلى مِصْر، ففوَّض إليه الكامل الأمور على عادته في أيام وزارته، فتوفي وهو على حُرْمته، وله بالقاهرة مدرسةٌ مشهورة.

الملك العزيز عثمان بن العادل[٣]

شقيق المعظم [لأبيه وأمه][٢].

كان صاحب بانياس وتبنين وهُونين، والحصون، وهو الذي بنى الصُّبيبة، وكان عاقلاً، قليل الكلام، مطيعاً لأخيه المعظم، وكان بعد موت المعظم قد عامل على قلعة بعلبك في سنة خمس وعشرين [وست مئة][٢] وكتب إليه ولدُ الأمجد يقول: قد نشرتُ باب السِّرِّ، فَسِرْ إلينا وقت السَّحَر. وكان بالصُّبيبة، فساق منها أول الليل، والمسافة بعيدة، فجاءهم وقد طلعت الشمس، ففات الغرض، ونزل مقابل بَعْلَبَك، فبعث الأمجد إلى النَّاصر داود، يقول: قد عرفتَ ما كان بيني وبين المعظم، وكنتُ صديقَ مَنْ صادقه، وعدوَّ من عاداه، وأريد ترحُّل العزيز عني. فأنفذ النَّاصر الغرز خليل إلى العزيز يقول له: ارحل، وقال للغرز: إنْ لم يرحل، فارمِ الخيمة عليه. وعَلِمَ العزيزُ، فرحل إلى بانياس، وما عاد إلى دمشق إلا مع الكامل، فإنه [سار إليه، و][٢] التقاه من القُدْس، وقال: أنا آخذ لك دمشق. فأعطاه مالاً، وأحسنَ إليه، وكان العزيز أحدَ الأسباب الموجبة لأخذ دمشق [من النَّاصر][٢]، وكذا الصّالح إسماعيل، وأيدمر.

وأما صاحب بَعْلَبَك فعلم بما فعل ولده، ووقف على نَشْر الباب، فقال: إنَّه قتل ولده، وقيل: بنى عليه بُنْياناً.

وكانت وفاة العزيز يوم الاثنين عاشر رمضان بِبُسْتانه بالنَّاعمة ببيت لهيا، وحمل تابوته، فدفن بقاسيون في تُرْبة المعظَّم [عند والدته وأهله][٢].

---

(١) كان ذلك سنة (٦١٥هـ)، انظر حوادث هذه السنة في هذا الكتاب.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٤٩، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٢٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(١)[وفيها توفي

أبو القاسم علي(٢)

ابن جدي أبي الفرج، وهو خالي.

ولد سنة إحدى وخمسين وخمس مئة، وسمع الحديث، وكتب الكثير من مصنفات جدي، وهو الذي أظهرها وباعها بثمن بخس، وكان جدي قد سخط عليه بهذا السبب، ومات وهو على ذلك، وكان] فقيراً ليس له إلا ما ينسخ، ويتقوَّت منه، ومع هذا فإنَّ الخليفة كان يعرض عليه المال ولا يقبل منه شيئاً، [ويحكي عنه واقعات سمعها منه الناس وليس لها حقيقة، منها أنه بعث بعض الخلفاء إلى جدي مئة دينار، وأبو القاسم قاعد على الباب، فقال: دخولك اليوم خروجك متى؟ وبلغ جدي، فدعا بالتاجر والخباز والقصاب، وفرقها فيهم، وقال: قولوا لأبي القاسم: اليوم يوم سِباء، لا خِدْر ولا خِباء.

وكانت وفاته في صفر، وتولى خالي أبو محمد تجهيزه وتكفينه، ودفن عند جدي بمقابر أحمد. سمع ابن البطي، ويحيى بن ثابت بن بُنْدار، وأبا زرعة طاهر بن محمد المقدسي، وغيرهم، ومعظم شيوخ أبيه، وسمعنا منه](٣).

عمر بن [محمد بن] عبد الله(٤)

أبو حَفْص، شهاب الدين، السُّهْرَوَرْدي، وهو ابنُ أخي أبي النَّجيب.

وقد ذكرنا نسبه إلى أبي بكر ﷺ في ترجمة أبي النَّجيب.

---

(١) في (ح): علي بن أبي الفرج أبي القاسم ابن الجوزي، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٥٠_٣٥١، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ١٢٧_١٢٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٣٥٢_٣٥٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ح): ولا يقبل منه شيئاً، وكانت وفاته في صفر، ودُفن في مقابر الإمام أحمد ابن حنبل، ﷺ، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٤) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٨٠_٣٨١، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٣٣، وفيهما توفي سنة (٦٣٢هـ)، _ وهو الصحيح في تاريخ وفاته _ وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته، وما بين حاصرتين من (ش).

ولد بسُهْرَوَرْد في رجب سنة تسع وثلاثين وخمس مئة، ونشأ بين الفقراء على التجريد والرِّياضات والمجاهدات.

قال المصنف رحمه الله: ورأيته في سنة تسعين وخمس مئة يعظ برباط دَرْب المَقْبُرة، ومنبره طين، وعلى رأسه مئزر صوف، ثم تقلَّبت به الأحوال حتى أرسله الخليفةُ مراراً إلى العادل وغيره، وقد أعرض عنه، و[قد ذكرنا أنه](١) أخذ ما كان بيده من الرُّبُط، ومنعه الجلوس، وأقام مدَّة، ثم رضي عنه، وَرَدَّ إليه ربطه، وجلس في رباط عَمِّه أبي النَّجيب، وعاش حتى ضعف بصره، وقيل: ذهب [بمرَّة](١)، فتوفي، ودفن في رباطه عند باب سور بغداد عن نيف وتسعين سنة، [سمع عمه أبا النجيب وابن البطي، ومن يحيى بن ثابت بن بُنْدار، وغيرهم](١).

وكان صالحاً، عابداً، زاهداً، ورعاً، جَوَاداً، سَمْحاً، ملجأ للمكروبين، وحِصْناً للملهوفين، أقام بالشَّام مُدَّة، فكم أغاث من ملهوف، وكم فرَّج عن مكروب، وكان له قَبُولٌ حسن، وانتفع به خَلْقٌ كثير، وصنَّف كتاباً للصُّوفية، سماه «عوارف المعارف» [ذكر فيه من علومهم التَّالد والطَّارف](١)، جلس يوماً ببغداد، فذكر أحوال القوم، وأنشد: [من البسيط]

ما في الصِّحابِ أخو وَجْدٍ نطارِحُهُ ... حديثَ نَجْدٍ ولا صبٌّ نجاريه

وجعل يردِّدُ البيتَ ويطرب، فصاح شابٌّ من أطراف المجلس، وعليه قَبَاء وكلوتة، وقال: يا شيخ، إلى كم تشطح، وتنتقص بالقوم؟! والله إنَّ فيهم من لا يرضى أن يجاريك، ولا يصل فَهْمُك إلى ما يقول، هلا أنشدتَ: [من البسيط]

ما في الصِّحابِ وقد سارتْ حُمولُهُمُ ... إلا محبٌّ له في الرَّكْبِ محبوبُ
كأنَّما يوسفٌ في كلِّ راحلةٍ ... والحيُّ في كلِّ بيتٍ منه يعقوبُ

فصاح الشيخ، ونزل من المنبر، وقَصَدَ الشَّابَّ ليعتذر إليه، فلم يجده، ووجد موضعه حُفْرةً فيها دم، مما فحص برِجْليه عند إنشاد الشَّيخ البيت.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

كُوكُبرُي بن عليّ بن بُكْتِكِين[1]

مُظَفَّر الدِّين بن زين الدين، صاحب إرْبِل.

وقد ذكرنا مواقفه مع صلاح الدين، [وأنه خدم صلاح الدين][2]، وزوَّجه صلاح الدين أُخته، وملَّكه الشَّرْق، وأَنَّ أخاه زين الدِّين مات بالنَّاصرة، وطلب إربل عِوَض حَرَّان، وأعطاه إياها، وبعد موتِ صلاح الدِّين مازال منتمياً إلى بيت العادل، مصافياً لهم، حتى مال الأشرف إلى بدر الدين لؤلؤ، وعَزَمَ على أَخْذِ إربل منه، واستنجد عليه بالخليفة المستنصر، فنهاه عنه، فانتمى إليه، وقَدِمَ بغداد، ومعه مفاتيحُ إربل والقلاع، فالتقاه الموكب، وجلس له المستنصر جلوساً عاماً في صحن السَّلام، وقعد في شُبَّاك المبايعة، وحضر أربابُ الدَّولة، وصَعِدَ على الدَّرْج، وبايع الخليفة، وطلب منه يده ليقبِّلَها، فناوله إياها، فجعل يقبِّلُها ويبكي، ويقول: الحمد لله، هذا مقامٌ ما وصل إليه غيري. وخاطبه الخليفة بأجمل خطابٍ، وقدَّم للخليفة الخيل والتُّحَف والهدايا، وأعطاه الخليفة أضعافَ ذلك، وخلع عليه خِلَع السَّلْطنة، وعاد إلى إرْبل، وقطع خُطْبة بني العادل، واقتصر على خُطْبة الخليفة.

وكان كثيرَ الصَّدقات، غزير البِرِّ والصِّلات، [حكى جماعة عنه أنه كان يقول:][2] لما أخذتُ إربل آليتُ على نفسي أَنْ أقسم مغلّها ثلاثةَ أقسام: قسم أُنفقه في أبواب البر، وقسم للجُنْد وما يخصُّني، وقسم أَدَّخره لعدوٍّ يقصدني، وكان يعمل في كلِّ سنة مولد النَّبيِّ ﷺ في ربيع الأول، يجتمع فيه أهلُ الدُّنيا، ومن وراء جيحون العلماء والفقهاء والوُعَّاظ والقُرَّاء والصُّوفية والفقراء، ومن كل صِنْف، وتضرب الخيام في المَيْدان، وينزل من القلعة بنفسه، فيقرأ القُرَّاء، ويعظ الوعَّاظ، ويمدُّ سِماطاً أوله عنده وآخره في القلعة، ويحضر الخلائق، فلا يبقى إلا مَنْ يأكل ويحمل، [وحكى لي][2]

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٥٤، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ١١٣-١٢١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٣٣٤-٣٣٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

مَنْ حَضَرَ بعض السِّنين: عددتُ على السِّماط مئة فرس قشلمش وخمسة آلاف رأس شواء وعشرة آلاف دجاجة، ومئة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن حلو، ثم يخلع فيه على الأعيان، وتفرق فيهم الأموال على أقدارهم، [ولا يحضر][١] هذا السِّماط أحدٌ من عسكره، إلا أرباب الحرف، ثم يقوم من الميدان، فيدخل الخانقاه وقد اجتمع فيها من الصوفية ما بين ثمان مئة إلى ألف، فيأخذون في السَّماع من الظهر إلى الفجر وهو يرقص بينهم، فإذا كان من الغد بعث إليهم من يكتب أسماءهم، وكل شيخ ومعه جماعة، فيعطي المشايخ على قدر طبقاتهم من المئة دينار إلى الخمسين والثلاثين، ولأتباعهم على حدة، ومن شاء أن يسافر، ومن شاء أن يقيم أياماً، وكان قد بنى داراً للمضيف [يدخلها][١] جميعُ الأجناس، لا يمنع منها أحد، ويعطي كل واحد على قدر حاله دائماً، وبنى حيزاً عظيماً، وقسمه أربعة أقسام: مكان للزمنى، ومكان للعميان، ومكان لليتامى، ومكان للمساكين، وأجرى عليهم الجرايات والجوامك والكساوي، وكان يركب كلَّ يوم بكرة، فيدخل إليهم، ويقعد اليتيمة والمسكينة على مخدَّة ويهبها، ويقول: أيش تريدين تأكلين؟ أيش تريدين تلبسين؟ فمهما طلبت أحضره، فإذا كبرت اليتيمة زوَّجها، وأقام لكل واحد من الزمنى من يخدمه، وكان في كلِّ سنة يبعث بالأموال والجواهر إلى الشام مع ديوان، فيشتري بها الأسارى من بلد الفرنج، ويعودون إلى إربل، فيقيمون في قرية على باب إربل [يقال لها بيت النار، فلا يدخلون إربل][١] حتى يجهِّز غيرهم ليلاً، فيقطع عمله، وإذا خلص الأسير أعطوه كسوةً ونفقة توصله إلى أهله، فكان يخلص في كل سنة خلقاً كثيراً، فلما توفي أُحصي ما خَلَّص من الأسارى فكانوا ستين ألف أسير ما بين رجل وامرأة، وكان يبعث في كلِّ سنة بمالٍ يفرق في الحرمين، وعشرة آلاف دينار تنفق في السبيل، وألف دينار برسم جر الماء إلى البرك التي بعرفات.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وقالت زوجته ربيعة خاتون: كان ثوبه يساوي خمسة دراهم من خام، فقلت له: لو لبست ألين مِنْ هذا، فإن بدنك ما يحتمل الخشن. فقال: أيما أصلح وأكثر أجراً أنني ألبس ثوباً بعشرة دراهم أو ألبس ثوباً بخمسة دراهم، وأتصدق بخمسة على فقير أو مسكين.

وكانت أمواله قد استنفدتها الصدقات، فكان يرسل الجواهر فيبيعها بدمشق ويشتري الأسارى، وحُكي لي بإربل أنه ينفق على المولد في كلِّ سنة ثلاث مئة ألف دينار، وعلى الخانكات مئتي ألف، وعلى دار المضيف مئة ألف، وعلى الأسارى مئتي ألف دينار، وفي الحرمين وعرفات والسَّبيل ثلاثين ألف دينار، غير صدقة السِّرِّ.

[قلت:[1]] ومع هذه المناقب فما سَلِمَ من ألسنة الناس.

[[2]ويقولون: هذا يصادر ديوانه ودواوينه وكتابه، ويستأصلهم، ولعله اطلع منهم على خيانات، فرأى أخذ الأموال وإنفاقها في أبواب البر والقربات أولى، وذكروا أشياء أُخر، ومن ذا من ألسنة الناس يسلم، اللهم غفراً].

وكانت وفاته في رمضان بقلعة إربل، وأوصى أن يحمل إلى مكة، فيدفن في حرم الله تعالى، وقال: أستجير به، فحمل في تابوته إلى الكوفة، ولم يتفق رواح الحاج في هذه السنة إلى مكة، فدفن عند أمير المؤمنين علي عليه السَّلام.

وكان أيوب بن الكامل في آمد، وإسماعيل بن العادل في سنجار، فسار كلُّ واحدٍ منهما إلى إربل ليأخذها لنفسه، [وجرى ما لا يليق بين الاثنين[1]]، فسبقهما عسكر الخليفة، فتسلمها، ورجعا بخفي حنين، وكانت قد عصت، وبالقلعة خادمان، ففتحت عَنْوةً، وجرى بها ما لا يجوز من النَّهْب والقَتْل، [والذل والهوان][1].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح): كانوا ينبزونه بأشياء منها أنه كان يصادر دواوينه وكتابه، ويستأصلهم، وذكروا أشياء أخر، والله أعلم..، وما بين حاصرتين من (ش).

[وفيها توفي

ابن العالمة الشاعر

وهو القائل: [من الرمل]

قلتمُ استَبْدَلَ منَّا ونقضْ هل لظمآنٍ من الماء عوضْ
شفَّني من بَعْدكم بُعْدكُمُ فمتى يُشفى بكم هذا المرضْ
ساءني الجرحُ الذي خلَّفتُمُ كلما مُرْهِمَ بالذكر انتقضْ

وقيل: إنها لغيره، وقيل إنه مات في سنة ثلاث وعشرين وست مئة][(١)].

السنة الحادية والثَّلاثون وست مئة

فيها اجتمع الكاملُ وإخوته، وأسدُ الدين صاحب حِمْص، والعساكر المِصْريةُ والشَّامية، وساروا ليدخلوا بلاد الرُّوم من عند النهر الأزرق، فوجدوا العساكر الرُّومية قد حفظوا الدَّرْبَنْد، ووقفوا على رؤوس الجبال، وسدُّوا الطُّرق بالحجارة والأخشاب، فامتنعت العساكر من الدُّخول. وكان الأشرف ضيِّقَ الصَّدْر من ناحية الكامل، لأنه طلب منه الرَّقَّة برسم عليق دوابه إذا عَبَرَ الفرات، فامتنع، وقال: ما يكفيه كرسي بني أمية. واجتمع أسدُ الدين صاحب حِمْص بالأشرف، وقال: إن حكمَ على الرُّوم أَخَذَ جميع ما بأيدينا. فوقَعَ التَّقاعد، فلما رأى الكامل ذلك عَبَرَ الفرات، ونزل السُّوَيْداء، وجاءه صاحب خَرْتَبَرْت، وهو من بني أُرْتُق، فقال: عندنا طريق سهلة تدخل منها. فجهَّز الكامل بين يديه ولده الصَّالح [أيوب][(١)] والنَّاصر داود، وصواب الخادم، فما راعهم إلا علاء الدِّين بعساكر الرُّوم، وكان الناصر قد تأَخَّر، وتقدَّم صواب في خمسة آلاف فارس، وقاتل صواب ومن معه، والمُظَفَّر صاحب حماة، [فأسر صواب][(١)] وقتل منهم جماعة، وانهزم الباقون، وعاد الكامل إلى آمد، ولم يتقدَّم، فأطلق الرُّومي صواباً والأمراء، وأحسن إليهم، فجاؤوا إلى آمد، وأعطى الكامل ولده الصَّالح أيوب حِصْن كيفا، وأقام صواب بآمد، وعاد الكامل إلى الشَّام بالعساكر.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وفيها عمر الأشرف مسجد جراح بظاهر باب الصَّغير.

وقدم رسول الإنبرور معه هدايا، فيها دبّ أبيض، وشعره مثل شعر السَّبُع، ينزل البحر، فيصعد السَّمك، ثم يأكله، ومعه طاووس أبيض.

وفيها توفي

أتابك شهاب الدين طُغْريل[1]

عتيق الملك الظَّاهر، صاحب حلب.

كان صالحاً، عفيفاً، زاهداً، عابداً، [صحبني مدة، وأنزلني الخانكاة التي بناها بظاهر حلب على باب الأربعين عند القناة، وكان يبيت دائماً عندي أول قدومي الشام من سنة ست مئة إلى سنة ست وست مئة، وكان][2] كثيرَ الصَّدقات والإحسان، يقسم الليل أثلاثاً: [الثلث][2] الأول يجري فيه حديث الصَّالحين، وأحوال النَّاس ومحاسنهم، وينام الثُّلُث الأوسط، ويحيي الثُّلُث الأخير قراءةً وصلاةً وبكاء، وكان واسطة خير عند الظَّاهر، ويحبُّ الصَّالحين ويزورهم، ولما توفي الظَّاهر قام بأمر العزيز ولده أحسن قيام، واستمال الأشرف، فحفظ عليه البلاد، ودفع عنهم الأعادي [والحساد][2]، ولما استعاد الأشرف تل باشر دفعها إليه، وقال: تكون هذه برسم صدقاتك، وما يمونك من المغارم، فإنَّك تكره أن تتصرف في أموال الصَّغير، فنقل إليها من الأموال والذخائر كل نفيس، وكان قد طَهَّرَ حلب من الفجور والفِسْق والخمور والمكوس، وكان الأشرف يقول [لي][2]: إن كان لله في الأرض وليٌّ فهو هذا الخادم الذي فعل ما عَجَزَ عنه الفحول.

فلما ترعرع الملك العزيز [بن الظَّاهر][2] في سنة تسعٍ وعشرين [وست مئة][2] تحدَّث عليه أقوام قصدوا أذى أتابك، وقالوا: قد رضيتَ لنفسك أَنْ تكون تحت حَجْر

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٥٥، و«فيات الأعيان»: ٧/ ١٠٠، و«تاريخ الإسلام» للذهبي: (وفيات سنة ٦٣١هـ)، و«العبر»: ٥/ ١٢٥، و«الوافي بالوفيات»: ١٦/ ٤٥٧. ٤٥٨، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٦٨٦، و«شذرات الذهب»: ٥/ ١٤٥.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

هذا الخادم؟ فأخذ منه تل باشر، [وأزال الحجر، والتحق بالأكابر][(١)]، وأقام أتابك لا ينفذ له أمر، فمرض، وتوفي في هذه السنة، ودفن بباب الأربعين على الجادَّة.

الشيخ طي المِصْري[(٢)]

مريد محمد الفراء، وأبي الفَتْح الواسطي.

قدم الشَّام، وأقام مُدَّة بزاويته منقطعاً إلى العبادة، وخدمة الفقراء، وكان يغشاه الأكابر، [ولازم مجلسي مدة إقامته بالشام إلى أن توفي، ودفن بزاويته بدمشق، وكان عابداً زاهداً كيساً ظريفاً، ذا مروءة، وانتفع بصحبته جماعة، وكانت مجالسي تطيب بحضوره، وكانت عنده أيام سروره][(٣)].

الشَّيْخ عبد الله الأرمني العابد[(٤)]

الورع، المجاهد، [وما كان أرمنياً، بل رومياً كما أذكر،][(١)] سافر إلى الأقطار، ولقي الأبدال [والأبرار][(١)]، وكان له مجاهدات ورياضات، وعبادات وسياحات، جواداً [سمحاً][(١)]، لطيفاً، طارحاً للتكلف، ملازماً للتعفف، [موصوفاً بالتلطف.

ذِكْرُ نبذة من كراماته وأخلاقه وصفاته وبداياته وسياحاته][(١)]:

كان في بدايته لا يأوي إلا إلى البراري والقِفار، ويتناول من المباحات [من مباح السمك والثمار][(١)]، منفرداً عن الخلائق، [قاطعاً لجميع العلائق][(١)] قرأ القرآن، والقدوري، وتفقه على مذهب أبي حنيفة، وصحب رجلاً من الأولياء، فدَلَّه على الطريق، [وكانت سبقت له سوابق الحسنى بالتوفيق][(١)] ولقي في سياحاته الأبدال، و[شاهد][(١)] الأقطاب [والرجال][(١)].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «تاريخ الإسلام»: (وفيات سنة ٦٣١هـ)، و«الوافي بالوفيات»: ١٦/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٢٨٥.

(٣) في (ح): وانتفع بصحبته جماعة، وكان زاهداً عابداً كيساً لطيفاً ذا مروءة، ودفن بزاويته بدمشق، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٤) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٧٣، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٣١ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وكان يحكي عن نفسه الحكايات [ويخبر بالواقعات][1]، فمن ذلك قال: دخلت على الشيخ محمد بن قائد بأَوَانا، وبت تلك الليلة في رباطه، فعدا عليه اثنان من الحشيشة، [فقتلاه][1]، فأُخذا، وعُذِّبا بأنواع العذاب، وعُذِّبْتُ معهما، وقيل لهما: ما الذي جرأكما على قَتْل هذا العابد أو العَبْد الصَّالح؟ قالا: بلغ كبيرُنا عنه شيءٌ أوجب قتله، فقتلناه. قالوا: وهذا الفقير؟ فقالوا: والله ما نعرفه، ولا هو منا، نحن لنا ها هنا مُدَّة، وهذا البارحة وصل، فسألوني، فقلتُ: والله ما أنا منهم، إنما قصدتُ زيارة هذا الشيخ [وطلب بركته][1]، فاتفق ما جرى، ورفع أمري إلى أمير المؤمنين النَّاصر، فأحضروني إلى حضرته، والوزير جالس، وبيننا وبين الخليفة سِتْرٌ، فسألني الوزير، وقال: أيش كان بينكم وبين هذا الرجل؟ فقلتُ: والله ما أنا منهم، وإنما أنا فقير، قصدتُ زيارة هذا الشيخ وأمثاله أطلب بركته، فكان ما ترى، والخليفة يسمع كلامي، فقال الوزير: فقد قلتَ: إنَّك فقير، فمن يعرفك من الفقراء المقيمين في البلد؟ فقلتُ: ما يعرفني إلا من هو خَلْف هذه السِّتارة. فأغلظ لي الوزير، فخرج إذْنُ الخليفة بأن أُبيِّن ما قلتُ. فقلتُ: أنا ابنُ الدَّاية؛ خادمة المرحومة سلجوق خاتون، وكنتُ أتردَّد إلى خِدْمة مولانا أمير المؤمنين فيما يعرض لها من الحوائج. فأمر الخليفة بإخلاء المجلس، وخرج من داخل السِّتارة، وهو يمسحُ عينيه من البكاء لما ذكرتها، فلما رآني قال: لا إله إلا الله، وأنتَ في الدُّنيا، وانقطعت أخبارك عنا! وشرع يحدِّث حديثها، ثم قال: تكون في خدمة ضريحها، وتتولى ما أوقفنا عليها من الأوقاف. فقلتُ: يا مولانا، أنا رجلٌ قد خرجت من هذه الدنيا، ولزمتُ طريق الفقر، وما أقدر على الدخول في شيء من الدُّنيا. فعرض عليَّ شيئاً من المال، وقال: أَصْلِحْ به حالك وحالَ مَنْ معك، ومن يصحبك. فقلتُ: متى أخذت منه شيئاً فَسَدَ حالي، وتغيَّرت طريقي، وقَصْدي تخلية سبيلي. فسألني عمن لقيتُ من المشايخ، فأخبرته، وخرجت معزَّزاً مكرماً، [وذكر كلاماً طويلاً][1].

[قلت: الإخلاطية توفيت في سنة أربع وثمانين وخمس مئة في السنة التي قتل فيها ابن قائد، وقد ذكرناها هناك][1].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش)، وانظر ج٢١/ ٣٦٧ من هذا الكتاب.

وحكى أنَّ فقيراً خرج من سياحته طالباً للعمران، فاجتاز ببلدة، وغلبته نفسه على العبور، [فآلى على نفسه أن لا يذوق فيها طعاماً، ودخلها،][(١)] فاجتاز برجلٍ غَسَّالٍ، يغسل الثياب في السوق، قال: فنظر إليَّ نظرة منكرة، اقشعرَّ لها جِلْدي، فأسرعتُ في المشي، وخرجتُ من البلد، وإذا بصوتٍ [خلفي][(١)] يصيح: يا فقير يا فقير. فالتفتُّ، وإذا به الغَسَّال، ومعه طعام، فقال: قد خرجتَ من ذلك العَقْد الذي عقدت أنَّك لا تطعم نفسك في البلد شيئاً، وقد خرجتَ من البلد، فَكُلْ. فقلتُ: وأنتَ في هذا المقام، وتغسل الثِّياب في السوق! فقال: لا ترفع رأسك، ولا تنظر إلى شيءٍ من عملك، وكُنْ عبد الله ولو استعملك في الحشِّ، فارْضَ [بما أراد لك][(١)]، وأنشد: [من الطويل]

ولو قلتَ لي مُتْ قلتُ سَمْعاً وطاعةً وقلتُ لداعي الموتِ أهلاً ومرحبا

[والظاهر أن الشيخ عبد الله كان ذلك الفقير، لأنه ما كان يخبر عن نفسه، وإنما يكني عن أبناء جنسه.

قالوا][(١)]: وبَعَثَ إليه الأمجد بن العادل، وكان مقيماً بالقُدْس، أربعين ديناراً ليقضي بها دَيْنه، فأخذها الرسول، ولم يوصلها إليه، فجاء الأمجد بعد ذلك إلى زيارته، وقال: بعثتُ إليك بأربعين ديناراً لتقضي بها دَيْنك، وصلتْ؟ قال: نَعَمْ، أكثر الله خيرك. ثم قام، وعَلِمَ الرجل، فجاء، فبكى عند الشيخ، وقال: الدَّينْ والعائلة. فقال: طَيِّبْ قلبك، قد قلتُ له: إنها وصلت، وأنتَ أَحقُّ منا.

وحكى عن نفسه غير أنه لم يصرِّح، وقال: كان فقيرٌ يدور في جبل لبنان، فوقع عليه حرامية الفرنج، فأخذوه أسيراً، وربطوه، وبات معهم تلك الليلة في أشدّ ما يكون من العذاب، فلما أصبحوا ناموا، وإذا بحرامية المُسْلمين يطلبون حرامية الفرنج، [(٢)فأيقظ الفقير حرامية الفرنج، وقال:] اقعدوا، فقد جاء حرامية المسلمين، [فدخلوا مغارة، ودخل معهم، فلم يرهم حرامية المسلمين،][(١)] فلما بَعُدوا، قال الفرنج له: قد جاءك الفَرَج، فهلاَّ دللتَ علينا، وتخلَّصت، أو تبعتَ المُسْلمين؟ فقال لهم: إني صحبتكم، وأكلتُ خبزكم، وفي طريقنا أَنَّ الصُّحبة عزيزة، فما رأيتُ خلاصَ نفسي

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح): فأيقظهم، فقال...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

بهلاككم. فشكروه، واعترفوا بجميله، وسألوه أن يقبل منهم شيئاً من الدُّنيا، فامتنع من ذلك، فأطلقوه.

وكان قد تأذَّى من بعض الأصحاب بالقُدْس، فخرج منه إلى الدِّيار المِصْرية، ثم نظر إلى الأسوار وحُسْنها، فقال: كأنِّي بالمعاول تعمل فيها. فقيل له: معاول المسلمين أو معاول الفرنج؟ فقال: لا، بل معاول المسلمين. فكان كما قال.

وقال المصنِّف رحمه الله: كان مقيماً بالقدس قبل خرابه، وكنتُ أجتمع به، واتَّفق أنني يوم عيد الفطر أكلتُ سمكاً مالحاً، وصَعِدْتُ إلى زاويته، وقعدنا نتحدَّث، فجاءت الشمس عليَّ، وعطشت عطشاً شديداً، وإلى جانبه إبريقٌ، فيه ماء بارد، فاستحييتُ أن أطلبه منه، فاحمرَّ وجهه، ومدَّ يده إلى الإبريق، فقال: اشرب، فكم تكاشر!

وكان يفتح عليه بالدِّينار والمئة والدِّرْهم والألف، فيفرِّقها في الحاضرين، ولا يدَّخر منها شيئاً، وإذا دخل الحمام ومعه ذهب أو فِضَّة أعطاه للحَمَّامي والقوام.

وقال: مررتُ براهبٍ في صومعة، فاطَّلع منها، وقال: يا فقير، أقسمتُ عليك بمن تعبده، أيُّ الطُّرُق عندكم أقرب إلى الله؟ فقلت: مخالفةُ النفس. فأغلق طاقته، ومضيتُ عنه، فلما كان بعد مُدَّة حججتُ، وإذا بالرَّاهب يطوف حول الكعبة، فلما رآني سَلَّم عليَّ، فقلت: مَنْ أنت؟ فقال: الرَّاهب الذي مررتَ به. فقلتُ: ما الذي أَوْصَلك إلى ها هنا؟ فقال: قولك: أقربُ الطُّرُق إلى الله مخالفةُ النفس. [وذكر حكاية طويلة.

قلت: كان الشيخ عبد الله صاحبي وصديقي، أقمت بالقدس مدة سنين، وكان يحضر مجالسي دائماً، لا ينقطع إلا من عذر، واتفق أنه سافر إلى مصر قبل خراب القدس، فأقام بها مدة،](1) وسببُ سفره من القُدْس أَنَّه كان به رجلٌ شرير يبغض الفقراء، ويتَّبع عثراتهم، يقال له: ابن عروة، فاتفق أن الفقراء عملوا سماعاً في الحرم ليلة الوقفة، فأنكر عليهم ابن عروة، وجرت فتنة عظيمة، فشكا ابنُ عروة الشيخَ عبد الله إلى المعظَّم، وقال: هؤلاء قوم قد هتكوا حُرْمة الحَرَم، ويتعبدون بالرَّقص،

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

ويوقعون الفِتَن. وبلغ الشيخ عبد الله عن المعظم كلامٌ، فخرج بأهله إلى مِصْر، وكان قد صاهر عبد الحق الواسطي، فأقام بمصر مُدَّة، فلم تطب له، فرجع إلى الشَّام.

قال المصنف: وكنتُ أسمع الفقراء يقولون: إنَّه أَسْلَمَ على يد الشيخ عبد الله اليوناني، وليس كما قالوا، وإنما [(١)الشيخ عبد الله كان يدخل على المشايخ، فيتخير ما عندهم، دخل على اليوناني،] وعليه برنسٌ في زِيِّ الرُّهْبان، فقال له: أسلم. فقال: أسلمتُ لله رب العالمين ولم يكن أرمنياً، وإنما كان رومياً من قونية، وكانت أمه داية الخِلاطية، فلما زوَّجها أبوها بصاحب حِصْن كيفا خرج مع أُمِّه وهو صغير، وأقام عندها، ولما تزوَّجها الخليفة كان ببغداد، وكانت الخِلاطية تُحْسِنُ فيه الظَّن، فلما حَجَبَها الخليفةُ ساح عبدُ الله في البلاد، ثم عاد إلى [بغداد](٢)، وجرى له [مع الخليفة](٢) ما ذكرنا، و[لما](٢) عاد إلى الشام سكن قاسيون، [وكنا نتزاور، ويحضر مجالسي دائماً في جامع دمشق وقاسيون، لا ينقطع أبداً](٢)، وكان على طريقةٍ عزيزة، لا يتعرَّض للدُّنيا، ولا يردُّ ما جاءه، ويؤثر به، وما زال مقيماً بقاسيون حتى مرض في شوال، وتوفي يوم الجُمُعة تاسع وعشرين منه، ودفن بسفح قاسيون، وقد جاوز سبعين سنة، رحمه الله، [وكان يوماً مشهوداً](٢).

السَّيْف الآمِدِي، وكنيته أبو القاسم(٣)

لم يكن في زمانه من يجاريه في علم الكلام [والأصلين](٢)، وكان ينبز بأشياء ظاهر [حاله](٢) أنَّه كان بريئاً منها؛ لأنه سريعُ الدمعة، رقيقُ القلب، سليمُ الصَّدْر، وكان مقيماً بحماة، ثم سكن دمشق، و[من سلامة صدره أنه](٢) مات له بحماة قِطٌّ، فلما أقام بدمشق، بَعَثَ إلى حماة، فنقلت عظامه في كيس، ودفنها في تُرْبته بقاسيون.

وكان بنو العادل: المعظَّم والأشرف والكامل يكرهونه لما اشتهر عنه من الاشتغال بالمنطق وعلوم الأوائل، ومع كراهية المعظم له فإنَّه فوَّض إليه أمر المدرسة العزيزية،

(١) في (ح): وإنما دخل عليه، وعليه برنس، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٥٩-٣٦٠، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٢٨ - وكناه أبا الحسن - وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وكان إذا دخل على المعظم والمجلس غاصّ لا يتحرَّك له، [فكنت أخجل من الآمدي، حتى قلت للمعظم يوماً: عوض ما تقوم لي قُمْ للآمدي، فقال][1]: لا يقبله قلبي.

وأقام مدرساً بالعزيزية إلى أن توفي المعظم، وملك الأشرف، فأخرجه منها، ونادى في المدارس: مَنْ ذَكَرَ غير التَّفْسير والفِقْه، أو تعرَّض لكلام الفلاسفة نَفَيْتُه. وأقام السيف [الآمدي][2] خاملاً في بيته، [قد طفئ نور سعادته][2] إلى أن توفي في صفر، ودُفِنَ بقاسيون في تُرْبته.

منكورس، الركن الفَلَكي[3]

مملوك فلك الدِّين؛ أخي العادل لأُمه.

كان من كبار الأُمراء، ولاه [العادل][2] بصرى والشَّام نيابةً عنه، وكان دَيِّناً، صالحاً، عفيفاً، عادلاً، منصفاً، قليل الكلام، كثير الصدقات [والخيرات][2]، ملازماً بجامع دمشق للصَّلوات الخمس، وكان يخرج في وقت السَّحر إلى الجامع وحده، وبيده طوافة، ولا يتبعه من غِلْمانه أحد، وبنى بقاسيون مدرسةً[4] وتربة، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة، وتوفي بجرود؛ قرية من قرى دمشق، وحُمِلَ إلى قاسيون، فدفن في تربته إلى جانب مدرسته.

وفيها توفي جماعة اشتهروا بألقابهم، منهم

شهاب الدين بن المُطَهَّر بن شرف الدين بن أبي عَصْرون[5]

كان فقيهاً، فاضلاً، زاهداً، محباً للصَّالحين، وتَرَسَّل من حلب إلى بغداد والأطراف، وجاء في آخر عمره إلى قاسيون، فانقطع به إلى أن مات.

---

(١) في (ح): لا يتحرك له ويقول...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «تاريخ الإسلام» للذهبي: (وفيات سنة ٦٣١هـ).

(٤) هي المدرسة الركنية، في ساحة شمدين في حي الأكراد بدمشق.

(٥) سيعيد المؤلف ترجمته في وفيات سنة (٦٣٢هـ)، وهو الصواب.

[وبلغني أنه][(١)] كان عنده نيف وعشرون جاريةً للفراش، [بحيث][(١)] يَبِسَتْ أعضاؤه من الجِماع، ومَرِضَ أمراضاً مختلفة، ودفن بقاسيون، وكان له من الولد قُطْب الدِّين وتاج الدِّين، [وهما فقيهان عالمان فاضلان][(١)].

كريم الدِّين الخِلاطي، الأمير

كان كَيِّساً، أديباً، لطيفاً، حسنَ اللِّقاء، متعصباً، ذا مروءة. وخَدَمَ الأشرف والمُعَظَّم والكامل، وحَجَّ بالنَّاس أميراً من الشَّام، وتوفي بدمشق، ودفن بقاسيون عند مغارة الجوع، رحمه الله.

الصَّلاح الإرْبلي

خَدَمَ مظفَّر الدِّين [بن زين الدين][(١)]، ثم انتقل إلى المغيث بن العادل، ثم خَدَمَ الكامل، وتقدَّم في دولته، وصار نديمه، ثم سخط عليه لأنه بعثه رسولاً إلى أخيه المعظم، فَنُقِلَ عنه أن المعظم استماله، فحبسه الكامل في الجُبِّ مدَّة سنين، ثم رضي عنه، وأخرجه، وقيل: سبب رضاه أنَّ الصَّلاح عمل دوبيت، وغنَّى بهما بين يدي الكامل، وهما:

افعل ما شئت أنت أنت المحبوب ... مالي ذنب بلى كما قلت ذنوب
هل تسمح بالوصال في ليلتنا ... تجلو صدأ القلب وتعفو وأتوب

وقال:

في يوم فراقنا على التحقيق ... هذي كبدي أحقّ بالتمزيق
لو دام لنا الوصال ألفي سنة ... ما كان يفي بساعة التفريق

وكان فاضلاً، شاعراً، وتوفي في الرُّها.

وفيها نُقل عز الدين أيدمر المُعَظَّمي من حَرَّان في تابوت إلى الشَّام، ودُفِنَ بجينين بوصيةٍ منه، لأَنَّها كانت مقامه في الغزوات، وكان شجاعاً، له وقائعُ مشهورة، وهو الذي أخرج دمشق من يد النَّاصر داود.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

السنة الثانية والثلاثون وست مئة

فيها شَرَعَ الأشرف في بناء خان الزنجاري الذي بالعُقَيْبة [مسجداً](١)، وكان خاناً مشهوراً بالفجور والخواطئ وشُرْب الخمر. [فسبحان من بدَّل ذاك المكان بالذكر والصلوات وقراءة القرآن](٢).

وفيها خرجت عساكر الروم نحو آمد، فأقاموا عليها أياماً، ثم نزلوا السُّوَيْداء، فأخذوها، وقيل: في هذه السَّنة أخذوا الرُّها وحرَّان والرَّقَّة، ونزل إليهم صاحبُ مارِدِين، وأخذوا من الأموال ما لا يحصى.

وفيها توفي

[شهاب الدين](٢) عبد السَّلام بن المُطَهَّر

ابن عبد الله بن محمد بن أَبي عَصْرون(٣).

وكان فقيهاً، فاضلاً، زاهداً، عابداً إلا أَنَّه كان مغرًى بالنِّكاح، [فبلغني عنه أنه](٢) كان عنده نيفٌ وعشرون جاريةً للفراش مع علوِّ السن، [(٤)وقيل: إنهن] كُنَّ سبباً لأمراض اعترته مختلفة، أورثته يَبَساً استولى عليه، فأتلفه، [وصلي عليه بجامع الجبل](٥)، ودفن بقاسيون، وهو والد قطب الدين وتاج الدين. [وقيل: مات في السنة المتقدمة](٢).

صواب مقدَّم عَسْكر العادل(٦)

الذي أسره الروم، وكان خادماً، عاقلاً، شجاعاً، جَوَاداً، وكان العادل والكامل يعتمدان عليه، وكان حاكماً على الشرق.

---

(١) سمي جامع التوبة، وما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٨٢، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٣١، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وقد سلف ذكره في السنة السالفة.

(٤) في (ح): وهن كنّ سبباً...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٥) في (ح): «وتوفي بدمشق، وصلي عليه بجامعها، ودفن بقاسيون»، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٦) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٩٧، «تاريخ الإسلام»: (وفيات سنة ٦٣٢هـ) و«نزهة الأنام»: ٩٧، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٢٨٧، «شذرات الذهب»: ٥/ ١٤٩.

[فصل: وفيها توفي

علي بن هبة الله بن مسعود(١)

أبو الحسن البغدادي البزاز، من أهل باب البصرة.

سمع الكثير ورواه، وتوفي في المحرم، ودفن عند جامع المنصور، وسمع قاضي المارستان، وأبا القاسم بن السمرقندي، وابن ناصر، وغيرهم، ولي منه إجازة.

وكان يتغفَّل، خرج يوماً إلى السوق، ويداه مبسوطتان كأنه يريد أن يعانق شيئاً، فقيل له: ما الذي بك؟ ما تريد؟ فقال: طلبت مني أمي إجَّانة، وقالت: أريدها تكون بهذا القدر، وأنا أمضي لأشتريها لها.

وفيها توفي

علي بن المبارك(٢)

ابن الحسن الواسطي، ويعرف بابن باسوية.

سمع الكثير، وقدم الشام فأقام يُسمع الحديث بدمشق، توفي بها في شعبان، ودفن بالباب الصغير.

فصل: وفيها توفي

شرف الدين النهاوندي الصوفي

شيخ خانكاه شبل الدولة كافور الحسامي بقاسيون، وكان رجلاً صالحاً، كريماً، دَيِّناً، عفيفاً، متواضعاً، حسن السَّمْت](٣).

السنة الثالثة والثلاثون وست مئة

فيها قطع الكاملُ والأشرفُ الفرات، واستعاد الكامل حَرَّان والرُّها وغيرها من بلاد الشرق، وأخرب قلعة الرها، واندفعت عساكر الرُّوم قبل وصوله، ونزل على دُنَيْسر،

---

(١) له ترجمة في «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ٤/ ٢٨٢-٢٨٥ .

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٩٤ . ٣٩٥، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٣٤ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (ش).

فأخربها إلا الجامع، واستباحوا الفروج والأموال، وبينا هُمْ على دُنَيْسر جاء كتاب بدر الدين لؤلؤ إلى الأشرف يقول: قد قَطَعَ التتر دِجْلة في مئة طلب، [كل طُلْب][(١)] خمس مئة فارس، ووصلوا إلى سنجار، فخرج إليهم معين الدِّين بن كمال الدين بن مهاجر، فقتلوه على باب سنجار، فقطع الكامل والأشرف الفرات إلى ناحية دمشق، ورجع التتر، ولما قطعا الفرات عادت عساكر الرُّوم.

وجاءت الخوارزمية إلى صاحب مارِدِين، فنزل إليهم، وأحرقوا نصيبين، وفعلوا فيها أعظم ما فعل الكامل بدُنَيْسر، وتوجَّهت العساكر، فنازلوا آمد، وخرجت السنة والحصار عليها، وفتحت في السنة الآتية.

وفيها توفي

الحسن بن محمد القاضي، القَيْلويي[(٢)]

وقيلوية؛ قرية من قرى بغداد، الكاتب الفاضل.

ولد [بالنِّيْل][(١)] بالعراق سنة أربعٍ وستين وخمس مئة، وكان كثيرَ الأدب، مليح الخط، عارفاً بالتَّواريخ وأيام الناس، حَسَنَ العبارة، متواضعاً، دَيِّناً، صالحاً، وكان الأشرف يحبُّه، ويعتقدُ فيه.

[وحكى لي ولده نجم الدين أبو الحسن علي بقاسيون في سنة تسع وأربعين وست مئة، قال][(٣)]: سألتُ أبي: كم كتبتَ؟ فقال: مقدار ألفي مجلدة ما بين صغير وكبير، وكتبت «الصّحاح» ست نسخ، وذَيَّل على «تاريخ» أبي القاسم السِّمْناني، وكتابه أحسن، [وكان يسب القاضي شريح][(١)]، وتوفي بالشَّام ثالث عشر ذي القَعْدة، ودفن بمقابر الصُّوفية عند المُنَيْبع.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٤٢٢-٤٢٣، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٣٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ح): وقال ولده نجم الدين...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

محمد بن نَصْر بن عُنَيْن، الزُّرَعي[1]

أصله من حَوْران، وكان خبيث اللِّسان، هجاءً، فاسقاً، متهتكاً، عمل قصيداً سماها «مقراض الأعراض» خمس مئة بيت، لم يفلت أحدٌ من أهلِ دمشق منها بأقبح هَجْو، ونفاه صلاحُ الدِّين إلى الهند، فمضى، ومدح ملوكها، واكتسب مالاً، وعاد إلى دمشق، [وخدم في ديوان المعظَّم، وكان من أكبر سيئاته، وكانت مجالسه معمورة بقبائحه وَهَناته، وقد ذكرنا ذلك][2] ومن هجوه لصلاح الدِّين: [من المنسرح]

سُلْطانُنا أعرجٌ وكاتِبُهُ ... ذو عَمَشٍ والوزيرُ منحدبُ
وصاحبُ الأمرِ خلْقُهُ شَرِسٌ ... وعارضُ الجيش داؤه عَجَبُ
والدَّوْلَعيُّ الخطيبُ مُعْتكِفٌ ... وهو على قشر بيضةٍ يَثِبُ
ولابن باقا وعظٌ يَغُرُّ به النَّا ... سَ وعبدُ اللطيفِ محتسِبُ[3]

ولما نفي كتب من الهند إلى دمشق: [من الكامل]

فعلامَ أبعدتم أخا ثقةٍ ... لم يجترمْ ذنباً ولا سَرَقا
انفوا المؤذِّنَ من بلادكُمُ ... إنْ كان يُنْفى كلُّ مَنْ صدقا[4]

وحضر يوماً بخراسان مجلسَ فخر الدين الرَّازي وهو يعظ، فجاءت حمامةٌ خَلْفها جارحٌ، فألقت نفسها على الفخر، فقال ابنُ عُنَيْن بديهاً: [من الكامل]

جاءت سليمانَ الزَّمانِ حمامةٌ ... والموتُ يلمعُ مِنْ جناحَيْ خاطفِ
قَرِمٌ لواه الجوعُ حتى ظِلُّه ... مِنْ تحته يمشي بقلبٍ خائفِ
مَنْ عَلَّم الورقاءَ أنَّ محلَّكم ... حَرَمٌ وأنَّك ملجأٌ للخائفِ[5]

فرمى عليه فخر الدين جميعَ ما كان عليه، والحاضرون.

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٣٦_٣٣٧، و«وفيات الأعيان»: ٥/ ١٤_١٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٣٦٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) الأبيات في «ديوانه»: ٢١٠_٢١١ ما خلا البيت الأول، فهو مستدرك من كتابنا هذا.

(٤) «ديوانه»: ٩٤.

(٥) «ديوانه»: ٩٥ مع اختلاف في بعض الألفاظ، وترتيب الأبيات.

ولما عاد إلى دمشق هجا العادلَ، فقال: [من الخفيف]

إنَّ سُلْطاننا الذي نرتجيه ... واسعُ المال ضيِّقُ الإنفاقِ
هو سَيْفٌ كما يقال ولكنْ ... قاطعٌ للرُّسوم والأرزاقِ[١]

ولما استخدمه المعظم أقام مدة، ثم كتب إليه يستقيله[من ذلك، فأنشأ يقول][٢]: [من الطويل]

أَقِلْني عِثاري وادَّخِرْها وسيلةً ... يكونُ برُحْماها لكَ اللهُ جازيا
كفى حَزَناً أَنْ لستَ ترضى ولا أرى ... فتىً راضياً عني ولا اللهَ راضيا
وكيف أُرَجِّي بعد سبعين حجةً ... نجاةً وقد لاقيتُ فيها الدَّواهيا
أخوضُ الأفاعي طول دهريَ خائفاً ... وكم يتوقَّى مَنْ يخوضُ الأفاعيا[٣]

[ولزم السجادة، وانقطع، فبعث له المعظم قنينة خمر وفصوص النرد، وقال: سبح بهذه،][٣] ومات عن إحدى وثمانين سنة، وقيل: مات سنة إحدى وثلاثين وست مئة.

أبو الخَطَّاب ابن دِحْية، المغربي[٤]

كان في المحدِّثين مِثْلَ ابن عُنَيْن في الشُّعراء، يَثْلِبُ علماء المُسْلمين، ويقع فيهم، ويتزيَّد في كلامه، فترك النَّاس الرِّواية عنه، وكذَّبوه، وكان الكامل مقبلاً عليه، فلما انكشف له حاله أَعْرَضَ عنه، وأخذ منه دار الحديث، وأهانه، فتوفي في ربيع الأول بالقاهرة، ودُفِنَ بقرافة مِصْر.

وكان قد قَدِمَ دمشق، وسأل الوزير ابنَ شُكْر أن يجمع بينه وبين شيخنا تاج الدين، فاجتمعا، وتناظرا، وجرى بينهما البحث في قول العرب: لقيته من وراء وراء. فقال ابنُ دِحْية: لا يقال: وراءُ بالرفع، بل بالنَّصْب. فقال تاج الدين: أخطأتَ بل الصَّحيح

(١) «ديوانه»: ٢٣٩، وهما في المستدرك من شعره.
(٢) ما بين حاصرتين من (ش).
(٣) «ديوانه»: ٩٣ مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(٤) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٤٨-٤٥٠، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٣٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وراء، بالرَّفع. فَسَفِهَ على شيخنا تاجِ الدين. فقال له: يا مدَّعي، أنت تكتب: وَكَتَبَ ذو النَّسبين بين دِحية والحسين.ودِحية بإجماعِ المحدِّثين ما أعقب، فقد كذبتَ في نسبك.

[قلت: والصَّحيح مع تاج الدين[1]، وقد ذكرها الجوهري، فقال: وراء بمعنى خلف، وقد يكون بمعنى قدام، وهو من الأضداد، وأنشد: [من الطويل]

إذا أنا لم أُوْمَنْ عليك ولم يكن لقاؤك إلا من وراءُ وراءُ][2]

السنة الرَّابعة والثلاثون وست مئة

فيها نزل التتر على إِرْبل بالفارس والرَّاجل، وحاصروها مُدَّة، ونصبوا عليها المجانيق، ونقبوا سورها، ودخلوها عَنْوةً، وقتلوا كلَّ مَنْ فيها، وَسَبْوا وفضحوا البنات، وأخذوا الأموال، وصارتِ الآبار والدُّور قبورَ أهلها، ونتنت المدينة من كَثْرة الجيف، وكان بادكين مملوك الخليفة في القلعة، فقاتلهم، ونقبوا القلعة، وجعلوها أسراباً وطرقاً، وقلَّت عندهم المياه، وماتَ بعضُهم عطشاً، ولم يبق سوى أخذها فمنَّ الله على من بقي من أهلها، فرحلوا عنها في ذي الحِجَّة، وقد عَجَزوا عن حَمْل ما أخذوا من الأموال والغنائم، ثم هرب بعد ذلك بادكين إلى بغداد.

وفيها استخدم الصَّالحُ أيوب الخُوارَزْميةَ الذين بقوا من أصحاب جلال الدِّين، فانضمُّوا إليه، وانفصلوا عن الرُّومي.

وفيها بَدَتِ الوَحْشة بين الكامل والأشرف، وسببه أَنَّ الأشرف طلبَ منه الرَّقَّة، وقال: الشَّرْق قد صار له، وأنا أطلب كل يوم في خِدْمته، فتكون هذه برسم عليق دوابي. وجعل الفلك ابن المسيري واسطةً، فكتب الفلك إلى الكامل يخبره، فكتب الكامل إلى الفلك كتاباً غليظاً شنيعاً. وكان الكامل لما عَزَمَ على أَخْذِ الرُّوم قال أسد

(١) عقب أبو شامة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ١٩٧ ، بقوله: أما اللفظان المتنازع فيهما، فرأيت في «أمالي» أحمد بن يحيى ثعلب جواز الأمرين فيهما، والجر أيضاً.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

الدِّين للأشرف: متى أخذ الرُّوم نبقى بين يديه يقلِّبُنا كيف شاء، واتفقا عليه، ولما عاد من الرُّوم إلى دمشق فهم الكامل ذلك، فخاف، وعجَّل الرَّواح إلى مِصْر، فبعث إليه الأشرف يقول: أخذت مني الشَّرْق، وقد افتقرتُ بهذه البواكير، ودمشق فبستان مالي فيها شيء. فبعث إليه الكامل عشرة آلاف دينار، فردَّها، وقال: أنا أدفع هذه لأميرين! فغَضِبَ الكاملُ، وقال: أيش يعمل بالمُلْك؟ تكفيه عشرته للمغاني، وتعلمه لصناعتهم. فتنمَّرَ عليه الأشرف، وقال: والله لأُعَرِّفَنَّه قَدْرَه. وأرسل إلى حلب وحماة وبلاد الشَّرْق، وقال: قد عَرَفْتُم بُخْلَ الكامل، وطمعه في البلاد. فحلفوا واتفقوا، ولما وَصَلَ الكامل إلى قلعة القاهرة باسَ العتبة، وقال: رأيتُ روحي في قلعتي.

فلما مات الأشرف [في سنة خمس وثلاثين وست مئة][1] قال: والله لو لم يمت لراحت البلاد منَّا. فقيل له: لك من باب المَوْصل إلى اليمن، فأيش تلتفت عليه؟! فقال: اسكتوا، كان كريماً، والكرم ما معه حديث.

وكان النَّاصر قد اتفق مع الأشرف، ثم انحرف عنه، ومضى إلى الكامل.

وفيها توفي

النَّاصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهَّاب، الحنبلي[2]

ولد بدمشق، ونشأ بها، وقرأ القرآن، وقدم بغداد فتفقَّه على أبي الفَتْح بن المَنِّي، وسمع الحديث من شُهْدة وطبقتها، وعاد إلى دمشق، ووعظ، وصنَّف الكتب، [ورأيت بخط ابنه فهرسة تصانيفه: «الإنجاد في الجهاد»، و«المقامة الدمشقية»، و«الإجماع والنص والقياس في فضائل بني العباس»، و«المزوق في التفسير»، و«الفروق في اللغة»، و«الحدائق في الوعظ والجدل والأقيسة والخطب»، و«شرح أسماء الله تعالى»، و«أسباب الحديث»، و«مختارات من المسند والبخاري ومسلم»، وغير ذلك.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٤٢٩ـ٤٣٠، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٣٦-٣٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وقد ذكرنا ما جرى بينه وبين العادل في فتح باب الفراديس، وسفر الناصح إلى حلب، وإقامته حتى مات العادل، وعاد إلى دمشق][(١)]، ودرَّس بمدرسة ربيعة خاتون في الجبل، وكان يعظ في الأحايين، [وقد حضر مجالسي بحلب ودمشق، وكان قد جرى بيني وبين الأشرف بسبب الناصر، وجلوسي ذلك المجلس الذي ذكرت فيه القدس وحشة، ولما أخذ الأشرف دمشق لزمت زاويتي، ولم اجتمع به حياء منه، لأنه كان أحسن إليَّ إحساناً كثيراً، وتفضَّل علي فضلاً غزيراً، وفوَّض إليَّ جميع الخوانك التي ببلاده شرقاً وغرباً، وبُعْداً وقرباً، وجهزني إلى الحج على طريق العراق، فسرت عارفاً بإحسانه وجميله، وأقام لي سبيلاً مثل سبيله، ولما دخل دمشق، وانقطعتُ عنه صَعِدَ الناصح إلى القلعة، وسأل الأشرف أن يجلس بجامع دمشق، وذلك عقب جلوسي في نوبة القدس، وقال الناصح: أريد أذكر فضائل السلطان، وما أولى الناس من العدل. وكان مقصوده أن يأتي بعكس ما أتيت به ليتقدم عند الأشرف، ثم قال: وأريد السلطان يحضر عندي. فقال: أنا اشتغالي كثير، بلى السلطان الصالح إسماعيل يحضر عندك وعماد الدين بن موسك. وجلس بباب المشهد في المكان الذي يجلس فيه الصالح والعماد في القُبَّة، وشرع في الكلام وبالغ، وقال وأطال، ولم يخشع قلب، ولم تدمع عين، ووقع في شمل المجلس الشتات والبين، وكان من عادتي يوم الخميس أن لا أنزل حتى تصل الشمس إلى المنبر، وقد ألف الناس ذلك، فهم به أخبر، فقال عماد الدين للصالح: متى تنزل إلى موضعها؟ فقال الصالح: الشمس ترديه. وقاموا، وحكوا للأشرف صورة المجلس، فأعجبه جواب الصالح، وقال: والله صدقت.

وحضر يوماً عند الأشرف فقال: قد ذكرت في «كتاب الجهاد» أنه ما اجتمع ألف من الأنصار في جيش إلا ونصر. فقال الأشرف: فقد خرج يوم أحد مع النبي ﷺ ألف من الأنصار، وجرى ما جرى!

قلت: ما حضر يوم أحد ألف من الأنصار، لأن الصحابة كانوا ست مئة، فيهم مهاجرون وأنصار، وكيف يكونون ألفاً!][(١)].

وكانت وفاته غُرَّة المحرم، ودفن بقاسيون.

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

القاضي التكريتي، واسمه عبد الرَّحمن[١]

ولي ديوان المعظم بالقُدْس، ثم ولي قضاء الكَرَك، وكان قد دَرَّس بمدرسة الزبداني، فلما أُخذ وَقْفُها عاد إلى القُدْس، ثم عاد إلى دمشق لما أخذها الأشرف، فناب بها عن القضاة، وتوفي بها، ودفن بقاسيون، وكان فاضلاً، نَزِهاً، عفيفاً.

الشِّهاب أحمد، الأمير[٢]

كان شجاعاً، جَوَاداً، كَيِّساً، متواضعاً، حَسَنَ المحضر، من خواصِّ الكامل وأرباب سِرِّه.

الشجاع علي ابن إيداش بن السَّلَّار، أمير الحاج[٣]

حجَّ بالنَّاس نيفاً وعشرين حجة، وكان صالحاً، سخيًّا، عابداً، صاحب أوراد، كريم النفس، حسنَ الأخلاق، [وكان يحضر مجالسي، فيبكي من أول المجلس إلى آخره][٤]، وكان المعظَّم يحبه ويحترمه، ويعتمد عليه.

[ذِكْرُ وفاته][٤]:

وكان مقيماً بالكَرَك عند النَّاصر، فنقل الحُسَّاد عنه ما لا يليق، فأحضره النَّاصر، وأحضر شمس الدين قاضي نابُلُس، وأسمع الشُّجاع كلاماً خشناً، وقال: قلتَ عني كذا وكذا؟ فأنكر، فقال القاضي للنَّاصر: يا مولانا، شجاع الدين ما يُفَرَّط فيه، وقد كان له عند المعظم المكانة الرفيعة، وما يحسن هذا بك.

[[٥]وكنت يومئذ بدمشق، فقدم دمشق، وجاء إلى عندي، وحكى لي صورة ما جرى، فقلت له: هو عندك مثل الولد. فقال:] والله ما قلتُ إلا أنَّه يقرأ المنطق، والفقه

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٤٥١-٤٥٢، و«تاريخ الإسلام» للذهبي: (وفيات سنة ٦٣٤هـ)، وهو عبد الرَّحمن بن حمدان.

(٢) هو أحمد بن خضر، له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٤٥٠، و«تاريخ الإسلام»: (وفيات سنة ٦٣٤هـ)، وذكر الذهبي أنه توفي بالقاهرة.

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٤٥٢، و«تاريخ الإسلام»: (وفيات سنة ٦٣٤هـ).

(٤) ما بين حاصرتين من (ش).

(٥) في (ح): وقدم دمشق، وقال...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

أَوْلى، مثلما كان أبوه. و[بعد يومين][(١)] مرض، فأصابه ذَرَبٌ عظيم، فرمى كبده قطعاً، ومات بعد ثمانية أيام من قدومه دمشق، وذلك في جُمادى الآخرة، ودفن بقاسيون.

الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر صاحب حلب[(٢)]

ولد في ذي الحجة سنة تسع أو عشر وست مئة[(٣)]، وتوفي والده وهو طفل، ونشأ تحت حَجْر شهاب الدِّين الخادم، فرتَّب أموره أحسن ترتيب، وقام بدولته [القيام العجيب][(١)] إلى أن ترعرع في سنة تسعٍ وعشرين، فاستقلَّ بالأمر، وفكَّ عن نفسه الحَجْر، وتوفي بحلب، ودفن في القلعة، وكان حسنَ الصُّورة، كريماً، عفيفاً، ولم يبلغ أربعاً وعشرين سنة، وحكى الحلبيون أن أحواله تغيَّرت، [وأقاموا ولده الملك الناصر يوسف بعده][(١)].

كَيْقُباذ، علاء الدين، صاحب الروم[(٤)]

كان عاقلاً، شجاعاً، ميمون النقيبة، كَسَر الخُوارَزْمي، وعسكر الكامل، واستولى على بلاد الشرق، وزوَّجه العادل ابنته، وأولدها، وكان عادلاً، مُنْصفاً، مهيباً، ما وَقَفَ له مظلوم إلا وكشف ظُلامتَهُ، وتوفي في شوَّال.

الكمال بن مهاجر[(٥)]

كان كثيرَ المال والصَّدقات والخير، مات بدمشق في جُمادى الأولى فجأة، ودُفِنَ بقاسيون، وأخذ الأشرف جميعَ ما وجد له بدمشق مما تبلغ قيمته ثلاث مئة ألف دينار، [أراني الأشرف][(١)] من ذلك سبحة [فيها][(١)] مئة حبة مثل بيض الحَمَام.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤٠ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) الصحيح في ولادته أنها كانت في ٥ ذي الحجة سنة (٦١٠هـ)، انظر «مفرج الكروب»: ٣/ ٢٢٠.

(٤) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤٠ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٥) هو محمد بن علي بن مهاجر، كمال الدين، له ترجمة في «تاريخ الإسلام» للذهبي: (وفيات سنة ٦٣٤هـ).

السنة الخامسة والثلاثون وست مئة

فيها توفي الأشرف والكامل، وولي الجَوَاد دمشق.

وفيها اختلفت الخُوارَزْمية على الصَّالح أيوب [بن الكامل][1]، وأرادوا القَبْضَ عليه، وكان على الفرات، فهرب إلى سِنْجار، وترك خزائنه وأثقاله، وعَبَرَ الفرات من عند دير يسير، فنهبوا الجميع، ولما صار في سِنْجار سار إليه بدر الدين لؤلؤ، فحصره في ذي القَعْدة، فأرسل [الصالح][1] إلى لؤلؤ يسأله الصُّلْح، فقال: لا بُدَّ من حَمْله إلى بغداد في قفص، وكان لؤلؤ والمشارقة يكرهون مجاورته، وينسبونه إلى التكبر والتجبر والظُّلْم، فألجأت الضَّرورة إلى أن بَعَثَ الصَّالح إلى الخُوارَزْمية وهم على حَرَّان يستنجدهم، فألجأت الضرورة إلى أن بَعَثَ الصَّالح إليهم بدر الدين قاضي سنجار، وحَطَّه من السُّور في حبل، فشرط للخوارزمية كل ما أرادوا، فساقوا جرائد من حَرَّان، فكبسوا بدر الدين لؤلؤ على سنجار، فنجا وحده على فرسٍ سابق، ونهبوا أمواله وخزائنه، والخيل والخيام، وجميع ما كان في عسكره، حتى بِيْعت الدَّواة المفضضة التي تساوي مئتي درهم بخمسة دراهم، والطِّسْت والإبريق يساوي ثلاث مئة دِرْهم بِيْعَ بعشرين درهماً، واقتسموا الكُوسات والنقارات من ذلك اليوم، واستغنَوْا إلى الأبد.

وفيها خَطَبَ الكمال عمر بن أحمد بن هبة الله بن طلحة النَّصِيبي بجامع دمشق في شعبان بعد وفاة الدَّوْلعي.

وفيها توفي

خُطْلُبا بن عبد الله، صارم الدِّين التِّبْنيني[2]

المجاهد، المرابط، الدَّيِّن، الصالح، [العاقل][1]، توفي يوم الاثنين، ثالث شعبان، ودفن في تُرْبته التي أنشأها بقاسيون، ودَفَنَ بها شركس، [وهو الذي أنشأ هذه التربة، ووقف عليها الأوقاف][1]، وكان كثيرَ الصَّدقات والمعروف والصِّلات،

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «تاريخ الإسلام»: (وفيات سنة ٦٣٥هـ)، و«الوافي بالوفيات»: ١٣/ ٣٤٧، وذكره أبو شامة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٣٢، ٣٠٨.

عاقلاً، طاهرَ اللِّسان، غزير الفضل [والإحسان][(١)]، أقام في الثغور مُدَّة سنين يجاهد العدو، ويحفظ البلاد على المُسْلمين.

محمد بن أبي بكر بن أيوب، الملك الكامل[(٢)]

ولد سنة ثلاثٍ وسبعين وخمس مئة[(٣)]، وكان أكبر أولاد العادل بعد ممدود، وكان العادل قد عهد إليه لما رأى من ثباته وعقله وسَدَاده [في إصداره وإيراده][(١)]، وقد ذكرنا سيرته في السِّنين، وكان شجاعاً، ذكياً [مهاباً][(١)]، فطناً، يحبُّ العلماء والأماثل، ويلقي عليهم المُشْكلات [من المسائل][(١)]، وتكلَّم على «صحيح مسلم» بكلامٍ مليح، ولفظ فصيح، وثبت بين يدي العدو لما نَزَلَ الفرنج على دمياط مدة، ما أبقى قلماً في خزائنه وذخائره.

وأما عدله فإليه المنتهى، [وفَضْله هو المشتهى][(١)]، وبَلَغَ من عَدْله أَنَّ بعض الركبدارية استغاث إليه يوماً، وقال: استخدمني أُستاذي ستة أشهر بغير جامكية، فأحضر أُستاذه، وأنزله من فرسه، وخلَّعه ثيابه، وألبسها الركبدار، وأركبه الفرس، وألبس الجندي ثياب الركبدار، وقال له: احمل مداسه، واخدمه ستة أشهر كما خدمك.

وكان إذا سافر لا يتجاسر أحدٌ أن يأخذ من فلاحٍ علاقة شعير، ولا دجاجة [وإن دعت إلى ذلك الحاجة، ولقد بلغني أنه][(١)] شنق جماعةً من الأجناد على آمِدِ؛ لكونهم أخذوا أكيال شعير لشخصٍ.

وكانت الطُّرق في أيامه آمنة بحيث يسير الراكب وحده، ولا يحتاج إلى حمل عُدَّة.

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة»: ٣/ ٤٨٥، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤٣-٤٤ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.
قال إبراهيم عفا الله عنه: وكان الأوْلى أن يترجم للأشرف قبل الكامل، لأن وفاة الأشرف كانت في محرم، ووفاة الكامل في رجب من ذلك العام.

(٣) ذكر المنذري في «التكملة»: ٣/ ٤٨٥، والذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ١٢٧، و«تاريخ الإسلام»: (وفيات سنة ٦٣٥هـ) أن ولادته سنة ست وسبعين وخمس مئة. وعقب على ذلك ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٦/ ٢٢٨، فقال: وعندي أن أبا المظفر (يعني سبط ابن الجوزي) أثبت لصحبته بأخيه المعظم عيسى، وكونه أيضاً عصري الملك الكامل هذا، والله أعلم.

[وجلست عنده بدار الوزارة في القاهرة سنة تسع وست مئة][١].

وقال فخر الدين بن شيخ الشيوخ: لما حَضَرَ الفرنج دمياط صَعِدَ الكاملُ على مكانٍ عالٍ، وقال لي: ما ترى ما أكثر الفرنج! مالنا بهم طاقة. [قال][١]: فقلتُ: أعوذ بالله من هذا الكلام. قال: ولِمَ؟ قلتُ: لأنَّ السَّعد موكل بالمنطق. فأخذتِ الفرنجُ دمياط بعد قليل، فلما طال الحصار صَعِدَ يوماً على مكانٍ عالٍ، وقال: يا فلان، ترى الفرنج ما أقلهم! والله ما هم شيء. فقلتُ: أخذْتَهُمْ والله. قال: وكيف؟ قلتُ: قلتَ في يوم كذا وكذا: كذا وكذا، فأخذوا دمياط، وقد قلتَ اليوم: كذا، فالملوك منطَّقون بخيرٍ وشر. فأخذ دمياط بعد قليل.

وكان الملك الأشرف قد توفي في أول هذه السنة، واستولى الصَّالح إسماعيل على دمشق، وجاء الكامل، فحصره، وكان [خالي][١] محيي الدِّين بن الجوزي بدمشق، فدخل بينهما في الصُّلْح، وأعطاه الكامل بَعْلَبَكَّ مضافةً إلى بُصْرى بعد أن حوصرت دمشق حصاراً شديداً، وقُتِلَ عليها جماعة، وزحفَ النَّاصر داود بعسكره من باب توما، وتعلقوا بالنُّقوب، ولم يبق إلا أخذها، فأرسل الكاملُ فخر الدِّين بنَ شيخ الشيوخ، فرحَّله إلى أرض برزة، وكان الصَّالح قد أرسل إلى الكامل يقول: قد بلغني أنك تعطيها للنَّاصر، وأنتَ أحقُّ. وسلَّمها إلى الكامل في أواخر جُمادى الأولى، فأقام بها إلى ثاني عشرين رجب، فتوفي في بيتٍ صغير بدار الفِضَّة في مكان مات صلاح الدين، ولم يعلم أحدٌ بموته، ولا حضره أحدٌ من شِدَّة هيبته، وإنما دخلوا عليه، فوجدوه مَيْتاً، وكان مرضه نيفاً وعشرين يوماً بالإسهال والسُّعال، ونزلةٍ في حَلْقه، ونِقْرس في رِجْله، [ودفن بالقلعة بعدما صلوا عليه][١]، وأظهروا موته يوم الجمعة، ولم يحزن عليه أحد، ولا لبسوا ثياب الحُزْن، ولحق النَّاس بهتة، واتفقوا في الحلقة في ذلك النَّهار باتفاق الجَوَاد وسيف الدين بن قليج، والخدام، وعز الدين أيبك، وعماد الدين بن الشيخ، وسنذكر القصة.

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

ذِكْرُ ما جرى بعد وفاته:

اجتمع الأمراء [وفيهم سيف الدين بن قليج، وعز الدين أيبك، والركن الهيجاوي،][(١)] وعماد الدين وفخر الدين ابنا الشيخ، وتشاوروا، وانفصلوا على غير شيء، وكان النَّاصر داود بدار سامة، [فجاءه][(١)] الركن الهيجاوي[(٢)] في الليل، وبيَّن له وجه الصَّواب، وأرسل إليه عِزُّ الدِّين أيبك يقول: أخرجِ المال، وفَرِّقْه في مماليك أبيك، والعوامُ معك وتملك البلد، ويبقوا في القلعة محصورين. فما أنفق، وأصبحوا يوم الجمعة في القلعة، فحضر مَنْ سَمَّينا، وذكروا النَّاصر والجَوَاد، وكان أضرَّ ما على النَّاصر عماد الدين بن الشيخ، لأَنَّه كان يجري في مجلس الكامل مباحثات، فيخطئه فيها ويستجهله، فبقي في قلبه، وكان فخر الدين يميل إلى النَّاصر، فأشار عمادُ الدين بالجواد، ووافقوه، وأرسلوا الهيجاوي يوم الجمعة إلى النَّاصر، وهو في دار سامة، فدخل عليه، وقال له: أيش قعودك في بلد القَوْم؟ قُمْ واخرج. فقام، وركب وجميع مَنْ في دمشق من باب دار سامة إلى القلعة، وما شك أحدٌ أَنَّ النَّاصر طالع إلى القلعة، وساق، فلما تعدَّى مدرسة العماد الكاتب، وخرج من باب الزُّقاق عَرَّج إلى باب الفرج، فصاحت العامة: لا لا لا. وانقلبتْ دمشق، وخرج النَّاصر من باب الفرج إلى القابون، ووَقَعَ بهاء الدِّين بن بركيشوا وغِلْمانه في النَّاس بالدَّبابيس، فأنكوا فيهم، فهربوا.

وأما الجَوَاد، فإنه فتح الخزائن، وأخرج المال، [فبلغني أنه][(١)] فَرَّق ستة آلاف ألف دينار، وخلع خمسة آلاف خِلْعة، وأبطل المكوس والخمور، ونفى الخواطئ، فأقام النَّاصر بالقابون أياماً، وعزموا على قَبْضه، فرحل، وبات بقصر أُم حكيم، وخرج خَلْفه أيبك الأشرفي ليمسكه، وعَرَفَ عمادُ الدين بن موسك، فبعث إليه في السِّرِّ، فسار في الليل إلى عجلون، ووصل أيبك إلى قصر أم حكيم، وعاد إلى دمشق.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح) و(ش): «جاءه الهيجاوي والركين في الليل، وبينا له وجه الصواب»، والمثبت من «تاريخ الإسلام» للذهبي: (حوادث سنة ٦٣٥هـ).

ذِكْرُ ما جرى بين النَّاصر والجَوَاد:

سار النَّاصر من عجلون إلى غَزَّة، فاستولى على السَّاحل، فخرج إليه الجواد في عسكرِ مِصْر والشَّام، [فبلغني أنه](١) قال للأشرفية: كاتبوه وأطمعوه. فكاتبوه وأطمعوه، فاغترَّ بهم، وساق من غَزَّة في سبع مئة فارس إلى نابُلُس بأثقاله وخزائنه وأمواله، وكانت على سبع مئة جمل [على ما بلغني](١)، وترك العساكر مقطعة خلفه، وضرب دِهْليزه على سَبَسْطِيَة، والجواد على جيتين، فساقوا عليه، وأحاطوا به، فساق في نفرٍ يسير نحو نابُلُس، وأخذوا الجمال بأحمالها والخزائن والجواهر والجنائب، واستغنَوْا غِنى الأبد، وافتقر هو فقراً ما افتقره أحد، و[بلغني أن عماد الدين بن الشيخ](٢) وقع بسَفَطٍ صغير، فيه اثنتا عشرة قطعة من الجوهر، وفصوص ليس لها قيمة، فدخل على الجواد، وطلبه منه، فأعطاه إياه.

وهذه الأموال التي كانت على الجمال قالوا: هي التي جَهَّز بها المعظَّم دار مرشد ابنته لما زَوَّجها بالخُوارَزْمي، أخذها الناصر منها ظنًّا منه أنه يعوِّضها إذا فتح البلاد، [ففعل الله في ملكه ما أراد](١)، وسار النَّاصر لا يلوي على شيء إلى الكَرَك، [وكانوا قد أشاروا عليه في غزة أن يبعث الأموال والخزائن والأثقال إلى الكرك(١)] على الرَّوية، ويجمع عسكره، ويسير جريدةً، فإنْ ظَهَرَ عليهم وإلا سَلِمَتْ خزائنه وأمواله وأموال عسكره، فاغترَّ بمكاتبة الأشرفية، [ولله في خلقه أسرار خفية](١).

وحكي لي أَنَّ الكامل لما توفي اختلف أصحابه فيمن يولون، فقالوا لفخر الدِّين بن الشيخ: ما تقول في الجواد، فقد اتفق الأُمراء عليه؟ فقال: المصلحة أن نولي بعضَ الخُدَّام نيابةً عن ابنِ أُستاذنا العادل، متى شاء عزله، ومتى شاء أبقاه، ولا تولوا أحداً من بيت الملك، ما يقدر أحدٌ بعد ذلك عليه، ويحكم علينا. وبلغ الجواد، فجاءه، وقال: يا فخر الدين، أنا وأنت ربينا في خِدْمة الكامل، وبيننا خبز وملح، وأنا مملوكك. ووعده أَنْ يعطيه خبز مئة وخمسين فارساً وعشرة آلاف دينار، فقال: والله لا وافقت إلا على ما فيه مصلحة ابن أُستاذي. فلما يئس منه فَرَّق ضياع الشَّام على

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح): ووقع عماد الدين بن الشيخ بسفط...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

الأمراء، وخَلَعَ عليهم، وفرَّق الخزائن، وكان فيها تسع مئة ألف دينار، وتوجَّه فخر الدين إلى مِصْر ومعه جماعةٌ من الأمراء بعد أن تردَّد إلى النَّاصر بالقابون دفعات.

محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله ابن مَمِيْل(١)

أبو نَصْر، شمس الدين بن الشِّيْرازي.

ولد بدمشق سنة تسعٍ وأربعين وخمس مئة، وسمع الحديث الكثير، وناب في القضاء مدَّة سنين، ودرَّس بمدرسة ست الشَّام بالعوينة، وتوفي ليلة الخميس ثالث جمادى الآخرة، ودفن بقاسيون في تربته، [وسمع من الحافظ ابن عساكر قطعة من التاريخ وغيره، وأبا يعلى حمزة بن علي الحُبُوبي، وأبا البركات الخضر بن شبل ويعرف بابن عبد، خطيب جامع دمشق، وأبا المعالي مسعود بن محمد ويلقب بالقطب النيسابوري، وخلقاً كثيراً](٢)، وكان إماماً، فقيهاً، عالماً، فاضلاً، كَيِّساً، لطيفاً، حَسَنَ الأخلاق، كريمَ الطِّباع، حميدَ الآثار، حُفَظَةً للحكايات الحِسان وأيام العرب، والأخبار والأشعار، رحمه الله.

محمد بن أبي الفَضْل(٣)

ابن زيد بن ياسين، الخطيب، الدَّوْلَعي، ويلقب بالجمال.

أقام خطيباً بعد موت عمِّه الدَّوْلَعي إلى هلم جرًّا، وكان حريصاً على المنصب، ولم يحجَّ حجة الإسلام خوفاً على المحراب، وكان المعظَّم قد منعه من الفتوى.

قال المصنف رحمه الله: فقلتُ له: لم مَنَعْتَه؟ فقال: ما مَنَعْتُه، وإنما منعه شيوخ مذهبه وأكابرهم، كتبوا إليَّ يقولون: هذا رجلٌ جاهل، غليظُ الطَّبْع، وفتاويه كلُّها خطأ، ولا يحلُّ لك أن تمكنه من الفتوى في الفروج والأموال.

---

(١) له ترجمة في «التكلمة» للمنذري: ٣/ ٤٨٠-٤٨١، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٤٧٧-٤٧٨، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤١-٤٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وحكى [لي][(١)] عماد الدِّين بن موسك وجماعة من أصحاب الأشرف، قالوا: لما مَرِضَ الأشرفُ المرضَ الذي مات فيه دخل علينا في النَّيْرب والأشرفُ على خُطَّة، فقال له: طَيِّب قلبك، فقد رأيتُ النَّبيَّ ﷺ في المنام، وهو يقول: قُلْ لموسى: والله ما تموتُ في هذه المرضة. قال: فقُلْنا: بَشَّرك الله بالخير، فقال: إنْ مات، فارْجموني. قال عماد الدين: فمات بعد سبعة أيام، وما رجمناه. توفي رابع عشر جُمادى الأولى، ودُفِنَ بالمدرسة التي أنشأها بجيرون، [وكان قليل سماع الحديث، سمِع عمه عبد الملك بن زيد بن ياسين الدَّوْلعي، ومحمد ابن صدقَة الحراني][(١)]، وكان له أخٌ جاهل، فولي الخطابة بعده.

موسى بن أبي بكر، أبو الفَتْح، الملك الأشرف[(٢)]

ولد بالقاهرة سنة ستٍّ وسبعين وخمس مئة، وكان في مبدأ أمره بالقُدْس تحت حكم ابن الزَّنْجيلي عثمان. قال [لي][(١)] المعظم: أنا أخذتُ له حَرَّان والرُّها والشَّرق من أبي، وجهَّزته من عندي بالخيل والعُدَّة والمماليك. وتقلبت به الأحوال حتى صار شاه أرمن، وكسر المواصلة، والرُّوم، والخوارزمي، وأخاه شهابَ الدين، وكان جَوَاداً، حسناً، عادلاً [عاقلاً][(١)] منجباً؛ لو كانت الدُّنيا بيده، ودفعها إلى أقلِّ النَّاس ما استكثرها له، وكان ميمونَ النَّقيبة؛ ما كسرت له رايةٌ قَطُّ، ولما أيقن بالموت أخذ بعضُ مماليكه سنجقه ليكسره، وقال: ما يحمله غيره. فقال له: لا تفعل، فوالله ما كُسِرَ قط. [وحضر مجالسي بخلاط وحران، ودمشق في ذي الحجة يوم عرفة بعد العصر بجامع التوبة الذي أنشأه، وبكى بكاء شديداً، وأعتق مماليكه وجواريه،][(١)] وكان عفيفاً عن المحارم، ما خلا بامرأةٍ قَطُّ إلا أن تكون زوجةً أو جارية.

قال المصنف رحمه الله: ولما صَعِدْتُ إلى خِلاط، واجتمعت به في القلعة جلسنا يوماً في منظرةٍ، فعتَبَ على أخيه المعظَّم في قضيةٍ بلغته عنه، ثم قال: والله ما مددتُ عيني إلى حُرَمِ أحدٍ؛ لا ذكرٍ ولا أُنثى، ولقد كنتُ يوماً قاعداً ها هنا في هذه الطَّيَّارة،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٤٦٥، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤٠-٤١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

فدخل الخادم، وقال: على الباب امرأةٌ عجوز تذكر أنها من عند بيت شاه أرمن صاحب خِلاط. فأَذِنْتُ لها، فدخلت ومعها ورقةٌ من بنت شاه أرمن صاحب خِلاط تذكر أَنَّ الحاجب علياً قد قصدها، وأخذ ضيعتها، وقَصْدُه هلاكها، وما تتجاسر أَنْ تظهر خوفاً منه. قال: فكتبتُ على الورقة بإطلاقِ القرية، ونَهْي الحاجب عنها. فقالتِ العجوز: فهي تسأل الحضورَ بين يديك، فعندها سِرٌّ ما يمكن ذكره إلا للسُّلْطان. فقلت: بسم الله. فقامت، وغابت ساعة، ثم جاءت، فدخلت ومعها امرأةٌ ما رأيتُ في الدُّنيا أحسنَ من قَدِّها، ولا أَظْرَفَ من شَكْلها، كأنَّ الشَّمْسَ تحت نِقابها. فَخَدَمَتْ ووقفتْ، فقمتُ لها لكونها بنت شاه أرمن، وقلتُ لها: أنتِ في هذه البلد، وما علمتُ بك! فَسَفَرَتْ عن وجه أضاءتْ به المنظرة. فقلتُ لها: غَطِّ وجهك، وأخبريني حالك. فقالت: أنا بنتُ شاه أرمن صاحب هذه البلاد، مات أبي، واستولى بكتمر على الممالك، وتغيَّرت الدُّول، وكان لي ضيعة أعيشُ منها، أخذها الحاجب عليّ، وما أعيش إلا من عمل النقش، وأنا ساكنة في دور الكِراء، قال: فبكيت، وَرَقَّ قلبي لها، وأمرتُ الخادم بأن يكتب لها توقيعاً بالضّيعة والوصية، وأمرتُ لها من الخزانة بقُماش، وأمرت لها بدارٍ تَصْلُحُ لسُكْناها، وقلت: بسم الله، في حِفْظ الله وَدَعتِهِ. فقالت العجوز: يا خوند، ما جاءت إلى خِدْمتك إلا حتى تحظى بك الليلة. قال: فساعةَ سمعتُ كلامها أوقعَ الله في قلبي تغيُّرَ الزَّمان، وأن يملك خِلاط غيري، وتحتاج بنتي إلى أن تقعد مثل هذه القعدة بين يديه. فقلتُ: يا عجوز، معاذ الله، والله ما هو شيمتي، ولا خلوتُ بغير محارمي، فَخُذيها وانصرفي وهي العزيزة الكريمة، ومهما كان لها من الحوائج فهذا الخادم ينفذ إليها. فقامتْ وهي تبكي، وتقول بالأرمنية: صانَ الله عاقبتك كما صنتني. قال: [فلما خرجت افتتنتني نفسي وقالت: ففي الحلال مندوحة عن الحرام، تزوَّجْها][1]، فقلتُ: ويحك يا نفس خبيثة، فأين الحياء والكرم والمروءة؟ والله لا فعلته أبداً.

وقال رحمه الله: ماتَ لي مملوكٌ بالرُّها، وخلَّف ولداً لم يكن في زمانه أحسنَ منه صورةً، ولا أظرف، وكان من لا يفهم باطن حالي يتَّهمني به، وكنتُ أحبه، وهو عندي

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

أعز من الولد، وبلغ عشرين سنة، فضرب غلاماً له، فمات، فاستغاث أولياؤه، فقلتُ: أَثْبتوا أَنَّه القاتل. فأثبتوا، وجاؤوا يطلبون الثَّأر، فاجتمعَ عليهم مماليكي وخواصي، وقالوا: نحن نعطيكم عشر دِيَات. فأَبَوْا، وقالوا: لا بُدَّ من الاستيفاء. فطردوهم، فوقفوا لي، وقالوا: قد ثَبَتَ حقُّنا. فقلتُ: سَلِّموه إليهم. فسلموه، فقتلوه، ولو طلبوا ملكي دفعته إليهم، ولكن خفت من الله أن أمنعهم حَقَّهم لغرض نفسي.

وقال المصنف رحمه الله: كنتُ عنده بخِلاط، فقدم عليه النِّظام بن أبي الحديد، ومعه نَعْلُ النَّبيِّ ﷺ، فَعَرَّفْتُه بقدومه، فقال: يحضر. فلما دخل عليه، ومعه النَّعل، قام قائماً، ونزل من الإيوان، وأخذ النَّعل، فقبَّله، ووضعه على عينيه، وبكى، وخلع على النِّظام، وأعطاه نفقة، وأجرى عليه جرايةً، وقال: تكون في الصُّحبة نتبرك به. وانفصلتُ عن خِلاط، فأقام النِّظام عنده، فبلغني أَنَّه قال: هذا النِّظام يطوف البلاد، وما يقيم عندنا، وأنا أوثر أن يكون عندي قطعة من النَّعْل أتبرك به. وعَزَمَ على أخذ قطعةٍ منه، ثم بات مفكِّراً، ورجع عن ذاك الخاطر، ولما أَخَذَ دمشق حكى لي، قال: عزمتُ على أَخْذِ قطعةٍ منه، ثم فكرتُ، فقلتُ: ربما يجيء بعدي مَنْ يفعل مِثْل فعلي، فيتسلسل الحال، ويؤدي إلى استئصاله بمرَّة، فتركتُه، وقلتُ: «مَنْ تَرَكَ شيئاً لله عَوَّضه الله خيراً منه»(١). ثم أقام عندي النِّظام شهراً، واتَّفق أَنَّه مات، فأوصى لي بالنَّعْل، فأخذتُ النَّعْل بأَسْره.

ولما فتح دمشق اشترى دار قَيْماز النَّجْمي، وجعلها دار حديث، وتَرَكَ النَّعل فيها، ونقل إليها الكُتُبَ الثمينة، وأوقف عليها الأوقافَ الكثيرة.

ذِكْرُ ما بنى من الأماكن:

بنى مسجد أبي الدَّرْداء ـ رضي الله عنه ـ بقلعة دمشق، وَزَخْرفه، وكان عامّة مقامه فيه. والمسجد الذي عند باب النَّصر، وخان الزنجاري، ومسجد جراح بالباب الصَّغير، ومسجد القصب بالعُقَيْبة، وجامع بيت الإبر، ووقف عليها الأوقاف، وبنى بُسْتان النَّيْرب بُنْياناً عظيماً.

---

(١) أخرج نحوه أحمد في «مسنده» (٢٠٧٣٩)، بإسنادٍ صحيح، ولم أقف عليه بهذا اللفظ مرفوعاً، والله أعلم.

وكان فَطِناً، ذكياً، حَسَنَ الظَّنِّ بالفقراء، يحسن إليهم ويزورهم، ويتفقدهم بالمال والأطعمة، وقضيته مع أصحاب الشيخ حياة لما بدَّدوا المُسْكر من بين يديه مشهورة، وكان يقول: وبها نُصِرْت.

وكان طول ليالي رمضان لا يغلق باب القلعة، وجِفان الحلاوات خارجة إلى الجامع، والزَّوايا، والرُّبُط، وبيت الإبر، والمِزَّة إلى أبي القاسم السعردي، وعمر الخلخال والي الجبل، وغيره، وكان إنعامه العامُّ شاملاً للخاصِّ والعام.

[ولما فارقت دمشق بسبب ما جرى في حديث القدس طلعت إلى الكرك، وأقمت عند الملك الناصر، وكنت أتردد إلى القدس ونابلس من سنة ست وعشرين(١) إلى سنة ثلاث وثلاثين، ثم جرت أسباب أوجبت قدومي إلى دمشق، فَسُرَّ بقدومي، وزارني، وأحسن إليّ، وفصل لي خلعة سنية، فامتنعت من لبسها، فقال: لا بالله، ولو ساعة، ليعلم الناس بأنك قد رضيت، وزال ما كان بيننا من الوحشة. وبعث لي بغلته الخاص، وعشرة آلاف درهم. وجلست في جامع التوبة ليلة عرفة، وحضر، وبكى، وأعتق مماليكه وجواريه، وقال لي: قد رجع الحق إلى نصابه، ومثلك يصلح أن يكون في خرائب نابلس والقدس والكرك! والله إن دمشق تغار عليك أن تكون في غيرها. وأقمنا معه من سنة ثلاث وثلاثين إلى أن توفي في سنة خمس وثلاثين وست مئة في أرغد عيش، وأحسن حال، وأهنأ بال](٢).

ذِكْرُ وفاته، رحمه الله تعالى:

مرض في رجب مرضين مختلفين، [في الأعالي والأسافل، وكنت كل يوم أعوده أنا والأماثل](٢)، فكان الجرائحي يُخرج العِظام من رأسه، وهو يسبِّحُ الله ويحمده، ويقدِّسه ويوحده، ثم اشتدَّ به الذَّرَب، فكان يتحاملُ إلى أَنْ غُلب، فلما يئس من نفسه قال لوزيره جمال الدين بن جرير: يا جمالَ الدِّين، في أيش تكفنوني؟ فقال: حاشاك [من ذلك](٢)، فقال: دَعْني مِنْ هذا، فما بقي فيَّ قوة تحملني أكثر من نهار غد، [وتواروني](٢) فقال: عندنا في الخزانة نصافي. فقال: حاشا لله أن تكفني من هذه

(١) كذا قال هنا، والصحيح أنه غادر دمشق في أواخر سنة (٦٢٧هـ)، انظر ص٣٠٥ من هذا الجزء.
(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

الخزانة [التي لا تخلو من الخيانة](١). وكان عماد الدين بن موسك حاضراً، فقال له: قُمْ، وأحضرِ الوديعة التي لي عندك. فقام عماد الدين، ومضى، وعاد، وعلى رأسه مئزر صوف أبيض، [تلوح منه أنوار الرِّضى](١)، ففتحه، وإذا فيه خِرق الفقراء، وطاقيات الأولياء مثل الشيخ مسعود الرُّهاوي، والشيخ يونس البيطار، وعلي الفارسي، وجماعة الشيوخ، وكان في الثياب إزارٌ عتيق ما يساوي خمسة قراطيس، فقال: هذا يكون على جسدي، [أتقي به حر الوطيس](١)، فإنَّ صاحبه كان من الأبدال، [وسادات الرجال](١)، وكان حبشياً أقام بجبل الرُّها يزرع قطعةَ زعفران، يتقوَّت بها [برهة من الزمان](١)، وكنتُ أصعد إلى زيارته، وأعرض عليه المال، فيمتنع، فقلتُ له يوماً: أنا أعرض عليك الدُّنيا، ولا تقبل، فأريدُ من أثرك ما أجعله في كفني [فقال: أفعل.](١) فأعطاني هذا الإزار، [وقال](١): قد أحرمت فيه عشرين حجة.

وكان آخر كلام الأشرف رحمه الله: لا إله إلا الله. ثم مات يوم الخميس رابع المحرم، ودفن بالقلعة، ثم نقل إلى تُرْبته بالكلاسة في جمادى الأولى(٢).

ولما كان بعد موته بأيام قَدِمَ رجلٌ من أهل حَرَّان، كان له عليه في كلِّ سنة شقاق قطن ولأولاده، ومئتا دِرْهم، فجاء إلى قبره، وجعل يبكي، ويقول: كان لي عليه رسم. فقال له بعضُ الناس: هو ذا يسمعك، [فإن أراد يعطيك فهو يعطيك](١). فانكسر قلبه، وخرج إلى السُّوق، فالتقاه تاجرٌ من أهل بلده، وقال له: كم أنتظرك، خبأتُ لك من الزكاة مئتا درهم، وشقاقاً لأولادك. وأعطاه إياها، وقال: هذه رسم في كلِّ سنة لك عليّ.

قال المصنِّف رحمه الله: وحكى لي الشيخ الفقيه أبو محمد محمد اليونيني ببَعْلَبَك في سنة خمس وأربعين [وست مئة](١) عند عودي من بغداد، قال: حكى لي فقيرٌ صالحٌ من جبل لبنان، قال: لما ماتَ الأشرف رأيتُه في المنام، وعليه ثياب خُضْر، وهو يطير بين السماء والأرض مع جماعةٍ من الأولياء، فقلت له: يا موسى أيش تعمل مع هؤلاء، وأنتَ كنتَ تفعل في الدُّنيا وتصنع؟ فالتفتَ إلي وتبسَّم، وقال: الجسدُ الذي

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) قال إبراهيم عفا الله عنه: وما زال قبره ظاهراً فيها، بالقرب من ضريح السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب، وليس على القبر ما يدل عليه.

كان يفعل تلك الأفاعيل تركناه عندكم، والرُّوح التي كانت تحبُّ هؤلاء قد صارت معهم. فرحمه الله، ورضي عنه رضى الأبرار، وجمعنا وإياه في دار القرار.

وكان الأشرف لما أحسَّ بوفاته في آخر سنة أربعٍ وثلاثين، وكنت أغشاه في مرضه، فقلت له: استعدَّ للقاء الله، فما يضرّك. قال: لا والله بل ينفعني. ففرَّق البلاد، وأعتق مئتي مملوك وجارية، ووقف دار فَرُّخْشاه التي يقال لها: دار السَّعادة، و[بستان](١) النَّيْرب على ابنته، وأوصى لها بجميع الجواهر.

ذِكْرُ ما جرى بعد وفاته:

لما انقضى عزاؤه ركب أخوه الملك الصَّالح إسماعيل ركوبَ السَّلْطنة، وترجَّل النَّاس في ركابه، وصاحبُ حِمْص إلى جانبه، وعِزُّ الدِّين أيبك [قدامه](١) قد حمل الغاشية بين يديه، وعاد أسدُ الدِّين إلى حِمْص، وعز الدين إلى صرخد، وجاءت نجدة حلب، ووصلتِ الأخبار بوصول التتر إلى دقوقا، وصادر الصَّالح إسماعيل جماعةً من دمشق اتهمهم بالكامل، منهم العلم تعاسيف، وأولاد ابن مزهر، وابن عريف البدوي، وأخذ جميع مالهم، وحَبَسَ أولاد ابن مزهر ببُصْرى مقيَّدين، فأقاما مدة سنين، ومات أحدهما في الحبس مقيداً، وأخرج الحريريَّ من قلعة عزَّتا، ومنعه من دخول دمشق، وجاء عسكر الكامل إلى قريب دمشق، وقَسَمَ الصَّالح الأبراج على الأمراء، وحصَّنها، وغلقت أبوابها، ووصل عِزُّ الدين أيبك من صرخد، وأمر بفَتْح أبوابها ففتحت، وجاء النَّاصر داود، فنزل المِزَّة، ونزل مجير الدين وتقي الدين القابون، وأحدق العسكر بالبلد، وجاء الكامل، فنزل عند مشهد القدم، وقطع المياه عن دمشق، واشتدَّ الحصار، وغلتِ الأسعار، ونصبوا على الأبواب المجانيق، وسدُّوا الأبواب بمرَّة إلا بابَ الفرج وباب النَّصْر، ورَدَّ الكامل ماء بردى إلى ثورا، وأخرب الصَّالح العُقَيْبة والطَّواحين خراباً شنيعاً، وأحرق قَصْر حجاج، والشَّاغور، وبدَّع بظاهر المدينة، وأخربه خراباً لم يُعهد مثله، وأصبح أهل هذه الأماكن على الطرق يُكْدُون، واحترق جماعةٌ في دورهم.

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وحُكي [لي][(١)] أَنَّ الصَّالح [أو ابنه][(١)] وقف على العُقَيْبة، وقال للزَّرَّاقين: أحرقوها. فضربوها بالنَّار، وكان لرجلٍ عشر بنات، فقال لهن: اخرجن. فقلن: لا والله، النَّار ولا العار، ما نفتضح بين النَّاس. فاحترقت الدَّار وهُنَّ فيها، [فاحترقن][(١)] ولم يخرجن، وجرت فيها قبائح [وفضائح][(١)].

وزحف النَّاصر إلى باب توما، وعلَّق النقوب فيه، ولم يبق إلا فتح البلد، ثم تأخَّر إلى أرض برزة، ثم آل الأمر إلى أن أعطى الكامل لأخيه بَعْلَبَك مع بُصْرى، وتسلَّم دمشق، وكان الفلك المسيري قد حبسه الأشرف في حبس الحيات بالقلعة، فأخرجَ، ونُقِلَ الأشرف إلى الكلاسة إلى تربته، وعَبَرَ الكامل إلى القلعة.

يحيى بن هبة الله بن الحسن[(٢)]

أبو البركات، القاضي شمس الدين ابن سني الدَّوْلة.

كان فقيهاً، إماماً، فاضلاً، نَزِهاً، عفيفاً، عادلاً، مُنصفاً، حافظاً لقوانين الشَّريعة، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولي القضاء زماناً بالبيت المقدس، ثم وليه بدمشق مُدَّة، [وكان صاحبي وصديقي، يزورني، ويحضر مجالسي][(١)]، وكان الأشرف يحبُّه، ويثني عليه [عندي][(١)]، ويقول: ما ولي دمشق مثله.

توفي يوم الأحد سادس ذي القَعْدة، وصلَّى عليه ولده القاضي صدر الدين بجامع دمشق، وحمل إلى قاسيون، وكانت جنازته عظيمة، وتأسَّف النَّاس عليه. [سمع الحديث من جماعة، منهم أبو عبد الله محمد ابن صدقة الحراني، وكان له إجازة من الصائن أخي الحافظ ابن عساكر][(١)].

السنة السادسة والثلاثون وست مئة

فيها قَبَضَ الجوادُ على الصَّفي بن مرزوق، وأخذ منه أربع مئة ألف دينار، وحبسه في قلعة حِمْص، فأقام ثلاث سنين لا يرى الضوء. وكان ابنُ مرزوق يقيم بالجواد، ويكتب إليه الجواد: مملوكه يونس.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٤٩١ ـ ٤٩٢، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤٤-٤٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وفيها اتَّفق الجواد والصَّالح أيوب على مقايضة دمشق بسنجار وعانة، وسببه ضيقُ عَطَن الجواد، وعَجْزه عن القيام بمملكة الشَّام، وكان يقول [لي][1]: أنا أيش أعمل بملك باز، وكلب أحبُّ إليَّ من المُلْك.

وكان أسدُ الدِّين قد جاء إلى دمشق، فأقام بها، وقُتِلَ عماد الدِّين بن الشيخ في قلعة دمشق، وكان الجواد يُظْهر أَنَّه النَّائب بدمشق عن العادل صاحب مِصْر، فلما قُتِلَ ابنُ الشيخ، وأقام أسد الدين بدمشق خاف الجَوَاد من صاحب مِصْر، وظن أَنَّ صاحب حِمْص يأخذ منه دمشق، فخرج إلى البرية، وكاتَبَ الصَّالح أيوب، واتَّفقا على المقايضة، وعَلِمَ صاحبُ حمص، فتوجَّه إلى حمص، وكان في قلب الصَّالح منه لما جرى بينه وبين الكامل، ودخل الصَّالح دمشق غُرَّة جمادى الأولى، والجَوَادُ بين يديه قد حَمَلَ الغاشية من تحت القلعة، وحملها المُظَفَّر صاحب حماة من باب الحديد، واتفق أَنَّ سنجق الصَّالح انكسر عند باب القلعة، ونزل الصَّالح في القلعة، والجواد في دار فَرُّخْشاه، ثم نَدِمَ الجوادُ، فاستدعى المقدَّمين والجند، واستحلفهم، وجمع الصَّالح أصحابه عنده في القلعة، وأراد أن يحرق دار فَرُّخْشاه، فدخل ابنُ جرير في الوسط، وأصلحَ الحال، وخرج الجَوَاد إلى النَّيْرب، واجتمع الخَلْق على باب النَّصر يدعون عليه، ويسبُّونه في وجهه، وكان قد سَلَّط عليهم خادماً لبنت كُرْجي يقال له: النَّاصح، فأخذ أموال النَّاس وصادرهم، وعلَّقهم، وضربهم، فيقال: إنَّه أخذ من النَّاس ست مئة ألف دِرْهم، وأرسل الصَّالح أيوب إلى الجواد ليعطي النَّاس أموالهم، فما التفتَ، وسافر، ومات، ولم يعطِ أحداً شيئاً، وبقيت في ذِمَّته.

وأما النَّاصح الخادم، فإنه أقام بحماة، وتوصَّل ـ لما أخذ الصَّالح أيوب مصر ـ إلى مِصْر، وخدم الصَّالح، وكان لما قُتِلَ ابنُ الشيخ عماد الدين قد أخذ الجوادُ ثيابه، وفيها فَرَجية حمراء، فأعطاها للنَّاصح، وعلم معين الدِّين، فقال للصَّالح: هذا النَّاصح الذي فَعَلَ بالنَّاس ما فعل، ومالأ على قَتْلِ أخي ولبس فَرَجيته! فرماه الصَّالح في الجُبِّ، واستأصله، فمات في الجُبِّ على أقبح صورة من [الفقر و][1] القِلَّة والقمل، واستوزر الصَّالحُ جمالَ الدين ابن جرير، فأقام أياماً، ومات.

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وفي رمضان توجَّه الصالح [أيوب](١) إلى خربة اللصوص على عَزْم ديار مِصْر، وكاتَبَ عمه الصَّالح إسماعيل صاحب بعلبك ليسير إليه، وكان أيوب لما دخل دمشق جاء إليه إسماعيل [من بعلبك](١)، واجتمعا، وتحالفا، وتعاهدا، ورجع إسماعيل إلى بَعْلَبَك، وسار أيوب إلى نابُلُس في شوَّال، فاستولى عليها، وعلى بلاد النَّاصر، وتوجَّه النَّاصر إلى مِصْر إلى العادل، وأقام أيوب بنابُلُس ينتظر وصول عَمِّه إسماعيل [وكان ولده وعسكره عنده، وكتبه واردة إلى نابلس يقول للصالح أيوب: إنني واصل.](١) وكان ناصر الدِّين يغمور مع ابنِ الصَّالح إسماعيل بنابُلُس دائرٌ على الأُمراء والجند يحلِّفهم على أيوب، والدسائس تعمل في دمشق، و[بلغني أن](١) الأموال [كانت](١) تفرَّق في دار النجم ابن سلام، [وحكى لي الصالح أيوب بمصر القضية، وقال: إن فتح الله على يدي دمشق لأفعلن به وأصنع](١)، ومن تكبُّر أيوب [وتجبره](١) لا يتجاسر أحدٌ أن يخبره، [وخرجت السنة على هذا](١).

وفيها توفي

محمود بن أحمد(٢)

جمال الدِّين، الحَصِيْري، الشيخ، الإمام، العلامة.

أصله من بُخارى من قريةٍ يقال لها: حَصِير(٣). تفقَّه في بلده، وسمع الحديث [صحيح مسلم وغيره](١) وقدم الشَّام، ودرَّس بالنُّورية، وانتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة، وصنَّف الكُتُبَ الحِسان، وشرح «الجامع الكبير»، وقرأ عليه المعظم «الجامع الكبير» وغيره، [وقرأت عليه «الجامع الصغير» والقدوري، وكتب لي خطه عليهما بالاعتراف لي بفنون العلوم ومعرفة الأحاديث والمذاهب،](١) وكان كثير الصدقات، غزير الدمعة، عاقلاً، نزهاً عفيفاً، [وكان يحضر مجالسي، وحجَّ من الشام](١)، وتوفي يوم الأحد ثامن صفر، ودفن بمقابر الصوفية عند المُنَيْبع، وكان المعظَّم يحترمه ويكرمه، وكذا ولده النَّاصر.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٤٩٩، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) كذا قال، وهو وهم، وقد نقل عنه المنذري قوله: كان أبي يُعرف بالتاجري، وإنما ببخارى محلة يعمل فيها الحصر، ونحن كُنَّا بها.

عماد الدِّين بن شيخ الشيوخ(١)

قد ذكرنا أَنَّه كان السبب في إعطاء دمشق للجواد، فلما مضى إلى [مصر لامه العادل على ذلك، وتهدده، فقال: أنا أمضي إلى](٢) دمشق، وأنزل في القلعة، وأبعث بالجواد إليك، وإن امتنع أقمتُ نائباً عنك. فسار إلى دمشق وذلك قبل المقايضة، ونزل بقلعة دمشق، وأَمَرَ ونهى، وقال: أنا نائب السُّلْطان، وقال للجواد: تسيرُ إلى مِصْر. وكان أسد الدِّين صاحب حِمْص بدمشق، [قالوا](٢): فاتَّفق هو والجواد على قَتْلِ ابنِ الشيخ، فاستدعى صاحبُ حِمْص بعضَ نصارى قارة، وأمره بقَتْله، فركب ابنُ الشيخ يوماً من القلعة وقت العَصْر، فوثَبَ عليه النَّصْراني، فضربه بالسَّكاكين حتى قتله، وذلك في جمادى الأولى.

ودخل الصَّالح أيوب دمشق في جمادى الآخرة، وحَبَسَ النَّصراني أياماً ثم أطلق.

[قلت: وأسد الدين لما قُتل ابنُ الشيخ كان في حمص، وإنَّما شنَّعوا عليه](٢).

وذكر سَعْد الدِّين مسعود بن تاج الدين شيخ الشيوخ ابن عم عماد الدين، وهو كان حاضر القضية، قال: خرجنا من القاهرة في ربيع الأول (٣)[وذكر أن عماد الدين لما توجه ودعه إخوته، فقال له أخوه] فخر الدين: ما أرى رواحك مصلحة، وربما آذاك ابنُ ممدود. فقال: أنا ملَّكْتُه دمشق، فكيف يخالفني؟ فقال: صدقتَ، أنت فارقته أميراً، وتعود إليه وقد صار سُلْطاناً، فتطلب منه تسليم دمشق، وتعوضه الإسكندرية، ويقيم عندكم، فكيف تسمح نفسه بهذا؟ وإذا أبيت، فانزلْ على طبرية، وكاتِبْه، فإنْ أجابَ وإلا فتقيم مكانك، وتعرِّف العادل. فلم يلتفت، وسار إلى دمشق. [قال سعد الدِّين](٢): فنزل المصلَّى، وجاء الجواد للقائه، قال سعد الدين: وكنتُ أفتح شيش علم الدِّين، فأخذه الجَوَاد، وقال: هذا شيءٌ يلزمني خِدْمة المولى عماد الدين، لأَنَّه

---

(١) هو عمر بن صدر الدين شيخ الشيوخ محمد بن عمر ابن حموية، له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٥٠٦-٥٠٧، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في (ح): وودع عماد الدين إخوته، فقال له فخر الدين...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

جعلني من النَّاس، وملَّكني دمشق. وسار معنا، فأنزل عماد الدين في القلعة بدار المَسَرَّة، وعاد أسد الدين [صاحب حمص](١) إلى دمشق، وبعث الجواد لعماد الدِّين الذهب [والخلع](١) والخيل(٢) والقُماش، [قال سعد الدين](١): وما وصلني من مطرها رِشاش مع ملازمتي لعماد الدِّين لمرضه، فإنَّه ما خرج من القاهرة إلا في مِحَفَّة، فكنت كما قيل: [من البسيط]

إنْ يطبخوا يوسعونا من دخانهمُ ... وليس يبلغنا ما تنضج النَّارُ

وكان عماد الدِّين قد فرَّق الخِلَع في أصحابه، ولما تحقق الجواد أنَّ رسالةَ عماد الدين أَنْ يخرج من دمشق، ويعوَّض عنها إسكندرية، رَسَمَ عليه في الدَّار، ومنعه من الرُّكوب، وجاء إلى عماد الدين، وقال: إذا أخذتم مني دمشق، وأعطيتموني الإسكندرية، فلا بُدَّ ما يكون لكم بدمشق نائب، فاحسبوني ذلك النَّائب، وإلا فقد بَعَثَ إليَّ الصَّالح [نجم الدين](١) أيوب أُسَلِّم إليه دمشق، وآخذ منه سِنْجار. فقال له ابنُ الشيخ: إذا فعلتَ هذا أصلحتَ بين الصَّالح والعادل، وتبقى أنتَ بغير شيء. فقام، وخَرَجَ مُغْضَباً، وحكى [الجواد](١) لأسد الدِّين ما جرى [بينهما](١). فقال: والله لئن اتَّفق الصَّالح والعادل ليتركونا نشحذ في المخالي. وجاء أسدُ الدِّين إلى ابنِ الشيخ، وقال له: المصلحة أن تكتب إلى العادل، وتستنزله عن هذا. فقال ابنُ الشيخ: حتى أروح إلى برزة، وأُصلي صلاة الاستخارة. فقال له أسد الدين: تريد أن تروح إلى برزة، وتهرب إلى بَعْلَبَك. فغضب، وانفصلا على هذا، ودَسَّ الجوادُ إلى عماد الدِّين ابنَ قاضي بَعْلَبَك ليسقيه سُمًّا، فلم يفعل، وكان ابن الشيخ مريضاً، فاتّفقوا على قَتْله، وتوجَّه أسدُ الدِّين إلى حِمْص، فلما كان يوم الثلاثاء سادس وعشرين ربيع الأول بَعَثَ الجواد إلى عماد الدِّين يقول: إنْ شِئْتَ أَنْ تركب وتتنزَّه، فاركبْ إلى ظاهر البلد. فاعتقد أَنَّ ذلك بوادر رضى، فلبس فَرَجية كان الجَوَاد بَعَثَ إليه بها، وشدُّوا له حِصاناً بَعَثَ به إليه، فلما خَرَجَ من باب الدَّار قابله [واحد](١) واقف، وبيده قِصَّة، فاستغاثَ،

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) هنا خرم في نسخة (ح) يأتي على سائر الكتاب، وثمة قطعة برقم (٢١٣٨) تبدأ من سنة (٦٢٠هـ)، وتنتهي مع نهاية الكتاب، عليها اعتمدت في تحقيق ما بقي منه، ورمزتُ لها بالحرف (ت).

فأراد حاجبه أن يأخذها منه، فقال: لي مع الصَّاحب شغل. فقال عماد الدين: دعوه. فتقدَّم إليه، وناوله القِصَّة، وضربه بسكِّين على خاصرته بَدَّد مصارينه، وجاء آخر، فضربه بسكِّين على ظهره، فمات، فردُّوه إلى الدَّار ميتاً، وبعث الجواد، فأخذ جميع ماله وخَيْله ومماليكه، وكَتَبَ محضراً أنَّه ما مالأ على قَتْله، فامتنع مماليكُ عماد الدِّين من خِدْمة الجواد، وقالوا: أنتَ تدَّعي أنك ما قتلته، وهذا له إخوة وَوَرَثَة، فبأيِّ طريق تأخذ ماله؟ فحبسهم. قال سعد الدين: وبَعَثَ الجواد إلى والدي [تاج الدين](١)، وقال: اطلع، فَجهِّزْ ابنَ أخيك. فجهزناه، وأخرجناه، وكانت له جِنازةٌ عظيمة، لأنَّه قُتِلَ مظلوماً، وحملناه إلى قاسيون، فدفناه في زاوية الشيخ سَعْد الدِّين، وخيَّطْنا جراحاته، [وصلى عليه سعد الدين ابن عمه](١). وقال سعد الدين [بن تاج الدين](١): ورثيته [ببيتين](١)، فقلتُ: [من الوافر]

فبعدكَ لا رَقَتْ عبراتُ عينٍ ... بأحزانٍ ولا سَكَنَ الغرامُ
ولا هَدَأَتْ جوانحنا قليلاً ... على فقدان مثلك والسَّلامُ

[قال](١): وكان له يوم مات ستّ وخمسون سنة، وكان قد كَتَبَ على تقويم: [من الطويل]

إذا كان حُكْمُ النَّجْمِ لاشكَّ واقعاً ... فما سَعْيُنا في دَفْعه بنجيحِ
وإنْ كان بالتَّدْبير يمكن رَدُّه ... عَلِمْنا بأنَّ الكُلَّ غيرُ صحيحِ

جمال الدِّين بن جرير، وزير الأشرف(٢)

أصله من الرَّقَّة، [وكان يتردَّد إليَّ في خانكاه الرقة في سنة اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة وست مئة،](١) وكان له بُسْتان، ومُلْك يسيرٌ يعيش منه، ولم يكن يعرف الأشرف حينئذٍ، فما زال يتوصَّل إليه حتى استوزره بدمشق، ولما مات الأشرف استوزره أيوب أياماً قلائل دون الشهر، وكانت وفاته يوم الجمعة سابع وعشرين جمادى الآخرة بالخوانيق، ودفن بمقابر الصُّوفية عند المُنَيْبع، وكان يتردَّد إلى زيارة الصَّالحين، وفيه

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) هو علي بن جرير الرَّقي، وله ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٥١٠، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤٨، و«تاريخ الإسلام» للذهبي: (وفيات سنة ٦٣٦هـ).

يقول نَصْر بن محمد الحنفي: [من الكامل]

مَنْ قال أهل الشَّام قومٌ كلُّهم ... بَقَرٌ فليسَ عليه فيه جُناحُ
لو لم يصحَّ مقالُهم فيه لما ... أضحى يسوسُ أمورَهُمْ فلاَّحُ

[قلت: ما كان ابن جرير فلاحاً، وعامة الوزراء كانوا فلاحين مثل ابن هبيرة وغيره][(١)].

أبو عبد الله، البِرْزالي، المحدِّث[(٢)]

توفي بحماة رابع وعشرين رمضان، ودُفِنَ بها.

السَّنة السَّابعة والثَّلاثون وست مئة

فيها هَجَمَ الصَّالح إسماعيل دمشق، ومعه أسد الدين صاحب حمص يوم الثّلاثاء سابع وعشرين صفر، وكان الصَّالح أيوب مقيماً بنابلس، وإسماعيل ببَعْلَبَك يكاتبه، ويَعِدُه أنَّه واصل إلى خِدْمته، وكان أسدُ الدِّين قد جاء إلى الزراعة، واجتمع بإسماعيل، واتَّفقا على أيوب، وأن تكون البلاد بينهما مناصفة، وكان ابن إسماعيل وابن يغمور بنابُلُس كما ذكرنا، وكان عِزُّ الدِّين أيبك مقيماً بصَرْخد، لم ينزل إلى خدمة أيوب، واتَّفق مع إسماعيل على أيوب، وكتب إسماعيل [إلى أيوب][(١)] يطلب ولده ليصل إليه، ويقيم عوضه ببعلبك. فبعَثَ إليه به، وكل هذا وأم عامر نائمة، وكان ذلك بترتيب [السَّامري][(١)] أبي الحسن ابن غزال المتطبّب؛ وزير إسماعيل، وكان الصَّالح أيوب قد سيَّر سعدَ الدِّين الحكيم من نابُلُس، ومعه الطُّيور إلى بَعْلَبَك يعرِّفه أخبار الصَّالح إسماعيل كل وقت ومسيره، فكان سعد الدين يكتُبُ الكُتُبَ، ويربطها على جناح الطَّيْر، فيسرق ابن غزال الطَّيْر، ويكتُبُ إلى أيوب بما يريد، فاطمأنَّ إليهم، [وما كان عنده دهاء،][(١)] وكان سليم الصَّدْر، وإسماعيل يبعث الدَّراهم والخِلَع إلى دار ابنِ سلام ـ على ما قالوا ـ تفرَّق في المقدَّمين، وخرج إسماعيل من بَعْلَبَك بالفارس

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) هو أبو عبد الله، محمد بن يوسف، وله ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٥١٤. ٥١٥، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤٨-٤٩ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

والرَّاجل على أنه متوجِّه إلى نابُلُس على بانياس، فبات بالمجدل، وكتب بطاقةً إلى أيوب يخبره بوصوله إليه، وقام وقت السَّحَر، وقَصَدَ دمشق، ووصل عقبة دمر، ووقف، وجاء صاحب حِمْص من وادي منين، وقصدوا إلى باب الفراديس، ففتحوه في ساعةٍ واحدة، وما كان عليه أحد، ودخلوا، فنزل الصَّالح في داره بدرب الشعارين، وأول من دخل عليه، ورَقَصَ بين يديه وهنَّأه، وقال: إلى بيتك جِئْتَ نجمُ الدِّين بنُ سلام، ونزل صاحبُ حمص في داره، وأصبحوا يوم الأربعاء ثامن وعشرين صفر، فزحفوا على القلعة، ونقبوها من ناحية باب الفرج، وهتكوا حُرْمتها، ودخلوها، وبها المغيث عمرُ بنُ الصَّالح أيوب، فاعتقله إسماعيل في بُرْج، واستولى على ما في القلعة، ولم يكن بها ذخائر ولا عُدَّة، [وكان الصالح أيوب قد ركن إلى أيمان إسماعيل وعهوده ومواثيقه، وما ظن أنه ينكث أيمانه، ولا يفكر في عواقبه، وضيَّع أيوب الحَزْم][(١)]، فبلغ الصالح أيوب ما جرى، وقيل له: لم تؤخذ القلعة، فخلع على عمَّيْه مجير الدِّين وتقيِّ الدِّين والركين وألتميش وغيرهم، وأعطاهم الأموال، وقال: ما الرأي؟ قالوا: نسوق إلى دمشق قبل أن تؤخذ القلعة. فخرجوا من نابلُس، ونزلوا القصير، وبلغهم أخذ القلعة، [فساروا][(١)] عن أيوب بأسرهم، وخافوا على [أثقالهم و][(١)] أولادهم وأهلهم بدمشق، وكان الفساد قد لعب فيهم، فرحلوا إلى دمشق، وبقي أيوب في مماليكه وغِلْمانه، ومعه جاريته أُمُّ خليل، فرحل من القصير يريد نابُلُس على طريق جينين، وطمع فيه أهلُ الغور والقبائل، وكان مقدَّمهم شيخٌ جاهل يقال له تبل من أهل بَيْسان ـ قد سَفَكَ الدِّماء، والتقتِ الجيوشُ بسببه ـ [ورأيته بمصر بعدما تملكها أيوب، وقد عفا عنه، وأحسن إليه][(١)] ـ فتَّبعوه، وما زالوا وراءه وهو يحمل عليهم، فيفرِّق جَمْعهم، وأخذوا بعضَ ثَقَلَه، ووصل إلى سَبَسْطية، فنزل عليها، وكان الوزيري قد عاد إلى نابُلُس، فأرسل إليه يقول: قد مضى ما مضى، وما زالت الملوكُ كذا، وقد جئتُ مستجيراً بابن عمِّي. ونَزَلَ في الدَّار بنابُلُس، واتَّفق عَوْدُ النَّاصر من مِصْر على غير رضى، فوصل [إلى][(١)] الكرك، وكَتَبَ الوزيريُّ إليه يخبره الخبر، فبعث النَّاصرُ عمادَ الدِّين بن موسك، والظَّهير بن سُنْقُر الحلبي في ثلاث مئة

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

فارس إلى نابُلُس، فركب أيوب، والتقاهم، فخدموه، وقالوا: طَيِّبْ قلبك، إلى بيتك جِئْتَ. فقال: لا ينظر ابنُ عمي إلى ما فعلت، فما زالت الملوك كذا، وقد جئتُ إليه أستجير به. فقالوا: قد أجارك، وما عليك بأس. وأقاموا أياماً حول الدَّار، فلما كان في بعض الليالي ضربوا بوق النَّفير، وقيل: جاءتِ الفرنج. فركب النَّاس، ومماليكُ الصَّالح، ووصلوا إلى سَبَسْطية، وجاء عماد الدين والظهير والعسكر إلى الدَّار، ودخل عليه الظَّهير، وقال: تطلع إلى الكَرَك، فإنَّ ابنَ عَمِّك له بك اجتماع. وأخذ سيفه، [(١)وبلغني] أنَّ جاريته كانت حاملاً، فأسقطتْ، فأخذوه، وتوجَّهوا إلى الكَرَك.

قال المصنِّف رحمه الله: ولما اجتمعتُ به في سنة تسع وثلاثين بالقاهرة حكى لي صورةَ الحال، قال: أركبوني بغلةً بغير مهماز ولا مقرعة، وساروا بي إلى البرية في ثلاثة أيام، والله ما كلَّمْتُ أحداً منهم كلمة، ولا أكلتُ لهم طعاماً حتى جاءني خطيبُ البرية، ومعه ثردة عليها دجاجة، فأكلتُ منها، وأقاموا بي في البرية يومين، ولم أعلم أيش كان المقصود، وإذا بهم يريدوا يأخذوا طالعاً نحساً، يقتضي أنني لا أخرج من الكَرَك، ثم أدخلوني الكَرَك ليلاً على الطَّالع الذي كان سبب سعادتي ونحوسهم، ووكل بي مملوكاً له فَظًّا غليظاً، يقال له: زريق، فكان أَضَرَّ عليَّ مِنْ كلِّ ما جرى، فأقمت عندهم إلى رمضان؛ سبعة أشهر، ولقد كان عندي خادمٌ صغير، فاتَّفق أَنَّه أكل ليلة كثيراً، فأتخم، وبال على البسط، فأخذت البساط بيدي والخادم، وقمتُ من الإيوان إلى قريب الدِّهْليز، وفي الدِّهْليز ثمانون رجلاً يحفظوني، وقلتُ: يا مقدَّمين، هذا الخادم قد أتلف هذا البساط، بالله انزلوا به إلى الوادي، واغسلوه. فَنَفَر فيَّ زريق، وقال: أيش جاء بك إلى هاهنا. وصاحوا عليَّ، فعدتُ إلى موضعي. وحكى لي أشياء من هذا الجنس.

ثم إنَّ الوزيريَّ أطلع خزائنه وخيله وأسبابه إلى الصَّلْت، وأقام مماليكه بنابُلُس، ووصل العلاء بن النَّابلسي من مِصْر من عند العادل إلى النَّاصر يطلب الصَّالح، ويعطيه مئة ألف دينار، فما أجاب، وكاتبه إسماعيل وصاحب حِمْص في هذا المعنى، فما أجاب، ولما طال مقامه أشار عمادُ الدِّين بنُ موسك وابن قليج والظَّهير على النَّاصر بالاتفاق معه وإخراجه، فتحالفا واتَّفقا، وأخرجه في آخر رمضان.

(١) في (ت): وقيل إن جاريته، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

وقال [لي][(١)] الصَّالح لما أخذ مِصْر: حَلَّفني على شيء ما تقدر عليه ملوكُ الأرض؛ وهو أن آخذ له دمشق وحمص وحماة وحلب والجزيرة والمَوْصل وديار بكر وغيرها، ونصف ديار مِصْر، ونصف ما في الخزائن من المال والجواهر والخيل والثِّياب وغيرها. فحلفتُ من تحت القَهْر والسَّيف.

ولما عَلِمَ العادلُ والصَّالح إسماعيل والملوك بإخراجه من الحبس رموا النَّاصر عن قوسٍ واحدة، وعزموا على قَصْده، واتَّفقوا عليه، وأوَّل من برز العادل إلى بِلْبيس بالعساكر يريد الشَّام، واختلف العسكر عليه، وقبضوه، وأرسلوا إلى الصَّالح يعرفونه، ويسألونه الإسراع، فسار، ومعه الملك النَّاصر، وجماعة من أمرائه ابن موسك وغيره، وكان وصول الصَّالح إلى بِلْبيس يوم الأحد رابع عشرين ذي القَعْدة، فنزل في خيمة العادل، والعادل معتقل في خركاة، وكان [خالي][(١)] محيي الدين ابن الجوزي بمصر قد خلع على العادل والفلك بن المسيري، فأُخبر بمسكه، فأخرج إلى بلبيس وقد خاف.

قال المصنف رحمه الله: وحكى لي الصَّالح واقعاتٍ جَرَتْ في مسيره إلى مِصْر، منها أَنَّه قال: [والله][(١)] ما قصدتُ بمجيء النَّاصر معي إلا خوفاً أَنْ تكون معموله عليّ، ومنذ فارقنا غَزَّة تغيَّر عليَّ، ولا شك أَنَّ بعضَ أعدائي أطمعه في الملك، فذكر لي جماعةٌ من مماليكي أَنَّه تحدَّث معهم في قَتْلي.

قال: ومنها أَنَّه لما أخرجني نَدِمَ وعَزَمَ على حبسي، فرميتُ روحي على ابن قليج، فقال: ما كان قَصْدُه إلا أَنْ يتوجَّه إلى دمشق أولاً، فإذا أخذناها عُدْنا إلى مِصْر.

قال: ومنها أَنَّ ليلة وصلنا [إلى][(١)] بلبيس شَرِبَ، وشَطَحَ إلى العادل، فخرج من الخركاة، وقَبَّل الأرض بين يديه، فقال له: كيف رأيتَ ما أشرتُ عليك، ولم تقبل مني؟ فقال: يا خوند، التوبة. فقال: طَيِّبْ قلبك، السَّاعة أطلقك، [ثم قال الصَّالح][(١)]: وجاء، فدخل علينا الخيمة، ووقف، فقلتُ: بسم الله، اجلسْ، فقال:

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

ما أجلس حتى تطلق العادل. فقلتُ: اقعد، وهو يكرِّرُ الحديث. فسكت، ولو أطلقته لضرب رقابنا كلَّنا، ونام، فما صدَّقتُ بنومه، وقمت في باقي الليل، أخذت العادل في مِحَفَّة، ودخلتُ به القاهرة، ولما دخلنا القاهرة بعثتُ إليه بعشرين ألف دينار، فعادت إليَّ مع غِلْماني. [وذكر قول الناصر له: بُسْ يدي ورجلي. فقلت: ما أظنه يبدو منه هذا، وهو رجل عاقل. فأقسم بالله إن هذا وقع منه.

فصل: وفيها أخذ بدر الدين لؤلؤ سنجار من الجواد بموافقة من أهلها لسوء سيرته، فإنه صادرهم، وأخذ أموالهم، وخرج يتصيد، ولجَّجَ في البرية، فبعثوا إلى بدر الدين، فجاء، ففتحوا له الأبواب، ومضى الجواد إلى عانة، فأقام بها، ثم باعها للخليفة.

وفي ربيع الأول ذكر الرفيع القاضي الدرس في مدرسة ست الشام، واسم الرفيع عبد العزيز بن عبد الواحد الجيلي، وكنيته أبو حامد.

وفي ربيع الأول أُنزل الكامل من القلعة إلى تربته بجامع دمشق.

وولي الخطابة العز عبد العزيز بن عبد السلام بجامع دمشق في ربيع الآخر.

وخطب الصالح إسماعيل لصاحب الروم بجامع دمشق وغيره.

وفيها توفي

القاضي شمس الدين الخُوَيي(١)

واسمه أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى، أبو العباس.

كان فاضلاً في كل فن، فقيهاً، مناظراً، عالماً بعلم الكلام وغيره، وكان لطيفاً، حسن العشرة، كريم الأخلاق، طيب النفس، عفيفاً، وكانت وفاته يوم السبت سابع شعبان، ودفن بقاسيون، وكان قد تيقن الموت لأنه علق به مرض السل، وكان متواضعاً، يمضي إلى جامع دمشق، ويجلس بين يدي محمود الضرير عند مقصورة الخطابة، فيقرأ عليه القرآن، ومات مديوناً.

---

(١) له ترجمة في «التكملة»: للمنذري ٣/ ٥٣٧، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٥٢-٥٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

ثم ولي الرَّفيع بعده قضاء القضاة، والتدريس بالعادلية.][(١)]

أُرْتُق[(٢)]

ناصر الدين، صاحب ماردين، [قد ذكرنا قتله للنظام ولؤلؤ، واستيلاءه على ماردين، وطلوع المعظم إليه، واتفاقه معه، ومصاهرته إياه، و][(١)] كان المعظَّم قد تزوَّج أُخته، وهي التي بنت المدرسة والتربة عند الجسر الأبيض بقاسيون، ولم يقدَّر لها أن تدفن بها، لأنها انتقلت لما مات المعظم إلى ماردين، فتوفيت بها.

وكان ناصر الدين شجاعاً، شهماً، جَوَاداً، ما قصده قاصد وخيَّبه، وقصده الأشرف غير مرة ولم يلتفت، وكانت وفاته بماردين؛ قتله ولده خنقاً وهو سكران، ثم بعث إلى أبيه[(٣)] وكان محبوساً، فجاء إلى مارِدين، فملكها.

شيركوه بن محمد[(٤)]

ابن [أسد الدين][(١)] شيركوه بن شاذي، الملك المجاهد، أسد الدين، صاحب حمص.

أعطاه صلاح الدِّين ـ رحمه الله ـ حمص عند موت والده محمد سنة إحدى وثمانين [وخمس مئة][(١)]، وأقام بها إلى هذه السنة [ستاً وخمسين سنة، وكان شجاعاً شهماً مقداماً، يباشر الحرب بنفسه،][(١)] وحفظ المسلمين من الفرنج والعرب.

أما من [ناحية][(١)] الفرنج، فإنه بنى الأبراج على مخائض العاصي، وركز فيها

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «الحوادث الجامعة»: ٦١ـ٦٢، و«تاريخ الإسلام»: (وفيات سنة ٦٣٦هـ)، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ٤٦، و«العبر»: ٥/ ١٤٨ . ١٤٩، و«شذرات الذهب»: ٥/ ١٨٠، وعندهم وفاته سنة (٦٣٦هـ)، ثم أعاد الذهبي ترجمته في «تاريخ الإسلام» (وفيات سنة ٦٣٧هـ) وكذلك ذكره في السنتين ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٦/ ٣١٤، ٣١٥.

(٣) كذا قال، وعبارة الذهبي في «السير»: ٢٣/ ٤٦ أوضح، فقد قال: «قتله غلمانه بمواطأة ابن ابنه ألبي بن غازي بن أرتق... فلما قتلوه أخرجوا غازياً وملكوه».

(٤) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٥٣٥ - ٥٣٦، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٥١-٥٢ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

الرِّجال والطُّيور، فكان الفرنج إذا خرجوا أطلق الرِّجالُ الطيورَ، فيخرج بنفسه فيسبق الفرنج إلى المخاضة، فيقتل ويأسر، ويردُّ القافلة، وما أخذوا منها [شيئاً][(١)]، وكذا كان يفعل بالعرب من ناحية البرية، ويركب بنفسه ويقاتل، ولم يزل كذلك إلى أن توفي [وكانت بلاده طاهرة من الخمور والخواطئ والمكوس، فكانت تعبر على بلده قوافل الدنيا، فلا يتعرض لها، وكان بنو أيوب يخافونه، لأن كان يرى أنه أحق بالملك منهم لأجل جده أسد الدين، وفتحه مصر. وكان الكامل قد استوحش منه، واتهمه بأنه هو الذي أوقع بينه وبين الأشرف، فلما ملك الكامل دمشق، ونزل جوسق أبيه اجتمعنا، فقال لي: ما أفسد أحوالنا إلا صاحب حمص، ووالله لأمحونَّ آثاره. فقلت: ابن عم وقريب، وهو خير من الغريب. وطلب منه مالاً عظيماً، فبعث أسد الدِّين نساءه إلى دمشق، يسألن الكامل فيه، فما أجاب، وقال: لابد من المال. وأيقن أسد الدين بوزن المال، فحكى لي جماعة أنه كان في قلعة حمص قاعداً يزن المال، ويعبيه في الأكياس، وإذا بطاقة من دمشق قد وصلت على جناح طائر، فأخذها البراج، ودخل بها يقرؤها، وفيها وفاة الكامل، فردَّ المال إلى الخزائن، وجاء بعد ذلك إلى دمشق، وجلس عند قبر الكامل، وتصرف في أمواله وخيله ودولته.

وكان أسد الدين ديِّناً، عاقلاً، يعاشر العلماء والفقهاء، جواداً، متصدِّقاً، قالوا: إلا أنه كان إذا حبس إنساناً أقام مدة محبوساً، وكان قد منع النساء أن يخرجن من باب حمص أيام ولايته، وكانت وفاته][(١)] بحمص يوم الثُّلاثاء العشرين من رجب، ودفن بها.

يعقوب الخياط[(٢)]

كان يسكن مغارة الجوع بقاسيون، وكان شيخاً صالحاً، لقي المشايخ، وعاشر الرِّجال، وعادل خُضْر بن صلاح الدين لما سافر إلى الحج، ورَدُّوه من الصَّفراء إلى دمشق، ورجع يعقوب [معه][(١)]، ولم يَحُجَّ.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «النجوم الزاهرة»: ٦/٣١٦.

ومات ليعقوب ولدٌ اسمه صالح قد بلغ خمساً وعشرين سنة، وكان ولداً حسناً، فخرج يعقوب في جِنازته، ولم يبكِ عليه، [والناس يبكون، وهو صابرٌ محتسب،][(١)] وكان يحكي [لي][(١)] عن مغارة الجوع العجائب، وأنه يرى فيها الرجال في الليل، وأن باب المغارة يفتح ويخرج منه أشخاصٌ عجيبة، وكانت وفاته بقاسيون، ودفن عند المغارة.

السنة الثامنة والثلاثون وست مئة

فيها سَلَّم الصَّالح إسماعيل الشَّقيف لصاحب صيدا، وعزل ابن عبد السَّلام من الخطابة وحبسه، وحبس أيضاً أبا عمرو بن الحاجب، لأنَّهما أنكرا عليه فِعْلَه، فحبسهما مُدَّة، ثم أطلقهما، وأمرهما بملازمة بيوتهما، وولَّى العمادَ ابنَ خطيب بيت الآبار الخطابة.

وفيها سَلَّم الحافظ قلعة جَعْبر إلى الحلبيين، وعوَّضوه أعزاز، وكان قد ضربه الفالج، وكان ولده قد مضى إلى الخُوارَزْمية يطلب منهم عسكراً ليحاصره، فخاف، وجاء إلى حلب.

وفيها ظهر بالرُّوم رجلٌ تركماني يقال له: البابا، وادَّعى النُّبوة، وكان يقول: قولوا: لا إله إلا الله، البابا وليُّ الله. واجتمع إليه خَلْقٌ عظيم، فجهَّز إليهم صاحب الرُّوم جيشاً، والتقوا، فقتل منهم أربعة آلاف، وقتلوا البابا.

وفيها وصل رسول خاقان ملك التَّتر إلى شهاب الدين غازي بميَّافارِقين، ومعه كتابٌ إليه وإلى ملوك الإسلام يأمرهم بالدُّخول في طاعته، وكان في عنوان الكتاب: من نائبِ رَبِّ السَّماء، ماسح وَجْه الأرض، ملك الشَّرْق والغرب قاقان، وقال لشهاب الدِّين: وقد جعلك سلحداره، وأمرك أن تخرب أسوار بلادك جميعها. فقال له شهاب الدين: أنا من جُمْلة الملوك، وبلادي حقيرة بالنسبة إلى الرُّوم والشَّام ومِصْر، فتوجَّه إليهم، فمهما فعلوه فعلته.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وكان هذا الرَّسول شيخاً، لطيفاً، مُسْلماً، من أهل أصبهان، حكى لشهاب الدِّين عجائب، منها: أنه قال: بالقرب من بلاد قاقان، قريباً من بلد يأجوج ومأجوج على البحر المحيط أقوام، ليس لهم رؤوس، وأعينهم في مناكبهم وأفمامهم، وإذا رأوا النَّاس هربوا، وعيشهم من السَّمك.

ومنها: أَنَّ هناك طائفةً تزرع في الأرض بزراً، فيتولَّد منه غنم كما يتولَّد دود القز، ولا يعيش الخروف أكثر من شهرين أو ثلاثة مثل بقاء النَّبات في الأرض، وهذا الغنم لا يتناسل.

ومنها: ذكر أَنَّ بمازَنْدران عين ماء يطلع منها في كلِّ ستة وثلاثين سنة حَيَّة عظيمة مثل المنارة، فتقيم طول النَّهار، فإذا غربت الشمس غاصت في العين، فلا تُرى إلى مثل ذلك الوقت، وقيل: إنَّ بعضَ ملوك العجم جاء بنفسه إليها في مثل ذلك اليوم، وربطها بسلاسل وحِلَق عِظام إلى أساطين حولها، واستوثق منها، فلما جاء وقت الغروب قطعتِ السلاسل، وغارت في العين، وهي إلى الآن إذا طلعت رأوا السلاسل في وسطها(١).

وفيها جاء عسكر حلب إلى حَرَّان، ومعهم المنصور إبراهيم صاحب حمص، والتقوا، فانكسرتِ الخُوارَزْمية، وأنكى فيهم الحلبيون قَتْلاً وأَسْراً، وهرب بركة خان إلى الخابور، وأخذ المنصور حَرَّان، وعصت عليه القلعة.

وفيها اختلف عسكرُ مِصْر على الصَّالح أيوب، فقبض على جماعة.

وفيها تسلَّم الرُّوم آمِد بعد حصارٍ شديد، فيقال: إنَّهم اشتروها بثلاثين ألف دينار.

[وفي هذه السنة ـ وهي سنة ثمان وثلاثين وست مئة ـ قدمت دمشق من القدس، فأشار السامري وزير إسماعيل الصَّالح عليه بإخراجي من دمشق، وكان لما قدمنا دسّ السامري صبياً يقال له يوسف بن يعقوب المؤذن، وكان جامكية أبيه عندنا بمدرسة شبل الدولة شيئاً يسيراً، فالتجأ يوسف إلى السامري، وصار صاحب خبر له، فتقدَّم عنده،

(١) هذه أخبار لا تصح عند من له أثارة من علم وعقل.

وصار مدرساً بالشِّبْلية، فلما قدمت دمشق حضر إلى عندي يوسف، وجرى حديث إخراج نجم الدين أيوب، وأنه لما خرج من الحبس بالكرك اجتمعنا بالقدس، وجرى بيننا مفاوضات، فمضى يوسف إلى السامري، وكذَّب، وقال: ما أخرج نجم الدين من الحبس إلا فلان. عني، فأخرجونا في حر شديد إلى حماة، فصعد بخار عظيم إلى رأسي، وأتلف عيني، وكادت تذهب، وما حكم أحد بسلامتها، فمنَّ الله بالعافية، وعدت إلى دمشق على رغم أنف السامري، وأحياني الله حتى رأيت يوسف بن يعقوب في باب الحبس الصغير، حبسه الملك الناصر صاحب حلب، وأقام شهوراً ومات، وشنق السامري عدو الله، وعجل الله بروحه إلى عذاب السعير، وذهب الخمير والفطير][1].

وفيها كانت الوقعة بين الحلبيين والخُوارَزْمية، وكان الجواد والصَّالح ابن صاحب حمص مع الخُوارَزْمية، فقصدوا حلب، ونزلوا على باب بُزَاغة في خمسة آلاف، فخرج إليهم عسكر حلب في ألف وخمس مئة، فكسروهم كسرةً عظيمة، وأسروا أمراءهم، ونهبوا أثقالهم، وساقوا إلى حَيْلان، وقطعوا الماء عن حلب، وضايقوها، ثم عادوا إلى مَنْبج، فنهبوها، وقتلوا أهلها، وفضحوا نساءها، وعادوا إلى حَرَّان، وكان المنصور صاحب حمص نازلاً على شَيْزَر، فاستدعاه الحلبيون، فجاء إلى حلب، ونزل بظاهرها، ومعه عسكر حمص ودمشق.

وفيها توفي

أحمد بن محمد[2]

ابن خلف بن راجح، المقدسي.

القاضي نجم الدين الحنبلي، ثم انتقل إلى مذهب الشَّافعي، وولي القضاء بدمشق نيابةً، وكان فقيهاً، صالحاً، فاضلاً، مات في شوَّال، ودفن بقاسيون.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٥٦٣، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٥٥-٥٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

محمد بن عربي[(١)]

الشيخ المشهور.

كان فاضلاً في علوم الحقائق، وله المصنَّفات الكثيرة، و[حُكي لي أنه][(٢)] كان يقول: أعرف الاسم الأعظم، وأعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكتب، وكانت وفاته بدمشق في دار القاضي محيي الدين [بن زكي الدين][(٢)]، وغسله الجمال ابن عبد الخالق، ومحيي الدِّين[(٣)]، وكان العماد بن النحاس يصُبُّ [الماء عليه][(٢)]، وحمل إلى قاسيون، فدفن بتربة القاضي محيي الدِّين.

[فصل: وفيها توفي

نور الدولة بن القواس

وكان عدلاً، خيِّراً، غزير المروءة، واحتاط الصالح إسماعيل على تركته][(٢)].

السنة التاسعة والثَّلاثون وست مئة

فيها قَصَدَ الجوادُ ديارَ مِصْر ملتجئاً إلى الصَّالح أيوب، ومهاجراً إلى بابه، فعبر الرمل، فخاف أيوب منه، وعَزَمَ على قَبْضه، فرجع إلى النَّاصر داود، والتجأ إليه، وجاء كمال الدِّين بن شيخ الشيوخ، فنزل غَزَّة، وكان النَّاصر بالقدس، فجاء إليه الجواد، واتفقا، وأقام النَّاصر بالقدس، وجَهَّز العسكر مع الجواد، وجاء الكمال، والتقوا على مكانٍ يقال له: بيت فوريك، فكسره الجواد، وأخذ الكمال [بن الشيخ][(٢)] أسيراً، فجيء به إلى النَّاصر فوبَّخه، فقال له الجواد: لا توبخه. وأقام الجواد عند النَّاصر، فتخيَّل منه، فاعتقله، وبعث به إلى بغداد في البرية تحت الحوطة، فنزل قريباً من الأزرق، فعرفه بطنٌ من العرب، فأطلقوه، فعاد إلى دمشق، وأقام في خدمة

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٥٥٥، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٥٤-٥٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) محيي الدين هذا هو ابن محمد بن علي، ووالده محمد بن علي يلقب كذلك بمحيي الدين، وكان قاضياً، وتوفي سنة (٥٨٩هـ)، وقد ولي محيي الدين هذا القضاء كذلك كما سيأتي ص٣٨١ من هذا الجزء.

الصَّالح إسماعيل، ثم أتى إلى الفرنج، وأقام معهم مُدَّة، وعاد إلى دمشق، واعتقله الصَّالح في عزَّتا، ثم هلك في سنة إحدى وأربعين [وست مئة][1].

وسار المنصور صاحب حمص وعسكر حلب إلى حَرَّان، فالتقوا مع الخُوارَزْمية، فكسروا الخوارزمية، ومزَّقوهم كل ممزَّق.

وفيها شَرَعَ الصالح أيوب في عمارة المدارس بين القَصْرين، وقلعة الجزيرة، وأخذ أملاك الناس، وأخرب نيفاً وثلاثين مسجداً، وقطع ألف نخلة، وغَرِمَ عليها دَخْلَ مِصْر سنين كثيرة، فأخربها الترك سنة إحدى وخمسين وست مئة.

وفيها تخلَّص الصَّفي إبراهيم بن مرزوق من حبس حمص بعد اليأس منه، وكان الجواد وأسد الدين قد اتَّفقا عليه، وأخذا منه أربع مئة ألف دينار، وبقي محبوساً ثلاث سنين.

وفيها اتَّفق شهابُ الدِّين غازي مع الخُوارَزْمية، ومضوا إلى ميَّافارِقين، ونزلوا بها، وجاءه عسكر حلب، ونزل الجزيرة بالخوارزمية، فنهبوا وقتلوا، وجرت حروبٌ كثيرة مع المواصلة، وصاحب مارِدِين.

السنة الأربعون وستّ مئة

فيها عَزَمَ الصَّالح أيوب على التوجُّه إلى الشَّام، فقيل له: البلاد مختلفة، والعساكر مختلفة. فجهَّزَ العساكر، وأقام [أياماً، ولم يتهيأ له سفر][1].

وفيها كانت وقعة عظيمةٌ بين الحلبيين والخُوارَزْمية، وكان غازي صاحب مَيَّافارقين مع الخوارزمية، وقد أخربوا بلاد المَوْصِل، ومارِدِين، وحلفوا لغازي وحلف لهم، ووافقهم صاحبُ ماردين، وجمع غازي الخانات، وشاورهم، فقالوا: لا بُدَّ من اللقاء. فقال: المصلحة أن نمضي ونخرب بلد الموصل. فلم يلتفتوا إليه، فلما كان ثامن وعشرين المحرم ركبوا، وطلبوا[2] من جبل ماردين إلى الخابور، وساقوا إلى المَجْدَل،

(١) ما بين حاصرتين من (ش).
(٢) أي أغاروا، انظر «تكملة المعاجم العربية» لدوزي (الترجمة العربية): ٧/ ٦٢ .

ووقف الخانات ميمنةً وميسرةً، وغازي في القلب، واقتتلوا، فصدمهم عسكر حلب صدمةَ رجلٍ واحد، فانهزموا لا يلوون على شيء، وتبعهم الحلبيون يقتلون ويأسرون، وأُخذت أثقال غازي وعسكره وأغنام التركمان وخيلهم ونساؤهم، وكانوا خلقاً عظيماً، وبِيْعَ الفرس بخمسة دراهم، ورأس الغنم بدِرْهم، ونُهبت نَصِيْبين، وسُبي نساؤها، وكانت قد نهبت مراراً مقدار سبع عشرة مرة من المواصلة والخوارزمية وعسكر ميافارقين وماردين، وعاد غازي إلى مَيَّافارقين، وتفرقت الخوارزمية، ثم اجتمعوا على نَصِيبين، ثم رحلوا، فنزلوا رأس عين، فقتلوا أهلها ونهبوا الأموال وسبوا النِّساء، وفعلوا بالخابور كذلك، ونهبوا أغنام التركمان.

وفيها جاء إلى غازي منشور بخِلاط وأعمالها مع شمس الدِّين النَّائب بالرُّوم، فتسلَّم غازي خِلاط وما فيها.

وفيها توفي

كمال الدِّين، أحمد[1]

ابن صدر الدين شيخ الشيوخ بغَزَّة في صفر عن ستٍّ وخمسين سنة، وبنى عليه أخوه معين الدين قُبَّة على جانب الطَّريق، وكان قد كسره الجواد بعسكر النَّاصر داود، وقيل: إنه سُمَّ، وكتب إلى ابنِ عمه سعد الدين: [من البسيط]

لو أنَّ في الأرض جنَّاتٍ مزخرفةً ... تحُفُّ أركانَها الوِلْدان والخَدَمُ
ولم تكن رَأْيَ عَيْني فالوجودُ بها ... إذْ لا أراكَ وجودٌ كلُّه عَدَمُ

الإمام المستنصر بالله[2]

أبو جعفر منصور بن محمد الظَّاهر.

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٥٩٨، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٦٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٦٠٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ١٥٥ ـ ١٦٧، و«المذيل على الروضتين» ٢/ ٦٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

كان جَوَاداً، سَمْحاً، عادلاً، قريباً من النَّاس، رحوم القلب، متصدِّقاً سراً وجهراً، عمر المدرسة الشَّاطئية(١)، ووقفها على المذاهب الأربعة، ووقف عليها الأوقاف الكثيرة، ونَقَلَ إليها الخطوط المنسوبة بخطِّ ابنِ البواب، وابن مُقْلة وغيرهما، ورتَّب للفقهاء جميع ما يحتاجون إليه من الأطعمة والأشربة والجامكيات والفواكه في حينها، حتى المارَسْتان والحمام فيها، ولم يكن عنده تعصُّب على مذهب، وليس في الدنيا مثل هذه المدرسة، ولا بني مثلها [في سالف الأعوام، فهي](٢) في العراق كجامع دمشق وقُبَّة الصخرة بالشَّام، وبنى المساجد والمشاهد، وعمر الخانات في الطُّرقات، وكان يزور الصَّالحين ويبرهم، ويحسن إليهم، ويتفقدهم، ويزور المشهدين: مشهد علي والحسين ﵄، ويحسن إلى العلويين، ويُنْعم على المجاورين، ولم يكن للمال عنده قدر، [(٣)ولما وردت بغداد في سنة أربع وأربعين وست مئة حكى لي الثقات عنه أَنَّ له الأحوال الجليلة؛ منها أنه] كان يزور الشيخ عبد العزيز النَّاسخ بالحريم الطَّاهري، ويغشاه كثيراً، فقال له يوماً: أنا لا أثاب على ما أفعله. فقال له عبد العزيز: الله الله يا مولانا، إذا لم تثاب(٤) أنت مَنْ يثاب! فقال: لأَنَّ المال الذي أنفقه في أبواب البر ما له عندي قدر بل مثل التراب، والثواب إنما يكون على قدر المشقة.

و[منها أنه](٢) كان يمضي إلى العَلْث؛ قرية من دُجَيْل، بينها وبين بغداد مسيرة يومين حتى يزور إسحاق العَلْثي الحَنْبلي.

و[منها أنه](٢) لما كان النَّاصر في الحياة كان قد بنى عنده في الدَّار بركة للمال، فكان يقول: ترى أعيش حتى أملأها ذهباً؟ فلما ولي المستنصر وقف عليها، وقال: ترى أعيش حتى أفرغها؟

---

(١) بناها على دجلة من الجانب الشرقي، وربما لذلك سماها هنا الشاطئية، وقد عرفت فيما بعد بالمستنصرية، وما زالت آثارها قائمة إلى الآن.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في (ت): وكان يزور، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٤) كذا.

و[منها أنه] [١] ركب يوماً للصَّيْد في رمضان، فاجتاز بين الحربية ودار القز - محلَّتين بالجانب الغربي من بغداد - فرأى شيخاً كبيراً، معه قدحٌ فيه طبيخ قد أخذه من العتَّابيين، وهو يريد أن يدخل الحربية، وكان في كلِّ محلة دار مضيف [في رمضان، فقال له: يا شيخ، ممن أنت؟ قال: من الحربية. قال: أما عندكم دار مضيف؟ قال: بلى][١]. قال: فلِمَ تأخذ من الموضعين؟! فبكى الشيخ، وقال: والله ما أخذتُ من المحلَّتين، وإنما أنا رجلٌ كان لله عليَّ نعمة، وكان لي مال كثير، فافتقرت، وذهب المال والولد وأستحيي من أهل محلَّتي أن آخذ من دار المضيف، فأنا أمضي إلى المحلَّة التي لا أعرف فيها، فآخذ الطَّعام في القدح، وآتي إلى باب الحربية، فإذا أذن المغرب، ودخل النَّاس في الصَّلاة دخلتُ بيتي ولا يراني أحد. فبكى الخليفة، وقال لنفسه: ويحك يا منصور! ما جوابك غداً إذا سألك الله عن هذا الفقير المحتاج؟ ثم أعطاه ألف دينار، وقال: إذا نفدت، فتعال إلى باب البَدْرية. فأخذ المال، ومن فرحته انشقَّ قلبه، فعاش عشرين يوماً، ومات، وطولع الخليفة، فقيل له: ما نقص منه غير دينار واحد، فقال: إن كان له ورثة، فادفعوه إليهم، وإلا فأذنت لكم أن تتصدَّقوا به في الحربية على الفقراء، فهذا مال أخرجناه لله فلا نرجع [فيه، ولا يدخل][١] إلينا.

وكانت وفاته [في هذه السنة]، وحمل إلى الرّصافة، وحزن عليه الخَلْقُ حُزْناً عظيماً لإحسانه إليهم، وعمل له العزاء ببغداد والبلاد كلها ثلاثة أيام، وولي ولده عبد الله.

الباب التَّاسع والثلاثون في خلافته، ولقبه المستعصم بالله

السنة الحادية والأربعون وست مئة

فيها تردَّدت الرُّسُل بين الصَّالح أيوب وعمه الصَّالح إسماعيل في الصُّلْح، وقدم الشَّرف بن التِّبْنِيني، والأصيل الإسعردي الخطيب، وأُطلق المغيث بن الصالح أيوب، وركب، وخُطِبَ للصَّالح أيوب بدمشق، ولم يبق إلا أن يتوجَّه المغيث إلى مِصْر، ورضي الصَّالح أيوب ببقاء دمشق على عَمِّه الصَّالح بعد أن يسلِّم إليه ولده عمر

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

المغيث، فأفسد [السامري][(١)] وزير إسماعيل الحال، وقال له: هذا خاتم سليمان، لا تخرجه من يدك، فتعدم المُلْك. فتوقف الأمر، ولم ينتظم صلح، ومنع المغيث من الركوب، وحُبِسَ في بُرْج القلعة، وفسدت الأحوال.

وكَتَبَ الصالح أيوب إلى الخُوارَزْمية، فعبروا الفرات، وانقسموا قسمين: قسم جاؤوا على بقاع بعلبك، وقسم على غوطة دمشق، ونهبوا وسبوا وقتلوا، وسدَّ إسماعيلُ أبوابَ دمشق، ونزلوا غَزَّة.

قال المصنف رحمه الله: وكنتُ حينئذٍ بديار مصر، فقدمت الإسكندرية في هذه السنة، فوجدتها كما قال الله تعالى: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] معمورة بالعلماء، مغمورة بالأولياء [الذين هم في الدنيا شامة][(١)] كالشيخ محمد القَبَّارِي والشاطبي وابن أبي شامة، وهي أَوْلى بقول القَيْسراني في وصف دمشق: [من البسيط]

أرضٌ تَـحُـلُّ الأمـانـي مـن أمـاكـنـهـا بـحـيـثُ تـجـتـمـع الـدُّنـيـا وتـفـتَـرِقُ
إذا شـدا الـطَّـيْـرُ في أغـصـانـهـا وقـفـت عـلـى حـدائـقـهـا الأسـمـاعُ والـحَـدَقُ

[قلتُ:][(١)] وسألوني الجلوس، فجلست بها مجلسين، تاب فيهما نحو من ألفين، فلما عزمت على العَوْد إلى القاهرة قام بعضُ أفاضلها، فأنشد: [من الطويل]

ذَكَـرْتُـمْ فـراقـاً فـاسـتـهـلَّـتْ مـدامـعـي وزادَ لـهـيـبُ الـنَّـارِ بـيـن ضـلـوعـي
وأصـبـحـت مَـيْـتـاً مـن سـمـاعِ فـراقـكُـمْ أودُّ بـأنِّـي لـم أكـن بـسـمـيـعِ
فـيـا أهـلَ هـذا الـثَّـغْـر تـرضـون غَـيْـبَـةً لـشـمـسِ عـلـوم آنـسـتْ بـطُـلـوعِ
فـفـي شَـمْـسَـنـا قـبـل الـفـراقِ هُـنَـيَّـةً فـلَـسْـنـا عـلـى عـلـمٍ بـوقـتِ رجـوعِ
فـقـد وقـفـتْ شـمـسُ الـسَّـمـاء لـيـوشـع ومـا ذاك مـن أفـعـالـهـا بـشـنـيـعِ
فـنـحـن ضـيـوف والـقُـراءُ ثـلاثـةٌ وَجُـودك يـا مـولـى الأنـام شـفـيـعـي

فكان البيت الأخير هو الباعث على أن عزَّزْتُ لهم بمجلس ثالث، ولم أقدر أنْ أُسافر عنهم إلا ليلاً، لأنهم وجدوا بي ولا كوَجْد المجنون بليلى، يا هل لليلاتٍ بجَمْع عودةٌ[(٢)].

(١) ما بين حاصرتين من (ش).
(٢) هو صدر بيتٍ، عجزه: أم هل على وادي مِنًى من نظرةِ.
سلف في ترجمة ابن الجوزي ص١١٤ من هذا الجزء. وهو لمهيار الدَّيْلَمي في «ديوانه» ج١/ ١٥٤ طبعة دار الكتب المصرية سنة١٩٢٥م.

وفيها صالح صاحب الرُّوم التَّتر على أن يدفع إليهم كلَّ يوم ألف دينار، وفرساً، ومملوكاً، وجارية، وكلب صيد، وهذا هو ابنُ علاء الدين، وكان ناقصَ العقل، فاتكاً، يلعب بالكلاب والسِّباع، ويسلِّطها على النَّاس، فعضَّه سَبُع، فمات.

وفيها توفي

النجم خليل بن علي بن الحسين(١)

الحموي، الحنفي.

قدم دمشق، وتفقه بها [على مذهب أبي حنيفة](٢) وخَدَمَ المعظَّم، وأرسله ابنُ شُكْر إلى بغداد، ودرس في الرَّيْحانية بدمشق، وناب عن الرَّفيع في القضاء، وتوفي في ربيع الأول، ودفن بقاسيون.

محمد بن عَقِيْل بن كَرَوَّس(٣)

الجمال، محتسب دمشق.

كان رجلاً كَيِّساً، متواضعاً جَلْداً، وتوفي في شوال، ودفن بداره بدمشق.

يونس بن ممدود(٤)

ابن أبي بكر بن أيوب، الجواد، مظفر الدين.

كان قد جاء إلى المعظَّم لما وقع بينه وبين الكامل، فأحسن إليه، ثم عاد إلى مِصْر، ولما مات الأشرف جاء مع الكامل إلى دمشق، وأقام [بها](٢) حتى مات الكامل، وملَّكوه دمشق، وكان جَوَاداً كما سمي، يحب الصَّالحين، ويحسن الظَّنَّ بالفقراء، إلا أنَّه كان حوله من ينهب النَّاس، ويظلم، وينسب ذلك إليه، وقد ذكرنا تقلُّبَ الأحوال به

---

(١) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ١٣/ ٣٩٧، و«الجواهر المضية»: ٢/ ١٨٠ ـ ١٨٢، و«الدارس»: ١/ ٥٢٣ـ٥٢٤، و«الطبقات السنية»: ٣/ ٢٢٠.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٦٣٠، و«الوافي بالوفيات»: ٤/ ٩٨، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٢١٣.

(٤) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ١٨٤، و«العبر»: ٥/ ١٧١، و«الوافي بالوفيات»: ٢٩/ ٤٠٢-٤٠٣، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٣٤٨.

وأنَّ أهله لم يقبلوه، فقصد الفرنج، فقبلوه، وخدموه، وحَضَرَ معهم نوبة قلنسوة؛ ضيعة من أعمال نابُلُس، قتلوا فيها ألف مسلم وهو نائم لم يتكلَّم كلمةً، وخاف منه الصَّالح إسماعيل، فبعث إليه ناصر الدين يغمور ليحتال عليه، ويحمله إلى دمشق، فقال: إنهما اتَّفقا على الصَّالح. ثم احتال الصَّالح على الجواد حتى قبضه وحبسه في عزَّتا وابن يغمور في قلعة دمشق، وكان الوزير [السامري][١] قد قصده، وطلب الفرنجُ الجوادَ، وقالوا: لا بُدَّ لنا منه، فأظهر أنَّه قد مات، وأهله يقولون: إنه خنقه، والله أعلم، وكان ذلك في شوال، ودفن بقاسيون في تُرْبة المعظم.

وأما ابن يغمور، فأقام محبوساً بقلعة دمشق حتى مَلَكها الصَّالح أيوب، وبَعَثَ به ابنُ شيخ الشيوخ إلى مِصْر، فحبسه الصَّالح أيوب في الجُبّ، ثم شنق بعد مدَّة هو وأمين الدَّوْلة على قلعة القاهرة، [وسنذكرهما][١].

أبو بكر الشعيبي[٢]

من أهل مَيَّافارِقِين.

كان صالحاً زاهداً، بعث إليه غازي مراراً يسأله الإذن [في زيارته][١]، فلم يأذن له، وقيل له: هل تطرق البلادَ التترُ؟ فرفع رأسه إلى السَّماء، وأنشد: [من الطويل]

وما كلُّ أسرار القلوب مباحةٌ ... ولا كلُّ ما حَلَّ الفؤادَ يُقالُ

وخرج إلى الشعيبة قريته، وقال: احفروا لي ها هنا، فبعد يومين أموت. فماتَ بعد يومين.

السَّنة الثانية والأربعون وست مئة

فيها عُزل القاضي الرَّفيع، وسببه أنَّه كَتَبَ إلى الصَّالح إسماعيل يقول: قد حملتُ إلى خزانتك من أموال النَّاس ألف ألف دينار. فقال الصالح: ولا ألف ألف دِرْهم. وأوقف وزيره [السامري][١] على ورقته ـ وكان الله قد سَخَّر الصَّالح إسماعيل لوزيره، فلو قال له: مت. لقال لداعي الموت: أهلاً ومرحباً ـ وأنكر الوزير، فقال الرَّفيع: أنا

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «النجوم الزاهرة»: ٦/ ٣٤٩.

أقابله. فقال الوزير للصَّالح: هذا الرفيع قد أكل البلاد، وأقام علينا الشناعات، والمصلحة عزله ليتحقَّق النَّاسُ أنك ما أمرته بهذه الأشياء. فَعُزِلَ عن القضاء أول السنة، وأخذت [منه][1] مدارسه، وفوّض أمرها إلى ابن الصَّلاح، فأعطى العادلية للكمال التفليسي صهر الخويي، والشَّامية للتَّقي الحموي، والعذراوية لمحيي الدين بن الزكي، والأمينية لابن عبد الكافي، وغُيِّب الرفيع، واستقلَّ محيي الدين بالقضاء، واستناب الصَّدْر ابن سني الدولة، وحكم محيي الدين بإسقاط شهادات أصحاب الرَّفيع: العز بن القطان، والزين الحموي، والجمال بن سيدة، [والنصير ابن قاضي بعلبك][1]، والموفق الواسطي، وسالم المقدسي، [وابنه محمد لما فعلوا بالمسلمين، وأكلهم أموالهم بالباطل،][1] وكان المحنة العظمى [والطامة الكبرى][1] الواسطي [الملقب بالموفق][2]، فإنَّه أهلك الحرث والنسل، [فأهلك الله ذلك النسل][1].

وفيها ورد كتاب بدر الدين لؤلؤ صاحب المَوْصل يقول: إنني قد قررت على أهل الشام [قطيعة][1] في كلِّ سنة، على الغني عشرة دراهم، وعلى الوسط خمسة، وعلى الفقير درهم، وقرأ محيي الدين بن الزكي الكتاب على النَّاس، وشرعوا في الجباية.

وفيها كانت الوقعة العظيمة بين الخُوارَزْمية والفرنج.

لما نزل الخوارزمية غَزَّة بَعَثَ إليهم الصَّالح أيوب الأموال والخِلَع والخيل والأقمشة والعساكر، وأمرهم بالنُّزول على دمشق، فاتَّفق الصَّالح إسماعيل والنَّاصر داود والمنصور صاحب حِمْص مع الفرنج على الخُوارَزْمية وعسكر مصر، وكان الصَّالح [إسماعيل][1] قد أعطاهم الشَّقيف بعد أن عَذَّب واليه، واستأصله حيث امتنع من تسليمه، وخرج إسماعيل بنفسه [من دمشق، ومضى إلى الشقيف][1]، وسلَّمه إليهم، وكان عامراً، وسلَّم إليهم صفد وبلاد المسلمين، وكانت صفد خراباً، ولما اتَّفقوا مع الفرنج خرج صاحب حمص من دمشق بعسكر حمص إلى بلد الفرنج، وجهَّز النَّاصر عسكره من نابُلُس مع الظَّهير بن سُنْقُر الحلبي والوزيري، واجتمعوا بأَسْرهم على يافا، والخُوارَزْمية وعسكر مصر على غَزَّة، وساق صاحب حمص وعسكر دمشق تحت أعلام الفرنج، وعلى رؤوسهم الصُّلْبان، والأقساء في الأطلاب يصلِّبون على

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

المسلمين ويقسقسون عليهم، وبأيديهم كاساتُ الخمر والهنابات يسقونهم، وساقت الخُوارَزْمية وعسكر مصر، والتقوا على مكانٍ يقال له: قريبا[(١)]، وكانت الفرنج في الميمنة، وعسكر النَّاصر في الميسرة، وصاحب حمص في القلب، فأوَّل من انكسرت الميسرة، وهرب الوزيري، وأُسِرَ الظَّهير بن سُنْقُر، وجرح في عينه، وأخذ جميع ماله، وأصبح فقيراً، وانهزم صاحب حمص، ومالت الميمنة بالفرنج، فرأوا القلب والميسرة قد انكسروا، فخذلوا، وأحاطت بهم الخوارزمية، [وكان عسكر مصر قد انهزموا إلى قريب العريش، ورموا كوساتهم وأثقالهم، وثبتت الخوارزمية][(٢)]، وكان الفرنج ألفاً وخمس مئة فارس من المُصَلا عليهم، والكنود الكبار، وعشرة آلاف راجل، وما كانت إلا ساعة حتى حصدتهم الخوارزمية بالسُّيوف حصداً، وأسروا منهم ثمان مئة أسير، وكان يوماً عظيماً لم يجر مثله في زمن نور الدين وصلاح الدين، رحمهما الله تعالى.

قال المصنِّف رحمه الله: وكنتُ يومئذٍ بالقُدْس، فأصبحت ثاني يوم الكسرة إلى غَزَّة، فوجدتُ النَّاس يعدون القتلى بالقصب، فقالوا: هم زيادة على ثلاثين ألفاً. وبعثت الخوارزمية بالأسارى والرُّؤوس إلى مِصْر، والظَّهير بن سُنْقُر وجماعة من المسلمين في الجملة، وأما صاحب حمص، فما وصل دمشق إلا في نفرٍ يسير، ونُهبت خزائنه وخَيْلُه وسلاحه، وقُتِلَ أصحابه، ولقد بلغني أَنَّه طلب شاش علم يتعمَّم به، فما وجده، وجعل يبكي، ويقول: قد علمت أَنَّا لما سِرْنا تحت صُلْبان الفرنج أننا لا نفلح.

ووصل الأسارى إلى مِصْر، والظَّهير معهم، وعلقت الرؤوس على أبواب القاهرة، وامتلأتِ الحبوسُ من الأسارى، وجَهَّز الصَّالح أيوب معين الدِّين بن الشيخ لحصار دمشق.

وفيها توفي

شهاب الدِّين، أحمد ابن النَّاقد[(٣)]

وزير الخليفة. وكان أبوه وكيل أُمِّ الخليفة النَّاصر، ولما مات أبوه في أيام النَّاصر تشعثت أحوال أولاده، وصودروا، واستؤصلوا، وذهب جاههم، وأقاموا مدَّة إلى أن

---

(١) كذا في (ت) و(ش)، ولم أقف عليها.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣/١٠٨-١٠٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

ولي المستنصر، فاستوزر أحمد، ولقبه مؤيَّد الدِّين، وكان رجلاً صالحاً، فاضلاً عفيفاً، دَيِّناً، قارئاً للقرآن، [وتولى خالي محيي الدين أستاذ داره بعده][(١)].

الحسن بن سالم بن سلَّام[(٢)]

نجم الدين.

كان أبوه من أكابر عدول دمشق يدعى بالشيخ الأمين، ونشأ نجمُ الدِّين على ما كان عليه أبوه، وكان ذا مروءة وعصبية، جَوَاداً [سمحاً][(١)] سخياً، كريم الأخلاق، حسن العِشْرة، يحبُّ الصَّالحين، ويزورهم، ويبرهم، وله في رمضان ضيافة لا يمنع منها أحداً، وتغيَّرت أحواله في آخر عمره، فإنَّه دخل في أشياء لا تليق بأبناء جنسه طمعاً في الدنيا، [وحكى لي][(٣)] معين الدين بن الشيخ [قال:][(١)] آخر ما أوصاني الصَّالح أيوب أنني إذا فتحت دمشق [أن][(١)] أعلق ابنَ سَلاَّم بيده على بابه، لأَنَّ الذهب الذي بعثه إسماعيل إلى مقدَّمي دمشق في داره فُرِّق.

وكانت وفاته في ذي الحِجَّة، ودُفِنَ بقاسيون، ومات ولده، وتمزَّقت أمواله، [(٤)ودثرت أحواله، وبلغني أن ولده خلف ثلاث مئة ألف درهم وأكثر، فتفرقت أيدي سبأ، فرحمه الله على كل حال، لقد كان محط الرِّحال، وكعبة الآمال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[الرعد: ١١] وبلغني أنه صودر بمال كثير مع أنه كان من أكبر الدماشقة وأنفسهم].

عبد الله بن عمر[(٥)]

ابن محمد بن حَمُّوية، أبو محمد، تاج الدين بن شيخ الشيوخ.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ١١١ ـ ١١٢، وترجم له أبو شامة في «المذيل على الروضتين» (وفيات سنة ٦٤٣هـ): ٢/ ٧٥-٧٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ت): قال معين الدين بن الشيخ: آخر...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٤) في (ت): وخلف ثلاث مئة ألف درهم وأكثر، فتفرقت أيدي سبأ، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٥) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٦٣٧ ـ ٦٣٨، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٦٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

كان فاضلاً، نَزِهاً، عفيفاً، شريفَ النَّفْس، عالي الهمة، قليلَ الطَّمع، لا يلتفتُ إلى أحدٍ من خَلْق الله [تعالى][(١)] لأجل الدُّنْيا لا إلى أهله ولا إلى غيرهم، وصنف التَّاريخ وغيره، [(٢)]وكان صديقي، وكان - رحمه الله تعالى - يزورني ويحضر مجالسي، وقد أنشدني لنفسه، فقال]: [من البسيط]

لم ألقَ مستكبراً إلا تحوَّلَ لي عند اللِّقاءِ له الكِبْرُ الذي فيهِ
ولا حلا لي من الدُّنيا ولذَّتِها إلا مقابلتي للتِّيْه بالتِّيْهِ

وكانت وفاتُه في يوم الأربعاء سادس عشر صفر، وصُلِّي عليه بجامع دمشق، ودُفِنَ بمقابر الصُّوفية عند المُنَيْبع، [سمع أباه عمر بن محمد، والحافظ ابن عساكر، وشُهدة الكاتبة، وغيرهم][(١)]، وكان ولي مشيخة الخوانك بعد وفاةِ أخيه صَدْر الدِّين.

قال المصنف رحمه الله: ونقلتُ من خَطِّ ولده سعد الدين مسعود، قال: وُلِدَ والدي تاج الدين يوم الأحد رابع عشر شوال سنة اثنتين وسبعين وخمس مئة[(٣)]، وكان مفنّناً [في العلوم، عارفاً][(١)] في الأصولين والفروع والتَّرسُّل [والتواريخ][(١)]، والهندسة والطب، وسمع الحديث الكثير، [وله مقاطع شعر جيدة][(١)]، وصنَّف الكُتُب منها «المؤنس في أصول الأشياء» ثماني مجلدات، و«كتاب السِّياسة الملوكية» للكامل صاحب مِصْر، و«المسالك والممالك» و«عطف الذيل» في التاريخ، وأمالي وتواريخ كثيرة، وسافر إلى المغرب سنة ثلاثٍ وتسعين، ووصل مَرَّاكُش، واتصل بالملك المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، فأحسن إليه، وقدَّمه على جماعةٍ، وهذه عادتهم [في الغرب][(١)] يولون الحرب العلماء والفضلاء، وجعله برسم من يقصد المغرب من الشَّام، يعرف به، ليحسن يعقوب إلى من يقصده، وأقام في خِدْمته إلى أن مات يعقوب، وخدم ولده محمداً، وعاد [تاج الدين][(١)] إلى الشَّام سنة ستِّ مئة، وحَجَّ سنة أربع وست مئة مع أخيه صدر الدين وأولاده [وهي أول حجة حججتها من بغداد، وكان أمير حاج الشام دلدرم، وحج معنا شبل الدولة

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ت): وصنف التاريخ وغيره، وأنشد...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في التكملة: سأله المنذري عن مولده فقال: في يوم الأحد الرابع عشر من شوال سنة ست وستين وخمس مئة بدمشق.

الحسامي، ووقفنا يوم الأربعاء بعرفة، وكانت سنة مشهورة، كثيرة الخيرات، عظيمة البركات،](١) وأقام بالرُّها مدة عند الأشرف.

[ذكر أولاده](١):

سعد الدين مسعود، ولد ليلة الأحد سادس عشر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة.

وشرف الدين أبو بكر، ولد في المحرَّم سنة ثمانٍ وست مئة.

[وقال ولده سعد الدين: توفي يوم الأربعاء سادس عشر صفر، ودفن يوم الخميس على والده شيخ الشيوخ عن خمس وسبعين سنة، وكان مرضه بالسعال والإسهال](١).

عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل(٢)

أبو حامد، القاضي الملقب بالرَّفيع [(٣) الذي فعل بأهل دمشق تلك الأفاعيل، ففعل الله تعالى به وبأصحابه كما فعل بأصحاب الفيل، وأرسل عليهم من العذاب طيراً أبابيل.

وحكى جماعة من أعيان دمشق] أنه كان فاسدَ العقيدة، دهرياً، مستهتراً بأمور الشريعة، يخرج إلى الجمعة سكراناً، وكذا كان يجلس في مجلس الحكم، وكانت داره مثل الحانات، [النِّساء بالرِّجال مختلطات، وكل هذه الأشياء شهد بها عندي جماعة من العدول الذين ما عن شهادتهم عدول](١).

ذِكْرُ مقتله:

[(٤)حكى لي جماعةٌ ممن أثق بهم أَنَّ السَّامري بعث به] في الليل إلى قلعة بَعْلَبَك على بَغْلٍ ببرذعة لبعض النَّصارى، فاعتقله، واستأصله، ثم بعث به إلى مغارة [يقال لها

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ١٠٩-١١١، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٦٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ت): وقيل إنه...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٤) في (ت): بعث به أمين الدولة [السَّامري] في الليل...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

مغارة][١] أفقّه في جبل لبنان من ناحية السَّاحل، وبعث إليه عدلين من عدول بَعْلَبَك شهدا عليه ببيع أملاكه، فحكى [لي][١] أحدهما، قال: رأيته وعليه قندورة صغيرة، وعلى رأسه تخفيفة، فبكى، وقال: معكم شيء آكل؟ فلي ثلاثةُ أيام ما أكلت شيئاً. قال: فأطعمناه من زادنا، وشهدنا عليه ببيع أملاكه لأمين الدولة، ونزلنا من عنده، فبلغنا أَنَّ داود النَّصْراني [سيف النقمة][١] جاء إليه، وقال: قد أُمرنا بحملك إلى بَعْلَبَك. فأيقن بالهلاك، وخرج معهم، وقال: دعوني أُصلِّي ركعتين. فقال داود: صَلِّ. فقام يصلي، [فصلى ركعتين][١]، فأطال، فرفسه داود من رأس شقيف مطلٍّ على نهر إبراهيم، فوقع، فما وصل إلى الماء إلا وقد تقطَّع.

وحكى [لي آخر][١] أنه تعلَّق ذيله بسنِّ الجبل، فما زال داود يضربه بالحجارة حتى قتله.

وأما الموفق الواسطي [[٢]وكان ضد اسمه، فحكى لي أعيان الدماشقة أنه كان أساس البلايا، ومعدن المصائب والرزايا، فتح أبواب المظالم، وأوقع المسلمين في المغارم، وجسَّر الرفيع على خوض جهنم، وكان يقال إنه من ظلمه تعلَّم، وأخذ أموال الناس لنفسه على ما بلغني، وهي نحو ست مئة ألف درهم، وأنه في آخر عمره عذب عذاباً ما عذبه أحد من العالمين، وكسرت ساقاه، وصار عبرة للناظرين، ومات تحت الضرب، وألقي في مقابر اليهود والنصارى، ولم يجد له من دون الله أنصاراً، وأكلت لحمه الكلاب، وصار عبرة لأولي الألباب، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[البروج: ١٢] وما هي من الظالمين ببعيد]. وسُرَّ الناس به.

الملك المغيث عمر بن الصالح أيوب[٣]

كان ولداً حسناً، عاقلاً، دَيِّناً، أسره الصَّالح إسماعيل سنة ثمانٍ وثلاثين، وحبسه في بعض أبراج قلعة دمشق، وكان عاقلاً جَوَاداً، لم يحفظ عنه كلمة فحش، ولا كَسَرَ

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ت): وأما الموفق الواسطي فهو كان أساس البلايا، أخذ من أموال الناس لنفسه ست مئة ألف درهم، وآخر أمره أنه عذب عذاباً عظيماً، وكسرت ساقاه ومات تحت الضرب، وألقي في مقابر اليهود والنصارى، وأكلت الكلاب لحمه...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «مفرج الكروب»: ٥/٣٤٦، و«الوافي بالوفيات»: ٢٢/٤٣٩، و«النجوم الزاهرة»: ٦/٣٥١.

قلب أحد، وتخلَّى عنه أبوه بعدما بالغ واجتهد في خلاصه، فلم يقدر، [وما كان سبب وفاته إلا السَّامري، فإنَّه ضيَّق عليه،][1] وآذاه، فمات غماً وغبناً ليلة الجمعة ثاني عشرين ربيع الآخر في محبسه، وحمل إلى تُرْبة جده الكامل، فدفن بها، رحمه الله تعالى.

[ولقد صبر صبر الكرام، وسار إلى دار السلام، وآل مآل السامري إلى الدرك الأسفل من النار، فلا رحم الله تلك العظام][2].

الملك السَّعيد عمر بن شهاب الدِّين غازي

[صاحبِ ميافارقين][2].

كان شاباً، حسن الأخلاق، مليحَ الصُّورة، جَوَاداً، شجاعاً، وكان التَّتر قد استولوا على ديار بكر، وأخذوا خِلاط، فخرج غازي من مَيَّافارقين هارباً منهم ليستنجد عليهم الخليفة والملوك، وخرج معه ولده عمر، وأمير حسن بن تاج الملوك أخي غازي، فوصلوا إلى الهرماس لوداع غازي، فقال غازي لولده عمر: يا ولدي، المصلحة أَنْ ترجع إلى ميَّافارقين تحفظ المسلمين من التتر، وأنا أروح إما إلى بغداد وإما إلى مِصْر أستنجد الملوك، فقال: والله ما أفارقك، وجاء حسن بن تاج الملوك فجلس إلى جانبه، وأخرج سكِّيناً، وضرب عمر في خاصرته، وهرب ليرمي بنفسه في العين [ليغرقها][2]، فصاح [غازي][2]: أمسكوه، فقد قتل عمر ولدي. وقام غازي ليقتله، فقصده حسن ليقتله، فرمى عمر بنفسه على غازي، وقال لحسن: يا عدوَّ الله، قتلتني، وتقتل والدي. فضربه حسن بالسَّيف فقطع خاصرته، فوقع إلى الأرض، وأمر غازي بحسن فَقُطِّع قِطَعاً، وحُمِلَ عمر إلى الحِصْن، فدفن به، وحَزِنَ عليه والده حُزْناً عظيماً.

السنة الثالثة والأربعون وستّ مئة

فيها حَصَرَ معينُ الدِّين ابنُ الشيخ والخُوارَزْمية دمشق، وضايقوها، وقطعت الخُوارَزْمية على النَّاس الطُّرق، وزحفوا على البلد من كلِّ ناحية، وفي يوم الاثنين

(١) في (ت): وضيق أمين الدولة عليه وآذاه، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

ثامن المحرَّم بَعَثَ الصَّالح إسماعيل إلى معين الدِّين سجادة وإبريق وعكّاز، وقال: اشتغالك بهذا أَوْلى من اشتغالك بقتال الملوك. فبعث إليه ابنُ الشيخ بجنك وزمر وغلالة حريري أحمر وأصفر، وقال: السجادة تصلح لي، وأنت أَوْلى بهذا. وأصبح، فركب في العساكر، وزحفوا من كلِّ ناحية، ورموا النِّيران في قَصْر حجاج، فضربوا بالمجانيق، وكان يوماً عظيماً، وبعث إسماعيل الزَّرَّاقين يوم الثلاثاء تاسع المحرم، فأحرقوا جوسق العادل، ومنه إلى زقاق الرمان [و] العقيبة بأَسْرها، ونهبت أموالُ النَّاس، ورموا على الطرق، واحترق بعضهم، [وحكي لي أن رجلاً كان له عشر بنات أبكار، فقال لهن: اخرجن. فقلن: لا والله، الحريق أولى من الفضيحة. فاحترقت الدار، واحترقن، ولم يخرجن][(١)]، وجرى على النَّاس ما لم يجر في بلدٍ آخر.

وفي ربيع الآخر خرج المنصور صاحب حِمْص من دمشق [إلى ظاهرها، واجتمع ببركة خان، واستبشر النَّاس باجتماعهما، وعاد المنصور إلى دمشق][(١)].

وفي جُمادى الأولى فُتحت دمشق؛ بَعَثَ أمين الدَّوْلة إلى ابنِ الشيخ يطلب منه شيئاً من ملبوسه، فبعث له فَرَجيةً وعِمامة وقميصاً ومنديلاً، فلبس ذلك، وخرج إلى ابنِ الشيخ بعد العشاء الآخرة، فتحدَّث معه ساعة، ثم عاد إلى دمشق، ثم خرج مرة أخرى، فوفق الحال، وخرج إسماعيل وصاحب حِمْص في الليل إلى بَعْلَبَك، ودخل ابنُ الشيخ دمشق، فنزل في دار سامة، ودخل الشِّهاب رشيد إلى القلعة، وولى ابنُ الشيخ الجمالَ هارون المدينة، وصَدْرَ الدين بنَ سني الدولة قضاء القضاة، فاستنابَ العزيزَ السِّنْجاري والكمالَ التفليسي، وعَزَلَ محيي الدِّين بنَ الزكي.

ووصل سيف الدين بن قليج من عجلون إلى دمشق تاسع عشرين جمادى الأولى منفصلاً عن النَّاصر داود، وأوصى بعجلون وماله للصَّالح أيوب، ونزل بدار فلوس.

وجهَّز ابنُ الشيخ أمين الدولة [السامري][(١)] إلى مِصْر تحت الحوطة.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وأما الخُوارَزْمية فإنهم لم يحضروا الصُّلْح، ولم يعلموا به، فلما علموا رحلوا إلى داريا، فنهبوها، وأتلفوا ما كان عليها، ثم رحلوا نحو الشَّرْق، وكاتبوا الصَّالح إسماعيل، واتفقوا معه على أيوب، وانتقض الصُّلْح الذي قرَّره أمينُ الدولة.

ووصل [ابن خالي](١) عبد الرحمن بن محيي الدين بن الجوزي، وابن سُنْقُر من بغداد بخِلَع السَّلْطنة للصَّالح أيوب؛ وهي عِمامةٌ سوداء، وفَرَجية مُذْهبة، وتُرْس ذهب، وسنان محلاة، وغلامان، وطوق ذهب، وحصان بسرج، ولجام، وخِلَع لأصحابه، ومنشور، ومضيا إلى مِصْر، فالتقاهما، ولبسها على العَبَّاسة.

وعادت الخُوارَزْمية، فحصرت دمشق، وجاءهم إسماعيل من بَعْلَبك في ثالث [عشرين](١) ذي القَعْدة، وضيَّقوا على دمشق، فبلغت الغِرارة ألفاً وست مئة دِرْهم، والقنطار الدقيق تسع مئة درهم، والخبز أوقيتين الأربع بدرهم، والرطل اللحم بسبعة دراهم، وعَدِمَتِ الأقوات، وبِيْع العَقَار بالدَّقيق، وأُكلت الميتات والجِيف والدم والقطاط والكلاب، ومات النَّاس على الطُّرُق، ونَتُنَتِ الدُّنيا، [فكان الإنسان إذا مَرَّ بالجبل وشَمَّ روائح النَّاس مرض ومات](١)، وضجر النَّاس من الغَسْل والتكفين، فكان النَّاس يخرجون، فيحفرون الآبار، ويرمون النَّاس بعضهم على بعض، ومع هذا كانت الخمور دائرة، والفِسْق ظاهر، والمكوس بحالها.

ولما علم الصَّالح أيوب بأنَّ إسماعيل قد اتَّفق مع الخُوارَزْمية شَرَعَ يقطع عنه المنصور صاحب حمص، ويستميله ويمنِّيه، فأجابه.

[وفيها قدمتُ من مصر إلى قاسيون، ومرضت، فخرجت إلى العراق في السنة الآتية، فقدمت بغداد في رمضان](١).

وفيها وصلت الكُرْجية بنت إيواني زوجة الملك الأشرف التي أخذها الخوارزمي إلى خِلاط، ومعها منشور خاقان بخِلاط وأعمالها، وراسلت شهاب الدين غازي تقول: إني كنت زوجة أخيك الأشرف، وخاقان هذا أقطعني خِلاط، فإنْ تزوَّجْتَ بي فالبلاد لك. فما أجابها، فأقامت بخِلاط، وكانت غاراتها تصل إلى مَيَّافارقين.

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وفيها بعث الصَّالح [نجم الدين][١] أيوب حسامَ الدين بنَ بهرام إلى الحِصْن ليحضر المعظَّم تورانشاه إلى مِصْر، وبعث بدرُ الدِّين لؤلؤ إلى المعظم الخيام والمماليك والخيل، وكذا فعل شهاب الدِّين غازي، وكتب أيوب إلى ولده مع [ابن][١] بهرام: الولد تقدم [على][١] خيرة الله، وتصل إلى بالس، وتعدِّي عندها، فقد اتفقنا نحن مع الحلبيين، وقد ذكروا أنهم يجرِّدون ألف فارس في خِدْمتك، واعبر ببلد مارِدِين ليلاً، فما نحن وإياهم متفقين. فلما قرأ الكتاب كَرِهَ ذلك، وما كان يؤثر الخروج من الحِصْن، وقال لابن بهرام: يكونُ الإنسان مالك رأسه يصبح مملوكاً محكوماً عليه! ولم يجبه.

قال المصنف رحمه الله: وحكى لي حسام الدِّين بنُ أبي علي أَنَّ الصَّالح أيوب كان يكره مجيء ابنه المعظم إليه، وكنا إذا قلنا له: أنفذ أحضره. ينفضُ يديه، ويغضب، ويقول: أجيبه أقتله!

وفيها أخرج الصَّالح أيوب فخر الدين بنَ الشيخ من الحبس بعد أَنْ أقام مُدَّة ثلاث سنين، ولاقى شدائد من الضِّيق والضر والقمل.

[ولقد بلغني أن القمل ما كان يمكِّنه من النوم، وفرَّج الله عنه، وأقام في الحبس ثلاث سنين، وقصته مشهورة.

وفيها توفي

أحمد بن عبد الخالق[٢]

ويعرف بابن أبي هشام، المحدِّث، إمام مسجد الفسقار، وكان يقرأ به الحديث، وكانت وفاته في المحرم، ودفن بالباب الصغير][١].

وفيها توفي الفلك بن المسيري بمصر[٣]، وعز الدين بن أبي عصرون بالقدس.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ذكره الذهبي في «السير»: ٢٣/ ١٤٥ .

(٣) هو عبد الرّحمن بن هبة الله المسيري، له ترجمة في «نزهة الأنام» لابن دقماق: ص١٦٦، و«الوافي بالوفيات»: ١٨/ ٢٩٤-٢٩٥ ، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٢٢١.

وفيها توفي

معين الدِّين[1]، الحسن بن [صدر الدين][2] شيخ الشيوخ

أبو علي، وزير الصَّالح أيوب.

وهو الذي حَصَرَ دمشق، وكان مرضُه بالإسهال والدم، ونزع يوماً وليلة، ومات ليلة الأحد الثاني والعشرين من شهر رمضان عن ستٍّ وخمسين سنة، وصُلِّي عليه بجامع دمشق، ودفن بقاسيون إلى جانب أخيه عماد الدين، فكان بين بلوغ أُمْنِيَّته وحلول منيَّتِهِ أربعة أشهر وخمسة عشر يوماً.

ربيعة خاتون بنت أيوب[3]

أخت صلاح الدين والعادل، تزوَّجها أولاً سعد الدين مسعود بن معين الدين أُنَر، وكان صلاح الدِّين قد تزوج أُخته، ثم مات سعدُ الدين، فزوَّجها صلاحُ الدين مظفَّرَ الدِّين بنَ زين الدين، فأقامت بإربل، ثم قدمت دمشق فأقامت بها، وخدمتها أَمَةُ اللَّطيف العالمة بنت النَّاصح بن الحَنْبلي، وأقامت في خِدْمتها مُدَّة، فحصل لها منها أموالٌ عظيمة، وبنت للحنابلة بقاسيون مدرسةً، وأوقفت عليها الأوقاف، وتوفيت ربيعة بدمشق بدار العقيقي، ودفنت بقاسيون، وقد جاوزت ثمانين سنة.

[لأن أباها أيوب مات في سنة ثمان وستين وخمس مئة، وتوفيت في هذه السنة، بينهما ست وسبعون سنة، وكانت لربيعة خاتون محارم كثيرة وقد ذكرناهم في ترجمة أختها ستّ الشام][2].

وأما أَمَةُ اللَّطيف، فإنها لاقت بعد ربيعة خاتون الشَّدائد والأهوال، من الحبس والمصادرة [وأخذ المال][2]، وأقامت محبوسة ثلاث سنين بقلعة دمشق.

---

(١) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ١٠٠، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٧٦-٧٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) لها ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٧٦، وفيه تتمة مصادر ترجمتها.

قال المصنف رحمه الله: ودخلتُ مع نواب الصَّالح في قضيتها، وبالغتُ [في أمرها][1]، فأُطلقت من الحبس، وتزوَّجت بالأشرف ابن صاحب حمص، وسافر بها إلى الرَّحْبة وتل باشر، فتوفيت في سنة ثلاث وخمسين [غريبة عن الأهل والعشائر][1]، وظهر لها بدمشق من المال [والذخائر][1] والجواهر واليواقيت ما يساوي ست مئة ألف دِرْهم على ما قيل غير الأوقاف والأملاك، [فإن الدنيا تكون عاقبتها الهلاك،][1] ومع هذا كانت فاضلةً، صالحة، دَيِّنة، عفيفة، ولها تصانيف ومجاميع [، وتآليف][1].

عبد المحسن بن حمود بن المُحَسِّن[2]

أبو الفضل، أمين الدِّين، الحلبي.

كان كاتباً لعزِّ الدِّين أيبك المعظَّمي، وكان فاضلاً، بارعاً، دَيِّناً، صالحاً، حسن الخَطِّ، ذا مروءة وفضائل جَمَّة، وله تصانيفُ كثيرة، [وأنشدني لما نزل الفرنج على الطور في سنة أربع عشرة وست مئة: [من البسيط]

قُلْ للخليفة لا زالت عساكره ... بها إلى النصر إصدار وإيرادُ
إنَّ الفرنج بحصن الطور قد نزلوا ... لا تغفلن فإنَّ الطورَ بغدادُ][1]

ومن شِعْره في إجازة: [من الوافر]

أجزتُ لهم روايةَ ما أرادوا ... على شرطٍ يجانِبُهُ الفسادُ
بريًّا من كلامٍ فيه سهو ... ونَقْلٍ لا يوافِقُهُ السَّدادُ

وقال: [من الخفيف]

قد أجزتُ الذينَ فيها إلى ما الـ ... ـتمسوه من الإجازةِ منِّي
فلهم بعدها رواية ما صحَّ ... لديهمْ من الرِّواية عنِّي

وكانت وفاته في رجب، ودُفِنَ بباب توما.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ٢١٥-٢١٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان[(١)]

أبو عمرو، تقيُّ الدِّين بن الصَّلاح، الفقيه، المحدِّث.

كان مقيماً بالقُدْس، ثم قَدِمَ دمشق لما خرب، وأقام بها، ودرَّس، وسمع الحديث، وأسمعه، وولاه الأشرف دار الحديث المجاورة للقلعة، وكان يفتي ويناظر، [وحضر دروسي في مدرسة شبل الدولة في سنة ثلاث وعشرين وست مئة، وتقلَّبت به الأحوال حتى][(٢)] توفي ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر، وصُلِّي عليه بجامع دمشق، ودُفِنَ بمقابر الصوفية عند المُنَيْبع.

[[(٣)]وكان قد سافر إلى البلاد، فسمع بنيسابور منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل الفراوي، وكان ابن الصلاح يقول: للفراوي ثلاث كنى: أبو الفتح وأبو القاسم وأبو بكر. وسمع أيضاً المؤيد محمد بن علي الطوسي، وأبا بكر القاسم بن عبد الله بن عمر الصَّفَّار، وأبا المظفر عبد الرحيم بن أبي سعيد بن عبد الكريم بن محمد بن السمعاني. وسمع من مشايخنا عمر بن طبرزد وغيره، وزارني يوماً بتربة حسن على ثورا في أيام المعظم، وقال: تسأله أن يعطيني مدرسة. وكان المعظم يكرهه، فما زلت به حتى استصلحته له، فأخذ ينشدني في ذلك اليوم، لغيره]: [من مجزوء الكامل]

احذرْ من الواواتِ أر ... بعةً فهنَّ من الحتوفِ
واوَ الوصيةِ والوكا ... لةِ والوديعةِ والوقوفِ

عليُّ بنُ محمد بن عبد الصمد[(٤)]

أبو الحسن، علم الدِّين، السخاوي.

---

(١) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٣/ ٢٤٣_٢٤٥، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٦٨-٦٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في (ت): ودفن بمقابر الصوفية عند المنيبع، قال المصنف رحمه الله: أنشدني لغيره، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٤) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٣/ ٣٤٠-٣٤١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ١٢٢-١٢٤، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٧٣-٧٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

قرأ القرآن [بالروايات][(١)] على الشَّاطبي، وشرح قصيدته، وشرح «المفصل» للزمخشري، وله تصانيف، وقصائد في مدح النبي ﷺ، [منها هذه الأبيات: [من الكامل]

قف بالمدينة زائراً ومسلِّماً ... واشكُرْ صنيعَ الدَّمع فيها إن همى
فهي المنازلُ لم تزل تشتاقها ... أبداً وكنت بها المعنَّى المغرما
والزقْ بتربتها الفؤاد فكم شفتْ ... داءً دفيناً قد أذابَ وأسقما
عجباً لصبٍّ عاينته عَيْنُه ... فرعى الحوادثَ واستطاع تكلُّما
هذا هو الحرمُ الشريف فقفْ به ... واقرا السَّلامَ على الرَّسول متمِّما
يا خاتم الرُّسُلِ الكرام ومَنْ له الـ ... آياتُ تحكي في السماء الأنجما
وله انشقاق البدر والجذع الذي ... أبدى حنيناً والجماد تكلّما
والماء ينبع في أنامل مَنْ دعا ... زُمراً إلى الزَّاد اليسير فأطعما
ودعا بأشجار الفلاة فأقبلت ... وأتى على حجرٍ أصمَّ فسلَّما
وعلا على متن البراق مشرَّفاً ... وسرى إلى أعلى السَّماء معظَّما
صلّى عليه الله ما انهلَّ الحيا ... وكسا الرِّياضَ ملوناً ومنمنما

من أبيات][(١)].

وكان إماماً، فاضلاً، مُفْتياً، زاهداً، عابداً، ورعاً، مقتنعاً من الدُّنيا باليسير، وكانت له حَلْقةٌ بجامع دمشق، يقرأ عليه فيها القرآن والعربية والحديث، فإذا خرج من الجامع إلى قاسيون ركب حماراً والطَّلبة يقرؤون عليه القرآن في الطَّريق، وختَّم ألوفاً من الناس، ونفع خَلْقاً كثيراً، وكانت وفاته ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة بدمشق، ودُفِنَ بقاسيون. [سمع الحافظ السِّلَفي، وأبا القاسم هبة الله البوصيري، وأبا الطاهر بن عوف، وأبا الفضل محمد بن يوسف الغَزْنوي، وغيرهم.

وفيها مات صاحب الروم، وكان صبياً لعاباً، وقد ذكرناه][(١)].

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

محمد بن عمر بن عبد الكريم[1]

أبو عبد الله، فخر الدِّين بن المالكي، الحِمْيَري.

كان منقطعاً بجامع دمشق بالمئذنة، متصدِّياً لقضاء حوائج المسلمين [عند الولاة والسَّلاطين][2]، ذا مروءة، وكَرَم، ودين، وفتوة، وزُهْدٍ في الدُّنيا، وتوفي ليلة الاثنين ثامن عشر شعبان، ودفن بمقابر الصُّوفية عند المُنَيْبع.

النَّاصح الفارسي

كان شيخاً مُسْرفاً على نفسه، لم يفارق الخمر [ساعة واحدة][2] بدمشق، وحُمِلَ إلى حلب.

[وفيها توفي

نور الدين علي بن عقيل

كان شاباً، عاقلاً، دَيِّناً، صالحاً، وكان صهر الغرز الخليل على ابنته، رحمه الله تعالى][1].

السنة الرَّابعة والأربعون وستّ مئة

فيها في ثامن المحرم كُسِرَتْ الخُوارَزْمية على بحيرة حِمْص لما أمال الصَّالح أيوب إليه المنصور صاحب حمص، واقتطعه عن الصَّالح إسماعيل، كتب إلى الحلبيين يقول: هؤلاء الخُوارَزْمية قد أخربوا البلاد، والمصلحة أن نتفق عليهم. فأجابوه، وخرج شمس الدين لؤلؤ بالعساكر من حلب، وجمع صاحب حمص العرب والتركمان، وخرج إليهم عسكر دمشق، واجتمع كلهم على حمص، واتَّفق الصَّالح إسماعيل والخُوارَزْمية والنَّاصر داود وعِزُّ الدين أيبك، واجتمعوا على مرج الصُّفَّر، ولم ينزل النَّاصر من الكرك، وإنما بعث عسكره، وبلغهم أنَّ صاحب حمص يريد

---

(١) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٧٥، و«الوافي بالوفيات»: ٤/ ٢٦١.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

قصدهم، فقال بركة خان: دمشق ما تفوتنا، والمصلحة أن نسير إليهم. فساروا، والتقوا على بحيرة حمص يوم الجمعة سابع المحرَّم أو ثامنه، فكانتِ الدَّائرةُ عليهم؛ قُتِلَ بركة خان، وهَرَبَ الصَّالح إسماعيل وعِزُّ الدين أيبك، ومن سَلِمَ من العسكر عرايا جياعاً على فرس، ونُهبت أموالهم، ووصلوا إلى حوران، وساق صاحب حمص إلى بَعْلَبَك، وأخذ الربض، وسلَّمه إلى ناصر الدِّين القيمري وجمال الدين هارون، وعاد إلى حمص، وودَّع الحلبيين، وساروا إلى حلب، وجاء المنصور إلى دمشق في خدمة الصَّالح أيوب، فنزل ببستان سامة، ومضت طائفةٌ من الخوارزمية إلى البلقاء، ونزل إليهم النَّاصر من الكَرَك، وصاهرهم، واستخدمهم، وأطلع عائلتهم إلى الصَّلْت، وكذا فعل عز الدين أيبك، وساروا، فنزلوا نابُلُس، واستولوا عليها.

ومرض صاحبُ حمص بدمشق، فتوفِّي بالنَّيْرب، وحُمِلَ إلى حمص.

وجَهَّز الصَّالح أيوب فخر الدين بن الشيخ بالعساكر إلى الشَّام، فلما وصل غَزَّة عاد مَنْ كان بنابُلُس من الخُوارَزْمية إلى الصَّلْت، فقصدهم ابنُ الشيخ، وقاتلهم، فكسرهم، وبدَّد شملهم، وكان النَّاصر معهم، فسار إلى الكرك، وتبعه الخوارزمية، فلم يمكنهم من صعود القلعة ولا الرَّبض، وأحرق ابنُ الشيخ الصَّلْت وساق، فنزل على الكرك، وطلع عز الدين ـ وكان مع النَّاصر ـ إلى صَرْخد، فتحصَّن بها، وكانت كسرةُ ابنِ الشيخ للخوارزمية على الصَّلْت سابع عشر ربيع الآخر، ونزل ابنُ الشيخ على وادي الكَرَك وقاتل الناصر، وكَتَبَ إليه النَّاصر يقول: [من الطويل]

غَدَوْتُ على قيسٍ لخفر جواره لأمنعَ عِرْضي إنَّ عِرْضي ممنَّعُ

وكان عند النَّاصر صبيٌّ أمرد مُسْتحسن من الخُوارَزْمية، يقال له: طاش بورك بن خان، فطلبه ابنُ الشيخ، فقال النَّاصر: هذا صوته طَيِّب، قد أخذته ليقرأ عندي القرآن. فكَتَبَ إليه ابنُ الشيخ كتاباً غليظاً شنيعاً، وذكَّره غدره وأيمانه وحنثه، وأنشده:

لأبذل عِرْضي إنَّ عِرْضي مُقَطَّعُ

وقال: لا بُدَّ من الصَّبيِّ الخُوارَزْمي. فبعث به إليه، وكان ابنُ الشيخ قد قال: أنا أبعث لك بشيخٍ أعمى يقرأ أَطْيب منه، فقال: ما أريده.

وكان حسام الدين بن أبي علي بدمشق، فسار إلى بَعْلَبَك، وتسلَّم قلعتها باتِّفاقٍ من الشاماتي؛ مملوك إسماعيل، وكان حاكماً عليها، وبَعَثَ أولاد إسماعيل وعياله إلى مِصْر، وتسلَّم نواب الصالح أيوب بُصْرى، وكان بها الشهاب غازي والياً، فأعطوه حَرَسْتا القَنْطرة.

[فصل: وفي رمضان قدمنا بغداد، ومعي ابني إبراهيم، ومملوكيّ بلبان وسالم، فأنزلنا خالي أبو محمد في داره بدار الخليفة، وخدمنا، غير أن ما ربحناه في سورة يوسف خسرناه في سورة النور، وجرى لنا عجائب، ومازلت مع وزير الخليفة ـ أدام الله تعالى سعده ـ حتى خرجنا من بغداد في صفر سنة خمس وأربعين وست مئة، ووصلنا إلى حلب، وتوفي ابني إبراهيم في ربيع الآخر، ونقلته إلى قاسيون في هذه السنة، فدفنته بالتربة عند أمه وأخيه](١).

وفي ربيع الآخر [لما كنا بحلب](١) قَدِمَ الصَّالح إسماعيل حلب في طائفةٍ من الخُوارَزْمية منهم كشلوخان، وكانوا هاربين من الصَّالح أيوب، ولم يبق لإسماعيل في الشَّام مكانٌ يأوي إليه، فتلقاهم النَّاصر صاحب حلب، وأنزل الصَّالح في دار جمال الدَّوْلة الخادم، وقبض على كشلوخان والخوارزمية، وملأ منهم الحبوس، [(٢)وبلغني أن الناصر لما التقى إسماعيل قال شمس الدين لؤلؤ للنَّاصر: أَبْصِرْ عواقبَ الظُّلْم [كيف صارت](١).

وفيها وصلتِ الأخبار من البحر صحبة مركبٍ وَصَلَ من صِقِلِّية إلى الإسكندرية أَنَّ البابا غَضِبَ على الإنبرور، وعامل خواصَّه الملازمين له على قَتْله، وقال: قد خرج الإنبرور عن دين النَّصْرانية، ومال إلى المسلمين، فاقْتُلوه، وخُذُوا بلاده لكم. وأقطع كلَّ واحدٍ مملكة، [فأعطى واحداً صقلية، والآخر تصافية، والآخر توليه، وهذه محال الإنبرور](١)، وكَتَبَ أصحابُ الأخبار إلى الإنبرور بذلك، فعمد إلى مملوكٍ له، فجعله مكانه في التخت، وأظهر أنَّه قد شرب دواء، وأرسل إلى الثَّلاثة فجاؤوا، والمملوك نائم على التخت، فظنوه الإنبرور، وقد اختبأ الإنبرور في مجلس، ومعه مئةُ فارس،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ت): ولما التقى الناصر الصالح قال شمس الدين...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

فلما دخلوا على المملوك مالوا عليه بالسَّكاكين، فقتلوه، فخرج عليهم الإنبرور، فذبحهم بيده، وسلخهم، وحشا جلودهم تبناً، وعلَّقهم على باب القَصْر، وبلغ البابا [ذلك][١]، فبعث إلى قتاله جيشاً، والخُلْفُ واقعٌ بينهم، وهذا الإنبرور هو الذي أعطاه الكامل القُدْس.

ذِكْرُ ألقابه:

الملك الكبير، الأَجَلّ الخطير، الأعز الأثير، قيصر المعظَّم، إنبراطور فردليك ابن الإنبراطور هونكه، المقتدر بقدرة الله تعالى، المستعلي بعِزَّته، مالك اللمانية، والإبيردية، وبسفايه، وأبليوود، وصقلية، حافظ بيت المقدس، معزّ أيام رومية، مالك ملوك النَّصْرانية، حامي الممالك الفرنجية، قائد الجيوش الصّليبية.

وفيها قَبَضَ الملك النَّاصر داود على عماد الدين بن موسك في الكَرَك، واحتاط على موجوده، وكان له في صندوق نيف وخمسون ألف دِرْهم.

وفي يوم الخميس تاسع عشر ذي القَعْدة قَدِمَ الصَّالح أيوب دمشق، فأحسنَ إلى أهلها، وتصدَّق على المدارس والرُّبُط وأرباب البيوت بأربعين ألف دِرْهم، وببَعْلَبَك بعشرين ألفاً، وببُصْرى بعشرين ألفاً، وخَلَعَ على أعيان الدماشقة الخلع السَّنية، ومضى إلى بَعْلَبَك، وعاد منها، ومشى ناصر الدين القَيْمري وابن مطروح بين الصَّالح وعز الدين أيبك في الصُّلْح بواسطة شمس الدِّين بن العميد، وخرج الصَّالح من دمشق، ومضى إلى بُصْرى، وصَعِدَ إلى صَرْخد، ونزل إليه عِزُّ الدين برأي ابنِ العميد، وتسلَّم الصَّالح صرخد، وأقام عِزُّ الدين أيبك في مَيْدَانها أياماً، وقدم دمشق في ذي الحِجَّة، فنزل بالنَّيْرب، وكَتَبَ له منشوراً بقرقيسيا والمجدل وضياعاً في الخابور، فلم يحصل له منها شيء، وتوجَّه الصالح أيوب إلى مصر، وتصدَّق في القُدْس بألفي دينار مِصْرية، وأمر بعمارة سور القُدْس، فَذُرِعَ، فكان ستة آلاف ذراع بالهاشمي، فقال: اصرفوا مغلّ القُدْس في عِمارته، وإنِ احتاجَ إلى شيء نفَّذتُ من مِصْر. [وكنت لما أطلقه الناصر من الحبس، وجاء إلى القدس أخذتُ يده على ذلك][١].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وفيها توفي

إبراهيم بن شيركوه[١]

الملك المنصور، صاحب حمص.

كان شجاعاً، مِقْداماً، موافقاً للصَّالح إسماعيل، ومصاهراً له، ثم أَلْفَتَهُ عنه الصَّالحُ أيوب، وقدم دمشق، فنزل ببستان سامة، و[حدثني جماعة من الدماشقة أنه][٢] عامل على دمشق، ولو عاش أياماً لأخذها، فمرض، وحُمِلَ إلى النَّيرب، فنزل ببستان الأشرف، فتوفي به يوم الأربعاء حادي عشر صفر، وحمل في تابوت إلى حِمْص، فكانت ولايتُه بعد وفاة [أبيه][٢] عشر سنين، وقام بعده ولده الأشرف موسى، وأقام بها سنتين وشهوراً، وأُخذت منه.

بركة خان الخُوارَزْمي[٣]

أحد الخانات الأربعة، كان أصلحهم في الميل إلى الخير والرِّفْق بالنَّاس، وكان الصَّالح أيوب قد صاهره، وأحسن إليه، وجرى منه عليه ما جرى، ولما قُتِلَ انحلَّ نظام الخوارزمية، [[٤]وأمنت البلاد والعباد.

وحكى لي شمس الدين لؤلؤ لما أخذوا دمشق في سنة ثمان وأربعين وست مئة، وكان يزورني، زارني يوماً، فحكى لي حديث بركة خان، قال:] لما التقينا على حِمْص رأيتُ الخُوارَزْمية خَلْقاً عظيماً، وكُنَّا بالنسبة إليهم كالشَّامة السَّوداء في الثور الأبيض، فقال لي غِلْماني: أيُّما أحبُّ إليك: نأخذ بركة خان أسيراً، أو نحمل رأسه إليك؟ [قال][٢] فقلتُ: رأسه. كأَنَّ الله أنطقني، والتقينا، فلما كان بعد ساعةٍ، وإذا بواحدٍ من

(١) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٢/ ٤٨١، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٧٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «نزهة الأنام» لابن دقماق: ص١٧١-١٧٢، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٣٥٦ـ٣٥٧.

(٤) في (ت): وقال شمس الدين لؤلؤ: لما التقينا، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

أصحابنا يحمل رأساً مليحَ الصُّورة، وليس في وجهه سوى شعيراتٍ يسيرة، ولم يعرفه ولا نحن، وانهزموا، وجيء بطائفةٍ منهم أسارى، فلما رأوا الرأس رموا نفوسهم من خيولهم، وحثوا التراب على رؤوسهم، وبكوا، فعلمنا حينئذٍ أنَّه رأسه، فبعثنا به إلى حلب.

[وفيها توفيت

زينب بنت أبي القاسم قاضي حماة

زوجتي، وأمها خطلخ خاتون بنت سودكين، وتعرف ببنت العكبري.

كانت صالحة، دينة، متفقهة، تعمل ألوان الطبايخ والحلاوات، وكان الملوك يرغبون في صنعتها، ويعجبهم طعامها، وحجت، وتصدقت، وكانت كريمة، ضيعت أموالاً عظيمة، وتوفيت بدمشق ونحن ببغداد، ودفنت بتربتي عند ولدها علي. سمعت الحديث من البهاء الحنبلي، وابن صَصْرى، وغيرهما، والله أعلم][(١)].

عماد الدين داود بن موسك[(٢)]

كان فخر الدين بن الشيخ قد شفع فيه إلى النَّاصر، فأخرجه من الحبس، وكان قد خرج في حَلْقِهِ خُراج عظيمٌ، فَبُطَّ بغير اختياره، وحُشي الدَّواء الهالك، فمات بالكرك، وحمل إلى مسجد جعفر [بن أبي طالب][(١)]، فدفن هناك، فرحمة الله عليه، لقد كان جمع بين الأصالة والجلالة، والفتوة والمروءة، والعصبية والنفس الطاهرة الزَّكية، فكم أعان ملهوفاً، وكم أغاث مكروباً، وكان النَّاصر قد اتَّهمه بالرَّواح إلى مِصْر، ووالله لقد برأك الله من الغدر والخيانة يا عماد الدين، [كما بُرِّئت عائشة أم المؤمنين][(١)]، وخَتَمَ الله أعماله بأَنْ مات فقيراً من فقراء المُسْلمين.

هيهات أَنْ يأتي الزَّمانُ بمِثْلِهِ إنَّ الزَّمانَ بمثله لبخيلُ

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ١٣/ ٤٩٧ـ٤٩٨، و«نزهة الأنام» لابن دقماق: ص١٧٢.

الركن الهيجاوي

مات بمِصْر في الحبس، وكان قد قفز إلى دمشق من غير عادة، وكان الصَّالح أيوب قد أحسن إليه، وقدَّمه على العساكر.

السنة الخامسة والأربعون وست مئة

فيها تسلم نواب الصَّالح أيوب قلعة الصُّبَيْبَة من نواب [الملك السَّعيد بن][1] العزيز، وأقطعه بمصر إقطاعاً، وأعطاه مئة ألف درهم، وخمس مئة قطعة قُماش، وخبزاً لمئة وخمسين فارساً.

ونازل فخر الدين بن الشيخ طبرية ففتحها عَنْوَة، وحاصر عَسْقلان، وقاتل عليها قتالاً عظيماً، وفتحها في جمادى الآخرة.

وتسلم نواب الصالح قلعة شميميش من ابن صاحب حمص، [فحصَّنها][2]، وبعث إليها الخزائن، ونزل عسكر حلب على حمص، وأخذها في السنة الآتية.

قال المصنف رحمه الله: وفيها فوض إليَّ الأمير عِزُّ الدين أيبك النَّظر في أوقافه ومدارسه وأبواب البر، [على كره مني وحياء منه][2].

وفيها قدم تاجُ الدِّين بن مهاجر من مِصْر إلى دمشق، ومعه المبارز نَسِيبُه، ومعهما تذكرة فيها أسامي جماعة من الدماشقة بأن يحملوا إلى مِصْر، فَحُملوا، وهم القاضي محيي الدين بن الزكي وابن الحَصِيري، وابن العماد الكاتب، وبنو صَصْرى الأربعة وشرف الدين بن المعتمد، وابن الخطيب العَقْرباني، والتَّاج [الإسكندراني][2] الملقب بالشُّحرور، وأبو الشَّامات [مملوك إسماعيل][2] والحكيمي مملوك إسماعيل، وغازي والي بُصْرى، وابن الهادي المحتسب، وأخرج العماد ابن خطيب بيت الآبار من جامع دمشق [إلى بيت الآبار][2]، وولَّى العماد [بن][2] الحرستاني [القاضي][2] الخطابة [بجامع دمشق][2] في رجب.

(١) ما بين حاصرتين من «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٨٢، وقد ذكر ذلك في حوادث سنة (٦٤٤هـ)، وذكر المقريزي هذا الخبر في «السلوك»: ج١/ ق٢/ ٣٢٩ في حوادث سنة (٦٤٥هـ) كما ذكره المصنف.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

وسَبَبُ حمل الجماعة المذكورين إلى مصر أَنَّه نُقِلَ إلى الصَّالح أيوب أنهم خواصُّ الصَّالح إسماعيل، فخاف أن يجري ما جرى في النَّوْبة الأولى من أَخْذِ دمشق، ولما وصلوا إلى مِصْر أقاموا بحسب اختيارهم، وخَلَعَ على بعضهم، ومات ابنُ الهادي، وعاد الباقون بعد وفاة أيوب إلى دمشق.

وفي ثالث عشر ذي القَعْدة اعتُقِلَ عِزُّ الدين أيبك في دار فَرُّخْشاه بتواطؤ من ابن مطروح وغيره، ووضعوا مترجَماً[١] جاءه من حلب من عند إسماعيل، فكتبوا إلى الصَّالح أيوب وأخبروه، فأمر أن يحمل إلى القاهرة تحت الحوطة، فأنزل دار صواب، فاعتقل فيها، وكان إبراهيم ابن جاريته المنتحل إليه قد مضى إلى الصالح أيوب، ووشى به.

قال المصنف رحمه الله: بلغني أَنَّه قال لأيوب: أموالُ أبي قد بَعَثَ بها إلى الحلبيين، وأول ما نزل بها من صرخد كانت ثمانين خرجاً، فأودعها عند فلان. عني.

وقال: وبلغ عز الدين اجتماعه بأيوب، فمرض، ووقع إلى الأرض، وقال: هذا آخر عهدي. ولم يتكلَّم بعدها حتى مات، ودفن بباب النَّصْر، فيا ليته عاش حتى رأى في أعدائه العِبَر، أما ابن مطروح فرأى الذُّلَّ والهوان، [ولعب به القدر][٢]، ولم يمت حتى ذهب بصره. وأما غيره، فانتثر لحمه عن عظامه، [وارتحل بآثامه][٢].

ولما سعى إبراهيم بعز الدين سعى بحاشيته، وقال: عندهم أمواله مثل البرهان [كاتبه][٢]، وابن المَوْصلي صاحب ديوانه، والبَدْر الخادم، ومسرور، وغيرهم، فأمر أيوب بحملهم إلى مِصْر، فأما البرهان فمن خوفه يوم أخرج ليتوجَّه إلى مِصْر مات بمسجد النارنج، والباقون حُملوا إلى مِصْر، ولم يظهر عليهم مما قيل دِرْهم، ورجعوا إلى دمشق بعد وفاة أيوب وقد لاقوا الشَّدائد، وختم للأمير عز الدين بالشَّهادة، [كما عاش في دنياه تحت تلك السعادة][٢]، وكنتُ قد عزمت على نَقْله إلى دمشق، ودَفْنه في تُرْبته، فأتاح الله بعضَ مماليكه فحمله في تابوتٍ، ودفناه في قُبَّته، [بين العلماء والفقهاء والمحدثين والقراء، وأعطاه الله في آخرته ما كان يتمناه في دنياه، وأناله أرفع

(١) في «عيون التواريخ»: ٢٠/ ١٢ كتاباً. قلت: وكأنه بمعناه.
(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

الدَّرجات، والأعمال بالنِّيَّات][(١)]، ولقد كان كثيرَ الصَّدقات، عظيم الصِّلات، اشتراه المعظَّم سنة سبع وست مئة [ونحن على الطور][(١)]، وفوَّض إليه أُستاذداريته، وظَهَرَ منه من العقل والسَّداد ما أوجب تقديمه على الأولاد، وأعطاه قلعة صَرْخد، وأقام بها يضاهي الملوك، [ولا فرق عنده بين الغني والصعلوك][(١)]، وقيل: إنه مات سنة سبع وأربعين [وست مئة، السنة التي مات فيها أيوب، رحمة الله عليهما][(١)].

شهاب الدِّين غازي[(٢)]

قد ذكرناه في عِدَّة أماكن، وكان شجاعاً شهماً [جَوَاداً][(١)] خُفَظَةً، لطيفاً، ينشد الأشعار، ويحكي الحكايات، وقد ذكرنا حَجَّه على العراق.

قال المصنف رحمه الله: اجتمعتُ به في الرُّها سنة اثنتي عشرة وست مئة، وأنا قاصِدٌ إلى خِلاط، فحضر مجلسي بجامع الرُّها، [وكان يوماً مشهوداً][(١)]، وأحسن إليَّ، وخدمني، ومما حكاه لسعد الدِّين مسعود بن تاج الدين شيخ الشيوخ، قال: قَطَعَ الكامل الفرات سنة اثنتين وثلاثين وست مئة بعسكرٍ لم يجتمع لصلاح الدين مثله، [قال][(١)]: فدخلتُ عليه يوماً، وعنده النَّاصر داود، فقال: تروح تخرب حصن منصور وتنهبه. فقلتُ له: يا خوند، ما يحل لي أن أقاتل المسلمين وأنهبهم، أنفذ غيري. فاغتاظ، وقال: والله إنَّ شُرْبَنا الخمر وفسقنا أجودُ من زُهْدك وذوكرتك، مثل ما رحت خلصت نهب الفرادى من أصحابنا وتمزهدت، ولو وقع لك ظُلْمٌ ظلمتَ، وهذا الآخر ـ عن الناصر ـ يوافقك في الخساف. قال: فقمتُ وخرجت، فلحقني الصَّلاح الإِرْبلي، وقال: قال لك السُّلْطان: لا تروح إلى حصن منصور، نحن نبعث غيرك. فقلتُ له: قُلْ له: والله ما أروح، ولو رسمت عليَّ، فلا حاجة إلى قولك.

قال سعد الدين: وأنشدني شهاب الدِّين: [من الطويل]

ومن عجبِ الأيَّامِ أنَّك جالِسٌ على الأرض في الدُّنيا وأنتَ تسيرُ
فَسَيْرُكَ يا هذا كَسَيْرِ سفينةٍ بقومٍ جلوسٍ والقِلاعُ تطير

(١) ما بين حاصرتين من (ش).
(٢) له ترجمة في «نزهة الأنام»: ١٧٩ـ١٨٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ١٣٣ـ١٣٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وأنشد لأُسامة ابن منقذ: [من الطويل]

ولما التقينا بَعْدَ بُعْدٍ تحدَّرت … دُموعي إلى أن كدتُ بالدَّمْعِ أغرقُ
فقلتُ لها يا عينُ هذا لقاؤنا … فقالتْ ألسنا بعده نتفرَّقُ

وكَتَبَ على تقويم: [من البسيط]

إذا أردت اختيارَ السَّعْدِ فيه فقلْ … على الذي في يديه السَّعْدُ اتَّكِلُ
سَلِّمْ إلى الله فيما أنتَ فاعِلُهُ … فما إلى النَّجْمِ لا قَوْلٌ ولا عَمَلُ

ورثاه سعد الدِّين مسعود، فقال: [من الوافر]

ألا روَّى الإله ترابَ قبرٍ … حَلَلْتَ به شهابَ الدِّين غازي
وأَسْكنكَ المليكُ جِنانَ عَدْنٍ … وكان لك المكافئ والمجازي
فَضَلْتَ النَّاسَ مكرمةً وجوداً … فما لك في البَرِيَّةِ مِنْ موازي
وكنتَ الفارسَ البطلَ المُفَدَّى … مبيدَ القِرْنِ في يوم البِرازِ
تُجَنْدِلُهُ بأبيضَ مَشْرَفيٍّ … وتطعَنُهُ بأسمرَ ذي اهتزازِ

السنة السادسة والأربعون وست مئة

فيها قايضَ الأشرف موسى صاحب حمص تل باشر بحمص مع الملك النَّاصر يوسف [بن الملك العزيز](١) صاحب حلب.

وخرج الصَّالح أيوب من مصر إلى دمشق، وجهَّز العساكر مع فخر الدين بن الشيخ إلى حمص، وسخَّر الفلاحين لحمل المجانيق إلى حمص، فكانوا يحملون عوداً قيمته عشرون درهماً إلى حمص، فيغرم عليه ألف درهم، فخرب الشَّام، وهرب أهله، ونصبوا المجانيق على حمص، وخرج عسكر حلب إلى لقائهم على حمص، وكان الشيخ نجم الدين الباذرائي بالشَّام، فدخل بين الفريقين، ورَدَّ الحلبيين إلى حلب والدِّمَشْقيين إلى دمشق، وعاد الصَّالح أيوب إلى مِصْر مريضاً في مِحَفَّة.

وفيها ولَّى جمالُ الدين بن يغمور فتحَ الدِّين بنَ العدل حِسْبة دمشق، وعَزَلَ النجم بنَ الشِّيرجي.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وتسمى هذه السنة(١) سنة الفقهاء، مات فيها أكثر الحنابلة، منهم التقي بن العِز، و[اسمه](٢) أحمد بن محمد بن عبد الغني الحافظ المقدسي(٣).

كان فقيهاً فاضلاً، مات شابًّا.

وشرف الدين عبد الله بن أبي عمر(٤)، خطيب الجبل، كان صالحاً، سليم الصدر، فقيهاً فاضلاً.

والضِّياء محمد بن عبد الواحد بن أحمد(٥)، أبو عبد الله الحَنْبلي، المَقْدِسي، أخو الشَّمْس البخاري.

كان فاضلاً، صالحاً، عابداً، زاهداً، عمر دار الحديث بالجبل عند الجامع، ووَقَفَ بها الكُتُب، وجمع وألَّف، وسمع الحديث الكثير، وكانت وفاته في جُمادى الأولى، ودُفِنَ بقاسيون.

والضياء محاسن(٦)

كان فاضلاً، فقيهاً، زاهداً، عابداً، [ورعاً](٢)، عارفاً بجميع المذاهب، يقرُّ بها ولا يتعصب على مذهب، وما زاحم أحداً في منصب ولا دُنْيا، ولا أكل من الأوقاف [شيئاً](٢)، وكان يتقوَّت من شكارةٍ تُزْرَعُ له(٧) في حوران، وما آذى مُسْلماً قط، ولا

---

(١) كذا قال: وهو وهم، لعله من المصنف أو المختصر، والصواب أنها سنة (٦٤٣هـ). فمن ذكرهم من بعد توفوا فيها.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٦٩، (وفيات سنة ٦٤٣هـ)، وهو الصحيح في تاريخ وفاته، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٧٤، وفيات سنة (٦٤٣هـ)، وهو الصحيح في تاريخ وفاته، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٥) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٧٤، وفيات سنة (٦٤٣هـ)، وهو الصحيح في تاريخ وفاته، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٦) له ترجمة في «ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٢٣٤، وقد ذكره أبو شامة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٧٤-٧٥، والذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ١٤٧ في وفيات سنة (٦٤٣هـ)، وهو الصحيح في تاريخ وفاته.

(٧) الشكارة أن تزرع في أرض غيرك، دون أن يتقاضى صاحب الأرض على ذلك أجراً، بل يكون منه حبًّا وتفضلاً. انظر «تكملة المعاجم العربية» لدوزي (الترجمة العربية): ٦/ ٣٣٩، و«معجم متن اللغة»: ٣/ ٣٥٥.

دخل حماماً ولا تنعَّم، وكان له ثوب وعِمامة لبسهما طول عمره، وكان على خيرٍ كثير قَلَّ أَنْ كان بالشام من يماثله في سيرته، أو يعادله في طريقته.

نور الدين رسول صاحب اليمن، قتله مماليكه.

الصَّلاح موسى بن الشِّهاب(١)

كان خَيِّراً، فاضلاً، يحبُّ الفقراء، ويخدم المشايخ، ويمشي في حوائج النَّاس، ويشتري الأسارى، وكان الصَّالح أيوب قد حبسه في مصر [فخلصته من يده بعد اللتيا والتي، وجعلت خلاصه من الصالح ضيافتي وفائدتي،](٢) وكان فطناً يقول الشعر، [وقد رثى العماد الحنبلي].

أبو بكر، الملقب بالعادل بن الكامل

[أخو الصَّالح نجم الدين أيوب، ذكر](٣)، سَعْد الدِّين مسعود [بن تاج الدين شيخ الشيوخ](٣) ابن حَمُّوية [قال](٣): وفي خامس شوَّال سنة ست وأربعين [وست مئة](٣) جهَّز الصَّالحُ أخاه أبا بكر العادل، ونفاه إلى الشَّوْبك، وبعث إليه الخادم محسن، فدخل عليه الحبس، وقال: السُّلْطان يقول لك: لا بُدَّ من رواحك إلى الشَّوبك. فقال: إنْ أردتم أن تقتلوني في الشَّوْبك، فها هنا أَوْلى، ولا أروح أبداً، فعذله محسن، فرماه بدواةٍ كانت عنده، فخرج، وعرَّف الصَّالح أيوب بقوله، فقال: دَبِّرْ أمره. فأخذ ثلاثة مماليك، ودخلوا عليه ليلة الاثنين ثاني عشر شوال، وخنقوه بشيش علمه، وعلقوه به، وأظهروا أَنَّه شنق نفسه، وأخرجوا جِنازته مثل بعض الغرباء، ولم يتجاسر أحدٌ أن يترحَّم عليه، أو يبكي حول نعشه، ودفن بتربة شمس الدولة.

قال المصنف رحمه الله: سبحان الله الحكَم العَدْل، الذي لا يحيف في قضائه، ولا يحكم عليه أحدٌ في أمرٍ لو قدَّره وقضى به، فإنه لم يطل مدَّة أيوب، لأَنَّه توفي في

---

(١) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ٧٦، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٢٣٥، و«المقصد الأرشد»: ٣/ ١٠، و«المنهج الأحمد»: ٤/ ٢٥١، وقد سلفت ترجمة أبيه في وفيات سنة (٦١٨ هـ).

(٢) في (ت): ثم خلص، وكان فطناً، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (ش).

نصف شعبان سنة سبعٍ وأربعين، وقُتِلَ أخوه في شوال سنة ست وأربعين، بينهما عشرة أشهر، رأى في نفسه [فيها][(1)] العِبَر، وما نفعه الاحتراز والحذر، بعد أن أذاقه الموتُ كؤوسَ حتوفه، قَتَلَ مماليكُه ولدَه تورانشاه بسيوفه.

السنة السابعة والأربعون وستّ مئة

فيها توجه الصَّالح أيوب من دمشق إلى مِصْر في المِحَفَّة مريضاً مُدْنفاً في رابع المحرَّم، ونادى في الناس: مَنْ كان له عندنا شيءٌ فليحضرْ، ويأخذ ما له. فطلع النَّاس إلى القلعة، وأخذوا ما كان لهم.

و[حدثني من شهد الواقعة قال][(1)]: بينا الصَّالح في مرج الصُّفَّر في المِحَفَّة استغاث إليه رجلٌ على المخلص المغيثي، وقال: اشترى مني غنماً، ولم يعطني شيئاً، فقال: نَكِّسْه من بغلته وخُذْها، فنكَّسه، وأخذ البغلة، فباعها بسبع مئة درهم، واستوفى ماله.

وفيها حُمِلَ عِزُّ الدين أيبك المُعَظَّمي إلى القاهرة تحت الحوطة، وقيل: في سنة ستٍّ وأربعين وست مئة.

وفيها احترقت المئذنة الشَّرْقية بجامع دمشق، وراح للفقراء والمشايخ فيها ودائع وصناديق وأموال كثيرة، وكتبوا إلى الصَّالح أيوب، فأمر بعمارتها.

وفيها توجه النَّاصر داود من الكَرَك إلى حلب.

وورد كتابُ الصَّالح أيوب إلى جمال الدِّين بن يَغْمور بخراب دارِ سامة، وقَطْعِ شجر بستان القَصْر بالقابون، وخراب القَصْر، فتوقَّف ابنُ يغمور، فجاءته كُتُبٌ عِدَّة، فأخرب الدَّار، والقَصْر، وقَطَعَ الشجر.

وفيها مضى الأمجد حسن بن النَّاصر من الكَرَك إلى مِصْر، وسلَّم الكَرَك إلى الصَّالح أيوب في جمادى الآخرة، وأعطاهم مالاً، وأخرج منه عيال المعظم وأولاده وبناته وأُمَّ النَّاصر، وجميعَ مَنْ كان فيه، وبعث إليه ألف ألف دينار، وجواهر، وذخائر، وأسلحة، وشيئاً كثيراً.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وفيها هَجَمَ الفرنجُ دمياطَ في ربيع الأول، وكان فيها فخر الدين بن الشيخ والعساكر، فخرجوا منها، وخَرَجَ أهلها، وكان الصَّالح على المنصورة، فشنق من أعيان أهلها ستين نفساً، فلما أمر بشنقهم، قالوا: ما ذنبنا؟ إذا كان عساكره وأمراؤه قد هربوا وأحرقوا الزردخاناه، فأيش نعمل نحن؟! وكان في الذين شُنِقُوا رجلٌ كتابي محتشم، وله ولد من أحسن النَّاس صورةً، فقال أبوه: بالله اشنقوني قَبْله. وبلغ الصَّالح، فقال: لا، اشنقوا الابن قبله. ففعلوا، وقامت على العسكر القيامة، ودعوا على أيوب، وأراد مماليكُه قَتْلَه، فقال لهم ابن الشيخ: اصبروا عليه، فهو على شفى، فإن مات فقد استرحتم منه، وإلا فهو بين أيديكم، وقُتِلَ نجمُ الدين ابن شيخ الإسلام.

[وقال الصالح أيوب لابن الشيخ والعسكر: أما قدرتم تقفوا ساعة بين يدي الإفرنج! ولا قتل من العسكر إلا هذا الضعيف. يعني ابن شيخ الإسلام. وكان قد قفز من الكرك إلى مصر، وأسرَّها الصالح في نفسه، ولو عاش لأهلك ابن الشيخ وغيره.

ولما أن هجمها الفرنج من باب، وخرج ابن الشيخ من باب، فظنوا أنها مكيدة، فتوقفوا، ثم تيقنوا عجز المسلمين، وخرج أهل دمياط حفاة عراة عطاشاً جياعاً، فقراء حيارى النساء والأطفال، وكان قد سَلِمَ لهم ما يعيشون فيه، فنهبهم في طريق القاهرة.

وفي ليلة النصف من شعبان مات الصالح أيوب بالمنصورة، وكانت أم خليل عنده، وهي المدبرة للأمور، فلم تغيِّر شيئاً من الدهليز بحاله، والسماط كل يوم يُمَدّ، والأمراء في الخدمة، وهي تقول: السلطان مريض ما يصل أحد إليه.

وبعثوا إلى الملك المعظم تورانشاه بن الصالح أيوب إلى حصن كيفا أقطايا مملوك الصالح أيوب، فخرج به من حصن كيفا، وسلك البرية، وخاطر بنفسه، وكاد يهلك من العطش، ووصل إلى دمشق في آخر رمضان، وخلع على الدماشقة، وأعطاهم الأموال، وأحسن إليهم، وما سئل شيئاً فقال: لا. وبلغني أنه كان في قلعة دمشق ثلاث مئة ألف دينار، فأخرجها، واستدعى من الكرك مالاً أنفقه.

وفي ذي القعدة كانت وقعة عظيمة على المنصورة، ووصل الفرنج إلى الدهليز، وخرج فخر الدين، فقاتل، فقتل، وانهزمت العساكر من بين أيديهم، ثم استحيا المسلمون، فعادوا على الفرنج، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة.

وسار المعظم تورانشاه إلى مصر بعد أن أقام بدمشق سبعة وعشرين يوماً، وقيل: دخلها في العشرين من رمضان، وخرج منها في سابع عشر شوال إلا أنه ما وصل إلى مصر إلا في آخر السنة، فكان في عزمه الفتك بابن الشيخ لأنه بلغه أنه يريد الملك، والناس كلهم يريدونه، فاستشهد واستراح، رحمة الله تعالى عليه][١].

وفيها توفي

الملك الصَّالح، نجم الدين أيوب بن الكامل محمد[٢]

ولد سنة ثلاثٍ وستٍّ مئة بالقاهرة، ونشأ بها، ولقبه نجم الدين، واستخلفه أبوه بها لما نزل إلى الشَّرْق، فأقام مع صواب لا أَمْرَ له ولا نهي، ثم أعطاه حِصْن كيفا، وجرى له ما ذكرناه.

ولما ملك مِصْر اجتهد في خلاص ولده المغيث، فلم يقدر، وكان مهيباً هيبةً عظيمة، جَبَّاراً، أباد الأشرفية وغيرهم، [[٣]وقد حكى لي جماعة من أمرائه قالوا]: والله ما نقعد على بابه إلا ونقول: مِنْ ها هنا نحمل إلى الجباب. وكان إذا حَبَسَ إنساناً نسيه، ولا يتجاسر أحدٌ أن يخاطبه فيه، [وبنى قباباً في تِنِّيس للحبس][١]، وكان يحلف أنه ما قَتَلَ نَفْساً بغير حقٍّ، وهذه مكابرةٌ ظاهرة، فإنَّ خواصَّ أصحابه حكوا أنه لا يمكن إحصاء من قتل من الأشرفية وغيرهم، ولو لم يكن إلا قتل أخيه العادل، وكانت أم خليل عتيقته تكتب خطًّا يشبه خَطَّه، فكانت تعلِّم على التَّواقيع، وكان قد نَسَرَ مخرجه، وامتدَّ إلى فخذه اليمنى ورِجْله، ونحل جسمه، وعملت له مِحَفَّة يركب فيها، وكان يتجلَّد، ولا يطلع أحداً على حاله، ثم حمل تابوته إلى الجزيرة، فعُلِّق بسلاسل حتى قُبِرَ في تُرْبته إلى جانب مدرسته بالقاهرة، وكان فخر الدين قد أشار بتحليف العساكر للمعظَّم تورانشاه، فحلفوا له، وأخفوا موتَ السُّلْطان مُدَّة، وكانت الأمور على حالها، وأطلق فخر الدين السُّكَّر والكتان إلى الشَّام، وقد ذكرنا واقعاته في السنين إلى أن توفي ليلة النِّصْف من شعبان.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٩٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته. و«سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ١٨٧ـ١٩٣.

(٣) في (ت): وقال جماعة من أمرائه، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

فخر الدين، يوسف بن شيخ الشيوخ(١)

كان عاقلاً، جَوَاداً، مُدَبِّراً، خليقاً بالمُلْك، محبوباً إلى النَّاس، ولما توفي الصَّالح نُدِبَ إلى الملك، فامتنع، ولو أجاب لما خالفوه.

وكان لما قدم دمشق [(٢)حَضَرَ إلى عندي، وسألني الجلوس، فجلستُ بجامع دمشق، وكان ساكناً] في دار سامة، فدخل عليه العماد بن النَّحَّاس، وقال له: يا فخرَ الدِّين، إلى كم! ما بقي بعد هذا اليوم شيء. فقال له: يا عماد الدين، والله لأسبقنَّك إلى الجَنَّة. فكان كما قال، استُشْهد فخر الدين في سنة سبعٍ وأربعين [وست مئة](٣)، وتوفي العماد في صفر سنة أربعٍ وخمسين، بينهما ثماني سنين.

وكان قد قام بأمر الملك أحسن قيامٍ، وأحسن إلى النَّاس، وبعث أقطايا وجماعةً إلى الحِصْن يحضرون تورانشاه، وحَسَدَ الجُند فخرَ الدين، وعزموا على قَتْله، ونهبوا داره، فاستدعى الأمراءَ والأكابر، وقال: أنا مالي طمعٌ في المُلْك، وإنما أحفظُ بيتَ أُستاذي حتى يجيء ولده، ويتسلَّم البلاد. فحلفوا، واعتذروا، وكان المتَّهم بذلك الخادم محسن وجماعة.

وجَهَّزَ جماعةً من مماليك الصَّالح إلى دمشق لما وصلها المُعَظَّم يستعجله في الحضور إلى مِصْر، فأوهمه بعضُ المماليك الواصلين إليه أَنَّ فخر الدِّين قد حلَّف العسكر لنفسه، ومتى وصلت قتلك. فتوقَّف، وأنفق أموال دمشق في العساكر ليستميل بها عسكر مِصْر، وحلَّف المماليك الذين بعثهم فخر الدين إليه على قَتْلِ فخر الدين.

واتَّفق مجيءُ الفرنج إلى عسكر المسلمين، وعبورهم الخنادق والبحر، واندفاع المسلمين من بين أيديهم، فركب فخر الدين وقت السَّحَر ليكشف الخبر، وكان اليوم العظيم، وأنفذ إلى الحلقة والأمراء ليركبوا، وساق جريدةً، ومعه بعضُ مماليكه وأجناده، فالتقى طُلْب الدَّاوية مصادفةً، فحملوا عليه، فهرب مَنْ كان معه، فطعنوه في

---

(١) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٩٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ١٠٠ ـ ١٠٢.

(٢) في (ت): وكان لما قدم دمشق سكن في...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (ش).

جَنْبه، فوقع عن الفرس، وضربوه في وجهه بالسَّيف عرضاً وطولاً ضربتين، فقتلوه، وجاء مماليكه إلى داره، فكسروا صناديقه، ونهبوا أكثر ما فيها، ونهبت أمواله وخيله، وأخذ الجولاني قدور حَمَّامه، والدِّمياطي أبواب داره، وما نفعه تربيته مماليكه وإحسانه إليهم، وكان قبل ذلك بأيام قد رأى والدته في المنام، وهي تقول: قد أوحشتني. وحَمَلَتْه على كتفها، فاستشعر، فقُتِلَ بعد ذلك بأيام، ثم حُمِلَ من المعركة بقميصٍ واحد، وجُعِلَ في حرَّاقة إلى القاهرة [(١)وخربت داره كلُّها كأنها لم تكن بالأمس، أخربها] الأمراء الذين كانوا كلَّ يوم يركبون إلى خِدْمته، ويقفون على بابه، وهم أكثرُ مِنْ سبعين أميراً بسناجقهم، [كانوا](٢) يتمنون أن ينظر إلى أحدٍ منهم نظرة، أخربوا داره بأيديهم، وحمل من المقياس إلى الشَّافعي، فدُفِنَ عند والدته، وكان يوماً مشهوداً، وحُمِلَ على الأصابع، وبكى عليه النَّاس، وعُمِلَ له العزاء العظيم، وكان له يوم مات ستٌّ وستون سنة.

ولما وصل تورانشاه إلى العسكر أخذ مماليكَ فخرِ الدين الصِّغار، وبعض قُماشه بنصف القيمة، ولم يعطهم دِرْهماً، ولا عوَّض الورثة بشيء، وكان الثمن خمسة وعشرين ألف دينار، وكان إذا جلس جعل حسنات فخر الدين سيئات، يقول: أطلق الكتان والسكر، وأنفق الأموال، وأطلق المحابيس، فأيش ترك لي أنا؟ فكان حِفْظُه الملك وسياسةُ العسكر، ومقاتلة الفرنج من أكبر ذنوبه.

[(٣)ولفخر الدين أشعار، منها]: [من الطويل]

عَصَيْتُ هوى نَفْسي صغيراً فعندما ... رمتني اللَّيالي بالمشيبِ وبالكبرِ
أطعتُ الهوى عكس القضيةِ ليتني ... خُلِقْتُ كبيراً وانتقلتُ إلى الصغر

وله أيضاً: [من البسيط]

إذا تحقَّقْتُمْ ما عند صاحبكُمْ ... من الغَرَامِ فذاكَ القَدْرُ يكفيهِ
أنتمْ سكنْتُمْ فؤادي وهو منزلكُمْ ... وصاحبُ البيتِ أدرى بالذي فيهِ

---

(١) في (ت): وأخرب داره الأمراء...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).
(٢) ما بين حاصرتين من (ش).
(٣) في (ت): ومن شعر فخر الدين، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

وله في مملوكٍ له توفي:

لا رغبة في الحياة من بعدك لي يا من ببعادك تدانى أجلي
إن مت ولم أمت أسىً واخجلتي من عَتْبك لي في يوم عرض العمل

وفيها توفي شهاب الدين قاضي دارا، [الذي كان][1] إلى ظلمه المنتهى.

السنة الثَّامنة والأربعون وست مئة

فيها في أَوَّل ليلة منها كان المصافُّ بين الفرنج والمسلمين على المنصورة، بعد وصول المعظم تورانشاه إلى المخيَّم مسك الإفرنسيس، وَقَتَل من الفرنج مئة ألف، ووصل كتاب المعظم إلى جمال الدين بن يغمور يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٥] ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

نبشِّر المجلس السَّامي الجمالي، بل نبشِّر الإسلام كافَّة بما مَنَّ الله به على المُسْلمين من الظَّفر بعدوِّ الدِّين، فإنَّه كان قد استفحل أمره، واستحكم شَرُّه، ويئس العبادُ من البلاد والأهل والأولاد، فنودوا ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ الآية [يوسف: ٨٧] ولما كان يوم الأربعاء مستهلّ السنة المباركة تَمَّم الله على الإسلام بركتها، فتحنا الخزائن، وبذلنا الأموال، وفرَّقنا السِّلاح، وجمعنا العُرْبان والمطاوعة، واجتمع خَلْق [عظيم][1]، لا يحصيهم إلا الله تعالى، وجاؤوا من كل فجٍّ عميق، ومن كلِّ مكانٍ بعيد سحيق، ولما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصُّلْح على ما وقع الاتِّفاق بينهم وبين الملك الكامل، فأَبَيْنا، ولما كان في الليل تركوا خيامهم وأثقالهم وأموالهم، وقصدوا دِمياط هاربين، فسِرْنا في آثارهم طالبين، وما زال السيف يعمل فيهم عامَّة الليل، وقد حلَّ بهم الخِزْي والوَيْل، فلما أصبحنا نهار الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفاً غير من ألقى نفسه في اللُّجج، وأما الأسرى فحدِّث عن البحر ولا حَرَج،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

والتجأ الإفرنسيس إلى المُنْية، وطلب الأمان، فأمَّناه، وأخذناه وأكرمناه، وتسلَّمنا دمياط بعون الله وقوَّته، وجلاله وعظمته. وذكر كلاماً طويلاً.

وفي ثامن وعشرين محرَّم قُتِلَ المعظَّم تورانشاه.

وفيها وصل [ابن][١] العزيز صاحب بانياس منهزماً من مِصْر، نفاه تورانشاه، فلما دخل دمشق أُطلع إلى عزَّتا، فاعتقل فيها.

[وفي مستهل ربيع الآخر وصل الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز صاحب حلب إلى قارا يريد دمشق، فأرسل جمال الدين بن يغمور والقيمرية إلى عزَّتا، فأنزلوا ابن الملك العزيز إلى دمشق، وأسكنوه دار فرخشاه، وجاء عسكر حلب، فنزل القصير، وانتقلوا إلى داريا يوم السبت سابع ربيع الآخر، وزحفوا يوم الأحد ثامن ربيع الآخر إلى باب الصغير، وكان مسلماً إلى ناصر الدين القصري، وكان المجاهد إبراهيم في القلعة، فلما وصلوا إلى البابين كسرت الأقفال من الداخل، وفتحت الأبواب، فدخلوا، ونهبوا دار جمال الدين بن يغمور، وسيف الدين بن المشد، وعسكر مصر ودمشق، وأُخذت خيولهم من إصطبلاتهم، وأموالهم وأثاثهم من دورهم، ودخل ابن يغمور القلعة، ثم نودي بالأمان، وانقضت أيام الصالح أيوب بدمشق، وكانت مملكته الأخيرة لها خمس سنين إلا أياماً، ثم دخل الملك الناصر القلعة، وطيب قلوب الناس، ولم يغير على أحد شيئاً.

وكان الملك الناصر داود نازلاً بالعقيبة، فجاءه ابن الملك العزيز فبات عنده تلك الليلة، وهرب ابن العزيز إلى الصُّبَيْبة، وكان بها خادم من خدامه قد كاتبه، فوصلها، ففتح له، فدخلها.

وتسلم الملك الناصر بعلبك من الحميدي، وبُصْرى وصرخد، وغيرهما][١].

وفي ليلة الأحد ثاني شعبان كان النَّاصر داود في قصر القابون، والملك النَّاصر يوسف نازلاً في المِزَّة مريضاً، فبعث ناصرَ الدِّين القيمريّ ونظام الدِّين إلى داود، فأحضراه إلى المِزَّة، وضربوا له خيمةً، واعتقلوه فيها، واختلفوا في سبب اعتقاله على

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

أقوال: أحدها: أنَّه طلب دستوراً إلى بغداد، فأعطوه أربعين ألف دِرْهم، فأنفقها في الجُنْد، وعَزَمَ على قَصْدِ مصر، والثَّاني: أنَّ الصَّالح إسماعيل جاءه كتاب من مِصْر، فأوقف شمسَ الدِّين لؤلؤ عليه، وأخبر حامله أنَّه أوصل إلى النَّاصر داود كُتُباً، فسألوه فأنكر، والثَّالث: أنَّ الصَّالح أشار عليهم بقَبْضه وقال: أنتم ما تعرفوه، نحن نعرفه، وأنتم على قَصْدِ مصر، وما هو مصلحة يبقى خلفنا، ولا يكون معنا. فقبضوه، وأقام في المِزَّة معتقلاً أياماً، ثم بعثوا به إلى قلعة حمص، فاعتقل بها، وأسكن أهله ووالدته وأولاده في خانكاه الصُّوفية التي بناها شِبْلُ الدولة الحُسامي عند ثورا.

وفيها سار الملك النَّاصر يوسف بالعساكر إلى المِزَّة يريد الدِّيار المِصْرية بإشارة شمس الدين لؤلؤ، فإنَّه لجَّ لجاجاً كان سبباً لحضور منيته، وكان يستهزئ بالعساكر المِصْرية، ويقول: آخذها بمئتي قِناع[(١)]. وكانت تأتيه كتب مِنْ مصر فيظنّها من الأعيان، وكانت من الرَّعاع، فدخلوا الرَّمْل، وقربوا من البلاد، وتقدَّم عسكر الشَّام، ومعهم جمالُ الدِّين بن يغمور، وسيف الدين بن المشد، وجماعة، وانفرد الشمس لؤلؤ وضياء الدين القيمري والتقوا، فانهزم المصريون، ونهبت أثقالهم، ووصلت طائفة من البحرية إلى الصَّعيد، وكانوا قد أساؤوا إلى المِصْريين، فنهبوهم، وارتكبوا كلَّ قبيح، وخُطِبَ في ذلك النهار في القاهرة والقلعة ومصر للملك النَّاصر، وفي جميع البلاد، وبات جمال الدين بن يغمور بالعباسة، وأحمى الحمام للملك النَّاصر، وهيأ له الإقامة. هذا والملك النَّاصر على ظاب كراع ما عنده خبر، وهو واقفٌ بسناجقه وخزائنه وأصحابه، ولما وقعت الهزيمة على المِصْريين ساق عِزّ الدين أيبك التركماني وأقطايا في ثلاث مئة فارس طالبين الشَّام هاربين، فعثروا في طريقهم بالشمس لؤلؤ والضياء القيمري، فساق شمس الدين [لؤلؤ][(٢)] عليهم، فحملوا عليه، فأسروه، وقتلوا ضياء الدِّين القيمري، وجيء بشمس الدين لؤلؤ إلى بين يدي عز الدين، [فبلغني أن][(٣)] حسام الدين بنَ أبي علي [قال:][(٢)] لا تقتله لنأخذ به الشَّام، فقال أقطايا: هذا الذي

---

(١) القناع كان يلبسه المخانيث، وبذلك سيفسر ص٤١٥ ، من هذا الجزء.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في (ت): فقال...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

يأخذ مصر بمئتي قِناع؛ جَعَلَنا مخانيث. فضربوا عُنُقَه، واعترضوا طُلْب السُّلْطان، فخامر بعضُ العزيزية مماليكُ أبيه عليه، وجاء منهم جماعةٌ إلى عز الدين وأقطايا، وقالوا: إلى أين، هذا السلطان واقف؟ فعطفوا على الطُّلْب، وكسرتِ العزيزيةُ سناجقَ السُّلْطان، وكسروا صناديقه، ونهبوا ماله، ورموه بالنُّشَّاب، فأخذه نوفل البدوي وجماعةٌ من مماليكه وأصحابه، وساروا به إلى الشَّام، وعطف المِصْريون على المعظَّم ابنِ صلاح الدين، فأسروه بعد أن جرحوه، وجرحوا ولده تاج الملوك، وأخذوا أخاه النّصرة، والأشرف ابن صاحب حمص، والزَّاهر عمه، والصَّالح إسماعيل، وأعيان الحلبيين، ومات تاجُ الملوك بن المعظم من جراحةٍ كانت به، فحمل إلى القُدْس ميتاً، وجُرِحَ حسام الدين القَيْمري، فحمل إلى القُدْس، فمات به، وضُرب الشَّريف المرتضى في وَجْهه بالسَّيْف ضربةً هائلة عَرْضاً، وأرادوا قَتْلَه، فقال: أنا رجلٌ شريف، ابنُ عَمِّ رسولِ الله ﷺ، فتركوه، فقال الشريف: بقيتُ في الرمل يوماً وليلة ملقى رأسي ناحيةً، ووجهي ناحية، والدِّماء تفيض، ولولا أَنَّ الله مَنَّ عليَّ بالملك الصَّالح ابن صاحب حمص هلكت، حملني، وخيَّط وجهي بمسال، وعاينت الموت مراراً، وتمزَّق النَّاس كلَّ ممزَّق، ومشوا في الرِّمال أياماً.

وأما المِصْريون فإنهم دخلوا إلى القاهرة بالأسارى، والسناجق المقلبة، والطبول المشقَّقة، والخيول والأموال والعُدَد، ولما وصلوا إلى تُرْبة نجم الدِّين أيوب أخذوا بالصَّالح إسماعيل، وصاحوا: يا خوند، أين عينك ترى عدوك؟ ورموا الأسارى في الجباب، وجمعوا بين الصَّالح وبين أولاده أياماً، ثم غَيَّبوه وإلى هَلُمَّ جرا، ولم يصحَّ عنه خبر إلا ما تتحدَّث العوام بتلافه.

وأما المماليك، فمالوا على المِصْريين قَتْلاً ونَهْباً، ونهبوا أموالهم، وسَبَوْا حريمهم، وفعلوا بهم ما لا يفعل الفرنج بالمُسْلمين.

وكان وزير الصَّالح إسماعيل معتقلاً في جُبٍّ بالقلعة هو وناصر الدِّين يغمور وسيف الدين القيمري والخُوَارزْمي صهر الملك يوسف، فخرجوا من الجُبّ، وعصوا في القلعة، ولم يوافقهم سيف الدين القيمري، بل جاء فقعد على باب الدَّار التي فيها عيال التركماني، وحماها، فلم يدع أحداً يقربها، وأما الباقون فصاحوا: الملك النَّاصر يا

منصور. وجاء التُّرْك، ففتحوا باب القلعة، ودخلوا، فشنقوا وزير الصَّالح، وابن يغمور والخُوارَزْمي متقابلين، وشنقوا المجير بن حمدان، وكان شاباً حسناً، قالوا: تعدَّى على بعض المماليك، ونهب خيله.

ووصل الملك النَّاصر إلى غَزَّة، وأقام ينتظر أصحابه، فوصل إليه منهم مَنْ سَلِمَ من عسكر الشام، وابن صاحب المَوْصل.

وفيها توفيت

أرغوان الحافظية، عتيقة العادل(١)

وإنما سميت الحافظية، لأنها رَبَّتِ الحافظ صاحب قلعة جَعْبر، وكانت امرأةً عاقلة، مدبِّرةً، صالحة، وكانت مُدَّة حبس المغيث بن الصَّالح أيوب في قلعة دمشق تهيئ له الأطعمة والأشربة، وتبعث له الثِّياب، فحقَدَ عليها الصَّالح إسماعيل، فصادرها، وأخذ منها أموالاً عظيمة، وكانت الحافظية قد عمرت زمناً طويلاً، وكان بنو أيوب يحترمونها، ووقفت دارها بدمشق على خُدَّامها، وبنت بالجبل تُرْبة تحت ثورا على طريق عين الكرش، كانت بُسْتاناً للنجيب غلام التَّاج الكندي، فاشترته، وبنت فيه تُرْبة ومسجداً، ووقفت عليهما وقفاً.

تورانشاه بن الصَّالح أيوب، ويلقب بالمعظَّم(٢)

قد ذكرنا مجيئه إلى الشَّام، وذهابَه إلى مِصْر، واتَّفق كسرةُ الفرنج عند قدومه، فتيمَّن الناس بطَلْعته، [واستبشروا بمشاهدته](٣)، غير أَنَّه بَدَتْ منه أسباب نَفَّرت القلوبَ عنه، فاتَّفقوا على قَتْله، وكان فيه نوع خِفَّة، فكان يجلس على السِّماط، فإذا سَمِعَ فقيهاً يذكر مسألةً وهو بعيدٌ عنه يصيح هو: لا نُسَلِّم، واحتجب عن النَّاس أكثر من أبيه، وكان إذا سَكِرَ يجمع الشموعَ، ويضرب رؤوسها بالسَّيْف فيقطعها، ويقول: كذا أفعل بالبحرية.

(١) لها ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٨/ ٣٥١، و«عيون التواريخ»: ٢٠/٤٦، و«نزهة الأنام» لابن دقماق: ٢٠٢، و«النجوم الزاهرة»: ٧/ ٢١، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٢٤٠-٢٤١.

(٢) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٩٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (ش).

ويسمِّي مماليك أبيه بأسمائهم، وأهانهم، وقدَّم الأراذل وأبعد الأماثل، ووعد أقطايا أنه يؤمِّره، ولم يفِ له، فاستوحش منه. وكانت أُمُّ خليل لما وصل إلى القُدْس مضت إلى القاهرة، فبعث يهدِّدها، ويطلب المال والجواهر، فخافت منه، وكاتبتْ فيه.

ذِكْرُ مَقْتله:

لما كان يوم الاثنين سابع عشرين محرَّم جلس على السِّماط، فضربه بعض المماليك البحرية بالسَّيْف، فتلقَّاه بيده، فقطع بعض أصابعه، وقام، فدخل البُرْج وصاح: مَنْ جرحني؟ قالوا: الحشيشية. قال: لا والله، إلا البحرية، والله لا أبقيت منهم بقيَّة. واستدعى المزيِّن، فخيَّط يده، وهو يتوعَّدهم، فقال بعضُهم لبعض: تمموه وإلا أبادكم. فدخلوا عليه، فانهزم إلى أعلى البُرْج، فأوقدوا النِّيران حول البرج، ورموه بالنُّشَّاب، فرمى بنفسه، وهرب نحو البحر، وهو يقول: ما أريد ملك! دعوني أرجع بنفسي إلى الحِصْن، يا مسلمين، ما فيكم مَنْ يصطنعني ويجيرني؟ والعساكر واقفة فما أجابه أحدٌ، والنُّشَّاب يأخذه، وكذا لما صَعِدَ إلى البرج رموه بالنُّشَّاب، فتعلَّق بذيل أقطايا، فما أجاره، فقطَّعوه قِطَعاً، وبقي على جانب البحر ثلاثة أيام منتفخاً ما يتجاسر أحدٌ أن يدفنه حتى شَفَعَ فيه رسولُ الخليفة، فحُمِلَ إلى ذاك الجانب، فدفن. ولما قتلوه دخلوا على الإفرنسيس الخيمة بالسُّيوف، فقالوا: نريد المال، فقال: نَعَمْ. وأطلقوه، وسار إلى عكا على ما اتَّفقوا عليه معه. وكان الذي باشر قَتْلَه أربعة، [قال سعد بن مسعود بن تاج الدين شيخ الشيوخ: حكى لي رجل صادق أنَّ][(١)] أباه الصَّالح أيوب قال لمحسن الخادم: اذهب إلى أخي العادل إلى الحبس، وخُذْ معك من المماليك من يخنقه، فعرض محسن ذلك على جميع المماليك، فامتنعوا إلا هؤلاء الأربعة، فإنَّهم مضوا معه، وخنقوه، فسلَّطهم الله على ولده، فقتلوه أقبح قِتْلة، ومَثَّلوا به أعظم مُثْلة لما فعل بأخيه.

[وحكى لي الأمير][(١)] حسام الدين بن أبي علي [قال][(١)]: كان تورانشاه متخلِّفاً، لا يصلح للملك، كُنَّا نقول للصَّالح نجم الدين: ما تنفذ تحضره إلى ها هنا. فيقول: دعونا من هذا. فلحَّينا عليه يوماً، فقال: أجيبه إلى ها هنا أقتله!

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

[وحكى][1] عماد الدين بن دِرْباس [قال][1]: رأى بعضُ أصحابنا الصَّالح أيوب في المنام وهو يقول: [من مجزوء الرمل]

قـتـلـوه شَـرَّ قِـتْـلَـةْ ... صـار لـلـعـالـم مُـثْـلَـةْ

لـم يـراعـوا فـيـه إلَّا ... لا ولا مـن كـان قَـبْـلَـهْ

سـتـراهُـمْ عـن قـلـيـلٍ ... لأقـل الـنَّـاس أُكْـلَـةْ

وكانوا قد جمعوا في قَتْله ثلاثة أشياء: السيف والنار والماء، وخُطِبَ لأُمِّ خليل على المنابر بالقاهرة ومِصْر.

شمس الدين لؤلؤ بن عبد الله، مقدَّم عسكر حلب[2]

كان أميراً حسناً، صالحاً عابداً، زاهداً، مدبراً، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، [وقد كان يحكي واقعات جرت له، منها قوله عن بركة خان: أريد رأسه، فكان كما قال.

وحكى لي أنه][1] لما كان على حمص جاء، ومعه جماعةٌ من أصحابه إلى البحيرة، ومعهم مقلى وزيت يصيدوا سمكاً، فرموا الشبكة، فلم يصعد فيها شيء، قال: وكنتُ واقفاً على ظهر فرسي، فقلتُ: نرجع بغير شيء! وإذا بسمكةٍ كبيرة قد خرجت من الماء، وجاءت فوقعت بين يدي فرسي.

[وبلغني أنه قال: أنا سجدت سجدة في حلب أخذت دمشق، وأسجد أخرى في دمشق آخذ مصر. ومن هذا الجنس شيئاً كثيراً، وما كان يدعي ذلك كرامات، وإنما كان يخبر عن نفسه، وما به بأس أبداً، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] إلا أنه][1] قتل ـ رحمه الله ـ قتلة شنيعة، وبقي مدة لا يوارى، وكان قد لجَّ في الدُّخول إلى مِصْر [لجاجاً لا يداري، فغفر الله تعالى ذنبه، فإنه لم يزل غفاراً][1].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٢٤/ ٤٠٧، و«النجوم الزاهرة»: ٧/ ٢١.

أبو الحسن المتطبِّب [السَّامري][(١)][(٢)]

وزير الصَّالح إسماعيل.

وهو الذي كان سبباً لزوال دولته، وإخماد جمرته، وقد ذكرنا أخباره متفرِّقة في السنين، فسبحان مَنْ أراح منه المسلمين، وما كان مسلماً، ولا سامرياً، بل كان يتستَّر بالإسلام، ويبالغ في هَدْم شريعة المصطفى عليه الصلاة والسلام. قال له الشيخ إسماعيل الكوراني - رحمه الله - يوماً وقد زاره: لو بقيت على دينك كان أصلح [لك][(١)] لأنك تتمسك بدين في الجُمْلة، وأما الآن فأنت مذبذب، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. [وقد ذكره محمد بن سَعْد في قصيدته التي ذكرناها في سنة خمسين وست مئة][(١)]، وقد ذكرنا أنَّه شُنِقَ، وعَجَّل الله بروحه إلى أسفل الدَّركات، وما كان شَنْقُه علواً في الحياة، بل خفضاً ولعنة في الممات، ولقد ظَهَرَ له من الأموال واليواقيت والجواهر والتحف والذخائر ما لا يوجد في خزائن الخلفاء ولا السَّلاطين، وأقاموا ينقلونه مدة سنين، [فبلغني أن][(١)] قيمة ما ظهر ثلاثة آلاف ألف دينار غير الودائع التي كانت له عند أصدقائه والتجار، ووجدوا له عشرة آلاف مجلَّد من الكُتُب النَّفيسة والخطوط المنسوبة، فتمزَّق الجميع في زمنٍ يسير، وأذهبه الله في نهابير[(٣)].

السنة التاسعة والأربعون وست مئة

فيها عاد الملك النَّاصر [صلاح الدين][(١)] من غَزَّة إلى دمشق، وجاء عسكر مِصْر، فنزل غَزَّة والسَّاحل ونابُلُس، وحكموا على البلاد إلى الشَّريعة[(٤)]، وجَهَّز الملك النَّاصر عسكره، وجاءته النَّجدة، وساروا إلى غَزَّة، وعاد التُّرْك إلى مِصْر، وأقام العسكر على غزة مدة سنتين وشهور، وتردَّدت الرَّسائل بينهم، وخرجت السنة والتي بعدها على هذا.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «عيون الأنباء»: ٧٢٣-٧٢٨، و«عيون التواريخ»: ٢٠/ ٤٧، و«نزهة الأنام»: ٢٠١، و«النجوم الزاهرة»: ٧/ ٢١-٢٢.

(٣) النهابير: المهالك.

(٤) الشريعة: نهر الأردن.

وفيها أخذ ابنُ العادل الكرك والشَّوبك، أعطاه إياها الخادم، وخرج أقطايا من القاهرة في ألف فارس، فنزل غَزَّة.

وفيها نقلوا تابوت الصَّالح إلى تُرْبته بالقاهرة، ولبس الأمراء ثياب العزاء، وناحوا عليه بين القَصْرين، وحزنوا وبكوا، وتصدَّقت أُمُّ خليل بمالٍ عظيم.

وفيها أخرب التُّرْك دِمياط، وحملوا آلاتها إلى مِصْر، وأخربوا الجزيرة، وقيل: أخلوها، وعَزَلوا العماد بن القُطب الحموي عن قضاء مصر، وأضافوها إلى القاضي بدر الدِّين.

[وفيها تزوّج الملك المعز أيبك التركماني الصالحي بأم خليل، وتسمى شجرة الدر بحضور القاضي بدر الدين والعدول.

وفيها توفي شهاب الدين بن فرج بدمشق، وخلف مالاً عظيماً، وأمر منه بصدقة، واسمه سليمان.][1]

وفيها توفي

الفقيه بهاء الدِّين علي بن هبة الله بن سلامة، ابن الجُمَّيْزِي[2]

وكان إماماً، فاضلاً، عارفاً بمذهب الشَّافعي، دَيِّناً، وكان يخالط الملوك، فاتَّفق أَنَّه حَجَّ في آخر عمره، فأهدى له صاحب اليمن بمكة هدية، فقَبِلَها، فأعرض عنه الصَّالح أيوب، ولم يرض عنه، وكان قد [[3] أخذ الفقه عن محمد الطوسي وعن محمد بن يحيى]، وسمع الحديث الكثير، ورواه، وترسَّل من الكامل إلى الأشرف وبغداد، وكان قد سافر في عنفوان شبابه إلى العراق، وسمع شُهْدة وأقرانها، والحافظ السِّلَفي بمِصْر، وكان خطيب القاهرة، وكان دَمِثَ الأخلاق، كريم النَّفس، قلَّ أن يدخل عليه أحد إلا ويطعمه، [وكنت اجتمع به بين القاهرة ومصر، ويقف معي، ويباسطني، ويدعو لي ويشكرني، وعمر لأنَّ][1] مولده سنة تسعٍ وخمسين [وخمس مئة][1]، وهو سِبْط ابن الجُمَّيْزي.

وحكى [لي][1] عن محمد بن السَّمَّاك الواعظ، قال: رأى الحق سبحانه في منامه، فقال له: يا مشعث، إلى متى تدعو النَّاس إلى بابي ولا تحضر بنفسك؟ وعِزَّتي، لولا

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ٢٥٣-٢٥٤، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ١٠٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ت): وكان قد تفقّه، وسمع الحديث...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

أَنَّه حضر مجلسك بعضُ الأولياء، فسألني فيك فشفَّعته لعذَّبتك. قال: فعاش أياماً، ومات.

وكانت وفاة بهاء الدِّين ليلة الخميس رابع وعشرين ذي الحِجَّة، ودُفِنَ يوم الخميس بالقرافة، [وحملت جنازته على الأصابع، ودفن][(١)] قريباً من روزبهان.

السنة الخمسون وست مئة

فيها وصل التَّتر إلى الجزيرة، ونهبوا ديار بكر ومَيَّافارِقين، وجاؤوا إلى رأس عين وسَرُوج وغيرها، وقتلوا زيادةً على عشرة آلاف، وصادفوا قافلةً خرجت من حَرَّان تقصد بغداد بين رأس عين وحَرَّان، فأخذوا منها أموالاً عظيمة، منها ستّ مئة حِمْل سُكَّر ومعمول مصر، وست مئة ألف دينار، وقتلوا الشُّيوخ والعجائز، وساقوا من النِّساء والصبيان ما أرادوا، ورجعوا إلى خِلاط، وقَطَعَ أهلُ الشرق الفرات، وخاض الناس في القتلى من دُنَيْسر إلى الفرات، [وحكى لي][(١)] بعضُ التجار [قال][(١)]: عددت على جسرٍ بين حَرَّان ورأس عين في مكانٍ واحد ثلاث مئة وثمانين قتيلاً.

وحجَّ النَّاس من بغداد بعد عشر سنين بَطَلَ الحجُّ فيها؛ منذ مات المستنصر وإلى هذه السنة.

وفيها توفي

شمس الدين محمد بن سَعْد، الكاتب المقدسي[(٢)]

نشأ بقاسيون على الخير والصَّلاح، وقرأ القرآن والنحو والعربية، وسمع الحديث الكثير، وكان مكيناً دَيِّناً، وبَرَعَ في علم الأدب، وحُسْن الخَطِّ، وكتب للصَّالح إسماعيل والنَّاصر داود، وكان دَيِّناً، فاضلاً شاعراً، [[(٣)]وأنشدني قصيدة، وكتبها لي بخطه لما تفاقم ظلم السامري ونوابه، وكتب بها إلى الصالح إسماعيل، ولو كتبت بماء الذهب على الأحداق لكان ذلك أقل من القليل، وهي هذه الأبيات]: [من البسيط]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٣/ ٩١-٩٢، و«عيون التواريخ»: ٢/ ٦٧، و«فوات الوفيات»: ٣/ ٣٥٨، و«نزهة الأنام»: ٢١٤ـ٢١٥، و«النجوم الزاهرة»: ٧/ ٢٦ـ٢٧، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٢٥٣.

(٣) في (ت): ومن شعره وكتب بها إلى الصالح إسماعيل، وما بين حاصرتين من (ش).

يا مالكاً لم أجدْ لي من نصيحته بُدًّا وفيها دمي أخشاه منسفكا
اسمعْ نصيحة مَنْ أَوْلَيْتَه نِعَماً يخافُ كُفْرانَها إن كُفَّ أو تُركا
والله ما امتدَّ مُلْكٌ مَدَّ مالِكُهُ على رعيَّته مِنْ ظُلْمِهِ شَبَكا
ترى الحسودَ به مُسْتبشراً فَرِحاً مستغرباً من بوادي أمره ضحكا
وزيره ابن غزال والرَّفيع به قاضي القضاة ووالي حربه ابن بكا
وثعلبٌ وفُضيل مَنْ هما وهما أهل المشورة فيها ضاق أو ضَنُكا
جماعة بهم الآفاتُ قد نُشِرَتْ والشَّرْعُ قد ماتَ والإسلامُ قد هلكا
ما راقبوا الله في سرٍّ وفي عَلَنٍ وإنما يرقبون النَّجْمَ والفلكا
وإنما قلد الملك الخصيص به من همه عزله عنه ومن فركا
ومن عداوته أصلية وله من البطانة فيما يبتغي شُركا
والآن قد حكموا واستوثقوا حلفاً وصيَّروك لهم في صيدهم شَركا
إن كان خيراً ورزقاً واسعاً فلهم أو كان شراً وأمراً سيئاً فلكا
وقد نصحتُ فَقُمْ واقبل نصيحة مَنْ ما مَان في قوله خُرْقاً ولا أَفَكا
واستدرك الأمر واستر ما جنوه بهم تلقَ الرَّشادَ وإن أصررت منهمكا
فعن قريبٍ ترى آثار فعلهمُ فيهمْ وفيك إذا ما سِتْرهم هُتكا

[قلت: يرحم الله قائلها، فقد كان ينظر من ستر رفيع، وهذا من جملة التوفيق، وأما ابن غزال فهو السامري، و][1] ثعلب وفضيل منجمان كانا قد استوليا على الصَّالح إسماعيل [، وحسَّنا له كل فعل قبيح شنيع رذيل، فما نفعتهم النجوم، وأبادهم الحيُّ القيوم، وكانت وفاته][1] في صفر، ودفن بقاسيون قريباً من الشيخ أبي عمر.

جمال الدِّين بن مطروح[2]

كان فاضلاً، كَيِّساً، شاعراً، ومن شعره لما فتح النَّاصر داود بُرْج داود بالقُدْس وأخربه، وأخرج الفرنج منه: [من السريع]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٦/ ٢٥٨ـ٢٦٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ٢٧٣ـ٢٧٤، وعندهما وفاته سنة (٦٤٩هـ)، وهو الصحيح في وفاته، لأن ابن خلكان شهد جنازته، انظر تتمة مصادر ترجمته في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ١٠١ .

الـمـسـجـدُ الأقـصـى لـه عـادةٌ سـارتْ فـصـارتْ مَـثَـلاً سـائـرا
إذا غـدا لـلـكُـفْـر مـسـتـوطَـنـاً أن يـبـعـث الـلـه لـه نـاصـرا
فـنـاصـرٌ طـهَّـره أوَّلاً ونـاصـر طـهَّـره آخـرا

[ومن شعر أيضاً رضي الله عنه:

لا عـاش الـغـزال ولا بـقـي

وهو شعر ركيك](١).

وتوفي في شعبان بمصر، ودُفِنَ بسارية في القرافة، وكانت له جِنازةٌ عظيمة، وكان قد دَخَلَ بين الخوارزمية والصَّالح أيوب، واستنابه أيوب بالشَّام، ولبس ثياب الجُنْد، وما كانت تليق به، وغَضِبَ عليه، ودحضه، وأعرض عنه إلى أن مات.

ولما وصل تورانشاه [إلى ديار مصر](١) أعرض عنه بالكُلِّية، فأقام خاملاً إلى أن مات، فرحمه الله، لقد كان جَوَاداً، ذا مروءة، متعصِّباً، سَمْحاً حليماً، حسنَ النظر بالفقراء، عارفاً بفَضْل العلماء.

السنة الحادية والخمسون وست مئة

فيها دخل نجمُ الدِّين الباذرائي بين العَسْكرين، وتولى إصلاح الفريقين، وكانت الحرب قد ضَرَّسَتِ الجمعين، [وخصوصاً عسكر الشام، والله تعالى يؤيد الإسلام، ويجري أموره على أحسن نظام](١)، وقَدِمَ ابنُ الباذرائي والنَّظام بن المولى القاهرة، وحلَّفوا الملك والأمراء، وخلَّصوا المعظم، وأخاه النصرة، وابن صاحب حمص، والأمراء وغيرهم، وبنت الأشرف، وأولاد الصَّالح إسماعيل.

[وفيها توفي

القاضي صدر الدين الحنفي؛ قاضي آمد.

كان فاضلاً، عارفاً بالمذاهب، كيِّساً، لطيفاً، متعصباً، ذا مروءة، حسن الوجه، بشوشاً، وكانت وفاته في صفر بالقاهرة](١).

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وفيها ورد الخبر بوفاة

سعد الدين محمد بن المُؤَيَّد بن حَمُّوية(١)

ابنُ عَمِّ صدر الدين شيخ الشيوخ بخراسان.

كان زاهداً، عابداً، ورعاً لطيفاً، يتكلَّم في الحقيقة، وله مجاهداتٌ ورياضات، وقدم مِصْر، وحَجَّ، وسكن الشَّام، فأقام بقاسيون مُدَّة في زاويةٍ يتعبد، ومعه جماعةٌ من أصحابه، وبلغ به الفقر إلى حالٍ شديدة، ومع ذلك فلم يكن يتردَّدُ إلى أحدٍ من أبناء الدُّنيا، ولا إلى بني عمه ولا يلتفت، ولما ضاق به الحال توجَّه إلى خراسان، واجتمع بملوك التَّتر، فأحسنوا به الظن، وأعطوه مالاً كثيراً، وأَسْلَمَ على يده خَلْقٌ كثير منهم، وبنى بآمل خانكاه وتربة إلى جانبها، وأقام يتعبَّد، وله قَبُول عظيمٌ هناك، فقال في بعض الأيام: أريد أنْ أزور جدي محمد بن حَمُّوية بِبُحَيْراباذ، فمضى إليه وزاره، وأقام عنده أسبوعاً، فمات، ودفن إلى جانبه، وقيل: إنه مات سنة خمسين وستّ مئة.

السنة الثانية والخمسون وست مئة

فيها وصلتِ الأخبارُ من مكة بأَنَّ ناراً ظَهَرَتْ في أرض عدن في بعض جبالها، بحيث يطير شَرَرُها إلى البحر في اللَّيل، ويصعد منها دُخانٌ عظيم في النَّهار، فما شكوا أَنَّها النار التي ذكر النَّبيُّ ﷺ أنها تظهر في آخر الزَّمان، فتاب النَّاس، وأقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد، وشرعوا في أفعال الخير والصَّدقات.

[وفيها أقطع الملك [المعزّ] إيدغدي العزيزي دمياط زيادة على خبزه، وتعمل ثلاثين ألف دينار.

فصل: وفيها توفي شهاب الدين كوجيا، بات وهو يشرب الخمر، فأصبح سكراناً نائماً ميتاً.

واتفق الصلح بأن يكون ابن أقسيس، ويلقب بالأشرف هو السلطان، وخطب لهما بمكة، وضربت السكة باسمهما.

وأخذت مدرسة الصَّالح من القاضي بدر الدين، ودفعت إلى ابن عبد السلام.

(١) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٥/ ١٥١ ، و«نزهة الأنام»: ٢١٧ـ٢١٨ ، و«النجوم الزاهرة»: ٧/ ٣١ .

وفيها قدم أقطاي من الصعيد بالمسلمين أسارى، ونهب أموالهم، وأسر ابن عم الشريف بن ثعلب، وشنق تحت القلعة][١].

وفيها وصلتِ الأخبار من المغرب باستيلاءِ إنسانٍ على إفريقية، وادَّعى الخلافة، وتلقب بالمستنصر، وخُطِبَ له في تلك النواحي، وأظهر العدل [والإنصاف، وبنى له][١] برجاً، وأجلس الوزير والقاضي والمحتسب [والوالي][١] بين يديه، يحكمون بين الناس.

وفيها وصل الشَّريف المرتضى من الرُّوم، ومعه بنتُ علاء الدين صاحب الرُّوم من بنت العادل، تزوَّجها الملك النَّاصر يوسف بن محمد، فَزُفَّت إليه بدمشق، واحتفل لها احتفالاً عظيماً، وأظهر تجمُّلاً كثيراً لم يُرَ مثله، وتلقاها قضاة البلاد والولاة والنواب بالهدايا والإقامات من الرُّوم إلى دمشق.

[وفيها][١] حج القاضي بدر الدين قاضي مصر في البحر، وعاد في البر.

وفيها مات الواسطي العماد الواعظ بمصر، وكان قد قال على المنبر: إن الله خلق آدم بيديه، وأومأ إلى يد نفسه. فعزر، وعزموا على قتله.

وكان يعظ في الأعزية، فحصل له منها مال كثير، فأخذه الحشوية، وهذا المذكور كان بدمشق لا يُلتفت إليه، ويستثقل، فلما فارقت دمشق بعد موت الأشرف، تعصّب له السَّامري، وكان يحضر مجلسه، ويمدحه الواعظ بما ليس فيه، وكان قصد السامري أن يقيمه موضعي، وتعصب له النجم بن سلام والجماعة، وظهر في تلك الأيام من النفاق ما كان يبدو من المنافقين في زمان النبي ﷺ، وردّ الله كيدهم في نحورهم، وانعكست عليهم الأمور. وكان الدماشقة إذا جلس في الجامع يصيحون من جوانب الجامع: لا عاش المشبهون.

لَيسَ التَّكَحُّلُ في العَيْنَيْنِ كالكَحَلِ[٢]

وترك الوعظ، فلما أخذت دمشق هرب هذا الواعظ إلى مصر، ومات بها.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) هذا عجز بيت للمتنبي، صدره: لأن حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تكلَّفه
من قصيدة مطلعها:

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل ... دعا فلباه قبل الركب والإبلِ

وهي في «ديوانه»: ١٩٨-٢١٢.

وفيها مات أقطاي بمصر قتلة شنيعة، وكان قد طغا وبغى وتكبر وتجبر، بحيث إنه كان إذا ركب من داره بالقاهرة إلى القلعة يقتل جماعة ولا يلتفت إلى الملك، وهو الذي قتل المعظم وباشره، وأكب عليه، وصاهر أصحاب حماة، واختلفوا في جهاز العروس، وحملوها إلى دمشق في محمل عظيم، وعجب الناس من بنت الكامل كيف سمحت لذلك العبد بالمصاهرة مع عدم الكفاية، فإنها كريمة الطرفين من ناحية الأب والأم، ولما لم يغر أحد لها غار الله، فسلّط على أقطايا من قتله أقبح قتلة، ومثل به أعظم مُثْلة، وكان قد طلب من الملك القلعة ليسكن العروس فيها، فاتفق مع شجرة الدر على قتله، واستدعاه، فقتله بالقلعة، وهربت البحرية إلى الشام.

عبد الحميد الخسروشاهي[١]

كان إماماً، فاضلاً في فنون [شتى][٢]، وصحب الفَخْر الرَّازي ابن خطيب الرّي، وأقام عند الملك النَّاصر داود سنين كثيرة بدمشق والكَرَك، وكان متواضعاً، كبيرَ القَدْر، كَيِّساً، محضر خير، لم يُنقل عنه أنه آذى أحداً، وإن قدر على نفع وإلا سكت، توفي بدمشق، ودفن بقاسيون على باب تُرْبة المعظم، رحمه الله.

السنة الثالثة والخمسون وست مئة

فيها عاد النَّاصر داود من الأنبار إلى دمشق بعد أن حبسه الملك النَّاصر يوسف بقلعة حمص ثلاث سنين، وبعث به إلى بغداد، ثم عاد إلى دمشق، فأقام بها، ثم عاد في سنة ثلاثٍ وخمسين إلى العراق، وحَجَّ، وعاد، فأقام بالحِلَّة، وكان قد جرى بين الحج العراقي وأصحاب مكة فتنة، فأصلح بينهم.

---

(١) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ١٠٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وانظر ترجمة الفخر الرازي في وفيات سنة (٦٠٦هـ).

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

السنة الرابعة والخمسون وست مئة

فيها فتح الملك النَّاصر يوسف مدرسته التي أنشأها بدمشق بباب الفراديس، وحَضَرَ النَّاصر والأمراء والقضاة والفقهاء، [ولم يتخلف أحدٌ غيري، وبعث إليَّ الملك الناصر، وسألني الحضور، فامتنعت بسبب تشويش مزاج عرض لي][(١)].

وفيها غَرِقَتْ بغداد الغرق الشَّنيع الذي لم يُعهد مثله، بحيث انتقل الخليفة إلى دار المسناة، ودخل الماء إلى دار الوزير، ودار الخليفة، وخرج [خالي][(١)] محيي الدين بن الجوزي من دار الخليفة، وضرب خيمة على تلٍّ عالٍ، وجلس بأهله فيها، وغرقت خزائن الخليفة [والذخائر][(١)]، وجرى شيءٌ لم يجرِ مثله، وكان ذلك في شهر ربيع الأول.

وفي جمادى الآخرة[(٢)] قَدِمَ الصريمي الخارج على صاحب مِصْر إلى دمشق منهزماً قد نهب ماله بالصعيد، وقُتِلَ رجاله، فأنزلوه في مدرسة عز الدين على الشرف، فقال للفقهاء: اعذروني، فإنهم يخلوا لي الجوسق الذي على الميدان، وما انتقل إليه إلا على طالع. وأحضر المنجم، وأخذ له الطَّالع، وانتقل إلى الجوسق.

وفيها شَرَعَ الملك النَّاصر يوسف في عمارة تُرْبةٍ غربيِّ قاسيون.

وفيها توفي

الشيخ عماد الدين عبد الله بن النحاس[(٣)]

الزَّاهد، العابد، الورع، المجاهد، خَدَمَ الملوك، ووزر بالعجم، وانقطع في آخر عمره بقاسيون بزاويته، فأقام ثلاثين سنة صائماً [قائماً][(١)]، مشغولاً بالله تعالى، وبقضاء الحوائج للنَّاس بنفسه وماله، ودفن بقاسيون [وهو الذي قال له ابن شيخ الشيوخ فخر الدين لما لامه: والله لأسبقنك إلى الجنة بمدة، وسبقه فخر الدين][(١)]، رحمه الله تعالى.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ش): ومن العجائب أن الصريمي الخارج عن صاحب مصر قدم دمشق في جمادى الآخرة.

(٣) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/١٠٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

جاء في آخر نسخة (ت) ما نصه:

«آخر ما ألفه المصنف ـ رحمه الله ـ من هذا التاريخ المشار إليه، وأدركته المنية في هذه السنة، وهي سنة أربع وخمسين وست مئة، توفي ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي الحجة بمنزله بجبل قاسيون، ودفن به، وحضر جنازته خلق عظام، سلطان البلد، فمن دونه، وهو الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن حسام الدين قَزأوغْلي ابن عبد الله، سبط الشيخ جمال الدين بن أبي الفرج بن الجوزي، رحمه الله تعالى، ونفع بعلومه، بمحمد وآله[1]».

---

(١) وقد كان الفراغ من تحقيق (سنوات ٥٠٠هـ ـ ٦٥٤) من «مرآة الزمان»، والتعليق عليها مع غروب يوم الأربعاء غرَّة جمادى الآخرة من عام ألف وأربع مئة وأربع وعشرين من هجرة المصطفى ﷺ، الموافق للثلاثين من شهر تموز من عام ألفين وثلاثة للميلاد، والحمد لله على فضله وتوفيقه، وكتبه إبراهيم عمر الزيبق، عفا الله عنه بمنه وكرمه.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات